الشيخ محسن علي المعلم

علي عليه السلام

إمام الدين والدولة

دار الهادي

www.haydarya.com

علي عليه السلام

إمام الدين والدولة

الشيخ محسن علي المعلم

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

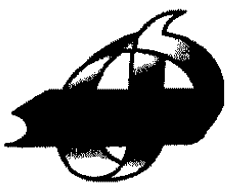

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم المرسلين وسيد الخلق أجمعين، وعلى عليٍّ أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وعلى آلهما الهداة الميامين. واللعنة على أعدائهم إلى يوم الدين.

«إنَّ اللهَ جَعَلَ لأخي عليٍّ فضائلَ لا تُحصى كثرةً، فمن ذكرَ فضيلةً مِنْ فضائله مُقرًّا بها غفرَ اللهُ ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخّر، ومن كَتَبَ فضيلةً مِنْ فضائله لَمْ تَزَلِ الملائكةُ تستغفرُ لهُ ما بَقِي لتلكَ الكتابةِ رَسْم، ومن استمعَ فضيلةً من فضائله غفر لهُ الذنوبَ التي اكتسبَها بالاستماع، ومن نظرَ إلى كتابٍ من فضائله غفر له الذنوب التي اكتسبَها بالنظر».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «النظرُ إلى وجه عليٍّ عبادة، وذِكْرُهُ عبادة، ولا يَقْبَلُ اللهُ إيمانَ عبدٍ إلاّ بولايته».

مناقب الخوارزمي /٣٣، وهامش (مئة منقبة) /١٦٣ عن عدة مصادر.

وكلّي رجاءٌ صادقٌ وأملٌ واثقٌ أن يتقبلَ اللهُ بكرمِه صحائفَ ولائي ببركةِ مَنْ تشرّفتُ وتشرّفَ قلمٌ خطّها بذِكْرِه، وأن يجعلَ ثوابَها لروحِ مَنْ هَدَّ ركني فقدُه .. أخي وعمادي الشيخ محمد أبي عماد، الذي اخترمَهُ المنونُ وهو في ذروةِ نشاطِهِ وعطائِه .. عائداً من رحلةٍ شاقّةٍ وشُقّةٍ بعيدةٍ داعياً مبلّغاً(*).

فإلى روحِهِ الطيبةِ أُهدي هذه الصحائف.

رحمكَ اللهُ أبا عماد .. وحَشَرَكَ مع النبيينَ والصديقينَ والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً، وجمعنا وإياكَ في مستقرِّ رحمتِه تحتَ ظلِّ عرشِهِ، ورزقنا شفاعةَ مولانا أميرِ المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسقانا من حوضِ كوثرِه.

حُزْنِي طويلٌ ودمعي هاطِلٌ عَرِمُ ... وفي الفؤادِ جَوىً لَمْ يُبْدِهِ كَلِمُ
جُرْحي عميقٌ وقلبي مَضَّهُ أَلَمُ ... تَأْبَى جراحاتُهُ تَبْرَى وتَلْتَئِمُ
قد كنتَ ركني في الحياةِ فمُذْ ... رَحَلْتَ عني فركني اليومَ مُنْهَدِمُ
عقدتُ دنيا مِنَ الآمالِ واسعةً ... والموتُ للعُمْرِ والآمالِ يَخْتَرِمُ
طويتَ صَفْحَتَكَ البَيْضا على عجلٍ ... فقَرَّ عينًا فبالرِّضوانِ تَتَّسِمُ
جاورتَ فاطمةً حيًّا وآخرةً ... فحيثُ تَهْوَى حِماها ثَمَّ مُخْتَتَمُ
تُقْرِيكَ ضيفًا غريبًا في مرابِعِها ... ورِفْدُها الجودُ والإحسانُ والكَرَمُ
لكَ الشفاعةُ منها خيرُ مُدَّخَرٍ ... لكَ الجنانُ بها والفوزُ والنِّعَمُ

(*) وقد كانت وفاته في ١٤٢٤/٦/١٧هـ وعمره ٤٢ سنة. ودفن في مدينة (قم المقدسة) عش آل محمد عليهم السلام في حمى السيدة الجليلة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

هُـوَ سِـرُّ الغَيْـبِ لَكِـنْ جَـامعُ مُقْلَـةُ الكَـونِ فجَـلَّ الصَّـانعُ

حِـيْنَ شَـاءَ اللهُ خَلْقـاً أَمْـثلا عَابِـدَاً صِـدقاً وذَاتـاً أَكْمَـلا
لِيَـرَى حِكْمَـةَ رَبٍّ فَضَّـلا ولِيَحْيَـى بنعـيمٍ وعُلَـى
شَـعَّ مِـنْ عَلْيَـاهُ نـورٌ سَـاطعُ

عَـانَقَ العَـرْشَ هيامـاً أَحْـدَقا يَـتَمَلاَّهُ بَهَـاءً مُشْـرِقا
ويُفِـيْضُ النـورَ، يَغْـدُو مُورِقـا بشـذا والكـونُ منـهُ عَبَقـا
وإليـهِ كـلُّ خـيرٍ جَـامعُ

شَارَكَتْ أرضَ الهدى أُفْقُ السَّما وبـهِ خُصَّـتْ جـلالاً أَعْظَمَـا
بَـزَّ كُـلَّ الخَلْـقِ فَـاقَ الأُمَمَـا فلقـد كـانَ أثـيراً مُكْرَمَـا
إنـهُ مكنـونُ سِـرٍّ رَائِـعُ

ولَـدَتْ فاطمـةٌ بنـتُ أَسَـدْ في رحابِ البيتِ لاهـوتَ الأَبَـدْ
لَـمْ يَكُـنْ قَـطُّ لَـهُ كُفْـواً أَحَـدْ ذلكـم مِـنْ حكمـةِ اللهِ الصَّـمَدْ
وهـو الحـقُّ الحكـيمُ الواضِـعُ

هَتَفَ الوَحْيُ مِـنَ الأُفْـقِ الخَفِـي بنـداءٍ كـانَ في البيـتِ جَلِـي
إنـي العـالي وذا المـولى علـي خـيرُ خلـقِ اللهِ بعـدَ المُرْسَـلِ
وهْـوَ عنـوانُ الكمـالِ البـارعُ

تقديم:

(١)

الإبداع التكويني

يشهد الكون في كل صفحة من صفحات وجوده صور الإبداع الإلهي، وهي وإن تفاوتت في جوهرها وجنسها وفصولها وخصائصها فهي متحدة الدلالة والشهادة على إبداع منشئها، ولطيف صنعه، وبالغ قدرته، وبليغ حكمته.

ولا امتياز في الجهر والإفصاح بين السماوات العلى ومن فيها والأرض ومن عليها، ولا فارق بين الجرّة والذرّة، فكافتها لسان الاقتدار، وبرهان الخالق الحكيم الجبّار.

(٢)

كتابا التدوين والتكوين

قرآن الله، وعلي ولي الله، يمثلان جلال الإبداع وقمة الإعجاز، فالقرآن آية الله العظمى في التشريع والتدوين، وعليٌّ آية العلي الأعلى[١] في التكوين، وكلاهما في أوج الجمال والكمال توأمان يلتقيان «فعلي مع القرآن والقرآن مع علي».

وقد تجلى في القرآن علم الله وقدرته وحكمته، كما تجلى في علي

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله -عزّ وجل-: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، فقال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأصحابه: أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف فيّ جميع الأمم بألسنتها، والله ما لله نبأٌ أعظم مني، ولا لله آيةٌ أعظم مني. بحار الأنوار ٣٦/٤.

ذلك كله، فهو مظهر صفاته، وتمام كلماته العليا، وأسمائه الحسنى.

وكلاهما قرآن ... وكل منهما علي ...

فهما متَّحدان وإن امتاز أحدهما:

كُـلٌّ كِتـابُ اللهِ، لكـنْ صـامِتٌ هــذا، وهــذا نــاطِقٌ ومُبِــيْنُ

وكما ادخر الله قرآنه ليتحف به الوجود في آخر أدوار رسالاته، ويخص بإكرامه صفوة أنبيائه وختام رسله فقد قرن ذلك بترجمانه الصادق فاصطفى علياً واختص به محمداً نفساً وروحاً وعقلاً وقلباً وعيناً ولساناً ويداً، فسبحانه من عليم حكيم ولطيف خبير.

خير كتاب منزل، وخير نبي مرسل، وخير وصي أمثل.

ومن ذا يؤمل لجلال شامخ المقام إلا من ابتدأت يد القدرة وكفُّ الإعجاز وقلم الإبداع فأظهرته نوراً، وزيَّنت قوائم عرش الجليل وسرادقاته وجنانه وما شرف من خلقه وموجوداته بعد خلقها من بهاء نوره باسمه وسماته بأحرف النور الإلهي.

فكان نوره مفتتح الوجود وبراعة الاستهلال في الابتداع وعنوان الخلود، فنور الله لا يخبو، وسناؤه لا يخفى، وبهاؤه أبداً يتجلى.

(٣)

علي والحق

فالله ـ جلَّ جلالُه ـ هو الحق المحض، وما يصدر عن الحق إلا الحق، فما قام وجود الخلق إلا بذلك، ولا جرى قلم التشريع إلا كذلك، وما أرسل المرسلون وبعث المصلحون الإلهيون إلا له وبه ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء / ١٠٥). ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن

لاَ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس /٣٥).

والحق نهج واحد هو الصراط المستقيم ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾ (طه /١٠٧). ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (يونس /٣٢).

والحق مر ثقيل لا تقبله كثير من الطباع، وتنفر منه النفوس، وتأبى عليه الأهواء ﴿بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون/٧٠).

وعليٌّ مجسِّمة الحق، وأمثولة العدل قلباً وقالباً وقولاً وفعلاً، وجوهر الاستقامة، وعلى ذلك فطرت جبلّته، وقامت سريرته وعلانيته، والتحمت شؤونه، فإن ذكرت علياً فقد ذكرت الحق، وإن ذكرت الحق كان علياً، فكلاهما للآخر مرآة يتجلى فيها الآخر.

"فعلي مع الحق والحق مع علي".

ومن كان (مع القرآن والقرآن معه) فهو والحق مقترنان.

(٤)

الدين والدولة

وكما تجلت الحكمة الإلهية في عالم التكوين فقد تجلت في عالم التشريع ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل /٨٨).

ولا خالق إلا هو ـعظمت قدرتهـ ولا مشرِّع إلا هو ـجلّت حكمتهـ فخالق الطبيعة واضع الشريعة.

﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ! وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الإسراء /٤٧ـ٤٨).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ ! لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء /١٦ـ١٧). ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات /٥٦). ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة /٣٦). ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون /١١٥).

والله عليم بعباده الذين خلقهم، بصير بما يصلحهم ويفسدهم.

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك /١٤).

ولقد شملهم بلطفه وأحاطهم بتكريمه فشرع لهم دينه وأقام لهم دولتَه، ودينُه دولتُه، ودولتُه دينُه.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ! يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ! وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء /٧٠ـ٧٢).

وقرن بعلي قرآنه وكلاهما كتاباه تكوينياً وتدوينياً، وأودع فيهما منهاج دينه ونظام دولته.

وصدع نبي الإسلام ﷺ بقرآن ربه وأقام في عباد الله دينه ودولته، واستخلف بأمرٍ من مولاه نفيسَ ثقليه وخليفتيه.

"إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

فكما أراد الله للأمة محمداً وقرآنه فكذلك أراد لهم علياً وقرآنه، إلا

أن محمداً خص بالنبوة وعلياً خص بالإمامة، فكما كان النبي إماماً لدين الله ودولته فكذلك الخليفة والوصي إماماً لدين الله ودولته.

(٥)

مظلوم الخافقين

وامتاز الإمام بالفضائل، وتفرَّد بالكمالات، ومثَّل القيم، ورعى حوزة الدين من نشوئه إلى ارتقائه، وبجهده وجهاده وذي فقاره وتضحياته رست دعائمه واستقام بناؤه، كما هدَّ حصون الكفر وقلاع الضلال.

واختص بأبلغ الثناء وسابغ الإطراء وعظيم الإجلال والإشادة من الله ورسوله وملائكته بما لا يدانيه في ذلك سواه ولا يشاركه غيره.

فوغرت عليه الصدور، وحسدته النفوس، واعصوصبت عليه القلوب التي ملأتها الأحقاد بدرية وأحدية وحنينية وخيبرية وغيرهن، والتي عرفته الأخيشن في الله لا تأخذه فيه لومة لائم، يقوم فيها بالعدل، ويحملها على الاستقامة ومنهج الحق، وذلك ما تأباه ولا يروق لها.

فأبت حبه ومالت إلى سواه، وتمادت في غيِّها وتنكَّرت لجلائل أعماله وأمجاد مواقفه، وسعت مستميتة في تجاهله وتناسي فضائله وفواضله، وتعدَّت فمنعت حتى من التسمِّي باسمه، وعدت على أوليائه وشيعته فمحت أسماءهم من ديوان العطاء، وهدمت دورهم وشرَّدت بهم، واختلقت له مثالب ولأعدائه مناقب، وأوغلت ظلماً وأوسعت هضماً في النيل من شامخ مقامه، وأخذت على ذلك الأمة أخذاً شديداً.

«لك الله يا أبا الحسن ...

لك الله ماذا لقيت من بعض الصحابة الذين رفع أتباعهم بأضباعهم، ولم يغيِّر الإسلام من رواسب طباعهم؟

لك الله ماذا لقيت من الوضّاعين والدجّالين الذين ساروا في ركاب الحاكمين فوضعوا لهم ما شاؤوا؟

لك الله ماذا لقيت من مدوِّني السيرة والتأريخ وحتى أصحاب الحديث الذين خلطوا الأوراق عن عمد، فضاعت معالم نيِّرة لفّها ضباب الأفّاكين؟

لك الله، أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه حين جهل الناس قدرك وقد رفع الله ذكرك.

لقد قرأنا تأريخك وأدوار حياتك منذ ولادتك وحتى يوم شهادتك فرأينا أعداءك لم تكف عن أذاك، ولم يتركوا ـ ما وسعهم ـ موقفاً ينبيء عن فضيلة لك إلا أحاطوه بالغموض وحاولوا طمسه أو التشويش عليه، بإلقاء الشكوك فيه، حتى حشروا الأضداد معك، وكأنهم أنداد لك.

هيهات هيهات، فالحق يعلو ولا يعلى عليه، وشمس الحقيقة لا بد أن تظهر لذي البصائر، مهما تكاثفت سحب التضبيب وإن طال الزمن وبعد العهد.

سيدي: هذا الذي أبكى رسول الله ﷺ حين نظر إليك فسألته: ما يبكيك؟ فقال ﷺ: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك إلا من بعدي. فقلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

إن جميع ذلك قد تحقَّق.

سيدي: لكن الذي يحزُّ في النفس أن يكون السطو على حساب جهادك وتضحياتك، فتجعل مواقفك البطولية التي نصرت بها الدين وأعززت بها المسلمين يتَّخذها من لا حريجة له في الدين وسيلة خداع واستغفال للعقول، فيجعلها لأناس تافهين ممن كانوا إلى أمسهم القريب من أشد أعداء الإسلام.

... حيث رأينا أعداء علي عليه السلام كيف حاربوه سيفاً وسناناً وكتاباً وبياناً، فما تركوا شاردة ولا واردة إلا وزجُّوا بأسماء من لا يساويه في صول ولا طول، فكانوا أبطالاً على حساب فضائله»[1].

(٦)

علي محنة المتكلم

وإن شخصية كالإمام ـعليه صلوات بارئهـ بما اكتنفها من أسرار وشملها من ألطاف في كافة أدوار خلقه وحياته وشهادته، وتجسَّدت فيما تجلى من خلائقه وملكاته، فلا يمتلك الفكر في مترامي أبعادها وبلوغ مداها إلا الحيرة والانبهار، ولا مطمع لديه لتحليل ألغازها.

فأنَّى يقوى الفكر في إدراك آفاق علمه الواسع، وشجاعته النادرة، وإيمانه العميق، وأخلاقه الكاملة، وفضائله الشاملة، وعبوديته المخلصة، وتماسك شخصيته، وتواتر نوادره، وفيض معاجزه وغرائبه، وفائق بلاغته.

يرصده أعداؤه، ويراقبه خصماؤه، وهو بمرأى منهم ومسمع، في حرب وسلم وشدة ورخاء، قبل تولِّيه الحكم وبعده، وهم يحسبون عليه أنفاسه فلا يجمعون إلا على كماله وجلاله.

فلا غرو لو قال عنه قائل:

«علي بن أبي طالب عليه السلام محنة المتكلِّم، إن وفَّاه حقَّه غلا، وإن بخسه حقَّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادة اللسان، صعبة الترقِّي إلا

---

(١) علي إمام البررة ٣/٢٧٠ـ٢٧٢، والنص للشارح العلاَّمة المحقِّق الجليل السيد محمد مهدي الخرسان.

على الحاذق الذكي»[1].

«ويقول الأستاذ عدنان كاظم عليان تحت عنوان: محال معرفة الإمام:

استحقَّت سيرته أن توسم بِـ (السيرة المتفرِّدة)، والمتفرِّد في اللغة تعني الذي لا نظير له، وهكذا أصبح الإمام علي عليه السلام أهلاً لهذا التفرُّد بعد الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولله درُّ الشاعر الذي أحسن في تصوير تلك الأضداد في سيرة الإمام حين قال:

جُمِعَتْ في صفاتِكَ الأَضْدادُ فلهذا عَزَّتْ لَكَ الأَنْدادُ...إلخ[2]

لذا كان من الصعب على الباحث الثاقب أن يدرك غايته وينال شأوه في الإلمام بأبعاد ومضامين السيرة العطرة لحياة الإمام المبين علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ فذاك ضرب من المحال.

ومما زاد في أهمية سيرته تلك الإضفاءات الرائدة على سيرته العطرة كونها سيرة شاركت في صنعها ثلاث إرادات، أرادة الله في اختيار خلقه، وإرادة النبي في شد عضده، وإرادة الإمام في كنه نفسه، فتفاعلت الإرادات الثلاث لتصنع تلك السيرة المتفرِّدة...إلخ»[3].

(٧)

فمن يعرفه فيعرفه؟

عرفه من أبدعه وأحاط به من اخترعه، وأكمل فيه مواهبه، ومنحه

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ٨/٤٥٣.

(٢) في قصيدة رائعة لصفيِّ الدين الحلي. ديوان صفيِّ الدين الحلي /٨٨ـ٨٩.

(٣) النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الإنسانية ١/١٣٧ـ١٣٨.

ألطافه، ووهبه كماله، وأعدَّه لحمل أمانته، وسياسة بريَّته، وإقامة دينه ودولته.

وعرفه من كان روحه ونفسه فاصطفاه وآخاه، وشرَّكه في أمره، وشدَّ به أزره، وأقامه مقامه وبوَّأه محلَّه.

فالله الخالق، ومحمد صفوة الخلق عرَفاه حقَّ معرفته، كما لم يعرف الله -جلَّ جلالُه- إلا من عرفهما حقَّ معرفتهما.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا».

«يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري».

«ما عرفك يا علي حق معرفتك إلا الله وأنا»[1].

وقد عرَّف به الله سماواته وأرضه وجنانه وملائكته وأنبياءه ورسله في

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ١٨٥/٨ عن عدة مصادر.
وجاء في (إحقاق الحق) ١٢١/٥:
مرَّ علي بن أبي طالب عليه السلام بنفر من قريش في المسجد فتغامزوا عليه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وشكاهم إليه فخرج النبي صلى الله عليه وآله غضبان فقال: يا أيها الناس مالكم إذا ذكر إبراهيم وآل إبراهيم أشرقت وجوهكم وطابت نفوسكم وإذا ذكر محمد وآل محمد قست قلوبكم وعبست وجوهكم، والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً من أعمال البرِّ ما دخل الجنة حتى يحبَّ هذا وولده، وأشار إلى علي عليه السلام، ثم قال: أن لله حقاً لا يعلمه إلا الله وأنا وعلي، وإن لي حقاً لا يعلمه إلا الله وعلياً(*)، وإن لعلي حقاً لا يعلمه إلا الله وأنا. رواه الحافظ محمد بن أبو الفوارس في كتابه (الأربعين).
(*) كذا.

كتبهم المنزلة وصحفهم المرسلة، ونشر مدحته وباهى به ملائكته، وبثّ مدحته في كافة ما خلق.

وترجمه في قرآنه، ونوَّه بمناقبه ومآثره وخصائصه وملكاته، ونعته أكمل النعوت وأسمى الصفات، واعتدَّ شهادته كشهادته ـسبحانهـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد /٤٣).

كما عرَّف به نبيُّ الله في كل موطنٍ ومشهد ناصاً على ذلك باسمه مفصحاً عن شخصه آخذاً برقبته رافعاً بيده، مرخيًا عليه رداءه، مرتقياً منكبيه، ناشراً فضائله، منوِّهاً بمناقبه، مصرِّحاً بسابغ بركته وفاضل خيره على ما خلق الله، مصرِّحاً بولايته وإمامته وخلافته، آمراً باتباعه، ناهياً عن مخالفته.

"معاشر الناس من أحسن من الله قيلاً، وأصدق من الله حديثاً؟

معاشر الناس إن ربكم ـجلَّ جلالُهـ أمرني أن أقيم لكم علياً عَلَماً وإماماً، وخليفة ووصيًّا، وأن أتخذه أخاً ووزيراً.

معاشر الناس إن علياً باب الهدى بعدي، والداعي إلى ربي، وهو صالح المؤمنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

معاشر الناس إن علياً مني، وولده ولدي، وهو زوج حبيبتي، أمره أمري ونهيه نهيي.

معاشر الناس عليكم بطاعته واجتناب معصيته، فإن طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي.

معاشر الناس إن علياً صِدِّيقُ هذه الأمة وفاروقها ومحدِّثها. إنه هارونها

ويوشعها وآصفها وشمعونها. إنه باب حطتها وسفينة نجاتها. إنه طالوتها وذو قرنيها.

معاشر الناس إنه محنة الورى، والحجة العظمى، والآية الكبرى، وإمام أهل الدنيا، والعروة الوثقى.

معاشر الناس إن علياً مع الحق والحق معه وعلى لسانه.

معاشر الناس إن علياً قسيم النار، لا يدخل النار وليٌّ له، ولا ينجو منها عدوٌّ له. إنه قسيم الجنة لا يدخلها عدوٌّ له ولا يزحزح عنها وليٌّ له.

معاشر أصحابي لقد نصحت لكم وبلّغتكم رسالة ربي ﴿وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].

(٨)

خطة الكتاب

ورأيتني قبالة هذا البحر المتلاطم بأمواج الأسرار، الزاخر بنفائس المآثر والآثار، المحيِّر للعقول والأفكار، لا أمتلك إلا الصَّغار والانبهار، فعنيت بالنظر في أكناف تلكم الأطراف، وجمع شذرات من هاتيك النفائس، ونضد نماذج من الدرر الغرر، وعرض عقدها المنظوم.

معتمداً على خير تعريف من خير معرِّف، معتقداً موقناً أنه منهج الصواب، وفيصل الحق، وكلمة الصدق، مقتفياً خطة السلامة وصراط الاستقامة الذي سلكه شيخ الباحثين وحجة المحقّقين الشيخ الأميني ـ أنار الله برهانه ـ فيما رآه الأسلوب الأمثل والنهج الأكمل في مسلك البحث عن الشخصية الإلهية الفذة.

---

(١) موسوعة الإمام علي ٨/١٨١ـ١٨٢ عن عدة مصادر.

ففي حديثه الطريف مع الأستاذ محمد حسين الأعظمي -وكيل عميد مكتبة الحقوق في بغداد- يقول:

«واغتنم الأستاذ الأعظمي الفرصة وأراد أن يستخبر ميزان ثقافتي وعلمي، وما أتحلّى به من العلوم الإسلامية، فقال: شيخنا ما رأيكم حول كتاب (عبقرية الإمام) تأليف الأستاذ المصري عباس محمود العقّاد؟ ولم يكن مضي عليٍ عرض كتابه في الأسواق التجارية سوى أشهر عديدة، وقد لاقى إقبالاً كبيراً بين الشباب العربي والإسلامي.

قلت: لا أخال أن الأستاذ العقّاد كتب ما يشفي الغليل، إذ ليس بوسعه ولا بوسع أمة من أمثاله عرفان شخصية الإمام على حقيقتها مهما جدّوا واجتهدوا في ذلك. وبهذا طرأ على الأستاذ وأبنائه استغراب وتفكير، واستغرق ذلك شيئاً من الوقت في جوٍّ يسوده الهدوء، فتقدَّمت بالكلام وقلت: تسمحون لي، قد أكون أنا في كلامي أوجدت نزاعاً بينكم. إذ بعد أن أترك الدار ستقوم القائمة بينكم، فتعترضون على والدكم قائلين: يا بابا! كيف يتسنَّى لشخص بهذه البزَّة، وهذا الهيكل أن يقف على الغثّ والسمين ويتعرَّف على ما جاء في كتاب (عبقرية الإمام)؟ وستكون إجابة الأستاذ إليكم: كلا يا أبنائي، ليس الأمر كما تزعمون، بل إن الرجل عالم من علماء أمة من المسلمين، وعلى علم بكل شيء، إلا أنه لا يروقه أن يثني على كتاب أديب سنيٍّ مخالف لنزعته الدينية، وحتى لا أكون أضرمت نار الفتنة بينكم سأقوم بحسم النزاع بعد أن أعرض على الأستاذ شواهد كلامي، وإن كنت مخطئاً فسيتولّى مناقشتي برأيه الصائب ويقضي بالحق وهو أستاذ القضاء ومربِّي رجالاته.

عند ذلك سألت الأستاذ الأعظمي قائلاً: هل يسعنا أن نقيس الأستاذ العقّاد في الفكر والنظر بواحد من العلماء أمثال: أبي نعيم الأصفهاني، الفخر الرازي، ابن عساكر، الكنجي الشافعي، أو أخطب خوارزم، وأضرابهم ممن كتبوا حول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مؤلّفاً خاصاً، أو تطرّقوا

إلى ناحية من حياته في تآليفهم؟

أجاب الأستاذ قائلاً: شيخنا من الجفاء بحقِّ العلم والعلماء أن نقيس مائة من أمثال العقَّاد بواحد ممن ذكرتم، إذ أن أولئك أساطين العلم وجهابذة الفكر الإسلامي، ولا يتسنَّى لإنسان أن يسبر ما كانوا عليه من مكانة سامية في الحديث والتفسير والحكمة والفلسفة وسائر العلوم الإسلامية.

قلت: إذاً ما السرُّ في أن أولئك حينما يتطرَّقون إلى ذكر الإمام عليه السلام لم يتفوَّهوا في وصفه ببنة شفة بآرائهم الخاصة، بل يذكرونه بما وصفه الوحي الإلهيُّ وما روي عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حقِّه؟

قال الأستاذ الأعظمي: هذه نظرية مبتكرة، نرجو توضيحها كي نستفيد منها ونقف على السرِّ الكامن فيها.

قلت: ألم نكن في دراستنا للمنطق قرأنا قول علمائه: يشترط في المعرِّف أن يكون أجلى من المعرَّف؟ فالصحابة وأئمة الحديث حيث وقفوا على قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «علي ممسوس بذات الله».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا».

اهتدوا إلى أن وجوداً هذا جزء يسير من خصائصه وصفاته، من العسير على الأمة عرفان حقيقته إلا بما وصفه المولى -عزَّ وجل- به فأعلنوا للملأ أن علياً من المعنيين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾.

وإن خير معرِّف للإمام عليه السلام وخصائصه الذاتية هو ما أصحر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وقوله: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور الحق مع علي حيثما دار».

وقوله: «علي خير البشر، من أبى فقد كفر».

وقوله: «علي مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض».

ونرى الأستاذ العقاد قبل أشهر عديدة نشر كتاباً حول الشاعر ابن الرومي وهو من رجال القرن الثالث الهجري، وله تراجم مسهبة في كتاب التأريخ والسير، ولم يتحلَّ بشيء من الخصائص فوق خصائص الإنسان في حين أخذ العلماء والأساتذة عليه شطحات كثيرة، ونشروا حولها مقالات مسهبة لعدم عرفانه بسيرة الرجل وسلوكه، أو أخطائه في تحليل تأريخ حياته، أو بعده عن دراسة نفسيته، أو سوء تفهُّمه لفلسفة الرجل وشعره.

فمؤلِّفٌ هذا مبلغه من العلم في الكتابة عن إنسان في شاكلته، وهذه سعة اطِّلاعه عمن انبرى مئات من الكتَّاب في الكتابة عنه، كيف يتسنَّى له أن يعرِّف بفكره ونظره شخصية ممسوسة بذات الله، وأن يكتب عن قطب رحى الحق الذي يدور الحق معه حيثما دار؟

وإن كنت أنت أيها الأستاذ قد اتَّبعت في تآليفك طريقة العقَّاد فأراني في غنى عن مطالعته، وإن كنت اتَّبعت في كتابك سيرة السلف واعتمدت في

بحثك على كتاب الله وسنة نبيِّه فسأكون شاكراً لك لو سمحت لي بمطالعته»[1].

وطفت أحوم حول أبعاد شخصيته المترامية منذ أن افتتح الله الخلق بإشراقة نوره ثم انتقاله إلى الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهَّرة وتقلُّبه في الساجدين إلى أن شرَّف الله بولادته كعبته وقبلته.

وعرضت طرفاً من مؤهِّلاته الإلهية وخصائصه المفردة التي تجلَّت في شؤونه في أدوار الإسلام ومراحل نشوئه وارتقائه.

ووقفت على حاشية من آرائه في الحكم وسياسة الأمة.

والغاية من عرض ما ذكرت وأبقيت مما جاء في فصول الكتاب تجلية هذه الحقيقة:

إن الله ـ تباركت نعماؤه وجلَّت حكمته ـ قد شرع لعباده ديناً ونهج لهم دولة، ووضع لهما قانوناً ونظاماً ومجرياً وإماماً، فأنزل وحيه قرآناً على إمام أمته ونبيٍّ رحمته، فكان القرآن، والمنذر محمد، وخلفه وصيه خليفة الله، فكان القرآن والهادي علي الخليفتين في الأمة بعد رسولها.

فاصطفى المولى علياً المرتضى، وأمدَّه بألطافه ومنحه مواهبه، ومكَّنه بما شاء لما شاء، وأقامه إماماً بعد نبيِّه، وخليفةً في خليقته، وحاكماً في عباده وبلاده.

ذلكم ما قضى الله به وأراده لبريَّته حقاً وحكماً من شؤون الخالق الحكيم، لا شأن للمخلوق العاجز فيه، فهو بمنأى حيث لا تناله يد الجعل من البشر.

---

(١) ربع قرن مع العلاَّمة الأميني /٦٥ـ٦٨، وتتمتها مهمة فلتراجع.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب /٣٦).

هذا ما عُنيت بقصده وعرضه، ومن ثم فلم يتوفر هذا الكتاب على استيعاب حياة الإمام ودراسة محنه وما مني به مما حفلت به أيامه.

كما غلب عليه وفيه وفرة المنقول من قرآن الله وحديث رسوله المترجم للحقيقة التي عُنيت بإبرازها وتجليتها، ولم يصطبغ بطابع التحليل والدراسة المعمَّقة ركوناً إلى الوجهة المرتضاة التي سبق الحديث فيها.

(٩)

وبعد

فهذا جناي، وهذه بضاعتي، وصحيفة ولائي، بذلت في جمعها وتأليفها أسعد أيامي وأجمل ساعات حياتي، عشت فيها مع الإمام العظيم مولاي أمير المؤمنين ـعليه صلوات ربِّه وتحيَّاتهـ مبهوراً بجلال شخصيته، مأخوذاً بترامي أبعاده وآفاقه، معجباً باتِّفاق مؤالفه ومخالفه على إعظامه وإجلاله، موقناً أن لله في معانيه سراً.

فإن وفِّقت فيما جمعت وعرضت فتلك نفحة من بركات أنواره ومنحة من فيض عطائه، وإلا فهي جهد المقل، وقدرة العاجز.

(١٠)

شكر وتقدير

فواجب الوفاء إهداء خالص الثناء ومتواتر الدعاء لمن آزرني وشاركني في إنجاز عملي بتوجيه ونظر وقراءة وتصحيح ونقد وتشجيع، فإليهم بالغ تقديري وسابغ شكري وخالص دعائي بأن يحوطهم المولى ـجلّ

جلاله- بجميل رعايته، ويكلأهم بعين عنايته، وأن يثبّتنا بالقول الثابت على موالاة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة من أعدائه، ويأخذ بأيدينا للاهتداء بهديه واتّباع سبيله، وأن يرزقنا شفاعته ويسقينا من حوض كوثره، ويشرّفنا بالنظر إلى غرّة طلعته، ويحشرنا في زمرته، بمقامه الشامخ عنده، ومحلّه الرفيع لديه، وكرامته عليه، فإنه الربُّ الكريم الرحيم، وعليٌّ خير شافع ومشفّع.

وعَلِيٌّ نُسْخَةٌ في كِتَابِ الوُجُودِ فَرِيْدَة

ولاستجلاء ذاته في كمالاته، وكمالاته في ذاته، حتى نـدنو من كُوَّةِ النور فيهدينا إلى منجم ما فوق العبقريـات لا بـد مـن التملي في باقات من جنبات حياتـه وجنـائن أفكـاره المخصـبة الوديان، الواسعة الآفاق، تهطل سماؤها مطراً، وتنبت أرضها ثمراً.

١

عالم الأنوار والأشباح والميثاق

- حديث النور
- الذر
- الميثاق

من الطبيعي أن الفكر يقصر عن إدراك حقيقة ما هو بعيد عن دائرة تصوراته، ومن الضروري اختلاف وتفاوت أحكام الملأ الأعلى والعالم الأدنى، فلكل شؤونه وخصوصياته.

ومن فاضح الجهل والخطأ المسارعة إلى الإنكار والتكذيب، والمبادرة إلى الحكم على ما لا يُعلم، وما لم يحط بأمره خبراً.

ومن ثَمَّ فلا محيص من الرجوع إلى مصادر المعرفة بعالم الغيب وما يقرب منه كعالم القبر والآخرة، والملائكة والعرش والكرسي واللوح والقلم.

وموضوعنا من هذا السنخ وهذه الفصيلة.

ولقد حفل التراث الإسلامي بفيض من حديث تلكم العوالم، «والأخبار الدالة على أن أول الموجودات أرواحهم عليهم السلام كثيرة، حتى لو ادعى أحد تواتره (حديث النور) معنى بلحاظ أخبار الفريقين لم يبعد عن الصواب كحديث الغدير»[1].

حديث النور

وأقتصر على إيراد شذرة من رواياته وباقة من جمله:

١ ـ عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: يا علي إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنا أمام عرش رب العالمين نسبح الله ونقدسه ونحمده ونهلله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين...إلخ[2].

---

(١) دلائل الصدق ٢/٢٢٩ـ٢٣٠. بحار الأنوار ٥٤/١٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣.

٢ـ «عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا، حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء، من الملائكة وغيرهم، ثم أفضى علم ذلك إلينا»[١].

٣ـ وعنه عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام[٢].

٤ـ وعن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح...إلخ[٣].

٥ـ «خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففيَّ النبوة وفي علي الوصية»[٤].

٦ـ «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح الله ذلك النور، وخلق منه قبل أن يخلق آدم ركز ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد

---

(١) الكافي ١/٤٤١ـ٤٤٢.
(٢) الكافي ١/٤٤١ـ٤٤٢.
(٣) الكافي ١/٤٤١ـ٤٤٢.
(٤) إحقاق الحق ٥/٢٥٢.

حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي»[١].

٧ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لما خلق الله تعالى أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا نور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد وأنا العالي وهذا علي وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا الإحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين...إلخ[٢].

٨ـ «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله ـعز وجلـ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزئين فجزء أنا وجزء علي».

رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل علي عليه السلام وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: «ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية»[٣].

وهذا الحديث هو الحديث الرابع عشر من أربعة وعشرين حديثاً رواها ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة وصدرها بقوله:

«واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصه بها وساعده على ذلك

---

(١) إحقاق الحق ٢١/٤٣٠.
(٢) إحقاق الحق ٩/٢٠٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٧١.

فصحاء العرب كافة لم يبلغوا معشار ما نطق به الرسول الصادق ـ صلوات الله عليه ـ في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير والمنزلة وقصة براءة وخبر المناجاة وقصة خيبر وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث، التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لا يوجبه رواية غيرهم»[1].

ومما يجدر التنبيه عليه هنا ما ذكره الشيخ المظفر حول رواية أحمد في المسند، قال: ولكني قد طلبت الحديث في المسند فلم أعثر عليه وجل ظني أنه غير موجود في النسخة المطبوعة منه التي هي بأيدينا الآن لأنهم إذا رأوا مثل هذه الفضيلة السنية حذفوها مهما أمكن كما سننبهك على بعض ما عثرنا عليه مما نقله علماؤهم عن المسند ومع ذلك لم يوجد فيه الآن[2].

وقد نقل في (إحقاق الحق)[3] الحديث عن فضائل الصحابة (مخطوط) ص٢٠٥ وعن المسند وكلاهما لأحمد بن حنبل أن كلاً من سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ـ كما مر ـ والطبري في (الرياض النضرة) والدهلوي في (تجهيز الجيش) والديلمي في (فردوس الأخبار) قد رووا ذلك عن أحمد بن حنبل في كتابيه، وهم ممن لا يتهم في نقله.

وحسبي من حديث النور ما ذكرت، ولو أردت الإفاضة لأوجبت

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.
(٢) دلائل الصدق ٢٢٩/٢.
(٣) إحقاق الحق ٢٤٣/٥ـ٢٤٤.

كتاباً مستقلاً فهو واسع الانتشار متعدد الطرق متنوع الأسانيد متحد المضمون جليل المغزى عميق الدلالة والمعنى.

وجمعاً بين الاقتصار والاختصار وتوفير بعض المصادر لمن يهمه البحث أذكر شطراً من ذلك مضيفاً أسماء الكتب التي حوت تلكم الأخبار والآثار مكتفياً بما جاء في كتاب إحقاق الحق ـ المستدركات[1].

وأما الكتب فيلاحظ أنها من كتب القوم وقدماء المحدثين منهم، ومنوعة من المخطوط والمطبوع فإليكها:

١ ـ الفردوس ـ مخطوط ـ للحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهريار الديلمي الهمداني المتوفى ٥٠٩هـ.

٢ ـ المناقب ـ مخطوط ـ للفقيه أبي الحسن علي بن محمد الشافعي المعروف بابن المغازلي الواسطي المتوفى ٤٨٣هـ.

٣ ـ مقتل الحسين ـ مطبوع ـ للحافظ موفق بن أحمد أبي المؤيد أخطب خوارزم المتوفى ٦٥٨هـ.

٤ ـ المناقب ـ مطبوع ـ للحافظ موفق بن أحمد أبي المؤيد أخطب خوارزم المتوفى ٦٥٨هـ.

٥ ـ فرائد السمطين ـ مخطوط ـ للعلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن حمويه الحموينى المتوفى ٧٢٢هـ.

---

(١) إحقاق الحق ٢٤/٥٦٥ـ٥٥٧ مادة (نور).
٤/٩٢. ٥/٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٤٢، ٤٦، ٣٤، ٢٠، ١٠، ٤، ١.
٦/٦١٣، ٤٤٧، ٤٤٣، ١٦٣، ١٣٨، ١٠٩. ٧/٤٨٨. ٩/٤٨١، ٢٦٠. ١٣/٥٩.
١٥/٦٩٢، ١٩٩، ١٤٢. ١٦/١١٩، ١١٤، ١١٠، ١٠٥. ٢١/٤٢٩ـ٤٣٥، ٤٣٣، ٤٣٢.

٦ـ نظم درر السمطين ـمطبوعـ للعلامة جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي المتوفى ٧٥٠هـ.

٧ـ الأربعين حديثاً ـمخطوطـ للعلامة المحدث الواعظ السيد جمال الدين عطاء الله الحسيني المتوفى ١٠٠٠هـ.

٨ـ المناقب المرتضوية ـمطبوعـ للعلامة المير محمد صالح الكشفي الحنفي الترمذي المتوفى ١٠٢٥هـ.

٩ـ الأربعين ـ ـ للعلامة الدامغاني.

١٠ـ ينابيع المودة ـمطبوعـ للعلامة الشيخ سليمان القندوزي المتوفى ١٢٩٣هـ.

١١ـ انتهاء الأفهام ـمطبوعـ للعلامة المولوي السيد أبي محمد الحسيني البصري الهندي.

١٢ـ در بحر المناقب ـمخطوطـ للعلامة المحدث العارف الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه المتوفى ٦٨٠هـ.

١٣ـ فضائل الصحابة ـ ـ للحافظ أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى ٢٤١هـ.

١٤ـ كفاية الطالب ـمطبوعـ للعلامة الكنجي المتوفى ٦٥٨هـ.

١٥ـ الرياض النضرة ـمطبوعـ للعلامة محب الدين الطبري المتوفى ٦٩٤هـ.

١٦ـ ميزان الاعتدال ـمطبوعـ للحافظ شمس الدين أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ.

١٧ـ لسان الميزان ـمطبوعـ للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ.

١٨ـ المناقب ـمخطوطـ للعلامة عبد الله الشافعي.

١٩ـ تجهيز الجيش ـمخطوطـ للعلامة حسن بن المولوي أمان الله الدهلوي المتوفى بعد ١٣٠٠هـ.

٢٠ـ نزهة المجالس ـمطبوعـ للعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي المتوفى بعد ٨٨٤هـ.

٢١ـ ذيل اللئالىء ـمطبوعـ للعلامة الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١هـ.

٢٢ـ الرقائق ـمخطوطـ للعلامة الشيخ عبد الله الحنفي الشهير بالأخوانيات المتوفى ٨٠٠هـ.

٢٣ـ أرجح المطالب ـمطبوعـ للعلامة الأمرتسري.

٢٤ـ المحاسن المجتمعة ـمخطوطـ للعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي.

٢٥ـ تظلم الزهراء ـ ـ للعلامة الشيخ عبد العلي الجزائري.

٢٦ـ الأربعين ـمخطوطـ للحافظ أبي محمد بن أبي الفوارس.

٢٧ـ تفسير الثعلبي ـمخطوطـ للعلامة الثعلبي.

٢٨ـ تأريخ دمشق (ترجمة الإمام علي) ـمطبوعـ للعلامة ابن عساكر.

٢٩ـ مناقب العشرة ـمطبوعـ للعلامة النقشبندي.

٣٠ـ مودة القربى ـمطبوعـ للعلامة السيد علي بن شهاب الدين الهمداني الحسيني.

٣١ـ مناقب علي ـمطبوعـ للعلامة العيني الحيدرآبادي.

٣٢ـ الدرة الخريدة ـمطبوعـ للعلامة الشيخ أبي عبد الله محمد فتحا السوسي.

٣٣ـ قرة العينين في تفضيل الشيخين ـمطبوعـ للعلامة قطب الدين أحمد شاه ولي الله.

٣٤ـ علم الكتاب ـمطبوعـ للعلامة السيد خواجة مير.

٣٥ـ مختصر تأريخ دمشق ـ ـ للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري.

٣٦ـ توضيح الدلائل ـ ـ للعلامة أحمد الحسيني الشافعي.

٣٧ـ آل محمد ـ ـ للعلامة حسام الدين المردي الحنفي.

٣٨ـ التبر المذاب ـمخطوطـ للعلامة أحمد بن محمد المخافي الشافعي.

هذا وقد خص حجة الحق ولسان الصدق السيد حامد حسين رضي الله عنه جزء من موسوعته الكبرى (عبقات الأنوار) وهو الجزء الخامس من ترجمة (خلاصة عبقات الأنوار) للعلامة المحقق الجليل السيد علي الميلاني ـأيده الله ـ خصه بحديث (النور) وأحاط بأطرافه ومؤيداته وتتبع رواته فإذا هم من أكابر أئمة السنة ومن مشاهير علمائهم ومحدثيهم، وأعلن بصراحة: «فحديث النور صحيح ثابت سنداً، بل متواتر مقطوع بصدوره عن النبي

ﷺ ولا يلتفت القارئ بعد الوقوف على ما ذكر إلى طعن متعصب وارتياب معاند»[١].

الذر

﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بني آدمَ مِنْ ظهورِهِم ذُرِّيَّتَهم وأَشْهَدَهُم على أَنْفُسِهِم أَ لَسْتُ بِرَبِّكم قالُوا بلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يومَ القيامة إِنا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِين ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِم أَفَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُون﴾[٢].

والحق أن بحث عالم الذر واستجلاء حقيقته لمطلب شائك، تكتنفه ملابسات شتى تلحقه بغوامض الأسرار ومحيرات العقول.

وحيث لا وسع لي في حل ألغازه ـ بعد الاعتراف بعمق قعره وبعد غوره ـ فلا مناص من إيراد جملة من المأثور فيه، وفي ذلك ضمان السلامة من القول بلا علم، والإعراض عما روي، ورد علمها إلى أهلها.

واللافت حقاً أن الروايات سواء ما ورد في تفسير الآية وسواها متكاثرة حتى أن بعض الأعلام اعتدها من المتواتر[٣]، وصنف قسم منها في الصحيح والحسن من الأخبار[٤].

---

(١) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٥/١٤٠.

(٢) سورة الأعراف /١٧٢ـ١٧٣.

(٣) قال الفقيه الجليل السيد نعمة الله الجزائري: اعلم أن الأخبار قد استفاضت بل تواترت بأن هذه الأرواح قبل دخولها في هذه الأجسام قد حصل لها نوع من التكليف الإلهي في عالم الملكوت وقد أخذ الله سبحانه عليها العهود المتكررة والمواثيق المغلظة ...إلخ. الأنوار النعمانية ١/٢٧٥.

(٤) كما جاء في (الميزان) للعلامة الطباطبائي ٨/٣٢٥ و(مرآة العقول في شرح أخبار آل

قال أبو عبد الله عليه السلام: أول من سبق من الرسل إلى بلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أنه كان أقرب إلى الله تبارك وتعالى وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل ـلما أسري به إلى السماءـ: تقدم يا محمد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله ـعز وجلـ كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾ أي بل أدنى، فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: أ لست بربكم، ومحمد نبيكم وعلي إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى، فقال الله: ﴿شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يومَ القِيَامةِ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غَافِلِين﴾ ...إلخ[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد الله ـعز وجلـ أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم أول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأئمة ـصلوات الله عليهم أجمعينـ فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقروا لله بالربوبية، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله ـجل جلالهـ للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أ فتهلكنا بما فعل المبطلون[2].

وعنه عليه السلام في قول الله ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بني آدمَ مِنْ ظهورِهِم

الرسول) ٧/٥٧، ٥٦، ٣٦.

(١) بحار الأنوار ٦/٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار ٥/٢٥٠، ٢٤٤.

ذُرِّيَّتَهم﴾ إلى آخر الآية، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرَّفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى، وإن هذا محمد رسولي وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني[١].

عن بكير قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر يوم أخذ الميثاق على الذر بالإقرار له بالربوبية، ولمحمد بالنبوة، وعرض على محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته في الظل وهم أظلة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه، وعرَّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول[٢].

ومن طريق غيرنا:

١ ـ ما رواه شيرويه بن شهردار الديلمي عن حذيفة حيث قال:

حذيفة: لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد، قال الله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بني آدمَ مِنْ ظهورِهِم ذُرِّيَّتَهم وأَشْهَدَهُم على أَنْفُسِهِم أَ لَسْتُ بِرَبِّكم﴾، قالت الملائكة: بلى، فقال: أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم.

٢ ـ وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: قبل أن يخلق الله آدم وينفخ فيه الروح، وقال: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالت الملائكة بلى، فقال: أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم.

---

(١) بحار الأنوار ٥/٢٥٠، ٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٥/٢٥٠، ٢٤٤.

وأداء لحق البحث أشير إلى الجدل القديم والحديث حول ذلكم العالم الغامض (الذر) والآراء في تفسير الآية:

فقد أفاض العلامة المجلسي[١] واستعرض الأقوال، كما عرض لذلك مؤلفو (نفحات القرآن)[٢] كما حرر السيد عبد الحسين شرف الدين (فلسفة الميثاق والولاية) في ذلك.

الميثاق

﴿وإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيْثَاقَهُمْ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإِبْرَاهِيمَ ومُوسى وعِيسى بْنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيْثَاقاً غَلِيظاً ۞ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِيْنَ عَنْ صِدْقِهِم وأَعَدَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٣].

ومسألة الميثاق كسابقتها في تفسير الآية والروايات والآراء، إذن فسأنهج ذات النهج.

١ ـ "عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي وأخذ عهد النبيين بولاية علي"[٤].

٢ ـ "عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا

---

(١) بحار الأنوار ٥/٢٢٥ـ٢٧٦.
(٢) نفحات القرآن ٣/١٠٤ـ١١٦.
(٣) سورة الأحزاب /٧ـ٨.
(٤) بحار الأنوار ٢٦/٢٨١.

بطاعتهم وولايتهم»[١].

٣- «وعن أبي الصباح الكناني عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفه قال: يا أمير المؤمنين إن في القرآن آية قد أفسدت قلبي وشككتني في ديني، قال له عليه السلام وما هي؟ قال: قوله -عز وجل- ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا﴾ هل كان في ذلك الزمان غيره نبياً يسأله؟ فقال له علي -صلوات الله عليه- اجلس أخبرك إنشاء الله فحدثه أولاً بحديث الإسراء ثم قال عليه السلام ثم أتاه بالبراق فرفعه إلى السماء ثم إلى البيت المعمور ... وأذن جبرئيل وأقام ... وقال للنبي صلى الله عليه وآله: تقدم فصل ... فإن خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، وفي الصف الأول أبوك آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى وكل نبي أرسله الله مذ خلق السماوات والأرض ... فلما انصرف من صلاته أوحى الله إليه: (اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا) فالتفت إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأن علياً أمير المؤمنين ووصيك ... ونشهد أنك رسول الله سيد النبيين وأن علي بن أبي طالب سيد الوصيين أخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة، فقال الرجل: أحييت قلبي وفرجت عني»[٢].

أقول:

إن المتتبع يقف على التراث الثر لدى علماء الحديث وحفظة الآثار من الفريقين المؤالف والمخالف في شامخ مقامات الإمام وجليل شؤونه ومكنون أسراره وذلك سر من أسرار الله في علي أمير المؤمنين حقاً

إِنَّ للهِ في مَعَانِيْكَ سِرّاً أَكْثَرُ العَالَمِيْنَ مَا عَرَفُوهُ

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٨١.

(٢) بحار الأنوار ٢٦/٢٨٥.

وكما أسلفنا في حديث النور من سعة انتشاره فكذلك نقف في حديث الميثاق على وفرة في هذه المنزلة العالية والمشاركة الفريدة للنبي الأكرم ﷺ وما تبوأه الإمام من سنام المقام.

فمن نماذج الامتياز:

١ ـ عن نافع عن ابن عمر قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ذات يوم ببطحاء مكة إذ هبط عليه جبرئيل الروح الأمين قال: يا محمد إن رب العرش يقرأ عليك السلام ويقول: لما أخذ ميثاق النبيين أخذ ميثاقك في صلب آدم فجعلك سيد الأنبياء وجعل وصيك سيد الأوصياء علي بن أبي طالب...إلخ[١].

٢ ـ «قال النبي ﷺ أتاني ملك فقال يا محمد: واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا، قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب»[٢].

٣ ـ «قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي ليلة المعراج فاجتمع عليَّ الأنبياء في السماء فأوحى الله إليَّ: سلهم يا محمد بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب»[٣].

وبعد:

ففي ما مر ذكره ـ على قلته ووفرة مادته ـ دلائل وشواهد ولوازم، فماذا يعني الخلق الأول في عالم الأنوار وماذا يعني عالم الذر والميثاق؟!

---

(١) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٥/٧١.
(٢) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٥/٢٧٠.
(٣) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٥/٢٧١.

أحسب أن تلكم المقامات العلى التي تعنيها تلكم العوالم هي التي تفيض القول فيها روايات أخرى فتنص على بركات ذلكم النور وهاتيك الأرواح الطيبة على الوجود بأسره في خلق سماواته وأرضه وخلق آدم الصفي وسلالته، وأنهم الوسيلة المبتغاة إلى الله في كافة مهمات الخلق سواء في ذلك أولو العزم من الرسل وغيرهم إلى فيض من أنماط ذلك عم خيرها الوجود منذ خلقهم إلى نهاية الدنيا، ممتداً لعالم الآخرة والبقاء حيث لواء الحمد والمقام المحمود والشفاعة وقسمة الجنة والنار وما لا يحيط بجلاله إلا واهبه.

وسوف نلم بالمقامات والآثار في فصل مستقل بعون الله وتوفيقه وببركة محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين.

٢

سلسلة أعلام الشرق

مقدمة

شيخ الأباطح أبو طالب

السيدة فاطمة بنت أسد

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِيْنَ تَقُومُ وتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين﴾[1].

مقدمة:

ومما امتاز به الإمام علي المرتضى عليه السلام اتحاده مع النبي المصطفى ـ صلى الله عليهما وآلهما ـ في امتداد نورهما ـ وهو نور الله الذي لا يخبو ـ منذ أن خلقا نورين في صلب واحد، حتى انقسم ذلك النور في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام.

ولهذا الامتداد جلاله وجماله في عالم الأصلاب الطاهرة، كما كان له ذلكم الجلال والجمال في عالم خلقه الأول، ولكل منهما مآثره وآثاره المباركة التي تليق بالكمال وتفيض بالبهاء.

ولاستجلاء هذه الحقيقة ـ كما في لداتها من المعارف العالية ـ نستهدي بنور الله وإشراقة من حديث رسول الله وآله.

فقد ورد من طرقنا في تفسير الآية المباركة روايات عديدة بأن المعنى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي، فراجع في ذلك كتب التفسير.

وأما من طرق غيرنا فمضافاً إلى رواياتهم التي نورد شطراً منها فقد ذكر بعضهم في مسألة إيمان آباء النبي وأجداده ما يلتقي ومقولة الإمامية فراجع المسألة في مظانها.

وقد عرض الشيخ المجلسي[2] للمسألة وأورد المعلق جملة من آرائهم ورواياتهم.

---

(١) سورة الشعراء /٢١٨ـ٢١٩.

(٢) بحار الأنوار ٧/١٥ إلخ.

١ ـ «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: خلقني الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم عليه السلام باثني عشر ألف سنة، فلما أن خلق الله آدم عليه السلام ألقى النور في صلب آدم عليه السلام فأقبل ذلك النور من صلب إلى صلب حتى افترقنا في صلب عبد الله بن عبد المطلب، فخلقني ربي من ذلك النور لكنه لا نبي بعدي»[1].

٢ ـ و«عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت أين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش، نسبح الله ونحمده ونقدسه ونمجده، قلت: على أي مثال؟ قال: أشباح نور، حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم، ويشقى بنا آخرون، فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثم أخرج الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة علياً، ثم أعاد عز وجل العمود إليّ فخرجت مني فاطمة، ثم أعاد عز وجل العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعاً ـ فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيمة»[2].

٣ ـ «عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب فقسمنا قسمين: فجعل في

---

(١) بحار الأنوار ١٥/٧.

(٢) بحار الأنوار ١٥/٧.

عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة فيَّ، وجعل الوصية والقضية في علي، ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، فأنا للنبوة والرسالة، وعلي للوصية والقضية»[1].

٤ـ ومن حديث أبي عبد الله عليه السلام: فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين عبد الله وأبي طالب عليهما السلام[2].

أقول أولاً: إن ختام الحديث الأول (لَكِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي) يلتقي وأحاديث أخرى كحديث المنزلة، ويحمل في طيه قابلية الإمام لمقام النبوة لولا أنها ختمت بخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: إن الحديث الثاني يكشف عن اتصال الإمامة بالنبوة، ولذا فإن ما كان من نور النبي صار ممتداً في سلسلة الأوصياء من ذرية الحسين وإن كان نور النبي والوصي ممتداً.

ثالثاً: إن هذه الأحاديث ـ ونظائرها وهي كثير ـ تفصح عن مقام شامخ، وشرف باذخ، للسادة الأجلاء عبد المطلب وعبد الله وأبي طالب عليهم السلام.

وكما سبق في (حديث النور) إطباق المؤالف والمخالف على روايته فالأمر هنا كذلك، وما ذاك إلا من دلائل الظهور وسطوع الحقائق.

فإلى نبذة من حديث القوم:

---

(١) بحار الأنوار ١٢/١٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٤/١٥.

٥ـ «عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ[١]: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله عز وجل في يمنة العرش قبل خلق الدنيا، ولقد سكن آدم الجنة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم نزل يقلبنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب، فجعل ذلك النور نصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وجعل فيَّ النبوة والرسالة، وجعل في علي الفروسية والفصاحة، واشتق لنا اسمين من أسمائه، فرب العرش محمود وأنا محمد، وهو الأعلى وهذا علي»[٢].

٦ـ «عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ... فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه ... فقسم نصفين: قسماً منه في صلب عبد الله وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا منه لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه»[٣].

٧ـ عن سلمان الفارسي قال: سمعت حبيبي محمداً ﷺ ... فلم يزل في شيء واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففيَّ النبوة وفي علي

---

(١) الصلاة بتراء في المصدر كما هو متعارف عندهم، وكذلك الحال في كل مصدر من مصادر المخالفين يلتزم بالصلاة البتراء أو مصدر من مصادرنا حين ينقل عن المخالفين. وقد استبدلنا بها الصلاة التامة في هذا الموضع وغيره.

(٢) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٥٨/٩ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

(٣) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٩/١٠٠، ٧٣، ٦٦، ٦٥ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

الخلافة[١].

٨ـ عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ ... فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً[٢].

٩ـ عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وكان اسمي في الرسالة والنبوة وكان اسمه في الخلافة والشجاعة فأنا رسول الله وعلي سيف الله[٣].

١٠ـ عن علي ـكرم الله وجههـ: سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: أنا وعلي من نور واحد، فيكون واحداً إلى عبد المطلب فنزل نوري في جبهة عبد الله فهو أنا، ونزل نور الولاية في جبهة أبي طالب فهو علي، فأنا وعلي واحد في النبوة والولاية[٤].

أقول:

أـ لعل ما ورد في الحديث الخامس ونظائره من ذكر (الفروسية والفصاحة) مصحف من الوصية والخلافة، وعلى فرض ورودها كذلك فهي تعني الإشادة بجملة من الصفات والكمالات في أسمى رتبها. والأحاديث الأخرى تعني المميزات الأخرى والأهم كالخلافة والوصية والولاية.

---

(١) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٩/١٠٠، ٧٣، ٦٦، ٦٥ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

(٢) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٩/١٠٠، ٧٣، ٦٦، ٦٥ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

(٣) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٩/١٠٠، ٧٣، ٦٦، ٦٥ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

(٤) عبقات الأنوار (الخلاصة) ٩/١٠٠، ٧٣، ٦٦، ٦٥ عن (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى)/٦١ عن (مناقب أمير المؤمنين) للخوارزمي /٨٨.

ب- يحمل التأمل في تعبير الحديث الثامن (أخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً) فالنبوة ثابتة له ﷺ قبل بعثته، والوصاية ثابتة له منذ بزوغه من عالم الأنوار وولادته، وقبل النص عليه يوم الإنذار.

ج- ويحمل الحديث العاشر كما تحمل كل أحاديث المقام مما ذكر أولم يذكر جلال السيدين عبد الله والد النبي وأبي طالب والد الوصي، فقد كان نور النبوة والولاية في جبهتيهما عليهما السلام وقد مرت الإشارة قريباً إلى الإشادة.

١١- ومن حديث طويل حافل بالمناقب أفاض فيه رسول الله ﷺ:

«وقد علمتم جميعاً أن الله تعالى خلقني وعلياً نوراً واحداً وأودعنا صلب آدم عليه السلام نسبح الله تعالى، ثم لم يزل نورنا ينقل في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات ... إلى أن أودعنا عبد المطلب، فإن نورنا كان يظهر في وجوه آبائنا وأمهاتنا، فلما قسم الله نورنا نصفين نصفاً في عبد الله ونصفاً في أبي طالب ... وكان عمي وأبي إذا جلسا في ملأ من الناس ناغى نوري نور علي في أصلاب آبائنا إلى أن أخرجنا من الأصلاب والبطون»[1].

هذا وقد استوحى الشعراء من الآية الكريمة والأحاديث الشريفة المعاني الكبار فأشرقت صورها في نظمهم.

وممن عني بذلك ووفق الشاعر المبدع عبد الباقي العمري:

تَخَيَّرَكَ اللهُ مِنْ آدمٍ ... ولولاكَ آدمُ لَمْ يُخْلَقِ
بجبهَتِهِ كنتَ نوراً تضيءْ ... كما ضاءَ تاجٌ على مِفْرَقِ

ومنها:

وخَلَّلَ نورُكَ صُلْبَ الخليلْ ... فباتَ وبالنارِ لَمْ يُحْرَقِ

---

(١) إحقاق الحق ٥/١٠.

ومنكَ التَّقَلُّبُ في السَّاجِدِينْ ... بِهِ الذِّكْرُ أَفْصَحَ بِالمَنْطِقِ
بِمِثْلِكَ أرحامُها الطاهراتْ ... مِنَ النُّطَفِ الغُرِّ لَمْ تَعْلَقِ[1]

وقال:

تَقَلُّبُهُ في الساجدينَ مُبَرْهِنٌ ... على أَنَّهُ للسَّاجدينَ هُوَ القَلْبُ[2]

وقال:

لو لَمْ يَكُنْ قلباً لكلِّ ساجدٍ ... في الساجدينَ الغُرِّ ما تَقَلَّبا[3]

وقال الأستاذ الشيخ حسين العمران في مقطوعة عنونها: في شجرة وادي طوى النبوة والإمامة عبد المطلب عليه السلام:

مَتَى نَحاكَ الدَّهْرُ بالأَمْرِ العَطِبْ ... أَقْسِمْ على اللهِ بِعبدِ المُطَّلِبْ
وَصِيِّ عيسى وأَمِيْنِ سِرِّهِ ... على عُمُومِ نَهْيِهِ وأَمْرِهِ
وكَوْنُهُ جَدّاً لِخَاتَمِ الرُّسُلْ ... أَعْظِمْ بِهِ فَخْراً فَمَا شِئْتَ فَقُلْ
وفي غُيُوبِ سِرِّهِ قَدِ انْطَوَى ... ظِلُّ المُهَيْمِنِ الشديدِ ذُو القوى
وفي غُيُوبِهِ الشُّهُودُ كُلُّهُ ... فَهْوَ بِذَاكَ فَرْعُهُ وأَصْلُهُ
بَلْ هُوَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهُهُ الأَتَمْ ... غُرَّتُهُ سُلْطانُ إِقْلِيْمِ القِدَمْ
فيهِ الْتَقَى النُّورَانِ مِنْهُ افْتَرَقَا ... أَكْرِمْ بِذَاكَ الافْتِرَاقِ واللِّقَا
نُورٌ لِعبدِ اللهِ نُورُ المُرْسَلِ ... وفي أبي طالبَ نُورٌ لِعَلي[4]

---

(١) ديوان عبد الباقي العمري /٧٢.
(٢) ديوان عبد الباقي العمري /٧٩.
(٣) ديوان عبد الباقي العمري /٩١.
(٤) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ١٥/٢٤٥.

وبعد ...

فقد قال العلامة المجلسي ـقدس الله روحهـ: اتفقت الإمامية ـرضوان الله عليهمـ على أن والدي الرسول وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية[1].

(١) بحار الأنوار ١٥/١١٧.

شيخ الأباطح أبو طالب عليه السلام

ناصر الإسلام الأول وشاعره الأمثل

ويعنينا من حديثه هنا (وحديثه حديث الشرف) انتهاء إشراقة الأنوار الإلهية إليه كما انتهت إلى شقيقه عبد الله.

والحق أن الناظر بشرف وإنصاف إلى المأثور في حقه وشأنه عليه السلام والمتأمل في سيرته وتفانيه في رعاية نبي الإسلام وحيطته له وقيامه بشأنه، والإكثار من شعره فيه، ووصيته به، يقف على جلال ليس فوقه جلال وأنه نمط فريد من الأفذاذ.

ولا غرو فإن من يكون الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام من نسله فالجدير به أن يكون كذلك ولا يليق به إلا ذلك.

وفيما أوردت سابقاً من شريف الأحاديث دلائل على المقام الأسمى والمحل الأرفع، وفيما أورد لاحقاً شواهد أخرى على اجتماع مخايل الكمال وعناصر الجمال، مما يبوّه المقام الشامخ في مصاف سادات الأولياء وصفوة الأصفياء.

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين[1].

٢ ـ وعنه عليه السلام قال: قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً، فقال: كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول:

---

(١) الكافي ١/٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤.

ألم تعلمُـوا أنـا وَجَـدْنا محمـداً نبيًّا كموسى خُطَّ في أولِ الكُتُبِ[١]

٣ـ وعنه عليه السلام قال: لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه[٢].

٤ـ وعنه عليه السلام: لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا، إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره[٣].

٥ـ عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنت بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك معذب في النار؟! فقال له علي عليه السلام: مه، فض الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفَّعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار، والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نور أبي يوم القيامة يطفيء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونوري ونور الحسن والحسين ونور تسعة من ولد الحسين، فإن نوره من نورنا الذي خلقه الله

---

(١) الكافي ١/٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤.

(٢) الكافي ١/٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤.

(٣) الكافي ١/٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤. وقد وصف بعضها الشيخ المجلسي في (مرآة العقول ٥/٢٨٢) بالصحة والآخر بالحسن إلا الأخير منها علق وصفه على المفضل بن عمر وهو مختلف فيه إلا أن جملة من أجلاء الطائفة وأعلامها المحققين قالوا بوثاقته وجلالة قدره.

تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام[١].

٦- روي عن فاطمة بنت أسد أنه لما ظهرت أمارة وفاة عبد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه، فقال عبد المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب إني قد عرفت ديانتك وأمانتك فكن له كما كنت له[٢].

٧- خطبته في نكاح فاطمة بنت أسد عليها السلام:

«الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء خلصاء وحجة بهاليل أطهاراً من الخنى والريب والأذى والعيب وأقام لنا المشاعر وفضلنا على العشائر، نحب [نخب] آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل...إلخ»[٣].

٨- خطبته في زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخديجة عليها السلام:

«الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً وجعلنا حكاماً على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا ممن لا يُوْزَنُ برجل من قريش إلا رَجَحَ ولا يُقاسُ به رجل إلا عَظُمَ عنه ولا عِدْلَ له في الخلق»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٦٩.
(٢) بحار الأنوار ٣٥/٨٣. أقول وقد أورد ص١١٠ رواية مماثلة عطف فيها نور فاطمة على نور محمد.
(٣) بحار الأنوار ٣٥/٩٨.
(٤) منية الراغب في إيمان أبي طالب /٧٦.

٩ـ ومن وصيته حين حضرته الوفاة:

«وإني موصيكم بوصية فاحفظوها أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة الرب وقواماً للمعاش ... وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصدِّيق في العرب ... وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل العز في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدَّقوا كلمته وعظموا أمره ... فدونكم يا معشر قريش ابن أبيكم وأمكم كونوا له ولاة ولحربه حماة، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهداه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكفيته الكوافي ولدافعت عنه الدواهي غير أني أشهد بشهادته، وأعظم مقالته»[1].

١٠ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[2].

١١ـ وفي أخرى بسند آخر عنه عليه السلام:

«كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم»[3].

وما أجمل الحديث عن معدن الفضل والشرف شيخ الأباطح عليه السلام فلنجل اليراع في رحابه لنسطر من مآثره شطراً.

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١٠٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٥/١١١.

(٣) بحار الأنوار ٣٥/١١٢.

أـ اللفتة الكريمة الرائعة:

ثم قال (الإمام الصادق) عليه السلام: كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أب النبي وأمه وعن أبي طالب في حياته، ولقد أوصى في وصيته بالحج عنهم بعد مماته[١].

ب ـ من آثار بركة الطواف عن الأولياء:

عن محمد بن علي بن بابويه يرفعه إلى داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت تواه فشكوت ذلك إليه فقال: إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع الله عز وجل أن يرد عليك مالك، قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني تعال فاقض حقك[٢].

ج ـ الميراث الإيماني والعلمي في شعره:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب وأن يدوّن، وقال: تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير[٣].

د ـ داعية الإسلام:

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١١٢ـ١١٣.
(٢) بحار الأنوار ٣٥/١١٢ـ١١٣.
(٣) بحار الأنوار ٣٥/١١٥.

ومدح أبو طالب عليه السلام ـ النجاشي ملك الحبشة ـ لإكرامه وفادة جعفر بن أبي طالب وأصحابه فسر بذلك سروراً عظيماً ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب بشعر فلما علم أبو طالب أن مديحه قد وقع موقعاً جميلاً لدى النجاشي الملك دعاه إلى دين الإسلام واتباع نبيه فقال:

تعلمْ خيارَ الناسِ أنَّ محمداً ... وزيرٌ لموسى والمسيحِ بنِ مريمِ
أتى بالهدى مثلَ الذي أتَيَا بهِ ... فكلٌّ بأمرِ اللهِ يهدي ويعصمِ
وإنكمُ تتلونَهُ في كتابِكمْ ... بصدقِ حديثٍ لا حديثِ التَّرَجُّمِ
فلا تَجعلُوا للهِ نِدّاً وأَسْلِمُوا ... فإنَّ طريقَ الحقِّ ليسَ بمظلمِ
وإنك ما يأتيكَ منا عصابةٌ ... لقصدِكَ إلاَّ أُرْجِعُوا بالتَّكَرُّمِ[1]

وكفى بما تحمل هذه المقطوعة من علو المضامين وجليل المعارف وصدق الدعوة وإخلاص الداعي عن شرح وتوضيح.

هـ ـ خالص الاعتقاد والدعوة إلى المباهلة:

وقد كان من خبر صحيفة المقاطعة أن دخل أبو طالب على قريش في المسجد فعظموه وقالوا: أردت مواصلتنا وأن تسلم ابن أخيك إلينا؟ قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله قد أخبره بحال صحيفتكم فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقاً فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان بطلاً دفعته إليكم، فأتوا بها وفكوا الخواتيم وإذا فيها: بسمك اللهم واسم محمد فقط، فقال لهم أبو طالب: اتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه، فسكتوا وتفرقوا[2].

---

(١) بحار الأنوار ١٢٣/٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٩٤/٣٥ـ٩٥.

وقد قال في ذلك شعراً كثيراً ومن جملته:

أَلاَ هل أتى نجداً بنا صنعُ ربِّنا ... على نَأْيِهِمْ واللهُ بالناسِ أَرْفَدُ
فيخبرُهم أن الصحيفةَ مُزِّقَتْ ... وأَنْ كلُّ ما لَمْ يَرْضَهُ اللهُ يَفْسُدُ

ومنه:

وقد كانَ من أمرِ الصحيفةِ عِبْرَةٌ ... متى ما يُخَبَّرْ غائبُ القومِ يعجبِ
محا اللهُ منها كفرَهم وعقوقَهم ... وما نَقَمُوا مِنْ ناطِقِ الحقِّ معربِ
وأصبحَ ما قالُوا من الأمرِ باطلاً ... ومَنْ يختلقِ ما ليسَ بالحقِّ يُكْذَبِ
وأمسى ابنُ عبد اللهِ فينا مُصَدَّقاً ... على سخطٍ من قومِنا غيرِ معتبِ

"فلولا تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما بلغه عن الله تعالى لما سارع إلى القوم بالمباهلة بالنبي وتصديقه، وما باهل به إلا ولم يكن عنده شك في أنه المنصور عليهم بما ثبت عنده من آيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدق معجزاته"[1].

و- أدبه الرفيع وإجلاله للرسالة والرسول:

فقد كان عليه السلام يشفع كلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: فإنك الصادق المصدق.

ووقف وقفته المشرفة حينما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين لينذرهم وقام ليتكلم فاعترضه أبو لهب -لعنه الله- فقال له أبو طالب عليه السلام: اسكت يا أعور ما أنت وهذا؟ وقال للقوم: لا يقومن أحد فجلسوا، والتفت

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١٤١.

إلى النبي ﷺ وقال: قم يا سيدي فتكلم بما تحب وبلِّغ رسالة ربك[١].

ز- والنبي العظيم يرعى لخير الأعمام جليل المقام:

«لما أنزل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ﴾ بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حنين، جعل يكثر من «سبحان الله! أستغفر الله» ثم قال: «يا علي إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدمك في الإسلام وقربك مني، وصهرك، وعندك سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده»[٢].

أقول: والناظر بعين الإنصاف يرى فخامة هذا الحديث وجلالة ما حوى، فزمان صدوره ونعيه ﷺ لنفسه الشريفة، وتعقيب ذلك بأن الإمام يملأ مقام النبي وأن لا أحد يليق به ذلك، مقروناً بامتيازات علي عن سواه وما اختص به من أسباب موجبة، ثم الذكر الجميل والإشادة بالبلاء الحسن لأبي طالب حين بداية التبليغ والإنذار وما تم على يديه من تمكين رسول الله بإنفاذ أمر ربه.

ولا يذهبن بالحر الحصيف والقاريء الكريم الوهم بأن ذلك نحو من المكافأة على النصرة فيحفظ المرء في ولده فيجزى علي خيراً لأن أباه صنع خيراً، كلا فإنها بذلك عواطف وهوى تمليها وشائج القربى، وحاشا لجلال رسول الله وكماله أن يميل لهوى وهو ميزان العدالة ونبراس الاستقامة ﴿وَمَا

---

(١) بحار الأنوار ١٤٤/٣٥. وهو مما رواه السيد ابن طاووس من كتب المخالفين.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٤/٩، رواه عن أبي إسحاق الثعلبي في (تفسير القرآن) وهو الحديث الرابع والعشرون من الأحاديث التي رواها في شأن الإمام علي عليه السلام التي وصفها بأن رواتها أئمة الحديث وعلماؤه الذين لا يتهمون فيه كما جاء في صدرها ص١٦٦.

يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القِوَى﴾.

وما أروع وأدق المناسبة والمقارنة بين ما يرمي إليه الحديث من قيام الإمام مقام النبي وبين الحرص على إجلال أبي طالب لو لم تكن الرابطة والوشيجة هي الدين الذي حماه أبو طالب ونصره وناصره جهده.

ومن الطريف ذلك الموقف النادر الشريف الذي مر آنفاً في قولة أبي طالب عليه السلام: «قم يا سيدي فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك».

وقد كان ذلك يوم الإنذار وفيها تم الإعلان عن علي بأنه أخوه ووصيه وخليفته فليسمع له ويطع، حتى تضاحك القوم وقالوا لأبي طالب: قد أمرك محمد أن تسمع لابنك وتطيع.

ح- عقيدة الإمامية في أبي طالب:

قال الشيخ الصدوق: «وقد روي أن عبد المطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه»[1].

«وقد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنه قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول الأمر، ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى أن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم، وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً في ذلك كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال.

وقال ابن الأثير في كتاب جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) عقائد الصدوق /٤٥.

وقال الطبرسي رحمه الله قد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما. ثم نقل الطبري وغيره من علمائهم الأخبار والأشعار الدالة على إيمانه»[١].

ط- قَارَبُوا ولَمَّا:

ولست في صدد الحديث عمن قال بمقالة الإمامية من غيرهم، ومن ألف في ذلك، ولكني ذاكرٌ جملاً من كلمات ابن أبي الحديد لنرى ما عراه من الارتباك والحيرة فطوراً يشع فكره وطوراً يخبو، نسأل الله السلامة والاستقامة.

«فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً»[٢].

وقال أيضاً: «ألست تعلم أن أبا طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم، والمطاع فيهم، وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمه ومكفوله، وجارياً مجرى أحد أولاده عنده، ثم خضع له واعترف بصدقه، ودان لأمره، حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى فقال فيه:

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

يُطِيفُ بِهِ الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هاشمٍ ... فهم عندَهُ في نعمةٍ وفَوَاضِلِ

وإن سراً اختص به محمد صلى الله عليه وآله حتى أقام أبا طالب -وحاله معه حاله-

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١/١٤٢.

مقام المادح له، لسر عظيم وخاصية شريفة»[١].

وقال أيضاً:

«ولم أستجز عن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظهر المجلد:

ولولا أبو طالبٍ وابْنُهُ ... لَمَا مَثُلَ الدينُ شخصاً فقاما
فذاكَ بمكةَ آوى وحَامَى ... وهذا بيثربَ جَسَّ الحِماما
تَكَفَّلَ عبدُ منافٍ بأمرٍ ... وأودى فكانَ عليٌّ تماما
فقُلْ في ثبيرٍ مَضَى بعدَما ... قضى ما قضاهُ وأبقى شماما
فللهِ ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضَرَّ مجدَ أبي طالبٍ ... جهولٌ لَغَا أو بصيرٌ تعاما
كما لا يضرُّ إيَاةَ الصبا ... حِ مَنْ ظَنَّ ضوءَ النهارِ الظلاما

فوفيته حقه من التعظيم والإجلال، ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة»[٢].

وبعد

فهذه شذرة ومن البحر قطرة تحكي شيئاً من مخايل ذلكم الحكيم العظيم الذي جمع إلى أنه أشرف الأعمام سبق الإيمان، وإخلاص النصرة،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/١١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤/٨٣ـ٨٤. أقول: اقرأ واعجب وقد كفانا مؤنة مناقشته الشيخ الخنيزي في كتابه (أبو طالب مؤمن قريش) متتبعاً أقواله في فصل (وقفة مع الحديدي) /٢٨٧ـ٣٠٢.

ومحض الوداد والمحبة، وشرف الصحبة، وحمل الرواية وشاعر الإسلام الأول، إلى مآثر ومناقب خص بها شيخ الأباطح (سبوح لها منها عليها شواهد).

ملحق

رأيت إلحاق حديثي عن عم رسول الله ﷺ بقصيدة العلامة الحجة الشيخ علي الجشي قدس سره وهو العالم الرباني ومن مليء ولاء إلى مشاشه، أداء لبعض واجب حقه وتخليداً لذكره.

أبو طالبٍ أعلى مقاماً مِنَ المدحِ ... وأَبْيَنُ فضلاً عندَ راءٍ من الصُّبْحِ
ولَمْ يَمْتَدِحْهُ المادحونَ لرفعةٍ ... ولكن لتحظى منه بالرَّفْعِ بالمدحِ

وفي مدحه عليه السلام يقول:

نهارُ التنائي حالكٌ كالدياجرِ ... وليلُ التداني كالنهارِ بناظري
ومُذْ فرَّقَتْ كفُّ النَّوَى جمعَ شملنا ... بعصرِ التَّصابي في مِنَىً والمشاعرِ
رَمَتْ بالضَّنَى جسمي وقلبي بالجوى ... وقد وكَّلا بي في الدُّجى طرفَ ساهرِ
تُسَامِرُني فيهِ عن الخلِّ فكرةٌ ... بذِكْرَى ليالٍ قد خَلَتْ ومسَامِرِ
فيجنحُ قلبي أن يطيرَ صبابةً ... لوصلِ حبيبٍ زائراً في الدياجرِ
ومُذْ عَبَقَتْ مِنْ طِيْبِ أنفاسِهِ الصَّبَا ... وطارَتْ سروراً في البلادِ كناشرِ
أثارَ نسيمُ الحيِّ وَجْدِي فهَاجَهُ ... وقالَ لقلبي سِرْ معي نحو حَاجِرِ
فقلتُ لقلبي إنْ تَطِرْ طُرْتُ بالهوى ... وليس لجسمي من جناحٍ كطائرِ
فقالَ لِيَ الْبَثْ في مكانِكَ واسْتَرِحْ ... أيطمعُ ذو عجزٍ بصحبةِ قادرِ
فقلتُ ألا تَرْعَى الجوارَ فقال لي ... صَحِبْتُكَ لكن في سبيلٍ كعابرِ
فقلتُ له مُذْ كنت مثواكَ كانَ بي ... فقالَ نعم لكنْ بكرهِ المقادرِ
فلا يوجبُ التأليفَ إلا تجانسٌ ... فكم صحبةٍ قد شُوْهِدَتْ مِنْ مُنَافرِ

أَلَمْ يَكُ مِنْ أهلِ النفاقِ صحابةٌ ... لطه وهم لم يؤمنوا في السرائرِ
كما أنَّ قوماً أظهروا حبَّ حيدرٍ ... وقد أَضْمَرُوا البَغْضَا لَهُ في الضمائرِ
وإذْ لَمْ يُطِيقُوا -إذْ تعالى- انْتِقَاصَهُ ... ونورُ ذُكَا لَمْ يُخْفِهِ سترُ سَاتِرِ
نَحَوا نَحْوَ تلبيسٍ بكفرِ أبيهِ مَنْ ... لدينِ الهدى قد كانَ أولَ ناصرِ
لقد كفلَ الإسلامَ حتى نَشَا ولَمْ ... يَزَلْ ذائداً عنهُ صروفَ الدوائرِ
يرى كلَّ بلوى قد أصابَتْهُ نعمةً ... يقابلُها بشراً ببهجةِ شاكرِ
لهُ عصمةٌ قد قاوَمَتْ كلَّ حادثٍ ... يحلُّ بهِ لَمْ يُبْقِ صبراً لصابرِ
ترى حبَّهُ نَصْرَ الهدى متزايداً ... ويسمو على ما قد مضى كلُّ غابرِ
مبادئُ نصرِ الدينِ قد كُنَّ غايةً ... فهل تدركُ الأوهامُ كُنْهَ الأَوَاخِرِ
ولَمَّا قضى أوحى الجليلُ لأحمدٍ: ... عُدِمْتَ نصيراً في جِوَارِي فهَاجِرِ
أَلَمْ يَكْفِ في تنزيهِهِ عندَ ذِي حِجَى ... بإيداعِهِ نوراً لأكرمِ صادرِ
قرينٍ لنورِ المصطفى مُذْ تَكَوَّنَا ... قِرَانَ جِنَاسٍ لا قِرَانَ مُجَاوِرِ
وفي (قُلْ تَعَالَوا) آيةٌ لاتِّحَادِهِ ... لطه استنارَتْ عندَ أهلِ البصائرِ
وكانا معاً نوراً بأصلابِ صفوةِ الـ ... رجالِ وأرحامِ النساءِ الطواهرِ
وكانَ لهُ في الساجدينَ تَقَلُّبٌ ... وما حلَّ ذاك النورُ في صُلْبِ كافرِ
ومازالَ مَرْئِيّاً بعينِ عنايةٍ ... إلى شيبةِ الحمدِ الحميدِ المآثرِ
فقالَ لنصفٍ كُنْ محمدَ ولْيَكُنْ ... علياً لنصفٍ عن إرادةِ قادرِ
فهل يُوْدِعُ الجبارُ نورَ وليِّهِ ... بصُلْبٍ برجسِ الشركِ ليس بطاهرِ
إذاً ضَيَّعَ النورَ الذي لِصَفِيِّهِ ... وآيتِهِ الكبرى وأسنى المظاهرِ
تَقَدَّسَ عن شركٍ أبو مَنْ لِقُدْسِهِ ... إليهِ انتهى فصلُ القَضَا في الجرائرِ
فكان قسيمَ النارِ والخُلْدِ في غدٍ ... ولَمْ يَكُ مِنْ نَاهٍ سِوَاهُ وآمرِ
ولا بِدْعَ إنْ تُنْكِرْ هُدَاهُ عِصَابَةٌ ... تَعَامَتْ على عِلْمٍ وعُمْيِ بَصَائرِ

فنورُ ذُكَا عَمَّ البسيطَ ولَمْ يَبِنْ ... لِغَضِّ جفونٍ أو لِفَقْدِ النواظرِ
وما كانَ إلا مؤمناً وابْنَ مؤمنٍ ... وما دانَ بالإشراكِ طرفةَ ناظرِ
فكانَ بعيسى مؤمناً في بدايةٍ ... ومُتَّبِعاً للمصطفى في الأواخرِ
وإنْ يَكْتُمِ الإيمانَ كي ينصرَ الهدى ... فكتمانُهُ الإيمانَ ليس بضائرِ
فلو أَظْهَرَ الإسلامَ لم يَرْقُبُوا لَهُ ... ذِمَامَ جوارٍ أو ذِمَامَ الأكابرِ
وما ضَرَّ في إيمانِ حِزْقِيْلَ كَتْمُهُ ... بَلِ الكَتْمُ أَبْقَى ذِكْرَهُ في الأعاصرِ
وكانَ لهُ حقُّ الأُبَوَّةِ بالرِّبَا ... لطهَ وإيلادِ الوَصِيِّ المُنَاصِرِ
وكانَ لهُ حُقٌّ على كلِّ مسلمٍ ... بهديِهما مِنْ كلِّ ماضٍ وغابرِ
فكانَ هو القُطْبَ الوحيدَ الذي اغْتَدَى ... يَدُورُ عليهِ بالهدى كلُّ دائرِ
أبا طالبٍ ماذا أقولُ وأنتَ قد ... أخذتَ بأطرافِ العُلَى والمفاخرِ
لكَ النَسَبُ الأعلى وطيبُ مآثرٍ ... وفرعٌ زكَى للحشرِ ليس بداثرِ
فهيهاتَ أَنْ تُحْصَى محامدُكَ التي ... بأُفْقِ المعالي كالنجومِ الزواهرِ
ولَنْ تُخْلِقَ الأيامُ ذِكْرَكَ كيفَ لا ... وآلُكَ آلُ اللهِ مَرَّ الأَعَاصِرِ
أبا طالبٍ هَبْ لي جِوَارَكَ في غَدٍ ... فجَاهُكَ عندَ اللهِ ليس بقاصرِ
فيا مسلماً عنهُ نَفَى الرشد فُزْ غداً ... بإسلامِكَ السامي لأعلى المقاصرِ
ودَعْني ومَنْ كانَ القسيمَ ابْنُهُ إذا ... جزى الخلقَ بالإحسانِ أو بالجرائرِ
عليهِ صلاةُ اللهِ مادامَ خيرُهُ ... ودامَ لهُ ذِكْرٌ بطِيْبِ المآثرِ[1]

---

(١) ديوان العلامة الجشي ٢/٩٥-٩٨.

السيدة فاطمة بنت أسد

وكما خص علي بذلكم الصلب الطاهر فقد خص أيضاً بالرحم المطهر والمعدن الزكي، والحجر الكريم، ومستودع النور.

وسبحان من مهد لعلي وهيأ له هذه الصفوة المنتجبة والسلالة الطيبة، وإذا ما أراد الله شيئاً هيأ له أسبابه.

وللوقوف على سمات السيدة الفاضلة، وما أحرزته من سبق الإيمان والهجرة، وشدة التعلق بالرسول المعظم وحدبها عليه، وما حظيت به من وافر الإكرام والعناية من لدن النبي المكرم لم يشاركها في ذلك غيرها، نقرأ عن ذلكم الجلال والكمال ما أشرقت بنور حروفه مجاميع الحديث وصحف التأريخ وزبر السير، مقتطعاً من عقد اللئالىء جوهرة فريدة نخصها بالنظر والتملي ألا وهي: حديث الولادة في الكعبة الغراء.

١ـ من أوائل المؤمنات:

قال ابن الصباغ المالكي: وكانت من السابقات إلى الإيمان[١].

٢ـ أول المبايعات:

ولما نزلت الآية ﴿يا أَيُّها النبيُّ إِذَا جَاءَكَ المؤمناتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلخ كانت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام أول من بايعت[٢].

قال ابن أبي الحديد: وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من

---

(١) الفصول المهمة /٣٠.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ٤/٣٢٦ـ٣٢٧. وقد أورد روايتين.

النساء[١].

٣ـ أول المهاجرات:

«وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية»[٢].

ومن حديث الهجرة ما ذكره الشيخ الطوسي من حديث طويل نقتطع منه موضع الشاهد «فصلى (علي) ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى عليه السلام بهم صلاة الفجر ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى ﴿الذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِم ويَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فاسْتَجَابَ لهم رَبُّهم أَني لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ منكم مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ الذكر علي والأنثى الفواطم المتقدم ذكرهن، وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير إلخ»[٣].

٤ـ ونظراً لإحاطة النصوص الواردة في شؤون السيدة الجليلة بفضائل جمة، وخصائص مهمة، رأيت إيراد جملة منها ثم تعقيبها بما ينسجم معها.

الحديث الأول:

«عن الزبير بن سعيد القرشي قال كنا جلوساً عند سعيد بن المسيب فمر بنا علي بن الحسين ولم أر هاشمياً قط كان أعبد منه فقام إليه سعيد بن

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/١٤.
(٢) فاطمة بنت أسد، لعلي محمد دخيل /٥٦، و(الفصول المهمة) لابن الصباغ- حاشية-/٣٠.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي /٤٨٣ـ٤٨٤.

المسيب وقمنا معه فسلمنا عليه فرد علينا فقال له سعيد يا أبا محمد أخبرنا عن فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله عنها قال نعم حدثني أبي قال سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله ﷺ في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه وإن جبريل عليه السلام أخبرني عن ربي -عز وجل- أنها من أهل الجنة وأخبرني جبريل عليه السلام أن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها»[1].

الحديث الثاني:

«لما ماتت فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين رضي الله عنها أقبل علي عليه السلام باكياً فقا النبي ﷺ: ما يبكيك لا أبكى الله عينيك، قال: توفيت والدتي يا رسول الله، قال له النبي ﷺ: بل والدتي يا علي، فلقد كانت تجوّع أولادها وتشبعني وتشعث أولادها وتدهنني، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلة وكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط ما يقع منها في الليل فكانت رضي الله عنها تأمر جاريتها فتلتقط ما تحتها من الفلس ثم تجنيه فإذا خرجوا بني عمي تناولني ذلك. ثم نهض وأخذ في جهازها وكفنها بقميصه ﷺ وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنى في رفع الآخر وهو حافي القدم، فلما صلى عليها كبر سبعين تكبيرة ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها ولقناه الشهادة فلما أهل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل ﷺ

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٠٨/٣.

يقول لها ابنك ابنك علي بن أبي طالب ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، فقالوا له: يا رسول الله فعلت فعلاً ما رأينا مثله قط، مشيك حافي القدم وكبرت سبعين تكبيرة ونومك في قبرها وقميصك عليها وقولك لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل ابنك ابنك علي بن أبي طالب، فقال عليه السلام: أما التأني في رفع أقدامي ووضعها في حال تشييع الجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة وأما تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلى بها سبعين[1] صفاً من الملائكة، وأما نومي في لحدها فإنني ذكرت لها في حال حياتها ضغطة القبر فقالت وا ضعفاه نومي في لحدها فنمت في لحدها حتى كفيتها ذلك، وأما كفنها بقميصي فإنني ذكرت لها القيامة وحشر الناس عراة فقالت: وا سوأتاه فكفنتها لتقوم به يوم القيامة، وأما قولي لها ابنك ابنك فإنه لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت الله ربي، وقالا لها من نبيك، قال محمد صلى الله عليه وآله نبيي وقالا لها من وليك وإمامك فاستحيت أن تقول ولدي، فقلت لها ابنك علي بن أبي طالب، فأقر الله بذلك عينها»[2].

الحديث الثالث:

عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله كفن فاطمة بنت أسد في قميصه واضطجع في قبرها وجزاها خيراً، وروي عن ابن عباس نحو هذا وزاد فقالوا ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه

---

(١) كذا.

(٢) إحقاق الحق ١٥/٧٦ـ٧٧ عن (در بحر المناقب)/١٥. ويلاحظ (خصائص أمير المؤمنين) للشريف الرضي /٥٠ (الهامش) حيث أورد رواية جاء فيها: "وسئلت عن وليها وإمامها فارتج عليها فقلت لها ابنك ابنك" وقد علق عليها المعلق ـ جزاه الله خيراً ـ تعليقاً حسناً. أقول: ولعل قول النبي صلى الله عليه وآله فيما أوردته "لا جعفر ولا عقيل" لا يعني ترددها بل إما هو من حيائها أو رغبة خاصة منه صلى الله عليه وآله في الإشادة بابنها إمام الأمة علي عليه السلام والتنويه بذكره في كل موطن ومناسبة.

قال إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر منها إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر[١].

الحديث الرابع:

عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب عليه السلام دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسوني وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني تريدين بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده الشريفة، ثم خلع قميصه فألبسها إياه وكفنت (فيه) فوقه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها، فلما بلغوا قبرها (لحدها) حفره رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فاضطجع فيه ثم قال [يا] الله الذي يحيي ويميت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين[٢].

الحديث الخامس:

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/٥١٧، ولاحظ (الإصابة) ٤/٣٨٠ و(الاستيعاب) بهامشها ص٣٨٢.

(٢) المناقب للخوارزمي /٤٧. أقول: جاء ذيل الرواية أنه صلى الله عليه وآله كبر عليها أربعاً وقد أشار المعلق إلى ذلك وعلق في موطن آخر، وأضيف: أولاً: إن الروايات التي ذكرنا شطراً منها عدها سبعين تكبيرة، وثانياً: إن التربيع بدعة عمرية متأخرة، فاقرأ ما حققه العلمان عبد الحسين الأميني في (الغدير) ٦/٢٤٤ وشرف الدين في (النص والاجتهاد)/٢٣٣.

وروي أنه ﷺ صلى عليها وتمرغ في قبرها وبكى وقال جزاك الله من أم خيراً فلقد كنت خير أم[1].

الحديث السادس:

عن عبد الله بن عباس قال: أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم إلى النبي ﷺ باكياً وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال رسول الله ﷺ مه يا علي؟ فقال علي: يا رسول الله ماتت أمي فاطمة بنت أسد، فقال: فبكى النبي ﷺ ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها إن كانت لك أماً فقد كانت لي أماً، خذ عمامتي هذه وخذ ثوبيَّ هذين فكفنها فيهما، ومر النساء فليحسن غسلها، ولا تخرجها حتى أجيء فإليَّ أمرها.

قال: وأقبل النبي ﷺ بعد ساعة وأخرجت فاطمة أم علي عليه السلام فصلى عليها النبي ﷺ صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرة ثم دخل إلى القبر فتمدد فيه، فلم يسمع أنين ولا حركة، ثم قال: يا علي ادخل يا حسن ادخل فدخلا القبر، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي اخرج يا حسن اخرج، فخرجا، ثم زحف النبي ﷺ حتى صار عند رأسها، ثم قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك فقولي: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي، ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت، ثم خرج من قبرها وحثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما، ثم قال: والذي نفسي بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فقال: يا أبا اليقظان وأهل ذلك هي مني، لقد كان لها من أبي طالب

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى /٥٦.

ولد كثير ولقد كان خيرهم كثيراً وكان خيرنا قليلاً، فكانت تشبعني وتجيعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم، قال: فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمار التفت عن يميني فنظرت إلى أربعين صفاً من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة، قال: فتمددك في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة؟ قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة ولم أزل أطلب إلى ربي -عز وجل- أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها ومصباحين من نور عند يديها ومصباحين من نور عند رجليها، وملكيها الموكلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة.

وروي في خبر آخر طويل:

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا عمار إن الملائكة قد ملأت الأفق، وفتح لها باب من الجنة، ومهد لها مهاد من مهاد الجنة، وبعث إليها بريحان من ريحان الجنة، فهي في روح وريحان وجنة ونعيم، وقبرها روضة من رياض الجنة[1].

الحديث السابع:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد بن هاشم أوصت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل وصيتها، فقالت: يا رسول الله إني أردت أن أعتق جاريتي هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قدمت من خير فستجدينه، فلما ماتت -رضوان الله عليها- نزع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه وقال: كفنوها فيه، واضطجع في لحدها، فقال: أما قميصي فأمان لها يوم القيامة، وأما اضطجاعي في قبرها فليوسع الله عليها[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٧٠-٧١.

(٢) بحار الأنوار ٣٥/٧٧.

الحديث الثامن:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام جاء علي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبا الحسن ما لك؟ قال: أمي ماتت، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله وأمي والله، ثم بكى، وقال: وا أماه ثم قال لعلي عليه السلام: هذا قميصي فكفنها فيه، وهذا ردائي فكفنها فيه، فإذا فرغتم فأذنوني. فلما خرجت صلى عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثم نزل على قبرها فاضطجع فيه، ثم قال لها: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ قالت: نعم فجزاك الله خير جزاء، وطالت مناجاته في القبر، فلما خرج قيل: يا رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إياها ثيابك ودخولك في قبرها وطول مناجاتك وطول صلاتك ما رأيناك صنعته بأحد قبلها، قال: أما تكفيني إياها فإني لما قلت لها: يعرض الناس عراة يوم يحشرون من قبورهم فصاحت وقالت: وا سوأتاه، فألبستها ثيابي، وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يبلي أكفانها حتى تدخل الجنة، فأجابني إلى ذلك، وأما دخولي في قبرها فإني قلت لها يوماً: إن الميت إذا أدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان: منكر ونكير فيسألانه، فقالت: وا غوثاه بالله، فما زلت أسأل ربي في قبرها حتى فتح لها روضة من قبرها إلى الجنة، وروضة من رياض الجنة[1].

الحديث التاسع:

وقد مر ذكره في الحديث عن بعلها أبي طالب عليه السلام في الطواف والصلاة عن جملة من الأولياء وآثار البركة في ذلك[2].

الحديث العاشر:

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٨١.

(٢) بحار الأنوار ٣٥/١١٣.

عن أبي علي الموضح قال: تواترت الأخبار بهذه الرواية وبغيرها عن علي بن الحسين عليه السلام أنه سئل عن أبي طالب أ كان مؤمناً؟ فقال: نعم، فقيل له: إن ههنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال: وا عجباه أ يطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد نهاه الله أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن بنت أسد من المؤمنات السابقات، وأنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه[1].

وبعد

فهذه عشرة من الأحاديث مما ورد في شأن السيد فاطمة سلالة هاشم، وقد جاءت الخمسة الأولى من الأحاديث مما رواه غير الشيعة، أما الثانية فهي من طريق الشيعة.

والجدير بالنظر أن الاتفاق شمل بعض المواطن المميزة الدقيقة كنص التلقين الوارد فيه السؤال في القبر عن الإمام مضافاً إلى أصول الاعتقاد الأخرى، وأنه ابنك علي لا جعفر ولا عقيل.

ومن الخير تسجيل ما حفلت به تلكم الروايات من اختصاصات وامتيازات نمت عن بالغ الشأو وسمو المقام وعلو المرتقى وبعد الغاية.

١ ـ التوجع الشديد لفقدها، والبكاء عليها، والمشاركة في تغسيلها.

٢ ـ تكفينها في عمامته المباركة وأثوابه الطاهرة.

٣ ـ المشاركة في حفر قبرها وتوسيع لحدها والاضطجاع فيه والتمرغ فيه مع إطالة المناجاة.

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١١٥.

٤ـ الصلاة المميزة بعدد تكبيراتها وائتمام عشرات الآلاف من الملائكة الكرام به ـصلى الله عليه وآله وعليهمـ وازدحامهم على جثمانها الطاهر.

٥ـ التشييع حافياً مع التأني وتثقيل الخطا.

٦ـ التلقين العجيب.

٧ـ إطراؤها وإجلالها بأنها أم وخير أم فياضة الحنان مؤثرة على النفس وفلذات الأكباد.

٨ـ إخلاصها لله في أعمالها.

٩ـ تكفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمرها وأنه وصيها.

١٠ـ الآثار المباركة للطواف عنها.

١١ـ الإشادة بأبي طالب عليه السلام وأنها تتلوه في البر، إذن فلم يكن أحد أبر بالنبي الأكرم من عمه المعظم.

١٢ـ لطف الاستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام بأن قرينته من المؤمنات السابقات وبقي معها حتى مضى إلى رضوان الله.

١٣ـ أن قبرها روضة من رياض الجنة، أنوار وروح وريحان ونعيم دائم مقيم.

١٤ـ البشارة لها بالثبات والستر وجنان الخلود.

البشارة العظمى ودلالتها الكبرى:

عن محمد بن عبد الله بن مسكان عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد ـرحمها اللهـ جاءت إلى أبي طالب رحمه الله تبشره بمولد النبي

ﷺ فقال لها أبو طالب: اصبري سبتاً آتيك بمثله إلا النبوة.

وقال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة[١].

وعن أسباط بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي ﷺ حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما؟ من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود[٢].

والمتأمل المنصف في آثار وأشعار أبي طالب عليه السلام لا يخالجه أدنى شك فيما سبق عرضه من مقاماته العالية ومنازله الشريفة الراقية فلا غرابة في إنبائه بما تضمنه الحديثان الآنفان من:

١ ـ تحديد زمان ولادة ابنه أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ بيان جلالة مقام ابنه وأنه مثل النبي ﷺ إلا النبوة.

٣ ـ النص على الوصية وإن أمكن انطواؤها فيما عناه من المثلية.

وبعد

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٧٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٥/١٣٧.

فإنها الوقوف على حقائق المعارف الإلهية واستدامة الدين الإلهي العظيم عبر الخلافة عن رسول الله الكريم.

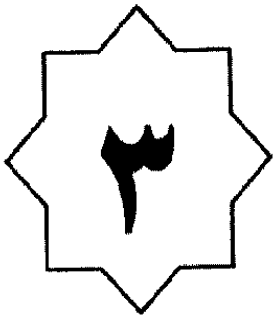

الإسراء والمعراج

- الإثبات التاريخي
- حديث الوفاة
- دلائل وإرهاصات
- أقوال العلماء
- في أجواء الشعر
- الفرحة الكبرى والبشارة العظمى
- الأسماء تنزل من السماء

هو الذي كان بيت الله مولده

وحديث ولادة (علي) في عالم الأرض بعد الحديث عن خلقه في عالم السماء والملأ الأعلى حيث حديث النور- وإن امتزج حديثهما واتحد عالمهما فلا يكادان إلا متصلين- حديث عن إشراقة حملت أوسمتها معها، وآذنت بالشأن الفريد لوليد الكعبة الوحيد، ورمزت إلى الإعداد الإلهي لشخصية فذة -ومن يومها الأول- تناط بها مهمات عظام تلتقي وجلال الحدث المميز.

فلنطف حول أركانه، ولنلتزم مستجاره، ولنتعلق بأستاره، ولنلج إليه من بابه، فنلتمس أسراره حتى نخبر طرفاً من أمره الأعجب ومكنونه الأغرب.

الجنبة الأولى: الإثبات التأريخي:

وهي الحقيقة المتبوئة من الواقع موطناً لا يرقى إليه الشك ولا تعتريه شبهة بعد أن تجاوزت سبل الإثبات إلى (التواتر).

وهل بعد (التواتر) غاية ترتجى؟! وهل بعد اليقين مسرح للتردد؟! وهل بعد الحق والصدق مثار للشك؟!

قال الحاكم: «وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- في جوف الكعبة»[1].

وقال المحدث الدهلوي شاه ولي الله أحمد في كتابه (إزالة الخفاء) ما قاله الحاكم مضيفاً: «فإنه ولد في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/٣٠٨.

عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده.

وقال ابن الصباغ في الفصول المهمة/١٢:

ولد علي عليه السلام بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالاً له إلخ.

وقال البدخشي في (أرجح المطالب/٢٠ ـ مخطوط ـ):

إنه لم يولد في البيت الحرام أحد سواه قبله ولا بعده وهي فضيلة خصه الله بها»[١].

وفي صحف التأريخ وزبر السير ومجاميع الحديث وشعر الشعراء من مؤالف ومخالف ما يكل عنه قلم الإحصاء وسبر الاستقصاء[٢].

وقد جمع من ذلك كثيراً العلامة الكبير والمحقق الثبت الشيخ الأوردبادي في كتابه المميز في عنوانه ومحتواه (علي وليد الكعبة)[٣].

الجنبة الثانية: حديث الولادة:

«وفي بشائر المصطفى مرفوعاً إلى يزيد بن قعنب قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء البيت الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت: يا رب إني مؤمنة بك وما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام الذي بنى البيت

---

(١) إحقاق الحق ٧/٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) انظر إحقاق الحق ١٧/٣٦٤ ـ ٣٧٢، فقد أورد قوائم من روى هذا الحديث الفريد.

(٣) علي وليد الكعبة /٢.

العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليَّ ولادتي، قال يزيد بن فعتب[١] فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله فعزمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٢] إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله سراً في موضع لا يحب أن يعبد فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف يا فاطمة سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلى، شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي أوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني، طوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»[٣].

أقول: وقد أورد الشيخ المجلسي قدس سره هذه الرواية باختلاف يسير في بعض ألفاظها عن علل الشرائع ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق وروضة الواعظين، كما أورد غيرها مما يتضمن هذه الفضيلة والمرتبة الخصيصة وغيرها من مواهب وألطاف أتحف الله بها وليه علياً[٤].

---

(١) كذا، وهي تصحيف أو خطأ والصحيح (قعنب) كما جاء في الروايات الموافقة لهذه الرواية.

(٢) كذا وفيها نقص ظاهر وهو كما جاء في بحار الأنوار: ثم قالت:.

(٣) إحقاق الحق ٥٦/٥ نقلاً عن تجهيز الجيش /١١٠ـ مخطوط ـ للعلامة حسن بن المولوي أمان الله الدهلوي ـ من علماء العامة.

(٤) بحار الأنوار ٢٣/٣٥، ١٨، ٩، ٨.

الجنبة الثالثة: دلائل وإرهاصات:

وحدث بهذا الجلال، ونبأ بذلكم الخطر، لم يكن للصدفة والاتفاق فيه موقع وإنما هو التخطيط الإلهي والتدبير الربوبي، فهل تدرك العقول سره؟! وهل تحيط الأفكار بكنهه؟! وهل تبلغ الأنظار مداه؟!

حاولوا وقالوا ولعلهم أصابوا أو قاربوا، وربما لم يوفقوا، وكان منتهى سعيهم أن حاموا حول معدن السر ولم يقفوا عليه حتى يلجوا إليه، وكلهم في فلك دائر.

وأعرض آراء جملة من العلماء والباحثين أولاً، ثم أعرج على ساحة الشعراء (وفيهم الأعلام الأجلاء) لنرى المجلي في مضمار سباق الأفكار والخيال.

أولاً: أقوال العلماء:

أ- إن عدة من الأعلام اكتفوا بوصف الحدث الفريد بأنه: "إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم"[1] "وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالاً له"[2].

وركز بعضهم على جهة الامتياز في الاختصاص فقال: "ولم يشرف المولى سبحانه أحداً من الأنبياء والأوصياء بهذا الشرف، فهو مخصوص به سلام الله عليه"[3].

ب- وأجال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فكره فحلل وعلل

---

(١) علي وليد الكعبة /٣.

(٢) إحقاق الحق ٧/٤٨٩-٤٩٠.

(٣) علي وليد الكعبة /٥.

وقال: «وفي ولادته رمز آخر لعله أدق وأعمق، وهو أن حقيقة التوجه إلى الكعبة هو التوجه إلى ذلك النور المتولد فيها، ولو أن القصد محصور على محض التوجه إلى تلك البنية وتلك الأحجار لكان نوعاً من عبادة الأصنام ـ معاذ الله ـ ولكن التناسب يقضي بأن البدن وهو تراب يتوجه إلى الكعبة التي هي تراب، والروح التي هي جوهر مجرد تتوجه إلى النور المجرد، وكل جنس لاحق بجنسه، النور للنور والتراب للتراب»[1].

وقال أيضاً:

«ولكن لم يبحث أحد من العلماء الراسخين عن سر هذا الرمز الإلهي والإيماء الربوبي، ولعله إشارة إلى ما بينه وبين الكعبة من المناسبة، فكما أن الصلاة لا تقبل ولا تصح إلا بالتوجه إليه[2] فكذلك الأعمال كلها لا تقبل إلا بالتوجه إليه، والاعتماد على الأخذ من ذريته والتقرب إلى الله بولايتهم وولايته، فهم كعبة الأرواح، وهو كعبة الأشباح، وهم كعبة الأسرار والمعاني، وهو كعبة الظواهر والمباني، وهم كعبة المعارف واللطائف، وهو كعبة العاكف والطائف، والغاية أن تولده ـ سلام الله عليه ـ في الكعبة إشارة إلى أنه سر شرف الكعبة وروح معناها، وجوهر حقيقتها.

ولعل الحق ـ جل شأنه ـ إنما شرفها في عالم الأزل لسابق علمه الأزلي بأنها ستكون مهبط ذلك النور الأقدم، ومحط ذلك التجلي الأعظم، وموضع بزوغ ذلك القبس الإلهي، والعلم الغير متناهي، ويشير إلى هذا ما هو المشهور من حديث مفاخرة كربلاء والكعبة الذي صدع وسطع منه النداء الربوبي للكعبة: قري يا كعبة وتطامني فلولا كربلاء ومن حل فيها لما خلقتك ولا شرَّفتك، وإلا فليست الكعبة والمشاعر ولا البيت ولا الحجر

---

(١) جنة المأوى /٤٥.

(٢) هكذا جاء بالتذكير والصحيح (إليها).

ولا المروة ولا الصفا لولا طلوع الأنوار منها، وسطوع هاتيك الأقمار الربوبية عنها إلا كسائر الأماكن والبقاع، وحقاً ما يقول القائل من أعمامنا:

هم كعبةُ البيتِ ومن همُ هم عرفاتٌ والصَّفَا وزَمْزَمُ
ما الركنُ ما الكعبةُ ما المشاعرُ هم بلطنُ الأمرِ وهذا الظاهرُ»[1]

ج- وقال شهاب الدين محمود الألوسي -صاحب التفسير الكبير- في (سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية) لعبد الباقي العمري ص١٥ عند قول الناظم:

أَنْتَ العَلِيُّ الذي فوقَ العُلَى رُفِعَا بِبَطْنِ مكةَ وَسْطَ البيتِ إِذْ وُضِعَا

«وكون الأمير -كَرَّمَ اللّه وجهه- ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكره في كتب الفريقين السنة والشيعة... ولم يشتهر وضع غيره -كرم اللّه وجهه- كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين»[2].

د- وقال عزيز السيد جاسم: وما كان مفارقة أذهلت الناس وأثارت لغط دهشتهم، كان موافقة إلهية، وإيذاناً بانبثاق موعد مع البشر ومع القدر، هو موعد ميلاد إنسان اشتمل بالحق، واشتمل به الحق، فتوحدا مثل شعلة ليس فيهما شيء معزولاً عن شيء، بل هي شيء واحد متوحد، ذابت أجزاؤه في كله.

---

(١) جنة المأوى /٣٠٥.
(٢) الغدير ٣٨/٦.

خارج البيت العتيق كانت الإرادة الإلهية تهيء للناس رسولاً كريماً يتحدى عالم الأوثان، وفي داخل البيت العتيق كانت الإرادة الإلهية قد هيأت للمصطفى خليلاً أدار ظهره للأصنام منذ اللحظة الأولى للولادة.

ولو قدر للأصنام أن تنظر لكانت نظراتها تحمل أكبر الشزر إلى القادم الجديد، لكانت تسلط الشزر لتحرق الوليد في المهد، ولو قدر لها أن تنطق لتحدثت عن الحرب فقط، الحرب ضد المتحدي الذي سيحمل في أعماقه جبروتاً من جبروت ابن عمه العظيم.

كانت الأعجوبة متكاملة: ولادة في بيت الله بدلالة الولادة منذوراً للحق الذي هو بيت الله الذي يؤمه البشر المسلمون، وحق أنذر أهله للحق[١].

وحين أراد الصبية ذات صباح من (علي) الطواف في الكعبة رفض ذلك، فكان الجواب التقليدي لأحدهم متوقعاً، هذا التذكير بولادته في الكعبة، قال صاحب له من بينهم: عجباً لك يا بن أبي طالب تضعك أمك في حرم الأصنام ... و... فيبادر علي قاطعاً عليه استمرار حديثه: في حرم أبي إبراهيم ... أما صواحبكم تلك فأكرِّم عن مرآها وجهي[٢].

وثانياً: في أجواء الشعر:

وعلي يمد الشعراء بعطاء ثري لا ينفد، وفي كل ساحة من ساحاته منهل عذب وغدير رقراق، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه، يلهمهم الإبداع، ويثير الاختراع.

---

(١) علي بن أبي طالب سلطة الحق /١٥.
(٢) علي بن أبي طالب سلطة الحق /١٨.

وميلاد علي في كعبة الله المعظمة هيمن بقدسه على مشاعر الشعراء فانبعثت قرائحهم بجواهر الكلم وجلائل المعاني وفرائد الخرائد.

وهي بتيارها الدافق تأبى على السابح أن يتجاوز شواطئها فيطمع في أوساطها فضلاً عن أعماقها، فليس إلا الوقوف على ضفافها.

١ ـ فيقول السيد رضا الهندي:

لَمَّا دعاكَ اللهُ قِدْمَاً لأَنْ ... تُولَدَ في البيتِ فلَبَّيْتَهُ
شَكَرْتَهُ بينَ قريشٍ بأَنْ ... طَهَّرْتَ مِنْ أصنامِهِم بَيْتَهُ[1]

فقد كان من الله لوليه المحبو في القدم دعوة، وكان من علي إجابة وشكر، واللائق بالشكر انسجامه والدعوة.

وكما يعبر الألوسي وقد مر آنفاً قوله شارحاً قول العمري في رائعته العينية العصماء.

أَنْتَ العَلِيُّ الذي فوقَ العُلَى رُفِعَا ... بِبَطْنِ مكةَ وَسْطَ البيتِ إِذْ وُضِعَا

«قيل أحب ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يكافيء الكعبة حيث ولد في بطنها بوضع الصنم عن ظهرها، فإنها كما ورد في بعض الآثار كانت تشتكي إلى الله تعالى عبادة الأصنام حولها وتقول: أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي؟ والله تعالى يعدها بتطهيرها من ذلك»[2].

٢ ـ الشيخ حسين نجف:

---

(١) الغدير ٦/٢٢.
(٢) الغدير ٦/٢٣.

يغرق في التأمل الطويل وتطوف في ذهنه صور وتتداعى معان يرتبها منطلقة أولاً من (الجعل) الإلهي فالولادة لم تكن عن محض اتفاق وعارض صدفة بل هي عن تمهيد وإرادة ربانية وتدبير إلهي.

وثانياً: وإنه الحدث العلي الذي لا يضاهيه حدث ولا تماثله ولادة.

وثالثاً: وهو الامتياز والاختصاص للوليد دون سواه، فحتى سيد الخلق على الإطلاق فضلاً عن كافة الأنبياء لم يشاركه أحد منهم فيما اختص به.

ودفعاً للتوهم نؤكد على التعبير بـ (الاختصاص) وليس التفضيل فإن خاتم الرسل وسيدهم أفضل خلق الله وأكملهم وإن كان علي نفسه وروحه.

رابعاً: إنه الشوق المتبادل والحب المشترك بين ولي الله وكعبة توحيده، فحقق الله لهما اللقاء فكانت أول إشراقة لعلي تشع في جنبات بيت ربه وموطن قدسه.

خامساً: إنها الحق الصراح والحقيقة الراهنة التي لم تتم لأحد من الخلق، وإن حاول المغرضون أن يجعلوا لعلي منافساً ولكن الله خاذلهم وناصره.

سادساً: ومن مقتضى طبيعة النور الامتداد وسعة الانتشار وإباؤه عن الانحصار، فمن الطبيعي انبساطه على بطاح مكة وعرصات مشاعر الله المقدسة.

وإذا كانت الكعبة مركز الأرض ومن تحتها دحيت، فالأرض تبع لمركزها ونور المركز يعم أرجاءها ويمتد بامتداد أديمها.

سابعاً: ويحلق العالم الشاعر في آفاق الكعبة وشأوها البعيد وانتظامها

وفلك السماء، وما ملأها الله من ملائكته الطائفين حول بيته، وارتباطها بمجموعة الكواكب وحومها حول حماها.

وثامناً: إنها القضية الخالدة فلعلي سر حينما ولد بطن الكعبة والطائفون يطوفون حولها، وتلكم فريضة باقية، فهو وليدها وسر عظمتها وقد اكتسبت منه شرفاً وفخراً.

نعم هذه الحكاية لتلكم المعاني الجليلة التي أنتجتها تأملات العلامة العلم فانبعثت قريحته فقال:

جَعَلَ اللهُ بيتَهُ لعليٍّ ... مولداً يا لَهُ عُلاً لا يُضَاها
لَمْ يُشَارِكْهُ في الولادةِ فيهِ ... سيدُ الرُّسْلِ لا ولا أنبياها
عَلِمَ اللهُ شوقَها لعليٍّ ... عِلْمَهُ بالذي بهِ مِنْ هَوَاها
إِذْ تَمَنَّتْ لقاءَهُ وتمنى ... فأَرَاها حبيبَهُ ورآها
ما ادَّعَى مُدَّعٍ لذلكَ كلا ... مَنْ تُرَى في الورى يَرُومُ ادِّعاها
فاكتستْ مكةٌ بذاكَ افتخاراً ... وكذا المشعرانِ بعدَ مِنَاها
بل بهِ الأرضُ قد عَلَتْ إِذْ حَوَتْهُ ... فغَدَتْ أَرْضُها مَطَافَ سَمَاها
أَوَ ما تنظرُ الكواكبَ ليلاً ... ونهاراً تَطُوفُ حولَ حِمَاها
وإلى الحشرِ في الطوافِ عليهِ ... وبذاكَ الطوافِ دَامَ بَقَاها[1]

٣ـ الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي:

وينحو هذا العلم الجليل في تحليله للحدث الفريد منحى خاصاً

---

(١) الغدير ٦/٢٩.

يستجلي منه ما للإمام من شامخ المقام مصدراً ذلك بقرينة تدفع المتعجل عليه بالحكم والمسارع برميه بالغلو، فيقرر أولاً حقيقة من حقائق التوحيد الخالص وأنه الله الأحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، ثم يفرض محالاً -وفرض المحال ليس بمحال- أن الله سبحانه لو اتخذ ولداً لكانت ولادته في بيته.

وذلك في عالم الذوقيات معنى مستطرف، ومضمار الشعر ولا سيما في مآثر الأعلين رحب فياض بالمعاني الحسان في حلاوة وطراوة في القوالب والصياغة، مع انسجامه ووفرة التحامه بأصناف البديع واحتماله لبليغ الكنايات وجميل الاستعارات ومليح التشبيهات.

ثم يقرر حقيقة الامتياز بأن وليد البيت هو سر هذا البيت المعظم، فبه قوامها وهو منبعث نورها، وكأنه يلمح الآية المباركة (يكاد زيتها يضيء) ... (نور على نور).

لَمْ يتخذْ ولداً وما إنْ يتخذْ ... إلا وكانَ ولادُهُ في بيتِهِ
في البيتِ مولدُهُ يحققُ أنَّهُ ... دونَ الأنامِ ذبالةٌ في زيتِهِ[1]

٤ ـ العلامة الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي:

فيدور في تحليله وتعليله مركزاً على حقيقة كبرى قد فرغ البحث العلمي الدقيق في الإمامة من إثباتها، وليست هذه الآثار من مميزات ومدائح راقيات رائقات إلا نتيجة طبيعية لسمو تلك الذات.

فاستمع إليه في موشحته الرائعة:

---

(١) علي وليد الكعبة /١٠٦. وقد أوردها مع تخميسها للعلامة الطبيب الشيخ ميرزا محمد الخليلي النجفي.

كانَ إِذْ لا كَائِنٌ وَهْوَ إِمَام

إذن فلعلي إمامة إلهية قبل أن تشرق أنواره في كعبة ربه، ومن تناط به إمامة الله وأمانته فهو موضع العناية، والإجلال والتكريم ممن خلقه واصطفاه إماماً، فمن الطبيعي أن:

شَرَّفَ اللهُ بِهِ البيتَ الحرامْ حينَ أَضْحَى لِعُلاهُ مولدا
فوطا تربتَهُ بالقَدَمِ

فالبيت بيت الله، وعلي إمامه العظيم، وقد حظي وخص في ولادته بمثل هذا التشريف والتكريم، وشرفت بقعة غدت مولداً، فالمكان بالمكين، «ومن يرى مضافاً لأرباب الصدور تصدرا».

ويتناول معنى سبق للتو طرف من حديثه، ولعل تداعي المعاني وما تختزنه الأذهان من صور، وربما كانت مستوحاة من خيال، وربما لأنها أثير حولها مقال ومقال، لعل هذا ونحوه انبسطت له قريحة عالمنا فعالجه ضمن الضوابط الصحيحة والمقاييس السليمة، وأداره في عالم الافتراض، ونص على المعتقد الحق والفكر الصدق، فقال:

إِنْ يَكُنْ يُجْعَلُ للهِ البنونْ وتعالى اللهُ عما يصفونْ
فوليدُ البيتِ أحرى أن يكونْ لوليِّ البيتِ حقاً ولدا
لا عُزَيْرٌ لا ولا ابنُ مريم[1]

فما أجمل هذا التضمين المتعقب لافتراض محض لحامل للعقيدة

---

(١) الغدير ٦/٣١.

الحقة، فلو تم ثمت افتراض فمن يا ترى اللائق بقائل المحال أن يسمي من يدعي فيه بنوة؟ فولي البيت أولى وأقرب إلى الانتساب إلى رب البيت، والواقع أن ولي البيت لم يتخذ ولداً وإنما اتخذ عبداً فكيف بعزير وابن مريم عيسى فكلهم قد انتفت عنهم البنوة والانتفاء فيها أولى.

٥ـ العلامة السيد علي النقي اللكهنوي:

فقد طاف خياله وهام قلبه بذلكم السر وتردد كثيراً في تحديد هويته وحل لغزه وعالج ذلك في موشحه (لست أدري).

وأكتفي من تطوافه بسيره العرفاني في قوله من الموشح:

إِنْ يَكُ البيتُ مطافاً للأنامْ فعليٌّ قد رقى أعلى سنامْ
إِذْ بهِ يَطَّوَّفُ البيتُ الحرامْ وسعى الركنُ إليهِ لاستلامْ
فغدا يزهو بهِ من طَرَبِ[1]

فالأنام بتطوافها حول الكعبة تطوف بمدخل فاطمة إلى الكعبة حينما انشق لها الجدار، وتمر في طوافها أيضاً حول موطن الولادة.

وأما البيت فهو في طواف دائم متصل، وكل جنبة وركن منه فلها تعلق وانشداد إلى منبثق النور ومصدر الإشعاع.

الرخامة الحمراء:

قال المحدث الأجل الشيخ الحر العاملي:

---

(١) الغدير ٦/٣٥.

علـــى رخامـــةٍ هنـــاكَ حَمْـــرا معروفـــةٍ زادتْ بـــذاكَ قَـــدْرا[١]

وقلت:

رخامةٌ لَمْ تكنْ قدماً سوى حجرٍ لا فضلَ فيها على نوعٍ من الحجرِ
شَرَّفْتَها وَسْطَ بيتِ اللهِ فـافْتَخَرَتْ بحكمـةٍ قـد أَرَادَتْهـا يَـدُ القَـدَرِ

«والمشهور ما بين الخاصة والعامة: أنه ولد بين العمودين على الرخامة الحمراء»[٢].

أقول: «لعل في الدعاء المأثور قراءته بعد الصلاة على الرخامة الحمـراء إيماءة إلى حديث الولادة فقد جاء في الكافي ٤/٥٣٠:

ثم ادخـل البيـت فصـل علـى الرخامـة الحمـراء ركعـتين ثم قـم إلى الأسطوانة التي بحذاء الحجر وألصق بها صدرك ثم قل: يا واحـد يـا أحـد يـا قريب يا بعيد يا عزيز يا حكيم لا تذرني فرداً وأنت خـير الـوارثين، هـب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، ثم در بالأسـطوانة فألصـق بهـا ظهـرك وبطنك وتدعو بهذا الدعاء فإن يرد الله شيئاً كان»[٣].

وقال العلامة الخطيب السيد عبد الزهراء: «فـلا تـزال تلـك الرخامـة الحمراء التي أشار إليها المؤلف، وقد وفـق الله سـبحانه وتعـالى كاتـب هـذه الحروف لدخول الكعبة المعظمـة في سـنة ١٣٨٧هـ فرأيـت بـلاط الكعبـة المشرفة يميل إلى البياض عدا صخرة واحدة حمراء بين الباب والركن اليمـاني

---

(١) علي وليد الكعبة /٦.
(٢) علي وليد الكعبة /٣٦. وتلاحظ ص٣٨.
(٣) الحج معالمه ومعارفه /٧٢.

من داخل الكعبة وهي علامة لموضع ولادته عليه السلام»[١].

وبعد

فإن قراءة موضوعية في نصوص وشؤون الولادة الشريفة في الكعبة المعظمة والتي يرويها المؤالف والمخالف ـ وإن عند الحق مكابر ـ توقفنا على أسرار الله ـ عظمت آياته وآلاؤه ـ في وليد البيت وأمه المكرمة كما هي في أبيه المعظم.

١ـ فالحدث الأعظم كان بمرأى ومسمع من أمة من الناس.

٢ـ حسن التوسل وجميل الانقطاع إلى الله سبحانه بالمقدسات.

٣ـ إيمانها بالرب.

٤ـ ما جاء عنده من رسل وما أنزل من كتب.

٥ـ التصديق بجدها بطل التوحيد وباني الكعبة خليل الرحمن والإقسام على الله به.

٦ـ جلالة وليدها وعلمها أنه يقسم على الله تعالى به في تيسير الولادة.

٧ـ انشقاق البيت عند ظهره ثم التحامه بعد دخولها منه.

٨ـ امتناع قفل الباب عن الانفتاح وإباؤه عليهم بما علموا من أمره أن لله فيه سراً.

٩ـ بقاؤها في بيت ربها ضيفاً كريماً ومقارنتها بين ما حبيت به وبين ما

---

(١) منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثني عشر (الهامش)/٣٠١.

جرى لفضليات النساء.

١٠ ـ سماعها لهاتف السماء في اختيار اسم وليدها وبيان مقاماته العالية ومهامه الكبرى التي تناط به.

فسبحان من جمع لوليد كعبته هذين الأبويين المميزين وحباهما بفيض من إكرامه وإنعامه.

الفرحة الكبرى والبشارة العظمى:

وشؤون علي عجيبة كلها، وكل مكرمة تنضم إلى لداتها، وكل امتياز يجتمع إلى نظائره وهي كثر، الواحد منها يرتقي به إلى أوج الكمالات فكيف بها متصلة مجتمعة تنتظم منها سلسلة من المقامات العالية لم يفز بأسمى منها إلا من ختمت به الرسالات وانقطعت بنبوته النبوات.

وحديثنا في رحاب الولادة الفريدة وأجوائها المميزة تتواتر في جنباته الامتيازات وتفيض فيه الدلالات وتفصح منه الإشارات أن لله سبحانه في علي سراً وأن لعلي في ذاته شأناً.

قال ابن أبي الحديد:

"وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التي بديء فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء، وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي عليه السلام فيها،

ويسميها سنة الخير وسنة البركة،

وقال لأهله ليلة ولادته وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً:

«لقد وُلِدَ لنا الليلةَ مولودٌ يَفْتَحُ اللهُ علينا بِهِ أبواباً كثيرةً من النِّعْمَةِ والرَّحْمَةِ»[١].

وأورد العلامة الشيخ محمد بن أحمد الحنفي الموصلي (ابن حسنويه) رواية طويلة نقتطف منها:

«ولقد هبط عليَّ جبرئيل عليه السلام في وقت ولادة علي وقال لي: يا حبيب الله إن الله يقرأ عليك السلام ويهنيك بولادة علي ويقول لك: قد قرب ظهور نبوتك وكشف رسالتك وقد أيدتك بأخيك ووزيرك وخليلك وشددت به عضدك (أزرك) وأعلنت به ذكرك»[٢].

أقول: وقد حوت الرواية صوراً من اختصاصات جملة من الأنبياء وكراماتهم واشتراك النبي والوصي في نور واحد حتى أودعا صلب آدم عليه السلام وتنقلا في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات وأن نورهما يتجلى في وجوه آبائهما وأمهاتهما،

وأَنَّ نُورَ محمدٍ يُنَاغِي نُورَ علي،

إذا ضم عبد الله وأخاه أبا طالب مجلس في ملأ من الناس.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/١١٤ـ١١٥.

(٢) إحقاق الحق ١٠/٥. وهي رواية طويلة جليلة أوردها ابن حسنويه في كتابه (در بحر المناقب) ورواها في (بحار الأنوار) ٣٥/١٩ـ٢٣ عن (روضة الكافي) و(روضة الواعظين).

الأسماء تنزل من السماء:

وحديث الولادة ومقارِناته مفعمٌ بالعجائب والغرائب، تنكره قلوب من لا يؤمنون بالألطاف الإلهية، وفاتهم أن علياً محاط بالأسرار ومحفوف بالامتياز قبل إطلالة إشراقه في بيت الله وبعدها كما مر في فصول سابقة وكما سيجيء في فصول لاحقة.

ونخص الحديث هنا عن تسميته المباركة العالية:

فقد روى العلامة أبو المؤيد أخطب خوارزم حديثاً عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء وقد جاء فيه أن الله جل جلاله خاطب نبيه: «يا محمد إني اطلعت إلى أهل الأرض اطلاعة فأخذتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا العلي وهو علي»إلخ[1].

وروى العلامة القندوزي عن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: لما ولدت فاطمة بنت أسد علياً سمته باسم أبيها أسد ولم يرض بهذا الاسم فقال، هلمَّ حتى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعو خالق الخضراء لعله أن ينبئنا في اسمه، فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس ودعوا الله تعالى فأنشد أبو طالب شعراً:

يا ربَّ هذا الغَسَقِ الدجي ... والفلقِ المنبلجِ المضي

بَيِّنْ لنا عن أمرِكَ العلي ... أيْمَا نسمِّي ذلكَ الصبي

فإذا خشخشة من السماء فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر، فأخذه بكلتي يديه وضمه إلى صدره ضماً شديداً

---

(١) إحقاق الحق ٥/٤٥.

فإذا مكتوب:

خُصِصْتُما بالولَدِ الزَّكي ... والطاهرِ المُنْتَجَبِ المرْضِي
وإِسْمُهُ من قاهرٍ علي ... عليٌّ اشْتُقَّ مِنَ العَلِي

فسر أبو طالب سروراً عظيماً، وخر ساجداً لله تبارك وتعالى، وعق بعشرة من الإبل، وكان اللوح معلقاً في بيت الله الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش حتى غلب الحجاج ابن الزبير[1].

ونقل المحدث الخبير والمحقق الكبير الشيخ نجم الدين العسكري رواية أخرى عن (كفاية الطالب) للكنجي الشافعي ـ مع اختلاف في بعض كلماتها، كما نقل أيضاً أن اللوح المعلق بقي مدة طويلة حتى سرقه هشام بن عبد الملك[2].

أقول: وتحكي هذه التسمية الإلهية المباركة نظيرها في تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال أبو طالب عليه السلام في ذلك:

لقد أَكْرَمَ اللهُ النبيَّ محمداً ... فأَكْرَمُ خلقِ اللهِ في الناسِ أحمدُ
وشَقَّ لهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فذُو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمدُ

فما أعظم النبي والوصي، وما أكرمهما على الله، وما أشد التحامهما واتحاد نفسهما!!! صلى الله عليهما وآلهما.

---

(١) ينابيع المودة ٢/٧٩ـ٨٠.
(٢) أبو طالب حامي الرسول وناصره /٥ـ٦.

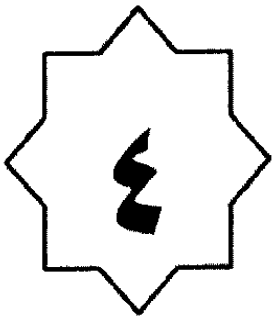

التربية الإسلامية

أنا أديب الله وعلي أديبي

نبوي شريف

ربيب صلة حبيب الله أنت ومن

كان المربي له صلة فقد سعا

عبد الباقي العمري

وما أعظم النعمة وأجل الحكمة وأسمى المنزلة حيث تتولى العناية الإلهية القيام على تربية وليد الكعبة فيمتاز بالاصطناع على عين بارئه ـ جل وعلا وتبارك وتعالى ـ والله ـ سبحانه ـ العليم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، والمعدن موطن الإفاضة والألطاف.

أجل.. هذا ما حبي به علي عليه السلام فقد شملته العناية الكبرى فغمرته بفيض من الرعاية، فبعد أن مهدت له من الأسباب ما أوجب الانفراد في الامتياز والتوحد في الاختصاص، تولت تربيته كما تشاء وبما تشاء وعلى يد من تشاء، وسبحانه من حكيم يضع الأشياء مواضعها ويحكمها كما يريد وهو الحكيم الخبير.

وأروع تصوير وأصدق تعبير وأدق حكاية ما حكاه علي نفسه وهو يؤرخ فترة حياته الأولى ويروي قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمره وتكفله بتربيته:

«وقد علمتُم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجرِه، وأنا ولدٌ[1]، يضمُّني إلى صدرِه، ويكنفني في فراشه، ويُمسُّني جَسَدَه، ويُشَمُّني عرفَه، وكانَ يمضغُ الشيءَ ثم يُلْقِمُنِيه، وما وجدَ لي كَذبةً في قولٍ، ولا خَطلةً في فعلٍ.

ولقد قرنَ اللهُ به صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ لَدُنْ كان فطيماً أعظمَ ملَكٍ من ملائكته، يسلكُ به طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالم، ليلَهُ ونهارَه، ولقد كنتُ أتبعُهُ اتباعَ الفصيلِ إثْرَ أمِّه، يرفع لي في كلِّ يومٍ من أخلاقِه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاورُ في كل سنةٍ بحراءَ، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلامِ غيرَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجةَ وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريحَ النبوة.

---

(١) وقد وردت بـ (وليد) كما في منهاج البراعة، وشرح نهج البلاغة للشيخ ميثم البحراني، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده.

ولقد سمعتُ رنَّةَ الشيطانِ حينَ نَزَلَ عليهِ الوحي ﷺ فقلت: يا رسولَ ما هذه الرَّنَّة؟ فقال: هذا الشيطانُ قد آيَسَ من عبادته، إنكَ تسمعُ ما أسمعُ وترى ما أرى إلاَّ أنكَ لستَ بنبيٍّ ولكنكَ لَوَزيرٌ وإِنَّكَ لَعَلى خير»[1].

وكم هو رائع وجميل ومهم وجليل أن نتأمل ونتملى في هذه الوثيقة لنهتدي بنورها لاكتشاف مواطن ومكامن من امتيازات علي الفذة.

١ ـ إن معاصري محمد يعلمون يقيناً قوة الالتحام وعمق الوشائج بينه وبين علي، سواء في وحدة النسب أو وثاقة الصلة والاختصاص، فهي حقائق لا مرية فيها ولا شك يشوبها.

٢ ـ وقد اكتنفه محمد ﷺ بجوارحه وجوانحه من أيامه الأول، حيث وضعه، وضمه إلى صدره واشتمل معه في فراشه وألصق جسده بجسده، ويتولى تغذيته ولا يصل إلى جوفه شيء إلا بعد أن يطعمه ويمضغه فيأكله سائغاً مريئاً بعد أن مازجه اللعاب الطيب المبارك، فله من دفء الحجر الكريم وحنان الصدر الفياض بالعواطف والمعارف، ويلفهما فراش واحد قد التصق فيها جسمان بل روحان بل نفس واحدة.

٣ـ أما شم الريح والعرف الذكي فأحسبه أنه المعني في الفقرة الأخرى «وأَشَمُّ رِيْحَ النُّبُوَّة» وإن كان المعنى الأول المتبادر جميلاً إلا أن هذا أسمى وأجل فهو شم الروح لا الريح.

٤ ـ ويُعنى عليه السلام بتقرير ركيزة عظيمة وقاعدة قويمة في تربية الله لنبيه لنا أن نتخذ منها الحد الوسط ـكما يقول المناطقةـ لإثبات تربية الله لعلي.

فيقول عليه السلام إن الله قرن به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك

---

(١) نهج البلاغة الخطبة القاصعة (فضل الوصي) رقم١٩٢.

من ملائكته، فما أجمل موقع (قَرَنَ) و(فطيماً) فالاقتران ابتدأ مبكراً، وإذا ما قارنت (فَطِيماً) بِـ (وأنا وَلِيد) نتج لك الاشتراك في تربية النبي والوصي وأنهما من طريق الله، ذاك باقتران الملك الأعظم وهذا بالتصاق النبي الأكرم.

وكانت مهمة الملك الأعظم السلوك بالحبيب المصطفى طريق المكارم -وهي جمع محلًى- ومحاسن أخلاق العالم، ولا يحيط بالمكارم طراً وبمحاسن أخلاق العالم جميعاً إلا من بَرَأَ محمداً واصطفاه ووجهه وهداه، فهو على هداية من ربه منذ أن خلقه واختاره وارتضاه.

٥- وكما كان التوجيه الإلهي دائماً في حق المصطفى فكذلك كان دائماً في حق المرتضى.

٦- ولم تكن تلكم العناية محدودة في إطار الرعاية والقيام بالشؤون المادية -إن صح التعبير- بل هي أسمى وأعلى حيث التحمت بعوالم النبوة وآفاق الارتباط الإلهي الخاص، فكان محمد وعلي معتكفين في حراء وحدهما لا يشركهما في هذا الاتصال المعنوي مخلوق سواهما، «إِنَّ الإمامةَ بالنبوةِ أَلْصَقُ» وهما والمثل الأعلى للمرأة المؤمنة ثالثتهما - بيت الإسلام الفريد.

ولعلي امتيازه وانفراده بالاتصال والعروج إلى الحقائق العالية والمراتب الراقية فهو عليه السلام يرى نور الوحي والرسالة، وأي رؤية هذه؟! إنها رؤية العين الباصرة التي أودعت فيها قوة مميزة مركزة تحيط بالمجردات مما لا تراه عين أخرى غير من أشرقت عليه الأنوار الإلهية، وإنها رؤية القلب ببصيرة نافذة تستكشف من خلالها عوالم الغيب وبواطن المكنون، وكما أمده بارئه بنفوذ البصر والبصيرة فكذلك زوده بقوة السمع والإدراك فسمع رنة الشيطان وهول ما باء به من خذلان، واستطلع على دخيلته وما يستبطن من مخططاته ومخبآته للصد عن دين الله القويم وصراطه المستقيم.

٧- وبعد فهنا يأتي الاشتراك والامتياز والتصنيف والتوظيف، اشتراك

واتحاد في مدى: إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، وامتياز للنبي المختار ولولا ذلك الاستثناء وباعثه الامتياز لكان علي نبياً فهو منه (بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده ولو كان لكنت)، فلو صحت لأحد لصحت له، ولكنه الوزير والعضد في حمل الأمانة الإلهية ومن يناط به القيام بأعبائها وزارة وإمامة وامتداداً وخلافة، وإن علياً لعلى خير، وما أجمعها من سمة وما أوسعها من صفة!

٨ـ وقد برهن علي على صدق الاصطفاء، ودلل على أنه حقق ما خص به عن سواه، فمثل الكمال مجسداً في كل شؤونه قولاً وعملاً، فما وجد له القائم بأمره بعهد من ربه كذبة في قول ولا خطلة في فعل، فعهد صباه استقامة وعصمة من كل وصمة، وهل يكون إلا كذلك وهو يقتفي إثر مربيه ويتبعه وينقطع إليه انقطاعاً مطلقاً، وهو الكامل في فعله وقوله وفكره.

"وكم يلذ لي الإفاضة في الشرح والتحليل ولكن الكلام يسمج إذا ما قورن بكلام أمير المؤمنين وأمير الكلام.

وكفى به شارحاً ومؤرخاً لحياته الأولى التي لم يخالطها غير الطهر والصفاء، ولم يكن لها غير تعليمات الوحي غذاء.

وأقف عند نقطة واحدة فقط ألا وهي:

لئن قرن الله بنبيه ﷺ أعظم ملائكته منذ أن كان فطيماً يسلك به طريق المكارم فلقد قرن الله بعلي أعظم أنبيائه وخاتمة رسله وسيد خلقه وبريته محمداً ﷺ فكان كما قال عليه السلام يقفو أثره ويقتدي به ويلازمه.

ولقد كشف النبي مؤهلات الوصي، وقد كشفها من قبل ذلك الله

العليم الحكيم فصار وصيه وأمينه وخليفته من أول يوم صدع بالرسالة وأعلن بالنذارة» إلخ[١].

أقول:

ومن المقامات العالية ما خص به سادات الأنبياء وأماثل الأوصياء وهم خاصة الله من خلقه فجعل فيهم روح القدس وبه عرفوا الأشياء، وأمدهم بروح التسديد وهو خلق من خلق الله -عز وجل- أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده وهو من الملكوت.

ولمحمد وآله امتيازهم فهم صفوة الخلق فلا غرو لو امتازوا بلطف إلهي لم يكن مع أحد ممن مضى قبلهم[٢].

ويعني هذا المقام اشتراك النبوة الخاتمة والإمامة الخاتمة في هذا الحباء الإلهي منذ أن أشرقت الأرض بأنوار محمد وآله.

ولعلي أوفق لمعاودة حديث ذلك في موطن آخر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وبعد

فأختم هذا الفصل من حياة علي بهذه الرواية التأريخية:

«فولدت علياً ولرسول الله ثلاثون سنة فأحبه رسول الله حباً شديداً وقال لها (أي لأمه): اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان ﷺ يلي أكثر تربيته

---

(١) علم الغيب عند الأئمة /١٣٤.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ٣/١٦٥-١٧٣. وقد وصف الشيخ المجلسي جملة من روايات البحث بالصحة والحسن.

وكان يظهر (ولعلها يطهر) علياً في وقت غسله، ويوجر اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته ويقول: هذا أخي ووليي وناصري ووصيي وزوج كريمتي وذخري وكهفي وصهري وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان رسول الله ﷺ يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها، صلى الله على الحامل والمحمول»[1].

(١) إحقاق الحق ٥/٥٧ عن (تجهيز الجيش) ـمخطوطـ/١٠ لمؤلفه العلامة حسن الدهلوي العظيم آبادي الهندي.

((أتت فاطمة عليها السلام النبي صلى الله عليه وآله فذكرت عنده ضعف الحال، فقال لها: أما تدرين ما منزلة علي عندي؟ كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وضرب بين يديَّ بالسيف وهو ابن ست عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وفرَّج همي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون رجلاً، قال: فأشرق لون فاطمة عليها السلام ولم تقر قدماه (ولعلها قدماها) حتى أتت علياً عليه السلام فقال: كيف لو حدثك بفضل الله عليَّ كله؟)).

بحار الأنوار ٦/٤٠.

- مفتتح الدعوة ومحاديث الإنذار
- ابتداء المناصرة والمؤازرة
- ليالي الشعب الرهيبة
- ليلة المبيت العصيبة
- علي يخلف محمداً في مكة
- الهجرة والتحدي

مَنْ لَهُ في كُلِّ يومٍ وَقَفَاتٌ لا تُضَاهَى[1].

وإذا كانت المهام الكبار والمواقف الصعاب تستدعي قدرات تليق بجلالها وتنسجم وعظمتها حيث العمر المناسب وتكافؤ المؤهلات العقلية والجسمية والروحية ـ فذلك حق بمقتضى طبيعة الأمور وارتباط النتائج بمقدماتها، والعوامل ونجاحها في تحقيق غاياتها، ومن هنا قيل: وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

وأما مواطن الامتياز والاستثناء فهي خارجة تخصصاً عن تلكم المقاييس فجماعها (الكفاءة)، وهي في واقعها لم تخرج عن الضابطة العقلية والعقلائية، ولكنها في جوهرها من نمط مميز ووفق مقاييس خاصة، وكأنها من مقولة أخرى غير خاضعة للمألوف والمعروف.

وقد أنيط بعلي مهام لا يقوى على الاضطلاع بحملها سواه، ومِنْ ثَمَّ خُصَّ بملكات لا تضم عليها جوانح غيره، ولا يقوم بها فرد إلا إياه.

والسجل الحافل (سبوح لها منها عليها شواهد) يحكي الدور الفاعل والانصهار المطلق في القيام بالمسؤوليات الجسام وتحمل الأعباء المسندة إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه.

وهو ترجمة صادقة لكاشفية النصوص وحكاية واقعية للمؤهلات الفذة التي أبرزها الإمام من خلال ذوبانه في الذود عن دين الله وحمايته ورعايته، حتى تعلو كلمته ويبلغ غايته.

ولو قدر لنا الوقوف على يومياته مؤرخةً أحداثُها من لدن انطلاقة الدعوة، لرأينا له كل يوم مشهداً وكل ساعة موقفاً وكل آن جليل الذكرى،

---

(١) تحت راية الحق /١١٣، عن ديوان الصاحب بن عبّاد من قصيدة عامرة بتعداد مناقب الإمام وامتيازاته.

بما تضيق عنه الأرقام وتفنى في تعداده الأقلام.

وإني لمستعرض نزراً مما أقوى على تسجيله:

الموقف الأول: مفتتح الدعوة وحديث الإنذار:

وقبل ذلك اتحد محمد النبي وعلي في أجوائهما الخاصة وعلاقتهما بالله في خلواتهما وعباداتهما مما لا ندرك سره وأبعاده، وسيأتي له ذكر في موطنه من هذا الكتاب.

أما وقد خطا الرسول خطوته الأولى في الدعوة إلى الله، فقد شاءت الحكمة الربانية التدرج في الإعلان، فبدأ ﷺ بخاصة قومه والأقربين من عشيرته من بني هاشم وعبد المطلب فجمعهم للإنذار.

وتجلت مشاركة علي لرسول الله منذ البدء، فكان علي رسول محمد، فقد أوكل إليه ـرغم حداثة سنهـ القيام بمهمة دعوتهم فأجابوا.

واقترنت الدعوة بباهر من الكرامة ووافر من الكرم والأريحية، فكانوا بين ثلاثين وأربعين رجلاً وقد قدم لهم ما يأتي عليه واحد منهم فأكلوا وشربوا حتى تضلعوا، وكان في ذلك مثار الإعجاب لفيض الندى وموفور الكرامة لهذا الرسول الموهوب المسدد من عطاء ربه الذي لا ينفد.

وقد تكاثر النقل في تسجيل هذا المؤتمر الأول فإليك صورة واصفة لما جرى من مشاهده:

عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عنها حتى جاء جبرئيل

فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به سيعذبك ربك، فقال لي: يا علي فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، واجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم، فصنع لهم الطعام وحضروا فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام بحاله، قال: ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وإن ربي أمرني أن أدعوكم فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً وإني لأحدثهم سناً فقلت: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، ثم قام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع[1].

هذا وقبل التعقيب على الحديث أورد فقرات من أحاديث متوافرة تكشف من هذا الحدث الأعظم أسراراً وتشع منه أنواراً.

الأولى: «ثم قال لهم ومد يده من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي فمددت يدي وقلت: أنا أبايعك وأنا يومئذ أصغر القوم عظيم البطن فبايعني على ذلك»[2].

الثانية: «وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعني ... فلم يقم أحد فقمت إليه وكنت من أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي»[3].

الثالثة: «ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه فلن يألو ابن

---

(١) إحقاق الحق ١٥/١٤٦.
(٢) إحقاق الحق ٣/٥٦٢.
(٣) إحقاق الحق ٣/٥٦٢.

عمه خيراً»[١].

الرابعة: «فقلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت يا علي، أنت يا علي»[٢].

الخامسة: «فقام علي فبايعه وأجابه ثم قال: ادن مني، فدنا منه، ففتح فاه ومجَّ فيه ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه، فقال أبو لهب: لبئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً، فقال ﷺ ملأته حكماً وعلماً»[٣].

السادسة: قال أبو لهب: «سحركم محمد، خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم فإن منعتموه قتلتم، وإن تركتموه ذللتم»[٤].

السابعة: قال أبو طالب مخاطباً أبا لهب: «يا عورة، والله لننصرنه ثم لنعيننه، يابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[٥].

وبعد..

فأولاً: إن الحديث صحيح السند، وقد روي من طرق عدة بلغت حد الاستفاضة، فحيثما يمم الباحث رآه أمام ناظريه شاخصاً في صحف التفسير ومجاميع الحديث وزبر السير ودواوين الشعراء.

قال شيخ الباحثين الأميني: «أخرجه غير واحد من الأئمة وحفاظ

---

(١) إحقاق الحق ٤/٦٥.
(٢) إحقاق الحق ١٥/١٤٥.
(٣) يوم الدار /٥٣.
(٤) تأريخ اليعقوبي ٢/٢٧.
(٥) تأريخ اليعقوبي ٢/٢٧.

الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد، ومرَّ عليه آخرون منهم ممن يعتد بقوله وتفكيره مخبتين به من دون أي غمز في الإسناد أو توقف في متنه، وتلقاه المؤرخون من الأمة الإسلامية وغيرها بالقبول، وأرسل في صحيفة التأريخ إرسال المسلَّم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض»[١].

وقال سيدنا شرف الدنيا والدين بعد أن أورد وفراً ممن أخرجه من حفظة الآثار: «فنحن نحتج عليهم بهذا لصحته من طريقهم إلزاماً لهم بما ألزموا به أنفسهم، وأما استدلالنا به على الإمامة فيما بينا فإنما هو لتواتره من طريقنا كما لا يخفى»[٢].

وقال السيد الرفاعي: «من يراجع هذا الحديث (حديث يوم الدار) في مسند أحمد يعلم أن رجاله كلهم ثقاة، وسائر طرقه متواترة متناصرة يؤيد بعضها بعضاً»[٣].

وقد أورد العلامة البحاثة الشيخ نجم الدين العسكري -وهو من أجلاء المحققين المتتبعين- في كتابه (علي والوصية) ص٨-٢١ جملة من الروايات ثم عقبها بقوله: «ثم لا يخفى على الطالبين للعلم أن رواة حديث الإنذار جمع كثير من علماء السنة والإمامية -رضوان الله عليهم- ثم أورد قائمة بأسماء جملة من الرواة العامة وختم البحث بقوله: «ولو أردنا ذكر أسماء جميعهم لطال بنا الكلام».

وأحيل الباحث الراغب في الوقوف على فيض النصوص إلى الموسوعة العامرة الكبرى (إحقاق الحق) فلينظر دليل الإشارة إلى مواطن

---

(١) الغدير ٢/٢٧٨.
(٢) المراجعات /١٤٦-١٥١.
(٣) يوم الدار /٢٧٧.

الأحاديث وليسبرها بعد ذلك[١].

وثانياً: إن أبعاد الحدث والحديث تنطوي على دلالات جليلة، وشؤون خطيرة، تجدر دراستها والتغلغل في أعماقها وتحليل مضمونها[٢]، ولا محيص من الإلمام بجملة منها عبر النقاط التالية:

الأولى: الإبلاغ الصارم والواجب المضيق:

وماذا يعني أن يضيق رسول الله ﷺ بأمر ربه ذرعاً؟!

«لما أنزل الله على رسوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً فجلس في بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير محييك، فدعاهم ... فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب، فقال أبو لهب: هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا»[٣].

ولماذا صمت عن أداء الرسالة فترة حتى تكرر الحث على الإبلاغ بأشد خطاب؟! ومحمد الرسول مختار مُرْسِلِه، كفؤٌ لما أنيط به من مهام الدين

---

(١) إحقاق الحق ٢٢٦/٢٤ـ حديث الدار: ٥٦٠/٣، ٦٠/٤ـ٧٠، ٣٥٢، ٤٢٣/١٤ـ ٤٣٠، ١٤٤/١٥ـ١٤٩، ١٩٣ـ١٩٥، ٢٠٧ـ٢٠٨، ٥٠٥ـ٥٠٧، ٢٢٤/٢٠، ٢٣١ـ٢٣٢، ٣٣٨ـ٣٣٩، ٣٨١ـ٣٨٣.

(٢) وقد أفرد السيد طالب الرفاعي في ذلك كتابه القيم (يوم الدار) وحقق وحلل واستوعب كثيراً من مفرداتها.

(٣) الكامل ٤٠/٢ـ٤١.

مهما صعبت، ومن تحدى الناس مفرداً، وصدق بتفانيه صدق انتخابه دون سواه، وتجلت في ذلك حكمة خالقه.

أجل ... إنه الموقف الصعب، ومن الحكمة والأناة في مواجهة القوم ومكاشفتهم وفيهم العتاة المردة، والمسألة لم تقتصر على الدعوة إلى التوحيد محضاً بل تضم إلى ذلك إعلان رسالته وأنه رجلها، وإعلان امتدادها في فذٍّ يليق لها وله من الكفاءة للخلافة ما لمحمد من كفاءة النبوة والرسالة.

وأحسب أن القوم على بينة بأن من امتزج بمحمد فكراً وروحاً وسمتاً وهدياً من بين هذه المشيخة هو (علي) لا سواه.

وأنى لكبرياء المشيخة وجبروتها الإذعان والانقياد لمثل هذا الحق المر؟!

الثانية: تحمل الأعباء الجسام:

«وإن ربي أمرني أن أدعوكم فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» «ومد يده من يبايعني على أن يكون ... ووليكم بعدي؟» «ثم قال: ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول اجلس».

وهذا الأمر هو دين الله الإسلام، ومؤازرته تعني قبوله واليقين به، وحمايته وتحمل الأذى في سبيله، والمشاركة الحقيقية الكاملة في إقامته، وقبل ذلك الانقطاع إلى الله الرب إيماناً وتديناً وتفانياً.

ومن الطبيعي أن يكون العضد في إبلاغه وإنجاحه كما يجب أخاً ووصياً وخليفة ينهض بالدعوة إن غاب رائدها الأول أو فقد فهو الولي المستخلف والأخ المشاطر، وله الدور الصميم والتالي في الرتبة في إقامة الدعائم، والاستقلال بالأعباء إن استقل بالأمر على نحو الوزارة والاستخلاف والولاية، بعد أن كانت للرائد الأول النبوة والرسالة وتلقي

الوحي من الرب.

وهذا رسول الله الأعظم قائم بينهم يوسعهم بنظره ويخطب فيهم بلسانه ويبسط لهم يده، من يبايع؟

وهل لنا أن نتصور شعور القوم ومشاعرهم؟ وكيف كان وقع الخطاب وصداه في نفوسهم؟ هل أطبق على الحفل صمت رهيب؟ وحيرة مستولية؟ واضطراب في التفكير؟

فإذا بصوت علي عليٌّ يشق الصمت المهيمن، جهيرٌ يبدد السكون، وحركة تنهي الحيرة والقلق المساور، وتختم الموقف (أنا يا رسول الله).

ولكن تفاني النبي وإخلاصه، واستخلاصه لجوهر الرجال عاود الدعوة وكررها فربما أشرق نور، وأذعن قلب لما سمع ورأى فأجاب من وعى.

ولا بطل إلا ذلكم الفتى، وتمتلك النبي غبطة ورضى فلا يفتأ مردداً:

أنت يا علي.. أنت يا علي.

وبعد.. فمن اللائق بمفردات (الأخوة، والوصية، والخلافة، والولاية) أن يفرد لكل منها بحث معمق ينفذ إلى أعماقها ويربط بين حلقاتها ويكشف منها وحدة منسجمة، ترمي الدلالات إلى غرض بعيد وشأن خطير، وإنما أدمجتها اختصاراً.

وقد عني بتحليلها السيد الرفاعي في كتابه القيم (يوم الدار).

الثالثة: أسلوب التنصيص:

ومن اللافت حقاً هذا الأسلوب من التنصيص:

«فأخذ برقبتي» «فمددت يدي!!» «وضرب بيده على يدي» «أنت يا

علي أنت يا علي».

وقد كان يفي بالغرض إعلان اسمه، بل ربما ناب الوصف مناب التصريح، ولكنه ﷺ بالغ في الإفصاح، وأكد في الإبلاغ فجمع في التنصيص والتخصيص بين أخذه برقبة خليفته وولي عهده، وفي ذلك فرض الاستخلاف على رقابهم، وبين قبضه على يده وضربه عليها، وبين الجهر باسمه مكرراً فكان ﷺ أقامه بينهم بلحمه ودمه واسمه.

ونلحظ هذا النمط في مواطن عدة يدعو الموقف فيها لقصر الأمر المعني وإفراده عمن سواه، وإخراج غيره عنه كما في (غدير خم) حيث رفع ضبع وصيه حتى بان بياض إبطيهما، وفي إدارة الكساء على أهله وخاصته، وغيرهما من مشاهد، واجتمعت بذلك مؤكدات تأبى التأويل وتقطع الاحتمال وتنفي الشكوك والأوهام.

الرابعة: منبع الأسرار:

وكما اقترنت بشؤون هذا المؤتمر في مبتداه مظاهر الإعجاز ببركة الطعام، فقد حفلت في منتهاه كوامن الأسرار.

«ادن مني ففتح فاه ومَجَّ فيه ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه، وقال ﷺ: ملأته حكماً وعلماً».

فللنبوة أسرارها وللنفوس القدسية آثارها، وهي بمنأى عن التحليل المادي، بل هي من صقع آخر وعالم آخر تسمو به سمو المجردات عن الماديات.

وهذه نبعة قدسية حفلت ذات علي بلدات لها كثر كانت هذه أولاها يوم الإنذار، وكان آخرها ما حكاه علي بقوله: «وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ في كَفِّي، فأَمْرَرْتُها على

وَجْهِي»[١].

وكان بينهما ما حير الألباب من غوامض الأسرار كحديث مناجاته التي أودعه فيها من خزائن علوم الله ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب.

أجل.. إن حملِ الإمامة الإلهية والتعهد بشؤونها يستدعي فيضاً قدسياً ومفاضاً عليه مؤهلاً ومعدناً لائقاً، فكانت الحكمة الربانية وكان العلم الإلهي خير مفاض وأجل حباء أفاضه الله على نبيه وأفرغه النبي على وصيه وزقه إياه زقاً.

الخامسة: ذوات وانفعالات:

أجل.. فالناس معادن، ومن شأنها التفاوت، والمواقف ولا سيما الخطيرة منها تكشف عن خبيئتها جوهراً وعرضاً وطيباً وخبثاً وعقلاً وحمقاً.

فإذا بالجمع الأكثر يقومون منصرفين ضاحكين وقد أتخموا غروراً وإغراء، فالمشيخة قد ولت والرفعة قد انحطت، والإمرة والسيادة عادت بعد اليوم وقفاً على علي، وشيخ الأباطح وأعز من في الحمى مأمور بالسمع والطاعة لولده.

أما أبو لهب فقد تعالى لسان ناره ولعلع لهبها وثارت مكامن الحقد وانتشر شررها، «سحركم محمد» «خذوا على يدي صاحبكم» «وإن تركتموه ذللتم».

فأبان عن عقل خواء، ونفسية دنيئة، وحمية جاهلية.

---

(١) نهج البلاغة ص٣١١ خ١٩٧.

وأما البطل رجل المواقف الحكيم العظيم شيخ البطحاء وابن شيبة الحمد فيعلم أن لهذا اليوم ما وراءه، ولا بد من وقفة شجاعة تنصر الحق وتحميه من الهوان وتمهد له السبيل.

فجلجل الصوت في الندي فإذا الخطاب المدوي يخمد اللهب ويطفيء الجمرة فتستحيل رماداً.

ويا للبلاغة تسلم إليه قيادها فما أفرغ لسانه: «يا عورة» حتى خمد اللهب وأبو لهب وصغر في نفسه وانزوى إلى بعضه وأمام عشيرته وبهت في ضعة وصغار وذلة واحتقار.

أما أمر محمد النبي فبالله أقسم لننصرنه ولنعيننه، وعلى اسم الله يا محمد فابدأ فنحن العدة، نأتمر بأمرك ونفدي نفوسنا دونك وسلاحنا ينتظر إشارتك حين تقوم بأمر ربك داعياً.

ويا للأدب يتجلى في مجمع الفضائل فيخاطب ابن أخيه: «يا سيدي فتكلم بما تحب» أ رأيت كيف تكون النفوس الشريفة والذوات الكاملة تذعن للحق وتثب لنصرته وترد عادية الشر وترديه، وذلك صنيع العقل الكبير والإيمان العميق والأدب الجم الرفيع.

السادسة: مواقف:

وكما اختلفت الانفعالات ممن عايش الحدث وحضر مشاهده، فكذلك ممن رواه ودوّنه ووقف على شهرته واستفاضته وشيوعه وذيوعه، ولا أسوِّدُ صفحة حديث الإنذار الناصعة، بحنق الحاقدين وتلون المتلونين وتراجع المتملقين، مكتفياً بما ذكرته عنهم في كتابي (الحسين في موكب

الخالدين)[1].

وفي مقابل هذه الشرذمة نقرأ مقولة منصفة تعكس التحليل الطبيعي والاستنتاج السليم من دراسة الحدث ومقدماته:

قال أبو جعفر الإسكافي:

«فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميِّز؟! وغِرٌّ غير عاقل؟! وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟! وهل يُدْعَى في جملة الشيوخ والكهول إلاّ عاقل لبيب، وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلاّ وهو أهل لذلك، بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه، ولم يلصق بأشكاله، ولم يُرَ مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟!... بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه مصمماً على أمره، محققاً لقوله بفعله، قد صدق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره، حيث أسلم لمّا دعا رسول الله ﷺ الشجرة، فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش: ساحر خفيف السحر، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنا أول من يؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوتك وبرهاناً على دعوتك.

فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم

---

(١) ص٤٣ـ٤٤.

مرَّة؟!»[١].

وقال توماس كارليل:

«ولكن رؤية رجل كهل أمي يعينه غلام في السادسة عشرة من عمره ويقومان في وجه العالم بأجمعه، كانت مما يدعو إلى العجب المضحك فقام القوم ضاحكين، ولكن لم يكن بالمضحك بل كان في نهاية الجد والخطر.

أما علي فلا يسعنا إلاَّ أن نحبه ونتعشقه، فإنه فتى شريف القدر كبير النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، يتلظى فؤاده نجدة وحماسة وكان أشجع من ليث»[٢].

وقال جورج سيل (Jeorge Sale) في كتابه (قرآن محمد): لقد أظهر محمد آنذاك محبة ومودة كبيرة لعلي، فقد ضمه إلى صدره وأمر الحاضرين في المجلس أن يسمعوا له ويعتبروه خليفته وأن يطيعوا أمره، فتفرق أولئك القوم عن المجلس وهم يقولون لأبي طالب: صار عليك الآن أن تطيع ابنك!.

ويقول جون دافن برت (John Daven Port) في كتاب (محمد والقرآن) ضمن هذه القصة: فنهض النبي وأظهر أخلاقه الحميدة وشمائله الكريمة، ووهب لمن يتبعه كنزاً أبدياً (كناية عن السعادة الأبدية)، وأورد في الختام خطبة اشتهرت ببلاغتها وفصاحتها ضمنها الأسئلة التالية: أيكم يؤازرني على هذا الأمر؟ أيكم يكون وصيي ووزيري كما كان هارون وصي موسى ووزيره؟ فكان السكوت مخيماً على جماعة الحاضرين، فلم يجرؤ أحد منهم على قبول تلك المهمة الخطرة التي عرضها عليهم، إلى أن قام ابن عم الرسول علي، ذلك الشاب الشجاع فصاح: أنا أؤازرك يا أيها النبي! -إلى أن

---

(١) الغدير ٢/٢٨٧.

(٢) يوم الدار /٨٦ عن كتابه (الأبطال).

يقول ـ: فطوَّق محمد بيديه ذلك الفتى الكريم وضمه إليه وصاح: هاكم فانظروا إلى أخي ووزيري!

وقد كتب واشنجتن أرونيك الأمريكي هذه القصة في (الكتاب المقدس) ترجمة الميرزا إبراهيم خان الشيرازي من الإنجليزية إلى الفارسية ص٦، ضمن شرحه أحوال النبي ... قال النبي: من يتقدم منكم فيؤاخيني؟ من منكم يكون وزيري ووصيي وخليفتي؟ فصمت أهل المجلس مدة ولم يجبه أحد، وظلوا ينظرون إلى بعضهم ويتبسمون في وجوه بعضهم تعجباً أو سخرية، إلى أن قام علي بن أبي طالب بجرأة الشباب وقوته غير مبال بأحد، فتقدم بقدم صادقة وقال: أنا غلامك وخادمك يا رسول الله، ولو أنني لازلت طفلاً لا أصلح للخدمة.

فألقى النبي يده إلى عنق ذلك الشاب الصادق وجذبه إليه فاحتضنه وهو يقول بصوت عالٍ: هاكم فانظروا إلى أخي ووزيري ووصيي وخليفتي!

ولقد أضحكت جرأة وجسارة وتفاخر طفل كمثل علي في محفل كهذا قريشاً وأثارت استهزاءهم، فالتفتوا إلى أبي طالب وهم يقولون في سخرية: وأنت بالطبع تنتظر منا أن نركع في حضور ولدك ونقوم بتعظيمه.[1]

السابعة: النتائج والدلالات:

وقضية كهذه قياساتها معها، ونتائجها الباهرة طبق مقدماتها المتناصرة، تحمل دلالة قاطعة بأن ثمت موضوعاً خطيراً للغاية عقد له هذا المؤتمر البكر في صدر الدعوة، وأعتقد أن النتيجة اليقينية كما يلي:

---

(١) معرفة الإمام ١/٩٨ـ٩٩.

١ـ استخلاف الإمام علي عليه السلام على الأمة.

٢ـ إن هذه القضية حين تمت لم يكن يومذاك أي خلاف طائفي أو نزاع مذهبي، ولا سنة ولا شيعة.

٣ـ أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يعلن ومنذ البداية أن الإمامة يجب طرحها الآن حتى يكون الخليفة بعد الرسول معيناً معلوماً، فيؤمن من يؤمن ويسلم من يصدق بالنبي على الإيمان بتوحيد الله سبحانه، ونبوة رسوله، وإمامة علي ووصايته بعد النبي (عليهما وآلهما السلام)[1].

«كانت دعوة النبي إلى النبوة والإمامة في وقت واحد، ومجلس واحد، لأن الإسلام إنما يقوم بهما، والإيمان إنما يتم بالتمسك والاعتصام بحبلهما، ولا شك أن الله ـعز وجلـ هو الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله بإسناد الخلافة إلى الوصي، ذلك لأن الله تعالى تقدست أسماؤه قد أمر رسوله أن يصدع بما يؤمر، وقد صدع بذلك فبين لهم منزلة أخيه ليعرفوا حقه، وليعلموا أنه الخليفة بعده فلا يختلف الناس فيه»[2].

٤ـ ويدل دلالة جلية على أن نجم الخلافة سيلمع لو آذنت آنذاك شمس النبوة بالغروب.

«عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال: كنت قاعداً بعدما بايع الناس أبا بكر فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش فقال: يا بني عبد المطلب إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً وصياً وخليفة في أهله فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزيري

---

(١) مرجع الخلاف إلى الخلافة /٥١.
(٢) حياة أمير المؤمنين /٨٨.

ووصيي وخليفتي في أهلي؟ فلم يقم منكم أحد!!! فقال: يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن!!! فقام علي من بينكم فبايعه على ما شرطه له ودعاه إليه، أ تعلم هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم»[1].

الثامنة: بين التنصيص والعرض:

وربما يعرض لدى البعض سؤال عن التوفيق بين نظرية الإمامية في الإمامة، وعرض قضيتها على الملأ المجتمع، فكان من المحتمل أن يستجيب للاضطلاع بالأمر غير علي فهل يكون إماماً؟!

فالحق أنها محسومة سلفاً، وقد سبق في علم الله ومشيئته اختصاص علي بالإمامة دون سواه من العالمين، كما وقد سبق في الأزل أن لا مجيب إلاّ هو، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فاقتضت الحكمة الإلهية أن يتم الحسم على النحو الذي تم، وذلك أعذر في الحجة، وأعلى في المحجة، فلا يقولنَّ بعد ذلك قائل إنها المحاباة والترجيح دونما مرجح، هذا والأمر حديث، والأنانية تملأ النفوس، وفي العرض أيضاً تأليف القلوب وتطييب الخواطر، ولذا أعيد عليهم الطلب وكرر حتى أفصح الموقف عن محضه رغم تفاوت العمر وما تقتضيه طبيعة

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق ١/٨٩ـ٩٠.
أقول: وقد أورده العلامة الجليل الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والوصية ٣٣١) عن التأريخ الكبير وعلق عليه بقوله: هذا حديث عجيب ولعل الداعي لنقل هذا الحديث للعباس هو ما عرفه منه أنه يميل أن تكون له الخلافة فذكره بأنكم لم تقبلوه في أول الأمر فكيف ترغبون إليه هذا اليوم والنبي ﷺ أخبركم بأنها تخرج منكم وتندمون.
وأقول أيضاً: ولوازم المؤاخذة على أبي بكر في هذا الحديث كثيرة ظاهرة.

المجتمع والجمع من تصدي غير علي وإعلانه بتحمل المسؤولية والقيام بالمهمة.

وإن نظرة متأملة لكافة أطراف الحديث والحدث تقضي بأن علياً لا سواه هو المؤهل والمعد الأمثل لتلقي الزعامة الإلهية بعد زعيمها الأول.

وبعد

فهذه أولى أوليات الإمام، عرضت سريعاً لجملة من شؤونها وملابساتها وهي حرية بالبحث ودراسة النصوص واستخلاص النتائج، واستبانة جلال موقعها، ومدى انسجامها مع سوابقها ولواحقها في حياة الإمام العظيم، مما يعني اصطفاء الله لوليه اصطفاءه لنبيه، واللطف بهما بفيوضه ومواهبه، واصطناعهما لنفسه وعلى عينه[1].

والطبري يروي حديثاً طريفاً نختصره بما يلي: أن رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي: هاؤم! ثلاث مرات، حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم، ثم قال: ـ فحدثهم الإمام بحديث الدار والإنذار ـ فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد فقمت إليه ـ وكنت أصغر القوم ـ فقال: اجلس، ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول لي: اجلس، حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي، فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي[2].

ولا يعدم هذا الحديث المناسبة والانسجام مع حديث محاورة أبي بكر والعباس ترتبط بالمقام وقد سبق ذكرها.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۞ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ سورة طه ٣٩، ٤٠ـ٤١.

(٢) تأريخ الطبري ١/٣٢١ـ٣٢٢.

وأعتقد جازماً أن ذلكم الحدث مفرداً يقوم على الإمامة دليلاً، وعلى الخلافة برهاناً، وعلى الكمال والامتياز عنواناً، لو سلمت العقول والنفوس من الزيغ والرين، ولم يعكر صفاء الحقائق وجلاءها وجلالها تكدير.

والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الموقف الثاني: ابتداء المناصرة والمؤازرة:

ومن اللافت حقاً في نصوص حديث المؤتمر الأول يوم الدار أن يطلب النبي ﷺ المؤازرة والمناصرة على أمره وينفرد علي بالتعهد ويرضى به النبي آنذاك منجداً ومدافعاً حامياً، وما كان بمقتضى طبيعة الأمور- أن يزج بغلام في غمار الأحداث ويسلم للمستقبل المجهول، تتقاذفه أمواجه ولا يدري على مَ ينتهي إليه أمره، وما كان لمثل رسول الله المصطفى أن ينبسط للقبول ويركن إلى عزمة غلام يتخذه عضداً ويعتمده مشاركاً.

أجل للشؤون العامة حساباتها ومعادلاتها، ولمحمد وعلي شأن خاص في أمرهما، وهو ما تولت السماء رعايته وتدبيره ودلت المواقف على موطن الرعاية وحكمة التدبير، فقد ضرب علي أروع التضحية والفداء لمن اتحدت روحه بروحه ونفسه بنفسه، حتى آثره على ذاته فلم يكن عند تفاقم الشدائد وغلواء المحن نظير لابن أبي طالب في مؤازرة النبي ونصرته.

وقد صَدَّقَت الأقوالَ الأفعالُ أيام محنة الدعوة في مكة، فكان حديث ذلك ما جاء عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي عليه السلام: يا قضم، قال إن رسول الله ﷺ كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، وشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله ﷺ كعادتهم،

فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمي لذلك القُضَم[1].

وقد ذكر السيد الأمين الحديث وذيله بهذه الأبيات من قصيدته العلوية:

أَبُوكَ حَمَى الهَادِي فأَصْبَحَ جَهْدُهُمْ ... بصِبْيَانِهِمْ بالمُصْطَفَى أَنْ يُغْرُوا
حَمَلْتَ على صِبْيَانِهِمْ فقَضَمْتَهُمْ ... فَعَادُوا إلى الأَهْلِيْنَ بَاكِينَ قد فَرُّوا
لِذَلِكَ سَمَّوْكَ القَضِيمَ وإِنَّمَا ... لأَعْنَاقِهِمْ مِنْ حَدِّ صَارِمِكَ البَتْرُ[2]

وشاطر علي أباه في حماية رسول الله في تلك الفترة العصيبة من حياة الدعوة،

ولولا أَبُو طَالِبٍ وابْنُهُ ... لَمَا مَثُلَ الدِّيْنُ شَخْصَاً فقَامَا

وسجل التأريخ علياً صورة نادرة لنصرة الحق والاستماتة في سبيله عن منطلق قويم وإعداد إلهي لبطل يأتي تالياً لنبيه العظيم فلا غرو لو انصهرت ذاته بذاته فاتحدتا.

الموقف الثالث: ليالي الشعب الرهيبة:

وتضيق قريش الخناق على الدعوة والداعي ومن تقرب إليه من بني هاشم ـ وإن لم يكن به من المؤمنين ـ فحصرهم وأحكمت صحيفة مقاطعتهم وأخافتهم وأرادت قتل محمد.

---

(١) بحار الأنوار ٢٠/٥٢، وأشار المعلق إلى الاختلاف في ضبط الكلمة، وأورد حديث طلحة مع الإمام ٣٥/٦٠.
(٢) أعيان الشيعة ١/٣٧٢ـ٣٧٣.

وللمواقف أبطالها وللصعاب رجالها، فإذا البطولة تتجلى بأروع صورها في أبي طالب العم المحامي ونجله علي الولي الناصر والأخ المؤازر.

فأبو طالب عليه السلام يحيط النبي الأكرم بأتم الرعاية، يهدد الأعداء ويتوعد الأقرباء: "لئن شاكت محمداً شوكة لآتين عليكم يا بني هاشم"، وينفخ فيهم روح النصرة والمفاداة، ويفخر بهم مدافعين عن حبيبه محمد، ويحصن الشعب ويحرسه ليلاً ونهاراً.

أَرَادُوا قَتْلَ أَحْمَدَ ظَالِمِيْهِ ... ولَيْسَ لِقَتْلِهِ فِيْهِمْ زَعِيْمُ
ودُوْنَ محمدٍ فِتْيَانُ قَوْمٍ ... هُمُ العِرْنِيْنُ والعُضْوُ الصَّمِيْمُ[1]

فَأَمْسَى ابنُ عبد اللهِ فينا مُصَدَّقًا ... على سَاخِطٍ مِنْ قومِنا غيرِ معتبِ
فلا تَحْسَبُونا خَاذِلِينَ محمداً ... لدى غرةٍ منا ولا متقربِ
سَتَمْنَعُهُ منا يدٌ هاشميةٌ ... ومركبُها في الناسِ أحسنُ مركبِ
فلا والذي تخذى له كلُّ نضوةٍ ... طليحٍ بجنبي نخلةٍ فالمُحَصَّبِ
يميناً صدَقْنا اللهَ فيها ولم نَكُنْ ... لِنَحْلِفَ بُطْلاً بالعتيقِ المحجبِ
نفارقُهُ حتى نُصَرَّعَ حولَهُ ... وما بالُ تكذيبِ النبيِّ المُقَرَّبِ[2]

وما كان تقديسه للرسالة والرسول وإيمانه العميق بهما ليقف عند حد، بل بذل في سبيلهما أنفس ما يوجد، فقد فداهما بابنه علي: "وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع علياً مكانه ووكل عليه ولده وولد أخيه، فقال علي عليه السلام: يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة، فقال أبو طالب:

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٩٢/٩٣.
(٢) بحار الأنوار ٣٥/٩٢/٩٣.

اصبِرَنْ يا بُنَـيَّ فالصَّـبْرُ أَحْجَـى ... كـلُّ حـيٍّ مَصِـيْرُهُ لِشـعوبِ
قـد بلونـاكَ والـبلاءُ شـديدٌ ... لفـداءِ الحبيـبِ وابـنِ الحبيـبِ
لفـداءِ الأعـزِّ ذي الحَسَـبِ الثـا ... قبِ والباعِ والفنـاءِ الرحيـبِ»[1]

وأما البطل علي فهـو العـالم بمهمتـه والقـائم بـدوره والفـتى الناصـر والعضد المؤازر، وقد امتلأ غبطة بالتوفيق السديد وجميل الانتقاء الرشيد، إذ أقامه أبوه لهذا الأمر العظيم فوافق الوضع الطبع.

ولعل تناجياً بين الوصي وأبي الوصي تم على هديه سبيل الحفاظ على النبي الأكرم، فأبو طالب بعميق إيمانـه وفـيض وجدانـه وتفانيـه في النصـرة، وعلي بشـأنه الـذي لم يُسْـبَقْ ولم يُلْحَـقْ في الـذوبان والالتحـام، لا تنسـجم ممارساتهما إلا بما يليق بدورهما ومقامهما.

فماذا يعني انتقاء الوالد لهذا الولد بالـذات وعلـى امتـداد فتـرة المحنـة والمعاناة؟! وماذا تعني الاستجابة الدائمة وبذل النفس وتعريضها للقتل كـل ليلة والانقياد بطواعية إلى فـراش المنيـة فيرقـد مطمـئن القلـب مرتاحـاً إلى المصير؟! نعم ليس للمهمات إلا رجالها ولا للعظائم إلا أكفاؤها.

واقرأ تلكم الروح وهاتيك الذات في جوابه لأبيه:

أَ تـأمرُني بالصـبرِ في نصـرِ أحمـدٍ ... فواللهِ ما قلتُ الذي قلتُ جَازِعَـا
ولكنني أحببتُ أَنْ تـرى نُصْـرَتي ... وتعلـمَ أني لَـمْ أَزَلْ لـكَ طَائِعـا
وسعيي لوجهِ اللهِ في نصـرِ أحمـدٍ ... نبيِّ الهدى المحمودِ طفلاً ويافِعَـا[2]

ومقام علي في المفاداة وبذل المهجة أرفع ـ وإن كان مقـام أبيـه شـامخاً ـ

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/٩٢/٩٣.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٤/٦٤.

والجود بالنفس أبلغ.

ولم تقتصر التضحية بتعريض النفس للقتل تلكم الليالي الكثار، بل كما يقول أبو جعفر الإسكافي: وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب، وصاحب الخلوات برسول الله ﷺ في تلكم الظلمات، المتجرع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما، والمصطلى لكل مكروه، والشريك لنبيه في كل أذى، فقد نهض بالحمل الثقيل، وبان بالأمر الجليل، ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب يخفي نفسه ويضائل شخصه حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عديٍّ وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح، وهو علي أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره، لو ظفروا به لأراقوا دمه، أ عليٌّ كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب، أم أبو بكر؟ فمن الذي خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد ﷺ إلا عليٌّ عليه السلام وحده! وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة، من تقصي معانيها، وبلوغ غاية كنهها، وفضيلة الصابر عندها! ودامت المحنة عليهم ثلاث سنين...[1]

الموقف الرابع: ليلة المبيت العصيبة:

واستفحل الخطب واشتد البلاء فقد مات العماد الناصر وماتت خديجة وهي دعامة في حياة النبي لحقيقة إخلاصها وسعة بذلها وتفانيها في حب بعلها النبي الأعظم فسمى النبي سنة ارتحالهما إلى الرفيق الأعلى (عام الحزن)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣/٢٥٤ ملخصاً.

(٢) بحار الأنوار ١٩/٢٥، وجاء في تأريخ اليعقوبي ٢/٣٥: وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام، ولما قيل لرسول الله إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال:

«لما توفي أبو طالب رضي الله عنه نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد اخرج من مكة فليس لك بها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

«وأقبل رسول الله حتى دخل المسجد ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمد وحده وقد مات ناصره فشأنكم به»[٢].

وقد تولى الله إظهار دينه ونصرة رسوله وكفل له ذلك، فجاء تدبيره ـ وهو الحكيم الخبير ـ يتمثل في أمرين عظيمين ودورين خطيرين: فمحمد النبي يهاجر إلى المدينة، وعلي الوصي يملأ مكانه في مكة.

ولا يتسع المقام للتبسط في المقال فشجونه جمة وملابساته عديدة مهمة، تستوعب أطرافه وجهاته كتاباً مفرداً.

ولكني ملمٌّ بما يلقي ظلالاً ويحكي صوراً آملاً أن تكون صادقة التعبير دقيقة التصوير.

فأولاً: نزول قرآن الله ومحكم آياته: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد﴾[٣].

مضافاً إلى قوله تعالى: ﴿وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

يا عم ربيت صغيراً وكفلت يتيماً ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً، وقال: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً. إلخ ملخصاً.

(١) بحار الأنوار ١٩/١٤.

(٢) بحار الأنوار ١٩/٧.

(٣) سورة البقرة /٢٠٧.

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِين﴾[١].

وكان أبو عمرو بن العلا إذا قرأ الآية الأولى قال: كرَّم الله علياً عليه السلام فيه نزلت هذه الآية[٢].

وكان مظهر مكر الله وخير مكره على يد وليه ابن أبي طالب[٣].

وقال ابن طوطي مضمناً هذا المعنى:

ولَمَّا سَرَى الهادي النبيُّ مُهَاجِراً ... وقد مَكَرَ الأَعْدَاءُ واللهُ أَمْكَرُ
ونَامَ عليٌّ في الفراشِ بنفسِهِ ... وباتَ ربيطَ الجأشِ من كانَ يذعرُ
فوافوا بَيَاتاً والدجى مُتَقَوِّضٌ ... وقد لاحَ معروفٌ من الصبحِ أَشْقَرُ
فأَلْفَوا أبا شِبْلَيْنِ شاكي سلاحِهِ ... له ظَفَرٌ مِنْ صَائِكِ الدَّمِ أَحْمَرُ
فصَالَ عليٌّ بالحسامِ عليهِمُ ... كما في عرينٍ صالَ ليثٌ غَضَنْفَرُ
فولَّوا سِرَاعاً نَافِرِيْنَ كأَنَّمَا ... هُمُ حُمُرٌ مِنْ قَسْوَرِ الغَابِ تَنْفُرُ
فكانَ مَكَانَ المَكْرِ حَيْدَرَةُ الرِّضَا ... مِنَ اللهِ لَمَّا كانَ بالقَوْمِ يَمْكُرُ[٤]

وثانياً: إن النصوص الواردة في حديث المبيت جاوزت حد الاستفاضة ونأت عن التعداد، فهي من صنف المتواتر يقف عليها الباحث دون عناء في كافة مصادر الحديث والتفسير والسير، ولم يختلف ويتخلف في تدوينها مؤالف أو مخالف فهي من الحقائق الناصعة والحق الصراح، وكما يقول العلامة أبو جعفر: "لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش فلا فرق بينه وبين

---

(١) سورة الأنفال /٣٠.
(٢) بحار الأنوار ١٩/٥٥.
(٣) قال أبو جعفر: وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى: (ويمكر الله...) كناية عن علي عليه السلام. شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦٢. مستدرك الحاكم ٣/٥.
(٤) تحت راية الحق /١٧٤. والعرين: مخبأ الأسد.

ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة»[١].

ولولا ما قدمناه من عدم التبسط لأفضنا في نقل وفرة منه ـ وسيأتي نزر من ذلك ـ فإذا رمت الوقوف على الكم الجم فحسبك أن تسبر مصدراً واحداً توفر على استخراج تلكم النصوص من موارد شتى[٢].

وبعد.. فلنساير الحدث الفريد عبر آيته ورواياته ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) ومن ثم جاءت الحكاية عن ذلك بـ (وَمِنَ النَّاس) فهي تعني صنفاً مميزاً، كما أنه مقابل لصنف آخر ذكر قبل هذا الصنف وصف بالنفاق والسعي للفساد وإهلاك البلاد والعباد. و(يَشْرِي) تعني البيع هنا، وشأن البيع بذل البائع المبيع للمشتري وإقباضه إياه، و(نَفسَهُ) هو ذات المبيع، وبالطبع فهو أعز وأثمن ما يملكه المرء ويضحي بمتع الحياة في سبيله. و(ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ) فهي بالتعليل للبيع أليق وألصق منها بالعوض والثمن فالغرض من ذلك رضا الله لا الجنة ونعيمها بل و(رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ) وعلى غرار (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيْدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولا شُكُوراً) ولعل إضافة (ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ) إلى خصوص عَلَم الجلالة (الله) دون أسمائه الحسنى الأخرى تحمل دلالة دقيقة على أن الباذل لم يكن بإزاء ربوبية الله أو نعمه وأفضاله بل إنما هو له لذاته سبحانه. وواضح من نص الآية أنها حكاية الله عن بعض عباده أنهم كانوا هكذا يصنعون وهذا ديدنهم فالبيع على تلك الصفة منهم دائم متجدد لما يقتضيه سياق الآية ودلالة (يَشْرِي)[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦١ـ٢٦٢.

(٢) راجع مادة (بيت) من الموسوعة الكبرى (إحقاق الحق) ج٢٤، ولاحظ إحالته إلى ٣/٢٤ـ٣٣، ٦/٤٧٩ـ٤٨١، ٨/٣٣٤ـ٣٤٨، ١٨/٨٦ـ٩٢، ٢١/٢٨٦ـ٢٩٣.

(٣) مواهب الرحمن ٣/٢٣٧.

(واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد) فإن وجود إنسان هذه صفته من رأفة الله سبحانه بعباده إذ لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم ما ذكر من النفاق والإفساد لانهدمت أركان الدين ولم تستقر من بناء الصلاح والرشاد لَبِنة على لَبِنة، لكن الله سبحانه لا يزال يزهق ذاك الباطل بهذا الحق ويتدارك إفساد أعدائه بإصلاح أوليائه[1].

هذا وإن كانت الآية الكريمة صالحة للانطباق على كل ذات تحمل تلكم السمات إلا أن الشخصية الفريدة التي برهنت بصدق على تبوئها شامخ المقام ونزل في علو شأنها محكم التنزيل إنما هي ذات ذلكم الفتى المتمنطق بوشاح النصرة والمفاداة غلاماً وشاباً يافعاً، فموقعه ينبيء عنه وواقعه يدل عليه، وهل غير (علي) تُنَاطُ به المهمات وتُكْشَفُ به الكربات؟!

النقطة الثانية: والنصوص المتوافرة تجمع على حقائق مشتركة، وربما أجملت بعض صيغها وفصلت أخرى.

النص الأول: "وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيلُ عليه السلام فتلا هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِين﴾ فلما أخبره جبرئيل بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب لوقته، فقال له: يا علي إن الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفاً يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنه أوحى إليَّ عن ربي -عز وجل- أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي وأنه آمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي، أو قال: مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي عليه السلام أَوَ تسلمنَّ بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما

---

(١) الميزان ٢/٩٨.

أنبأه به رسول الله ﷺ من سلامته فكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول ﷺ فلما رفع رأسه قال له: امض لما أمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلا بالله، قال: فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي ﷺ إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى علي عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله ﷺ ... فلما خلق الليل وانقطع الأثر أقبل القوم على علي عليه السلام قذفاً بالحجارة فلا يشكون أنه رسول الله ﷺ حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح هجموا على علي عليه السلام فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بما يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة وثب به علي عليه السلام فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر وإذا له رغاء»[1].

دلائل الحديث:

١ـ إن القضية مشمولة برعاية الله وجميل عنايته، وكيف لا وهي قضية النبوة والإمامة؟! فحق لهما أن تحوطهما الألطاف الإلهية.

وفي حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليَّ بيتي فلما أصبح أقبل عليَّ وقال: ابشري يا أم هانئ، فهذا جبرئيل يخبرني أن الله ـعز وجلـ قد أنجى علياً عليه السلام من عدوه[2].

٢ـ إيقاف النبي الوصي على سر الله وتدبيره، وذلك يعني مشاركة

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٦٠ـ٦٢.

(٢) بحار الأنوار ١٩/٥٧.

علي للنبي في الاضطلاع بالمهمة.

٣ـ كفاءة الإمام دون سواه، وإلا لما أُشْرِكَ في الأمر وعُهِدَت إليه المفاداة.

٤ـ الهاجس الأعظم والهم الأكبر لدى علي الحفاظ على سلامة النبي فهي كل شيء لديه.

٥ـ الرضا المطلق والانشراح لتحقق الغاية الكبرى على يديه بتقديم روحه قرباناً تسلم به الرسالة والرسول.

٦ـ اعتداد ذلك نعمة عظمى تستوجب الشكر، وتتمثل فيها عبادة خص بها فيسجد لها شكراً وتنضم إلى لداتها من أولياته فهو أبو الأوليات في كل مأثرة نادرة ومنقبة رابية، فهو السابق إلى كل فضيلة ولا يسبقه أحد إلا من شرفه الله بنبوته وحمل رسالته.

٧ـ الفورية في الامتثال والمبادرة والارتياح إلى القيام بالمسؤولية دونما حاجة إلى معاودة فكر أو مشورة أو إحالة، وكما يقول الشيخ أبو جعفر الإسكافي: «وقد كان لعلي أن يعتل بعلة، وأن يقف ويقول: يا رسول الله أكون معك أحميك من العدو وأذب بسيفي عنك فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك، قائماً مقامك يتوهم القوم ـبرؤيته نائماً في بردكـ أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك، فلم يقل ذلك، ولا تحبس ولا توقف ولا تلعثم، وذلك لعلم كل واحد منهما عليهما السلام أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة، ولا يتورط هذه الهلكة، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها والفوز بفضيلتها وله من جنس ذلك أفعال كثيرة»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦٠ـ٢٦١.

في وضع مفعم بالحنان وفيض من الوجدان وفناء صادق الذوبان وانقطاع إلى المولى المنعم عليه لتوفيقه لما يحبه ويرضاه.

٨ـ وهاهو علي يحكي محمداً يرقد على فراشه ويتشح ببرده ويسد فراغه بنفسه.

٩ـ وإنه (الوسام الإلهي) ومن الدرجة الأعلى حيث الابتلاء يتكافأ وقدر الإيمان والمنزلة من دين الله.

وقد حاول المغرضون تحريف الكلم عن موضعه فجدوا في تشويه الحقائق وعمدوا إلى الاختلاق ليغيروا مجرى التأريخ الحق، فهذا معاوية يعبث بأقدس المقدسات فيساوم على ذلك سمرة بن جندب «قال أبو جعفر الإسكافي: وقد روى أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك»[1].

١٠ـ وتلك سنة الخالق في خلقه فأعظمهم مقاماً أشدهم بلاء، وهنا تمتلك الرقة قلب النبي فإنه المتلظي بعنف قريش وإيذاء أشقيائهم وهاهو يغادرهم بشخصه ولكنه يُسَلِّمُ حبيبَه ونفسَه إلى أولئك العتاة القساة يفرغون عليه من حقدهم وبطشهم ما يقوون في ساعة حاسمة لا تنتهي إلا بتبدد دمه وذهاب روحه.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/٧٣.

١١ـ ولئن أشبهت محنة علي محنة الأنبياء، ولكن شتان بين من يسلم إلى أشد الأعداء وبين من تمسك به يدا عظيم من الرحماء.

١٢ـ وما كان علي بحاجة إلى تسلية وتصبير فقد وطن راغباً صادقاً نفسه على لقاء الله ولكنه عظيم الخطب وشديد المحنة وبليغ البلاء.

١٣ـ وتبادلا عواطفهما الخاصة فيلتقي القلبان وتتعانق الروحان وتفيض العينان دمعاً، فكلاهما لا يطيقان افتراقاً ولا يتجرعان ابتعاداً، فعلي لمحمد ظله، ومحمد لعلي كله، ولا بد لمقادير الله أن تجري فالمقام والمبيت لعلي، والهجرة لمحمد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

النص الثاني: «وروى الثعلبي في تفسيره قال: لما أراد النبي ﷺ الهجرة خلَّفَ علياً عليه السلام لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، وقال له يا علي: اتشح ببردي الحضرمي، ثم نم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ما أمره، فأوحى ـعز وجلـ إلى جبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله ـعز وجلـ إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب، يباهي الله بك ملائكته، فأنزل الله ـعز وجلـ على رسوله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ) الآية»[1].

ونقف في هذا الحديث على دلائل أخرى مهمة:

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٨٦.

فمنها: إجلال الله لهذا الحدث الفذ، وأنه النموذج الأكمل للأخوة المخلصة.

ومنها: عقد الأخوة بين عظيمين من أجلاء ملائكته الكرام في السماء.

ومنها: امتياز علي على سيدين من ملائكة السماء ببذل نفسه في سبيل أخيه.

ومنها: صدور الأمر الإلهي بنزول الملكين لا لوحي قرآني ولا لشأن يخص الرسالة والرسول وإنما لحراسة علي وحفظه، فقد كان في حراسة أخيه فكافأه الله بإهباطهما لصيانته، وكما يقول السيد محمد صادق الصدر: «ولكن الله -عز شأنه- لما رأى إخلاصه واطلع على عظيم بلائه أراد مكافأته على ذلك بأن أرسل له الملكين المقربين يحرسانه ويحفظانه من عدوه، وهكذا حفظ الله محمداً بعلي وحفظ علياً لمحمد ينصره ويؤيده ويذود عنه»[1].

ومنها: أن حامل وحي الله الأمين جبرئيل يقوم عند رأسه وأما ميكائيل فعند رجليه فهما في خدمته -صلوات الله وسلامه عليه- حتى أنجز المهمة.

ومنها: أن الإعجاب قد تملك جبرئيل فحديث مفاداته ملأ السماء وقد أحاطت به خبراً كيف لا وهم يرون أن الله يباهلهم به وقد علموا أن من ساداهم من لم يؤثر أخاه بمدة من الحياة لا ببذل النفس والمفاداة.

النص الثالث: وروى أخطب خوارزم حديثاً يرفعه بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل عليَّ جبرئيل صبيحة الغار، فقلت: حبيبي جبرئيل أراك فرحاً، فقال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرَّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك علي بن أبي طالب عليه السلام

---

(١) حياة أمير المؤمنين /١٠٨.

فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتي! انظروا إلى حجتي في أرضي بعد نبيي وقد بذل نفسه وعفر خده في التراب تواضعاً لعظمتي، أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريتي»[1].

ونقف في هذا على مبلغ سرور الملائكة ومدى إعجابها ببلاء البطل العظيم -والملائكة الكرام يعنيها رصد أفعال الخلق- وحق لها أن تعجب وتقر منها العيون بعد أن أشاد به من علم من عبده صدق عبوديته وخلوصها وأنها تبوأت الرتبة الأولى حيث تمحضت غايتها في مرضاة الله ولم يرد بها سوى وجهه الكريم، فلا غرو لو تَوَّجَهُ بتاج الكرامة فهو حجته في أرضه بعد نبيه فهذا النبي وذاك الإمام ومولى البرية.

النقطة الثالثة: إضاءات وعطاءات:

ونكتفي من النصوص بما ورد، ونيمم شطر دلائل هذا الحدث المميز في ذاته والفذ في بطله.

وربما تكرر وتداخل حديث سابق في لاحق لداع يوجب ذلك وأعرض نماذج من تلكم الإضاءات والعطاءات والملابسات.

الأنموذج الأول: إن النبي والوصي تشاطرا المهمة واقتسما القضية أداءً، الرسالة الإلهية العظمى، والإمامة الربانية الكبرى.

فمحمد يقول ويفعل مسدداً من باعثه ومرسله، فكما أُمِرَ بالخروج والهجرة من مكة فقد أُمِرَ بإنابة علي منابه وقيامه بشؤونه، فلم يطلع على سره أحداً ولم يدعُ فرداً، وما ذاك إلا أن الموازين لا تنضبط إلا بذلك.

وبكلمة: إن اختيار علي وتعيينه من الله يعني تأهله وتأهيله لكل ما

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٨٧.

يقضيه الموقف من علم وإيمان وشجاعة وصبر وحكمة.

وعلي من واقع علمه بمسؤوليته وموقعه في دين الله ورسالة رسوله لا يمكن له أن يفعل إلا ما فعل فدين الله أولى بالبقاء، ورسول الله أولى بالحفظ والرعاية ولا بد لمقادير الله أن تمضي وهذا طريقها.

«وإن كان النبي ﷺ قد خرج من مكة مهاجراً خائفاً على نفسه وخلف علياً على فراشه ليموت بدلاً عنه فمعنى ذلك أن المبدأ المقدس هو الذي كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما وإذا كان لابد للقضية الإلهية من شخص تظهر به وآخر يموت في سبيلها فيلزم أن يبقى رجلها الأول لتحيى به ويقدم رجلها الثاني نفسه قرباناً لتحيى به أيضاً»[1].

الأنموذج الثاني: وقد جاء في النص الأول المقارنة بين محنة الرسول الأعظم والخليل المكرم، وقد ذكر العلماء التفاوت بين المحنتين بأن النبي محمداً ﷺ سلم خليله وصفيه طعمة للسيوف ونهبة للرماح وغرضاً للحجارة من حاقدين طغام وأوباش لئام، وأما النبي إبراهيم عليه السلام فقد كان الأب الرحيم والقلب الرؤوف.

قال الشيخ أبو جعفر الإسكافي: «قال علماء المسلمين: إن فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح، ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا: إن محنة علي أعظم، لأنه قد روي أن إسحاق تلكأ لما أمره أن يضطجع وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ولذلك قال له: فانظر ماذا ترى، وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك لأنه ما تلكأ ولا تتعتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه»[2].

---

(١) فدك في التأريخ /٧٤ـ٧٥.

(٢) لاحظ (الإقبال) /٧١ـ٧٤، فإنه قد ذكر جملة من دلائل المبيت ومنها ما يتعلق بهذه

أقول: ولعلنا نفهم من خلال تكافؤ البلاء ومقام المبتلى بأن خطب النبي أفجع ورزءه أوجع فالمبتلى سيد الخلق على الإطلاق والمبتلى به نفسه وروحه فهو تاليه في الرتبة، فما ذكره الشيخ أبو جعفر قائم على مسلكهم في التفاضل، وأما من حيث النظر إلى فداحة الخطب فنحن وإياهم متفقون، كما أن الاختلاف واقع في أن الذبيح إسحاق أم إسماعيل.

وبعد.. «فقد اكتفى الله من إسماعيل بالطاعة، ومن إبراهيم بالإقدام على الذبح، واعتبر أن الرؤيا قد صدقت ذلك، وأما علي فقد رمى بنفسه بين أحضان الأعداء وهو يعلم أنهم جاؤوا للفتك برسول الله وأنهم مصممون على أن يضربوه ضربة رجل واحد... فهم إما أن يضربوه ظانين أنه رسول الله أو يقتلوه انتقاماً منه حيث كان سبباً لخلاص من سفه أحلامهم وعاب آلهتهم وفرق جماعتهم، وهم يعرفون أيضاً حب النبي له ومنزلته منه فإذا قتلوه فإنما يقتلون أخاه وابن عمه والرجل المخلص الذي يفديه بنفسه»[1].

الأنموذج الثالث: المبيت والغار:

وليس من القصد تحليل الموقفين ولا تفاوت النفسيتين في الاطمئنان المطلق والجزع المطبق ولكنني مكتفٍ بهذين الخبرين:

أ- «عن مجاهد قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول الله ﷺ في الغار فقال عبد الله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من علي بن أبي طالب

النقطة، وكذلك يراجع (شرح نهج البلاغة) ١٣/٢٦٠، في الفصل الممتع الذي نقل فيه ردود الشيخ أبو جعفر الإسكافي على الجاحظ في كتابه (العثمانية) مع التأمل في بعض ما رأى نظراً لاختلاف منطلق الرأي والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) حياة أمير المؤمنين /١٠٨.

حيث نام في مكانه وهو يرى أنه يقتل؟ فسكتت ولم تحر جواباً»[١].

ب- روي أن ابن الكوّا قال لعلي عليه السلام أين كنت حيث ذكر الله أبا بكر فقال: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَار)؟ فقال عليه السلام: ويلك يابن الكوّا كنت على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وقد طرح عليَّ ريطته، فأقبل قريش مع كل رجل منهم هراوة فيها شوكها، فلم يبصروا رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبلوا عليَّ يضربوني حتى ينفط جسدي وأوثقوني بالحديد...»[٢].

ج- قال ابن العماد وغيره: «... فعمدت غالية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير الغار، وجعلوه بعد ثمانية أيام من يوم الغدير، وهو السادس والعشرون من ذي الحجة، وزعموا: أن النبي صلى الله عليه وآله وأبا بكر اختفيا حينئذ في الغار وهذا جهل وغلط، فإن أيام الغار إنما كانت بيقين في صفر وفي أول شهر ربيع الأول إلخ.

وقد كان عليه أن يقول: وهذا نصب وجهل قد أعمى بصائرهم...»[٣].

الأنموذج الرابع: البلاء المبين وضمان السلامة:

تحكي النصوص من الحديث والسيرة فيما تعرض له الإمام من أذى ليلة مبيته على ما يتراءى منه التنافي في باديء النظر، فهل ناله منهم مكروه؟ وهل كانت سلامته مضمونة لرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إنه لن يصل إليك منهم ما تكره؟ ونحوها من المطمئنات، وهل ثار في وجههم وقاومهم

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٥٦.

(٢) بحار الأنوار ١٩/٧٦.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢/٢٨٩، وكان صدر الكلام في انتقاد ابن العماد وغيره ما يقوم به الشيعة في عاشوراء من مراسم الحزن والغدير من مظاهر الأعياد.

وأوثقوه ثم حبسوه وبعدها أطلقوه؟

كل هذا ونظيره يقف عليه الباحث، ويقف على تفاعل بعضهم تجاه الحدث وتقييمه له والانطباع حول الإمام من خلاله حتى قلل شرذمة من جلاله.

و(فذلكة) الأمر كما أحسب تتمحور في هذه العناصر موجزة فمشروحة:

١ـ عناية الله وكلاءته لوليه.

٢ـ تفاني ولي الله في قيامه بمهمته.

٣ـ سير الأحداث وطبيعة القضايا.

٤ـ لا تنافي بين ضمان السلامة وجلالة الموقف.

والعنصر الأول ركيزة قويمة كما أعتقد، فالإمامية يعتقدون بأن علياً يمثل الجوهرة الأولى من عقد الإمامة الإلهية فهو الإمام الأول والد الأئمة، وإذا أراد الله إتمام أمره وإحكام تدبيره فلا بد من صونه وليه، كما تولى ـتبارك وتعالىـ حفظ أنبيائه ورسله.

وهذا مفترق في البحث والمنهج بين من يتبنى هذه النظرية وبين من يخالفها. إذن فلنا أن نقول إن الله ـسبحانهـ أوفى بما ألزم به ذاته المقدسة واقتضته حكمة اللطف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾.

والعنصر الثاني يمثل توجه علي في ذاته، وتعلقه ببيع نفسه لله وطلب مرضاته وصموده للموت ـتركتُ الخلقَ طُرّاً في هَوَاكَـ فهو يجسد خالص العبودية والتسليم المطلق، وقمة المفاداة، وسواء عليه وقع على الموت أم

الموت وقع عليه، فلم يخطر خاطر طلب السلامة ولم يتدرع بموقيات الإضرار بل انبسط وانشرح، فإن موته -في سبيل الله وحفظ رسوله- حياة، وما ذلك من ابن أبي طالب بغريب، أ لم يسبق له ليالي الشعب الطوال التقلب في أحضان المنايا ومفاجآت الحتوف؟! وما عهدنا منه ببعيد. إذن فعلي أدى وظيفته على أكمل الوجوه وأسمى ما يتصور من المستويات.

والعنصر الثالث يقضي أن قريشاً كانت تعيش فورة الأحقاد وشدة غليان الضغائن، والساعة الحاسمة، والحنق يمنعها القرار وقد أحكمت فيما تظن التدبير وقبضة التدمير، احتشد الطغام وتحلقوا حول ماحق كفرهم وساحق كبريائهم يرمقونه بعيونهم وعدة الفتك بأيديهم تدور حيثما دارت، يرقبون حركته متعجلين الانقضاض والوقيعة لا تثبت لهم قدم، غمهم وعمهم القلق لا يملكون رشدهم فيطيشون فيقذفون خصمهم بالحجارة لتأخذ منه مأخذها على غرة منه في مرقده وليجد بعد انتباهه مرعوباً حرارة السيوف بعد أن آلمه رضخ الحجارة.

أجل أفرغت قريش كوامن الأحقاد على من بات ليله خادعهم وهم يظنونه محمداً فانتظارهم هباء، وعدهم وعديدهم هباء، وقد أسقط ما في أيديهم وضلت حيلتهم فهم الأخسرون أعمالاً.

ومن الطبيعي أن لا تخمد فورة الغضب سريعا، بعد المفاجأة المخيبة المخجلة، بل من شأنها أن تضرى ومن شأن حقدها أن لا يخف إلا بالتنفيس عنه بالنكاية والفتك.

وبمقتضى ذلك تنطلق ألسنتهم بما يليق بذواقم وتمتد أيديهم فتضرب وتحبس (كما جاء في جملة من النصوص).

وعلي البطل سيدافع عن نفسه ويرد العادية ما وجد إلى ذلك سبيلاً فهو الشجاع قلباً وقالباً وقد باغتوه وكاثروه وآذوه نائماً ويقظان، ولا يمكن

له الاستسلام.

والعنصر الرابع.. فأولاً ما معنى السلامة وأنه لا يصل إليه منهم مكروه؟ فإذا كان يعني الضمان من كل أذى فمنقوض بما علم من التأريخ من أنه ضرب ورمي بالحجارة وكان يتضور فأنكروا تضوره، وإذا كان بمعنى الموت والاستئصال فمعقول ومقبول ولا ينقص ذلك للموقف قدراً ولا لعلي شأناً، كما يرمي إلى الحط من شامخ مقامه ذوو النصب والشحناء، فتوطين النفس على تلقي ضربات السيوف ورضخ الحجارة، وفعلها إراقة الدماء وقطع الأعضاء وتبضيعها، وربما كانت إصابات مقعدة تشل الحركة، كل هذا في غاية التضحية وقمة المفاداة وتحمل الأذى وإن ضمن لبطلها السلامة من الموت.

ولو صحت لشانئي (عَلِيٍّ) وباخسيه حقه مقالتُهم لذهب جهادُ سيد أنبيائه ورسله سدىً، وبلاؤُهُ هباء، لوعد الله له بإظهار دينه ونصره على عدوه في مواطن عدة (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والَّذِيْنَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُّنْيَا) فهل يجرؤ مسلم فيقول: مادامت السلامة من الموت مضمونة من الله لرسوله فلا ثواب لجهاده ولا شأن لبذله النفس والنفيس في ذلك؟!

على أن هؤلاء يغفلون أو يتغافلون أن الله الذي خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً هو الذي عجب لفعل علي العظيم وحكاه قرآناً يتلى معبراً عنه بأنه (يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ) فعلي هو البائع والله الأعلى هو المشتري، فلو لم يكن لصنعه الموقع الأرفع والثواب الأجزل لما امتدح بهذا المدح وكُلِّلَ بتاج الثناء.

على أن البعض ينكر بشدة ورود الضمان من وصول المكروه وأنه من

التحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها[١].

الأنموذج الخامس: المبيت إشارة للإمامة والاستخلاف:

قال عبد الكريم الخطيب: «خاطرة! وهذا الذي كان من علي في ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للإمام علي في حياته بعد تلك الليلة، فإنه يرفع لعيني الناظر أمارات واضحة وإشارات دالة على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن أمراً عارضاً بالإضافة إلى علي، بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها! فلنا أن نسأل: أكان لإلباس الرسول ﷺ شخصيته لعلي تلك الليلة ما يوحي بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين علي أكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينهما؟ وهل لنا أن نستشف من ذلك أنه إذا غاب شخص الرسول كان علياً[٢] هو الشخصية المهيأة لأن تخلفه وتمثل شخصه وتقوم مقامه؟

وأحسب أن أحداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرتنا هذه إليه، ولم يقف عنده وقفتنا تلك، حتى شيعة علي والمبالغين في التشيع له! فإنا لا نراهم يلتفتون كثيراً إلى هذه الواقعة... وأحسب كذلك أننا لم نتعسف كثيراً حين نظرنا إلى علي وهو في برد الرسول وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه- فقلنا هذا خلف رسول الله والقائم مقامه».

ثم قال بعد كلام طويل: «ألا يبدو لنا من هذه الموافقات ما نستشف منه أن لعلي شأناً في رسالة الرسول ودوراً في دعوة الإسلام ليس لأحد غيره من صحابة الرسول؟»[٣].

---

(١) لاحظ شرح نهج البلاغة ١٣/٢٦٣.

(٢) كذا. والصحيح: عليٌّ.

(٣) علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة /١٠٥-١٠٧.

أقول:

ـمع تقديري لخاطرة الأستاذ الخطيب ـ إن شيعة علي لعلى بينة من أمر الإمامة وأن صاحبها الحق هو أمير المؤمنين علي عليه السلام سواء صدر منه هذا الصنيع العجاب ونحوه أم لم يصدر، فالإمامة مقام إلهي يضعه الله حيث يشاء وقد شاء علياً للإمامة، وشاء محمداً للنبوة والرسالة، هذا أولاً.

وثانياً: إن الناظر في كتب الإمامية والواقف على تحقيق مؤلفيها في هذا المجال ونحوه يرى إشارتهم إلى ذلك، وإن لم يقفوا عندها طويلاً ويركزوا عليها دليلاً، فلما مر آنفاً من المفروغية عن ذلك بعد أن تآزرت الأدلة والبراهين فأخذت بالأعناق.

وثالثاً: إن حديث (الإنذار يوم الدار) وهو سابق لحديث المبيت بعمر من الدهر يحمل الدلالة على الإمامة كما مر حديثاً في بحثه الخاص به ونقلته عما كتبته قديماً في هذا المجال وقبل أن أقف على خاطرة الأستاذ الخطيب.

ورابعاً: وقد ختم الخطيب خاطرته بقوله نصاً: «وبعد، فهذه خطرات، لا نحسبها على تلك القضية، ولا ندخل بها فيها، ولا نضيفها إلى حساب علي رضي الله عنه ولا نأخذ بها فيما نأخذ به من مرويات التأريخ عنه، إنها ليست حقائق يمكن أن تقبض منها اليد على شيء، ولكنها خفقات قلب تهيجه الذكريات لموقف من تلك المواقف الخالدة، فيخشع لجلالها، وينتشي بروعتها!»[1].

أقول: هل هو رجوع وتراجع؟! أما كان لهذه الخاطرة التي فخر بها، وعجب لها غيره وأطروه عليها[2] من شأن تملي عليه إجالة الفكر وضمها

---

(١) علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة /١٠٥ـ١٠٧.

(٢) كالشيخ محمد جواد مغنية، والسيد جعفر مرتضى، وقد صدر السيد النقل بنقد

إلى لدات كثر من فضائل مميزة تتعانق فيستقر عنده الرأي فيحكم بما يقضي به الوجدان والبرهان، أم الخشية من الولوج في غمار المعترك ووطيس الميدان؟!(١).

في رحاب الشعر:

وبعد.. فأعظم به حدثاً أكبرته السماء فأوحت فيه قرآناً يتلى، ومجده المصطفى فأفاض فيه أحاديث تترى.

فلا غرو لو هامت في بديعه قرائح الشعراء، وسكبت قوافيها عسجداً وتبراً، وهل للمعاني الكبار والدرر الفرائد غير أعيان الشعراء ناظم وعاقد على اختلاف ولائهم وانتمائهم وإنما (الحق ينطق منصفاً وعنيداً).

وخير ما نتيمن بتصديره قول بطل الموقف، فكلام الأمير أمير الكلام:

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطَأَ الثَّرَى ... ومَنْ طَافَ بالبيتِ العَتِيْقِ وبالحِجْرِ
محمدَ لما خافَ أن يمكُرُوا بهِ ... فوقَّاهُ ربي ذو الجلالِ مِنَ المَكْرِ
وبِتُّ أُرَاعِيهم متى ينشرُونني ... وقد وُطِّنَتْ نفسي على القتلِ والأَسْرِ
وباتَ رسولُ اللهِ في الغارِ آمناً ... هناكَ وفي حفظِ الإلهِ وفي سِتْرِ

الخطيب بالنصب والعداء لعلي وشيعته. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢/٢٤٣.

(١) وقد وقفت بعدما كتبت هذا على ما حرَّره المحقق السيد محمد مهدي الخرسان حول (خاطرة الخطيب) فأبدع فيما حقّق وحلّق فيما دقّق، على دأبه ـ شكر الله صنيعه ـ فيما عالج من عمق التفكير وطول الأناة وسعة النفس العلمي وإخلاص النية وسمو الهدف. فلتراجع خاطرته الشريفة في شرحه على (إمام البررة) ٣/٢٩٣ ـ ٣٠٢.

أقـامَ ثلاثـاً ثُـمَّ زُمَّـتْ قلائـصٌ قلائصُ يفرينَ الحصى أينما يفـري[١]

وقال ابن المعتز:

وفي ليلـةِ الغـارِ وقَّـى الـنبي عشـاءً إلى الفلـقِ الأشـهبِ
وبـاتَ ضـجيعاً بـهِ في الفـرا شِ مُوَطِّنَ نفسٍ على الأصعبِ[٢]

ولم يقصر الشعراء إشادتهم بالتضحية الفذة بل عقدوا مقارنة بين بطلها ورجال آخرين قصروا عن هذا الشأو، فيقول تميم الفاطمي:

كيـف تحـوون بـالأكفِّ مكانـاً لم تنـالوا رؤيـاهُ بالأبصـارِ
مَنْ توطَّى الفـراشَ يخلـفُ فيـهِ أحمداً وهـو نحـو يثـربَ سـاري
أيـنَ كـانَ العبـاسُ إذا ذاكَ مـن الهجرةِ أم في الفراشِ أم في الغارِ
أَ لكم مثل هـذه يـا بَنِـي العـ ـباسِ مـأثورةَ مـن الآثـارِ[٣]

ويقول ابن أبي الحديد في رائعة من روائعه معرضاً مقارناً بين الشجاع والفَرِق:

تَنَحَّ عن العلياءِ يسـحبُ ذيلَهـا همـامٌ تَـرَدَّى بـالعُلى وتـأزَّرا
فتىً لَمْ يُعَرِّقْ فيهُ تـيمُ بـنُ مُـرَّةٍ ولا عبدَ اللاتَ الخبيثةَ أَعْصُـرا
ولا كـانَ معـزولاً غـداةَ بـراءةٍ ولا عن صـلاةٍ أَمَّ فيهـا مُـؤَخَّرا
ولا كانَ في بعثِ ابنِ زيدٍ مؤمَّراً عليهِ فأضحى لابنِ زيـدٍ مـؤمِّرا
ولا كانَ يومَ الغارِ يهفـو جنانُـهُ حذاراً ولا يومَ العريشِ تَسَتَّرا[٤]

---

(١) أعيان الشيعة ١/٢٣٧.
(٢) تحت راية الحق /١٠٧.
(٣) تحت راية الحق /١٠٨ـ١٠٩.
(٤) الروضة المختارة /١٠٨.

ويقارن ويعرض، ويقرن الدعوى بالدليل سفيان بن مصعب العبدي فيقول:

وليلةَ الغارِ لما بِتَّ ممتلئاً ... أمناً وغيرُكَ ملآنٌ من الرعبِ
ما أنتَ إلاَّ أخو الهادي وناصرُهُ ... ومظهرُ الحقِّ والمنعوتُ في الكتبِ[1]

وقد أبدع الحاج هاشم الكعبي في داليته العصماء فقال:

ومواقفٌ لكَ دونَ أحمدَ جاوزَتْ ... بمقامِكَ التعريفَ والتحديدا
فعلى الفراشِ مَبِيْتُ ليلِكَ والعِدَى ... تهدي إليكَ بوارقاً ورعودا
فَرَقَدْتَ مَثْلُوجَ الفؤادِ كأنما ... يُهْدِي القِراعُ لسمعِكَ التغريدا
فكيفتَ ليلتَهُ وقمتَ معارضاً ... بالنفسِ لا فَشِلاً ولا رِعْديدا
واستصبحوا فرأوا دوينَ مرادِهِمْ ... جبلاً أشمَّ وفارساً صنديدا
رصدوا الصباحَ لينفقوا كنزَ الهدى ... أَوما دروا كنزَ الهدى مرصودا[2]

ويصور الشاعر الفحل الشيخ صالح التميمي في نظمه الجزل صناديد قريش وسيوفهم العطاش ولا تروى إلا بدماء الإمام فيهب الإمام فيهم ويتطايرون كالفراش:

ذا مبيتُ الفِراشِ يومَ قريشٌ ... كفَراشٍ فيهِ وأنتَ فيهِ ضياءُ
فكأني أرى الصناديد منهم ... وبأيديهم سيوفُ ظِماءُ
صادياتٌ إلى دمٍ هو للما ... ءِ طهورٌ لو غيَّرَتْهُ الدماءُ
دَمُ مَنْ سادَ في الأنامِ جميعاً ... ولديهِ أحرارُها أدعياءُ
قَصُرَتْ ـ مُذْ رَأَوْكَ ـ منهم ... ولديهم قد استبانَ الخطاءُ

---

(١) تحت راية الحق /١٤٠.
(٢) تحت راية الحق /٢١٢.

شـكرَ اللهُ منـكَ سـعياً عظيمـاً قَصُـرَتْ عـن بُلُوغِـهِ الأتقيـاءُ
عميتْ أعـينٌ عـن الرشـدِ منـهم وبـذاتِ الفقـارِ زالَ العمـاءُ[1]

وأما (بولس سلامة) فبعد أن ذكر دور ليث البوادي وشيخ أم القرى وشيخ الحواضر أبي طالب وما لقي النبي الأعظم بعد موته من حنق قريش وخططهم للقضاء عليه- صوَّر موقف الإمام وجدارته بقوله:

واطمـأَنَّ القنَّـاصُ فالصـيدُ بـاقٍ ولقـد بـاتَ في الحبالـةِ طـائرْ
يـا ذئابـاً حـولَ العـرينِ تعـاوتْ إنَّ مِـلْءَ العـرينِ ليثـاً خـادرْ
لَـفَّ بُـرْدُ الـنبيِّ صـدرَ علـيٍّ فالإطـارُ السـنيُّ ضـمَّ المفـاخِرْ
هو مِـلْءُ الثـوبِ العظـيمِ، وطـه مِـلْءُ جفنيـهِ والنُّهَـى والمشـاعرْ
هـو يَفْدِيـهِ بالحَيَـاةِ ويَرْضَـى أَلْـفَ مَـوْتٍ بِـهِ لَـو اللهُ نَاشِـرْ
كُلَّمَـا عَـاشَ مَـرَّةً مَـاتَ أُخْـرَى بَاسِمَ الثَّغْرِ بَاسِمَ الوَجْـهِ شَـاكِرْ
رَقَـدَ الليـلَ نَاعِمَـاً بفِـرَاشٍ حَشْوُهُ المـوتُ فالوِسَـادُ مَخَـاطِرْ
باتَ فوقَ الخَنَـاجِرِ الـزُّرْقِ لَيْـثٌ دُونَ أَظْفَـارِهِ رَهِيْـفُ الخَنَـاجِرْ
إِنْ يَنَمْ في مَضَـاجعِ المـوتِ حُبَّـاً بـالنبيِّ العَظِـيمِ فـاللهُ سَـاهِرْ
لَوَّحَ الصُّبْحُ فانْجَلَى عَنْ هَصُـورٍ ثَابِـتِ البَـأْسِ مُطْمَـئِنِّ النَّـاظِرْ
دِرْعُـهُ الحَـقُّ والـيَقِينُ وقَلْـبٌ بـالمُرُوءَاتِ كالخِضَـمِّ الزَّاخِـرْ
دِرْعُهُ البُرْدُ أَخْضَرُ النَّسْجِ غَـضٌّ فهـو رَمْـزٌ إلى الجِنَـانِ النَّواضِـرْ
ذَاكَ بُـرْدُ العَظِـيمِ لاقَـى عَظِيمـاً فتَلَقَّـاهُ كَـابِراً عَـنْ كَـابِرْ
وَاجَـهَ القَـوْمَ لا حُسَـامٌ شَـطِيْبٌ لا قَنَـاةٌ لا بَيْضَـةٌ لا مِغْـافِرْ
أَعْـزَلاً كالحَقِيْقَـةِ البِكْـرِ طَلْقَـاً بَـارِزَ الصَّـدْرِ كالصَّبَاحِ السَّـافِرْ

---

(١) تحت راية الحق /٢١٨.

يَسْتَطِيْبُ الرَّدَى فِدَاءَ ابْنِ عَمٍّ ... فَهْوَ يَسْعَى إلى المَنِيَّةِ حَاسِرْ
حُبُّهُ المَوْتُ، هَالَهُم فتَوَارَوا ... كالخَفَافِيْشِ في ضِيَاءٍ بَاهِرْ[1]

وفي فصل علي والهجرة يستعرض بإسهاب (عبد المسيح الأنطاكي) مقدمات الهجرة وعجز قريش عن مواجهة النبي الأعظم بالحجة فمالت كما كانت إلى اللسان والسنان، حتى يفيض في تصوير الموقف البطولي فيقول:

فَجَاءَ جبريلُ طهَ مُنْذِراً ولَهُ ... يَقُولُ: دَعْ مكةً والكُفْرُ فَاشِيها
واهْجُرْ فِرَاشَكَ والكُفَّارُ طَالِبَةٌ ... فيهِ حَيَاتَكَ وانْظُرْ كيفَ تَتْقِيها
وإذ رآهم رَسُولُ اللهِ مَالَ إلى ... عَلِيِّنا مَيْلَةً حُسْنُ الرَّجَا فيها
وقالَ: نَمْ في فِرَاشي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... إلى الخُطُوبِ إذا تُدْهَى دَوَاهِيها
والْبَسْ ثِيَابي وكُنْ فيها الأَمِيْنَ عَلَى ... هَذِي الحَيَاةِ التي الرَّحْمَنُ يَحْمِيها
إنَّ العَلِيَّ على سَامِي شَجَاعَتِهِ ... لَبَّى الأَوَامِرَ حالاً بَاتَ مُجْرِيها
قد ارْتَدَى بِثِيَابِ المُصْطَفَى وعلى ... فِرَاشِهِ نَامَ هَانِي النَّفْسِ هَادِيها
ونَفْسُهُ نَفْسُ حُرٍّ ما تَفِرُّ ففي ... صِيَانِ نَفْسِ أَمِيْنِ اللهِ يَفْدِيها
وقد رَأَوا في فِرَاشِ المُصْطَفَى بَطَلَ الإِ ... سْلامِ رُؤْيا أَطَارَتْ نَفْسَ رَائِيها
وبَسْمَةُ الهُزْءِ كَانَتْ فَوْقَ مَبْسَمِهِ ... وكَانَ وَهْوَ يُجِيْبُ القَوْمَ يُبْدِيها
فجَرَّرُوهُ وقد غِيْظُوا لِمَسْجِدِهِمْ ... وكَانَ أَشْيَاخُهُمْ فِيْهِ تَنَادِيها
وبَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ سَاعَةً تَرَكُو ... هُ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَزِيْدِيها[2]

ولشاعر أهل البيت الشيخ الفرطوسي في بحره الشعري الفياض مقطوعة جاءت في (ملحمة أهل البيت) أحاط بالقصة كاملة فنظم في أبياتها

---

(١) عيد الغدير /٤٤ـ٤٥.
(٢) ملحمة الإمام علي /٨٤ـ٨٦.

آياتها ورواياتها[١].

وللشاعر الجليل عادل الكاظمي في ألفيته أبيات رائعة نقتطف منها:

وأَيْقَنَتْ أَنَّ هـذا السـيفَ صـاعقةٌ ... مِـنَ السَّـمَاءِ وقـد حَلَّـتْ بناديهـا
وكيف لا و(عليٌّ) مَـنْ بِـهِ قُرِنَـتْ ... مَعْنى البُطُولَةِ حِيْنَ البَأْسُ يُنْضِـيها
ويَمْكُـرُونَ ولَمَّـا يَعْلَمُـوا سَـفَهاً ... أَنَّ الإِلَـهَ بِسِـنْخِ الفِعْـلِ يُجْزِيهـا
وآبَ بالجَمْعِ ذُلٌّ الـدَّهْرِ يَسْـقيهم ... كَأْسَ الهَوَانِ فيا بُعْـداً لِحَاسِـيها[٢]

وهذا غيض من فيض خلدت فيه القوافي في غرر المعاني ورفعت عقيرتها في إطراء ملهمها الإبداع بزاخر من المواقف والبطولات والجمال والكمال.

الموقف الخامس: علي يخلف محمداً في مكة:

فدى عليٌّ رسول الله ﷺ وأبلى فيه البلاء الأحسن الأجمل، وحفظ الله نبيه بوليه فتمت الحكمة وعظمت النعمة، فها هو النبي يغذ السير لمدينة الدولة بعد أداء المهمة بإعلان الدعوة في مكة التي آذاه أهلها وشردوا به فهاجر منها.

ولكن الأمين محمداً مثال الصدق والأمانة يجمع على ذلك أعداؤه الكافرون بدعوته والقائمون في وجهه، إلا أن هذا لم يكن لهم مانعاً من إيداعه نفائس أموالهم وجليل مدخراتهم "وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى

---

(١) ملحمة أهل البيت /٢٥٧.
(٢) ألف بيت في وليد البيت /١١٥.

عليه إلا وضعه عند رسول الله ﷺ لما عرف من صدقه وأمانته»[١].

فماذا كان تدبير النبي لإيصال الأمانات إلى أربابها وقد قصد بعيداً؟!

وربما عبثت بالخواطر الظنون فاغتنمها من يرمي إلى الكيد ويبتغي الوقيعة فيوسع القلوب الضيقة بدعوة الصادق الأمين فيملأها حقداً وضغناً.

لا لا فمحمد أسمى أن تحوم حوله حائمة وإن خفَّت، فهو مثل الإنسانية الكامل وعنوان الشرف وجلاء الحكمة ومجسد الكمالات، وهو القائم بأمانة الله العظمى وهي فيما تعني الحفاظ على الفضائل الإنسانية، فلا بدع أن فرغ من أمرها فصيرها في يد كَيدِه وراعٍ يرعاها كرعايته وأمين يؤديها كأمانته، فمن يا ترى يكون القائم مقامه والنائب منابه؟

أجل.. فهل يتلو محمداً غير علي

«أمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك»[٢].

وفي حديث سعيد بن المسيب عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «وخلَّفَ علياً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره»[٣].

وقال ابن شهرآشوب: «استخلف علياً عليه السلام في أهله وماله وأمره أن يؤدي عنه كل دين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه»[٤].

أما النائب الأمين «قام صارخاً بالأبطح ينادي: من كان له قبل محمد

---

(١) تأريخ الطبري ٢/٣٧٨.
(٢) الكامل ٢/٧٢.
(٣) بحار الأنوار ١٩/١١٥.
(٤) بحار الأنوار ١٩/٨٥.

رسول الله ﷺ أمانة فليأت ترد إليه أمانته وقضى حوائجه وجميع أموره»[١].

«فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي ﷺ»[٢].

وبدد علي بندائه الصارخ ما ربما عبث بالظنون وعلم الملأ بأن محمداً نسيج وحده فلم تأخذ منه الأحداث الجسام غفلة ولم تقتنص منه الخطوب مهلة بل أحسن وأجمل وأوكل المهمة إلى الكفء مبادراً.

وغصت قريش بريقها فقد فاتهم النبي، وحفظ له حسن الذكر وجميل الأحدوثة علي، وقلوبهم لازالت تنضح حقداً، فهل من حيلة تكيد الفتى وتشفي غليلاً بمكروه ينال محمداً فتبرد جمرتها وتعتده عزاء؟

نعم.. لقد دبروا الحيلة وأحكموا العقدة، وهو قصارى ما يقوون عليه فكانت هذه الواقعة:

«روى السروي عن الواقدي والطبري أن عمير بن وائل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان وأبوه أن يدعي على علي ثمانين مثقالاً من الذهب وديعة عند محمد وأنه هرب من مكة وأنت وكيله، فإن طلب بينة فنحن معشر قريش نشهد عليه، وأعطوه على ذلك مائة مثقال ذهب منها قلادة عشر مثاقيل، فجاء وادعى على علي عليه السلام فاعتبر الودائع كلها ورأى عليها أسامي أصحابها ولم يكن لما ذكره عمير خبر، فنصح له نصحاً كثيراً، فقال: إن لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل وعكرمة وعقبة بن أبي معيط وأبو سفيان وحنظلة، فقال عليه السلام: مكيدة تعود على من دبرها، ثم أمر الشهود أن

---

(١) الفصول المهمة /٥١.

(٢) بحار الأنوار ١٩/٨٥ (هامش).

يقعدوا في الكعبة ثم قال لعمير: يا أخا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله أي الأوقات كان؟ قال: ضحوة نهار فأخذها بيده وسلمها إلى عبده، ثم استدعى بأبي جهل وسأله عن ذلك فقال: ما يلزمني ذلك، ثم استدعى بأبي سفيان وسأله فقال: دفعها عند غروب الشمس وأخذها من يده وتركها في كمه، ثم استدعى حنظلة وسأله عن ذلك فقال: كان عند وقوف الشمس في كبد السماء وتركه بين يديه إلى وقت انصرافه، ثم استعدى بعقبة وسأله عن ذلك فقال: تسلمها بيده وأنفذها إلى داره في الحال وكان وقت العصر، ثم استدعى بعكرمة وسأله عن ذلك فقال: كان عند بزوغ الشمس أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة، ثم أقبل على عمير وقال له: أراك قد اصفر لونك وتغيرت أحوالك، قال: أقول الحق ولا يفلح غادر وبيت الله ما كان لي عند محمد وديعة وإنما حملاني على ذلك وهذه عقد هند عليها اسمها مكتوب.

ثم قال علي عليه السلام: إيتوني بالسيف الذي في زاوية الدار، فأخذه وقال: أتعرفون هذا السيف؟ فقالوا: هذا لحنظلة، فقال أبو سفيان: هذا مسروق، فقال علي عليه السلام: إن كنت صادقاً فما فعل عبدك مهلع الأسود؟ قال: مضى إلى الطائف في حاجة لنا، فقال: هيهات أن يعود، ابعث إليه أحضره إن كنت صادقاً، فسكت أبو سفيان، ثم قام علي عليه السلام في عشرة عبيد لسادات قريش فنبشوا تلعة فإذا فيها العبد مهلع قتيل، فأمرهم بإخراجه فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة، فسأله الناس عن قتله فقال: إن أبا سفيان وولده ضمنوا له رشوة عتقه وحثوه على قتلي، فكمن لي في الطريق ووثب علي ليقتلني فضربت رأسه وأخذت سيفه فلما بطلت حيلتهم تلك أرادوا الحيلة الثانية»[1].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب /٢٣ـ٢٤.

معطيات:

وأحسب أن عرض هذه المشاهد أبلغ من كل تحليل وتعليل، وأداء لخطة البحث نوجز المعطيات فيما يلي:

أ- الدلالة الكبرى على ما يتبوؤه علي آنذاك من مقام عند نبي الله الأعظم، فقد أنزله منزلة نفسه فأوكل إليه أمره واستودعه سره وكشف للملأ أن من يرى أن محمداً هو الصادق الأمين فلير علياً الصادق الأمين.

ب- ولقد قذف محمد علياً في مجمع قريش ومعتركهم وهو فياض بالحقد والضغائن، فلولا كفاءة علي النادرة لما زجَّ به النبي وهو مثال الحكمة، وما كان ليهون عليه إلقاؤه في مهاوي الردى وهو من بات خادعهم فتصب عليه قريش حنقها وحقدها.

ج- وأبان علي من الحكمة واللياقة ما أبان من الشجاعة المميزة، فعالج كل موقف بما يحسمه -فلله أم قامت عن مثله.

د- كفل لنبيه مهامه العظمى فمكنه من الهجرة بالمبيت، وملأ مكانه في مكة فقام بما كان على النبي من وظائف، فمكة بعلي لم تفقد محمداً.

أجل.. فالله أعلم حيث يجعل رسالته، ورسول الله أعلم حيث يجعل أمانته.

الموقف السادس: الهجرة والتحدي:

ومن الحق والموضوعية أن يفرد هذا الموقف بالذكر وإن كان متصل الحلقة بما سبقه، فجلال الموقف وامتيازه يقضي بإفراده والوقوف عند مشاهده والسير في ركاب بطله، وهل حاكت هجرته هجرة النبي العظيم وقد سبقت بأيام؟

فإلى الهجرة في بداياتها ومسيرتها وغاياتها:

١ـ انتظار الأمر:

اطمئن علي على سلامة الرسالة والرسول، وارتاح إلى فراغه من أداء الأمانات إلى أربابها، ولم يبق لديه إلاّ انتظار توجيه النبي يأمره بالهجرة إلى المدينة واللحاق به مع من خلّفهم النبي من كرائم أهله وفيهم مهجة قلبه وثمرة فؤاده وبضعته فاطمة، وجملة من مواليه وبضعة من ضعفاء المؤمنين.

وسرعان ما كتب رسول الله ﷺ كتابه يأمر ابن أبي طالب بالمسير إليه وقلة التلوم، وكان ذلك على يد أبي واقد الليثي.

٢ـ تهيئة شؤون الهجرة:

وقام علي بالعبء الخطير وحمل الثقل الكبير، ففكره منقسم بين شؤون هذا الركب وشجونه حتى يهاجر به مصاناً من كل مكروه.

فابتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع الهجرة معه من بني هاشم، وآذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين وواعدهم في (ذي طوى) وأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا إذا ملأ الليل بطن كل واد، أما هو عليه السلام فقد خرج بالفواطم، فاطمة عليها السلام، وأمه فاطمة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن مولى رسول الله، وأبو واقد رسول الرسول حامل الكتاب.

٣ـ تحرك الركب وقاده الإمام:

وهكذا فقد أحكم الخطة وأبرم الأمر على غفوة من عين قريش، وتحرك الركب واستوى بها الطريق وكان السائق للرواحل أبو واقد فانتقدت نفسه فأوقد السير وأعنف في السوق رغبة في سلامة الظعينة أو رهبة من إدراك الطلب وفتكة العدو.

ولم تنبسط لذلك شجاعة علي وأريحيته ورقته وعاطفته.. رفقاً بالنسوة أبا واقد إنهن من الضعائف، ثم تولى عليه السلام السوق مطمئن القلب معتمداً على الرب، ينبض قلبه رحمة ويفيض حباً، ويلهج لسانه بذكر الله مخلصاً واثقاً متوكلاً:

لـيسَ إلا اللهُ فـارْفَعْ ظنكـا ... يكفيكَ رَبُّ الناسِ ما أَهَمَّكـا

٤ـ الاستماتة والخذلان:

وهبت قريش من نومتها وانتفخ عرقها، فقد خاب أملها فلم تدرك محمداً لتفرغ عليه حقدها، وهاهي اليوم يسحق كبرياؤها ثانية على يد من مهد لمحمد سلامته ووطأ له هجرته، إنه علي الذي بات خادعهم ليلاً طويلاً يعود فيتحداهم ويجاهر بتحديه لقيادته هذا الموكب والركب، موقف يشفي شيئاً من الغليل شدة الانتقام والانتصار للزهو والخيلاء، فلا يحسمه إلا سيوف تهدي الموت وتزهق الأرواح وتهريق الدماء فتنطفيء بذلك جمرة للأحقاد كانت متقدة الاستعار.

فإذا فوارس من قريش تسبق نفوسُهم خيولَهم ويحمحم القول في غلاصمهم وتزدحم كلماتهم فابتدروا بالجدال قبل الجلاد، والحرب أولها الكلام: ظننت أنك يا غدار ناجٍ بالنسوة، ارجع لا أبا لك.

أما البطل فهو على ذاك النسيج العجيب الفريد، ربلطة جأش، ثقة بالغة، منطق صائب، شجاعة نادرة، تحار في هاتيك الملكات ولداتها العقول.

رأى علي ذلكم العجاج العجاج وسمع الهياج فكان منه هذان الموقفان:

أجابهم: فإن لم أفعل؟ فقالوا: لترجعنَّ راغماً أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

وقام أولاً بما تمليه عليه الغيرة وتفرضه الحمية ويدعو إليه الحفاظ

فأقبل على رفيقيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها، وأَنْزَلَ النسوة، فما كان من الفوارس إلا أن قصدوا النسوة والمطايا ليثوروها فصمد علي وحال بينهم وبينها فأهوى جناح وهو ثامن القوم الفوارس إلى علي بسيفه، ومارس الفتى علي بطولته فراغ عن ضربته وتختله فضربه على عاتقه ضربة أوغلت فيه حتى لامست كاثبة فرسه فأرداه، وشد عليهم لا يلوي على شيء سوى الفتك بهم وقد شهر سيفه، ولسانه يتغنى متحدياً:

خَلُّوا سَبِيْلَ الجَاهِدِ المُجَاهِدْ آلَيْتُ لا أَعْبُدُ غَيْرَ الوَاحِدْ

فرأى الفوارس من البطولة والاستماتة ما لا يطيقون فتصدع ركنهم وفل جمعهم وعلموا أن لا طاقة لهم بالوقوف أمام البطل المغوار فوارس مجتمعين وإن كان راجلاً مفرداً، فضرعوا وطلبوا السلامة منه قائلين: أغن عنا (احبس) نفسك يابن أبي طالب.

٥ـ التحدي الصارخ:

أجل في نفوس الفوارس اضطراب وفي قلوبهم وجيف وهم على خشية أن يميل بسيفه عليهم فيلحقهم بصاحبهم فإذا بصوت يجلجل مدوياً ويصرخ متحدياً: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه وأهريق دمه فليتبعني أو فليدن.

٦ـ وعاود علي هجرته مطمئناً:

أقبل البطل على رفيقيه فبعث فيهم روحاً من السكينة وعزيمة من الاطمئنان وتثبيتاً في القلوب: «أطلقا مطاياكما» فلا قلق يساور ولا خوف يخامر فقد انهزم الجمع وولوا الدبر.

وبخطوات واثقة وقلب يا لله ما أقواه!! سار علي ظاهراً ظافراً حتى نزل (ضجنان) فتلوم بها قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين.

ومن شأن أحداث البطولة أن تشيع وتنتشر، ومن شأن الهزيمة أن تبدو آثارها على صفحات الوجوه وفلتات اللسان، ومن هذا وذاك ما يؤمن الخائف ويعز المستضعف فيقوى على اللحوق بركب البطل فقد مهد لمن معه ومن يلحقه السلامة وآمنه من العطب والهلكة فهو محتم بركن وثيق مستظل بوارف ظليل.

٨ـ ونعمت الراحة في العبادة:

وعلي كله لله، فهجرته وجهاده وعناؤه لمولاه، وهو الآن مع صحبه وقد رأى لهم أن يلموا بطرف من الراحة بعد جهد ومشقة، ولكن راحته في مناجاته وصلواته في تهجده وابتهالاته، وحاكاه رفقته فكانوا يصلون ليلتهم ويذكرون ربهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى مطلع الفجر فودع الليل بصلاة وافتتح النهار بصلاة، ثم سار لوجهه وهم على تلك الشاكلة من الانقطاع إلى الله والزلفى لديه بأعظم ما يتقرب به إليه.

الدلالة والمغزى:

وإذا استنطقت حروف الاستخلاف في مكة ومفردات الهجرة وجمل التحدي وما واكب ذلك من تجلي جواهر الرجال في خضم جسام الأحداث وجليل المواقف، فإننا نكتشف من علي سراً ونحيط بأولياته خبراً، ويبعث بالباحث إعمال آلاته كما يليق في دراسته وتحليله وتقييمه حتى ينتصف للحقيقة ولا يظلم أبطالها.

فلنسجل الدلالة الكبرى والمغزى العميق من خلال الهجرة وشؤونها:

فأولاً: إن في ذات إبقاء علي في مكة وقذفه بين لهوات أعداء الإسلام وأنيابهم معنى كبيراً يقوم بذاته برهاناً على أنه الكفؤ الوحيد لأن تناط به صعاب المهام ويوكل بشخصه الاضطلاع بما تخبئه الأيام من الأحداث

الجسام.

وإذا ما نظرنا إلى ما سبق من تحدياته البطولية ودوره الفاعل في هجرة زعيم الدين الأعظم وقفنا على ما يلحقه من تبعات ويؤاخذ به من جزاء.

ويعز على نبي الإسلام وهو الحدب على وليه وصفيه وخاصته أن يلقي ربيبه وحبيبه في مهاوي الردى، ويسلمه إلى فورة الحقد والغضب لتفتك به وتفرغ عليه حنقاً فات عليها أن تصبه على مبتغاها الأول فتعتاض بصنوه عنه، لولا أن نجاح المهمة لا يتم إلا بهذا حيث يتقاسمان إيفاء الغرض بهذا النحو من العمل والتخطيط، ولا سيما مع ملاحظة ما يمليه الانفراد بمتلاحق الشؤون ومفاجآت القضايا العصيبة والتي تلح على من يخوض غمارها باعتماد القرار الحاسم الرشيد وقوامه الإيمان العميق والرأي الحصيف والجرأة النادرة.

ألا يعني هذا بحق وصدق الاستخلافَ الصريح والتمثيل الصحيح والجهر الفصيح بأن ذلكم الفتى البطل يتمم شطراً من المهمة الكبرى التي يتولى أشطارها القائد محمد؟

وفي كل موقف وعند كل حدث مما حفلت به بدايات هجرة الوصي ومسيرها برهان جلي على أن (لا فتى إلا علي).

وثانياً: ذلكم النسيج الفريد الذي حيكت به شخصية ابن أبي طالب فتراه يرعى الشؤون بوظائفها فهو رجل الحرب وبطل الجهاد، وحيث لا يحسم العدوان إلا الساعد الأسد والسيف الأشد، فكأنه ما خلق إلا للقط والقد، ولم يطبع إلا على الفتك واستلاب الأرواح عند مشتجر الرماح، فما أن يفرغ من مقارعة الأبطال ومنازلة الرجال ورد العادية، حتى تراه راهب الليل آهة تذوب مناجاة وضراعة وخشوعاً ونبعاً يفيض دموعاً، قد نسي جراحه لا وكأنه لم يكن خائض تلكم الغمرات فارس الميدان ومقارع

الأقران.

فإذا لسانُه بذكرِ ربِّه لهجٌ قائماً وقاعداً، وأعضاؤُهُ صلاةٌ راكعاً وساجداً، وقلبُهُ بحبِّ مولاه متيم.

وكما انقطع إلى ربه بجوارحه وجوانحه فانشد إليه وتعلق بجنابه فقد حاكاه من صحبه فإذا هم في عبادة لا يفترون سائرين أو مقيلين يقتفون أثر إمامهم فهم به مقتدون.

لا بل أقول إن التأمل في هذا النمط من النسيج الفريد يقضي بأن كلا شأنيه بل كافة شؤونه قد اصطبغت بالعبادة الخالصة، كيف لا وهو في جهاده واستماتته إنما اللهَ يعبد، وفي مناجاته وصلواته اللهَ يوحِّد، فلم يكن جهاده إلا صلاة ولم تكن صلاته إلا جهاداً.

ثالثاً: وقد رصدت السماء خلجات نفسه وشدة بأسه وتنمره في ذات أنسه، فتوجته وسام الكرامة وخلّدت جميل خلاله وخصاله قرآناً ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُم أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الآية.

رابعاً: وكرامة نبوية، فبعين الله ما أبلى أبو الحسن من الحسن الجميل، وما لقي في مسراه الطويل ماشياً حتى تورمت قدماه وهما يقطران دماً، فما إن قرَّت عين رسول الله برؤياه حتى فاضت دمعاً رحمةً لما به معتنقاً إياه ضارعاً إلى ربه بالدعاء ماسحاً رجليه بيده فأكرم الله رسوله وجعل اليُمْنَ في يمينه فلم يشكُ علي منهما ألماً.

وإنه لمشهد رائع تتجلى فيه الكرامة الإلهية والحنان النبوي ويشهده الملأ فتختم جلائل المواقف بكرائم المناقب ويتشاطر فضلها النبي والوصي،

وكم لله من عين رعاية ولرسوله من يد عناية تحوط علياً لدى الشدائد والأزمات، تُفْتَتَحُ بهما مواقفُ صعابٌ أو تُخْتَتَم.

خامساً: الانفراد والاجتماع: ولئن انفرد النبي ﷺ بالهجرة أولاً، وانفرد علي عليه السلام بالمبيت ورد الأمانات وحمل الودائع والهجرة ثانياً، فما ذاك إلا تقاسم الأدوار والنهوض بالمهام.

فما إن أنجز علي مهمته إلا والنبي يستشرف طلعته ويتلبث عن دخول المدينة إلى أن يقدم عليه عليٌّ حتى يدخلاها معاً، رغم الإصرار والإلحاح على تعجيله بدخولها منفرداً «فأراده أبو بكر على دخول المدينة وألاصه في ذلك فقال: فما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أمي وأخي وابنتي».

«فجاءه أبو بكر فقال: يا رسول الله تدخل المدينة فإن القوم متشوقون إلى نزولك عليهم، فقال ﷺ: لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي عليه السلام ... فقال أبو بكر: ما أحسب علياً يوافي، قال: بلى ما أسرعه -إن شاء الله- فبقي خمسة عشر يوماً، فوافى عليٌّ عليه السلام بعياله»[1].

«فقال سعيد بن المسيب لعلي بن الحسين عليهما السلام: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه؟ فقال: إن أبا بكر لما قدم مع رسول الله ﷺ إلى قباء فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام، فقال أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم ههنا تنتظر علياً فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله ﷺ: كلاّ ما أسرعه، ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل، وأحب أهل بيتي إلي فقد وقاني بنفسه من المشركين، قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز ... فانطلق

---

(١) بحار الأنوار ١١٦/١٩.

حتى دخل المدينة، وتخلّفَ رسول الله ﷺ بقباء حتى ينتظر علياً»[١].

أقول: وفي إصرار النبي على التريث حتى يدخلا مجتمعين، وفي فراق أبي بكر لهما أفصح الدلالات مما يقصر عن بيانها أوضح العبارات.

وشاء النبي أن يدلل على الوصي كما هو ديدنه في كل موطن يتسنى له الإشادة به كيف وقد أنجز عليٌّ سلسلة من جلائل الأعمال خاض فيها الغمرات وتوغل في الكربات، فهو بعين الله مكلوء ومن جزائه موفور، ومن رسول الله في المحل الأعلى والمنزلة الأسمى.

ومن شأن التكافؤ بين العمل والتكريم، لا بل قل إن رسول الله أراد أن يقدم علياً لموطن الهجرة وتأسيس الدولة مزوداً بمؤهلاته محفوفاً بجلائل أعماله ومميزاته ويده بيده، وقدمه إثر قدمه، وهو قرة عينه وملء ذاته ليقر في التأريخ وتعلم الأمة أن علياً يتلو ابن عمه محمداً، فهو في تركيبة الدين في الصميم وله في صرحه الموقع العظيم، وأن هذا الفتى الموهوب والبطل المميز بدأ سجل حياته وأيامه الأولى بالمجاهرة في مشاركة النبي في مهماته، وبذل نفسه في الشعب دهراً فادياً مضحياً، ثم بات على الفراش، ثم بقي مفرداً فرد الأمانات وحمل الودائع وهاجر في سبيل الله مراعياً لما استُحْفِظ، فهاهو اليوم رجل الدولة الإسلامية الثاني، وستنبيء عنه الأيام وتكشف من شؤونه الدولة وأحداثها العظيمة المتلاحقة أي رجل هو وأي بطل هو فهو الرجل كل الرجل والبطل كل البطل وأنه الكفؤ الفرد لا يبارى ولا يجارى.

---

(١) بحار الأنوار ١١٦/١٩.

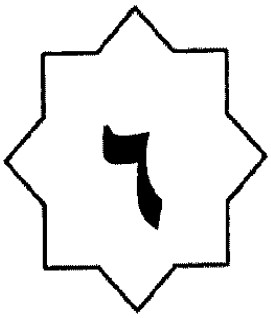

الكمال في الإسلام

- توطئة
- كشف الأثار عن دقيق الأسرار
- غاية الكمالات وكمال الملكات
- العلم
- الإيمان
- الشجاعة
- الإنسان الكامل
- ملحق: الصفات المنيفة في الزيارات الشريفة

توطئة

ولمعرفة شخصية الإمام عليه السلام واستشراف أبعادها المترامية علواً ومقاماً نسلك نهجين لننفذ من خلالهما.

كلاّ .. فالحقيقة بعيدة المدى، والباحث يلفه القصور عن إدراك الغاية والوقوف على النهاية.

أجل .. إن النهجين هما:

الاصطفاء، والإفاضة.

والحق أنهما سبيلان متحدان وكل منهما مرآة لنظيره، وافٍ بغرضه ومقصده.

ويحلو لي أن أعبر عن الأول منهما:

(كشف الآثار عن دقيق الأسرار).

و عن الثاني:

(غاية الكمالات وكمال الملكات).

الأمر الأول: كشف الآثار عن دقيق الأسرار:

وتوضيحاً للغرض أوردُ نماذج وصوراً من تلكم الآثار:

أولاً: الخلق الأول والنور الأنور:

وقد مضى حديث مستفيض من ذلك صدر الكتاب، ولئلا يخلو مقالنا هنا أورد ما أوردهُ الحمويني بإسناده عن ابن عباس أنه قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام «خلقت أنا وأنت من نور الله تعالى»[١].

ثانيا: الاطلاعة الإلهية الثانية:

ومن حديثه ﷺ مع ابنته فاطمة عليها السلام: يا فاطمة إن الله -عز وجل- اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباكِ فبعثه نبياً، ثم اطلع إليها الثانية فاختار منها بعلكِ[٢].

ثالثاً: البركة الشاملة على الخلق في إفاضة الوجود:

«عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم بيمنة العرش فإذا نور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طينٍ قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيأتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم لما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم أن أدخله ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسل»[٣].

---

(١) مصباح الهداية /١٢٩.

(٢) مصباح الهداية /٢١٦، وقد جمع إحقاق الحق روايات عديدة بأسانيد مختلفة تشمل على مقامات عالية فليراجع راغب المزيد ٤/١٠٤-١١٢.

(٣) مصباح الهداية /١٢٦، قال المؤلف: إن مؤلف كتاب (غاية المرام) ذكر هنا تسعة عشر خبراً من طريقهم وأربع عشر من طريقنا، ثم أورد منها حديث النور وهذا الحديث.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم فقال الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه حمدني عبدي، وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتكَ، قال: إلهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك وانظر فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب إلخ»[١].

رابعاً: الوسيلة إلى الله:

أ- توسل آدم: عن ابن جبير عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأله بحق محمد وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام إلا ما تبت عليَّ فتاب عليه[٢].

وفي رواية بنحوٍ أكثر تفصيلاً جاءت في دلائل الصدق ٢/٨٨.

ب- توسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى:

عن الرضا عليه السلام قال: لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وأن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وأن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجى من القتل فرفعه إليه[٣].

خامساً: عرض الولاية:

---

(١) دلائل الصدق ٢/٣٢٠.
(٢) مصباح الهداية ٢/ ١٢٨.
(٣) بحار الأنوار ٢٦/٣٢٥.

«يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين»[١].

وقد وردت روايات كثيرة في عرض الولاية وفي تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأَمَانَةَ على السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَها الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ وأن المعنى في ذلك هي الولاية والإمامة[٢].

سادساً: وجوب الطاعة على الناس والخلق:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله افترض طاعتي وطاعة أهل بيتي على الناس وعلى الخلق كافة.

قيل يا رسول الله ما الناس وما الخلق؟ قال الناس أهل مكة والخلق خلق الله من ذي روح»[٣].

سابعاً: صك الولاية وجواز العبور:

«وقال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنة ـ وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة وتتفرق في الجنان، وهو جالس على كرسي من نور يجري من بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه

---

(١) إحقاق الحق ٥/٤٦.

(٢) فراجع بحار الأنوار ٢٣/٢٧٣ـ٢٨٣. والآية.

(٣) إحقاق الحق ١/٥٣ عن مودة القربى /٦١.

النار»[١].

وعنه ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى (قِفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُون)»[٢]. (الصافات /٢٤).

ثامناً: الأمان لأهل الأرض:

قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٣].

إلى فيض من الآثار المثقلات بالأسرار.

الدلائل:

إن دراسة تلكم النصوص ونظائرها تأخذ بالباحث إلى أن نمط الحديث عن بطلها العظيم يمتاز والمألوف من تحليل شخصيات الرجال وقراءة حياتهم.

وفيما يلي استنطاق للدلائل عبر هذه النقاط:

الأولى: أن الروايات متوافرة في كتب المسلمين المؤالف منهم والمخالف، وإن ذلك لمن العجائب بل من أسرار الله الكامنة في وليه كما أنها مواطن العناية لدى الباحثين على اختلاف وجهة البحث كلامية أو رجالية وسواها.

---

(١) مصباح الهداية /٨٣.
(٢) دلائل الصدق ٢/٩٧.
(٣) دلائل الصدق ٢/٣١١.

والناظر السابر لموطن ذلك من مجاميع الحديث ومصنفات علم العقائد والكلام وصحف المناظرة يقف على السعة والانتشار.

الثانية: إن في ذلك الاجتماع على الرواية ما ينفع ويدفع وصمة (الغلو) عن المؤمنين بدلائل تلكم النصوص من الشيعة، أو لا يفردهم بتلك السمة على الأقل.

الثالثة: الحق يحكم والموضوعية تقضي بوضع الأمور في نصابها، ووزنها بميزانها، وقياسها بمقاسها، وإدارتها في فلكها.

فليس في إثبات المقامات العالية لذوات معينة ما يدعو إلى الاستفظاع والحوقلة والاسترجاع، والقول بخروج المثبتين المعتقدين عن الملة والشريعة وانحرافهم عن الجادة القويمة.

فالمقامات الكبرى مهما سمت وسما أربابها فهم عبادٌ لله مربوبون، نعم إنهم مكرمون.

وما كان يليق بهذا المقال أن يسطر لولا ما يلجؤنا إليه البعض ممن يقعون فينا ويرموننا بالعظائم، فنضطر إلى تصدير آرائنا بإعلان التوحيد والتصديق بالمبدأ والمعاد، ورسالة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ الخاتمة، وبكل ما جاء به من قبل ربه.

الرابعة: إن لكل رواية في موردها دلالة على امتياز، وأعني بالرواية روايات الباب الواحد فربما توفر كم جم وعُني بنواحٍ عدة.

فحديث النور المتواتر يحكي عن ذلكم العالم الأعلى الذي لا ندرك حقيقته ولا نحيط بأمره، ولكنه يوقفنا على ما يدور في فلكه من جمال وجلال فهو أول مخلوق أشرق من نور النور، ومن ذاتياته الامتداد والنفوذ والإحاطة والإشراق والتجلي.

وكل ما صدر من حظيرة القدس فإليه ينجذب، وبه ينكشف، وتطلعنا اطلاعة الله المباركة على ركيزة الاصطفاء وبما تحمل من معنى عميق وسر مكنون، وتنسجم مع الاختيار والتوظيف.

ففي الاطلاعة الأولى يتولى الله ـجلت حكمتهـ انتخاب وجعل محمد ومنذ خلقه نوراً نبياً ينبئ عن ربه وينشر نوره ويبسطه على البسيطة.

وفي الاطلاعة الثانية ينتخب شطر نور محمد الآخر المسانخ له جوهراً فيجعله وصياً وتالياً.

ويتجلى من الاطلاعتين سبق الاجتباء والاصطفاء الذي تم في عالم الأنوار على الاضطلاع والقيام بدور النبوة والوصية الذي جاء في ختام النبوات والرسالات والأوصياء.

وهذا ما تفسره الأحاديث الكثيرة المفصحة عن إثبات نبوة النبي الخاتم قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة[1] وعن أخذ المواثيق والعهود على كافة المرسلين من السابقين عهداً على الإيمان بالرسالة الخاتمة والبشارة بنبيها ووصيه ـعليهما وآلهما السلامـ ونصرته[2] لتتم مقادير الله ـجل وعلاـ ويبلغ الكتاب أجله، ولأمر هو بالغه، إن الله قد جعل لكل شيءٍ قدراً.

وينكشف طرف من أسرار (محمد وآل محمد) بما أعد لذواتها المقدسة من مقام، وأقيم لها من موقع أفصح عنه بأن لها شأناً ـوأي شأنـ في منظومة الكون وتركيبة الوجود.

ويتأتى لنا التماس آثاره المباركة بفضل الاهتداء بالمأثور، وما كنا

---

(١) بحار الأنوار ٦/١٥ إلخ.

(٢) بحار الأنوار ١٧/١٥، و١٧٦ إلخ.

لنهتدي لولا أن هدانا الله.

١ـ "التفت آدم يمنة العرش فإذا نور خمسة أشباح سجداً وركعاً، هل خلقت أحدا من طين قبلي؟ لا، فمن هؤلاء الخمسة؟ هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم لما خلقتك" وقد مر نص الحديث صدر الباب.

فأولاً: أسماؤهم مشتقة من أسمائه الحسنى:

المحمود، العالي، الفاطر، الإحسان، المحسن

محمد، علي، فاطمة، الحسن، الحسين.

وثانياً: ولئن كنت يا آدم أبا لهم وللبشر، فذلك، انتساب وتسلسل في عالم التناسل ونهاية الأدوار، أما السبق في عالم الإبداع والأنوار فلهم ـجل مقامهمـ.

وثالثاً: أن فضلهم وشرف فضلهم عم الوجود بأسره وشمل الكون بأكمله.

فالجنة، والنار، والعرش، والكرسي، والسماء، والأرض، والملائكة، والإنس والجن ببركاتهم خلقت ولكرامتهم أوجدت.

وأعود مذكراً ومركزاً على حقيقة يضل فيها الكثير، (والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل)، فبهم ولهم الفضل والكرامة والشأن في نعمة الإيجاد لا منهم، فلا خالق إلا الله سبحانه، فما به الجود أو ما من أجله الوجود يفارق ما منه الوجود.

رابعاً: وإذا كانت الجنة والنار مخلوقتين من قبل المولى ـجل وعلاـ فمن الطبيعي أن يصنف البشر وكافة من يحمل الحب والبغض إلى موالٍ ومعاد ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيْد﴾ ومكافئ كل بما يليق به.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1].

فموالاتهم موالاة الله ومعاداتهم معاداته، وهم ظل الله في أرضه فلا غرو لو كتب على العرش ركائز التوحيد والإيمان وما يستلزم ذلك من آثار.

«يا آدم ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب».

ألا يعني عطف علي (وهو مقيم الحجة) على (محمد نبي الرحمة)، وعلى شهادةِ التوحيد وكلمةِ الإخلاصِ الإمامةَ الإلهية الكبرى حيث تنقش بيد القدرة وخط الجلالة على العرش؟

ألا يلتقي حديث الله في السماء وحديث نبيه المأثور المشهور في الأرض مراراً وتكراراً (علي قسيم الجنة والنار) وما كان يجهر به علي عليه السلام من امتلاكه هذا الحق وتوليه هذا المقام[2].

وزكا وطاب، ولعن وخاب، نتائج ولوازم تتبع مقدماتها وملزماتها وأود أن أعيد الإشارة وأكرر الالتفات إلى وفرة لدات هذه الروايات، فكما سطرت يمنى القدرة والجلال على العرش أسطراً من نور في حق المصطفين الأبرار فكذلك خطت على أبواب الجنة جملاً من بهاء في حق المنتجبين

---

(١) سورة هود /١٠٦ـ١٠٨.

(٢) وحديث (صك الولاية وجواز العبور) يلتحم وموضوعنا هذا، فنكتفي بهذه الإثارة عن إفراده بالبحث والتنويه، وحديث (عرض الولاية) منسجم كذلك، فليتأمل المنصف في هذا التلاحم والانسجام في موطننا هذا وغيره.

الأطهار فكنْ من ذلك على بينة وبصيرة وذكرى.

خامساً: الوسيلة العظمى والقرب والزلفى:

فالعبد مهما سما فهو لم يزل في رتبة العبودية، وسموه الحق إنما تم بخالص عبوديته، ومن صدقها أن يأخذ نفسه دائماً بالتقصير وعدم اللياقة في محضر قدس ذي الجلال فيتشفع لإدراك ذلك المقام الشامخ وبلوغ الدرجات العلى بمن هو أقرب منه إلى مولاه والمكين لديه ويبتغي إليه الوسيلة.

والله العظيم ذو الكبرياء والجبروت أقام صفوته من بريته أقرب خلقه إليه منزلة وأسماهم محلة فهم المكرمون الشفعاء وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ـوهم سادات الأنبياء والمرسلين وشيوخهم وآباؤهمـ يعلمون شموخ مقام أولئك الصفوة المنتجبين والمجموعة المنتخبين عند بارئهم ومختارهم، وامتيازهم عليهم فلمن يلجؤون وبمن يتوسلون؟ فلا مناص لهم إلا عرض شؤونهم على ربهم والإقسام عليه بحقهم، فينعم المولى عليهم لكرامة من أكرمه ومن أمروا من قبله سبحانه بالتوسل بهم وبحقهم إذا ألمت بهم ملمة أو عنتهم حاجة، فهم كلمات الله العليا كما مر من حديث تلقي آدم كلمات من ربه.

ولا يذهبن البعض بعيداً فيرى في ذلك ضلالة وشركاً، فإن كان ما يتوهم شركاً وكفراً فالله سبحانه (وأستغفره) أمر به ودعا إليه ولعل في أمر الملائكة بالسجود لآدم الصفي ـعليه وعليهم السلامـ ما يكفي بدفع غائلة الشرك وواهمة الضلال.

وما كان من القصد الحديث عن ذلك فلست في صدده ولكنها خاطرة عرضت فأكتفي بهذه الإشارة العابرة.

سادساً: الأمان والضمان:

وذلك مقتضى الرحمة وليس ببعيد هذا المعنى عن قوله ـعظمت آلاؤهـ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وعن المأثور كثيراً في هذا الصدد «لولا الحجة لساخت الأرض»، «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»، والتشبيه بِـ «سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق».

وأي بعد أن يكون من له الأثر المبارك في إفاضة نعمة الإيجاد حدوثاً أن يكون ذلكم الأثر ممتداً بقاء.

وهذا ما يأخذ بنا إلى القول بأن دور الأصفياء المبارك واسع الإفاضة والنعماء فيدخل في دائرة بركته كافة الأمم على مر الدهور وتعاقب العصور.

كما هو شأن مقاماتهم العالية، فلها ارتباط بالأدوار وفق اقتضائها كما سأعرض لذلك فيما يستقبل من موطن مناسب.

الخلاصة:

وبعد فنخلص عقيب هذا التطواف ـوإن كانت الأناة وإطالة اللبث أولى وأحجىـ إلى:

أن أولئك الصفوة الممتازة عباد لله مربوبون مخلوقون أكرمهم بارئهم بواسع جوده وأفاض عليهم من خزائنه التي لا تنفد وهو الغني المطلق وأحاطهم بألطافه في عالم التكوين فبدأ خلقهم نوراً يسبح حول عرشه ويقدس، ومحلهم منه ـجل وعلاـ جعلهم طريقاً إليه، وبارك على العالم لشرفهم وأقامهم ميزاناً لرضاه وغضبه وأناط بهم شؤوناً في الدنيا والآخرة، وأكمل لهم ما يفي من مقومات القيام بها، وهذا ما نعني بِـ (الاصطفاء).

الأمر الثاني: غاية الكمالات وكمال الملكات:

فأعني به من الفضائل النفسية ما يتفاوت فيه الرجال من المؤهلات ويتمايز فيها التفاضل، فلمولانا الإمام علي عليه السلام الانفراد في بلوغ درجاتها بما لا تصح فيه مقارنة، ولا تستقيم موازنة، ولا تتم مقايسة.

ومن هذا المنطلق أرى وجهة البحث لا تعرض ولا تدار من حيث المفاضلة بينه وبين الصحابة وأنه أعلمهم وأشجعهم وأتقاهم وأتمهم ملكات فهي وجهة قاصرة، فعلي من مقولة أخرى، وله شأن آخر.

وإذا استعرنا تلكم الصفات فإننا نجد في صدر القائمة:

١/ العلم.

٢/ الإيمان.

٣/ الشجاعة.

٤/ الإنسان الكامل.

فلنقرأ علياً من خلال تضمخه بهذه الفضائل وانغماسه في تلكم المناقب والكمالات.

والله نسأل أن يمدنا بتوفيقه فيهدينا سواء السبيل ويجنبنا الخطل والزلل فيما يجول فيه الفكر ويجري به القلم فهو الهادي العاصم.

١/ العلم

علي والعلم الإلهي:

١- مصادر العلم الإلهي:

تتناول النصوص الإسلامية بوفرة واستيعاب مناهل علم الإمام وقنواته بما يوفر للباحث مادة خصبة وغزيرة تحيط بأصناف الحقائق وفنون المعارف.

والجامع واللب والركيزة الأولى والمحور الأول هو: الإفاضة الإلهية الشاملة، فهو الجواد الفياض.

ومن الخير أن نورد من النصوص ما خص الإمام بتلكم القنوات والمنابع.

الأول: عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: "مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور، فأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا"[1].

أقول: جمع هذا الحديث معارف عالية وكمالات متعالية ووعى الحقائق التالية:

---

(١) الكافي ١/٢٦٤.

أولاً: صنف العلم من حيث الزمان إلى ثلاثة أقسام:

أ/ ماضٍ: وهو ما تعلق بالشؤون الماضية، ويندرج في ذلك أخبار الأمم والعوالم أو كل ما سبق من أمور الكون.

ب/ غابر: وهو من الأضداد (بمعنى الباقي والماضي) والمقصود هنا الأول وفسر بالأمور الآتية المحتومة.

ج/ حادث: وهو ما يتجدد، وما يحتمه الله من الأمور البدائية، وهو باب متسع المجال رحب الآفاق مستوعب للمعارف والعلوم الربانية.

ثانياً: إن مصادر تلكم الأقسام الثلاثة هي أقسام أربعة:

١) فالتفسير مصدر (للماضي) وهو ما فسره رسول الله ﷺ وورثوه منه، إذن فالرسول الأكرم مصدر من مصادر علم الإمام عليه السلام.

٢) والمزبور مصدر (للغابر) ويعني المكتوب المدون الذي عنيت بالإحاطة به (الجامعة ومصحف فاطمة ونظيرهما) ولشرح مضمون هذه الزبر مواطن أُخر.

٣) والمقذوف في القلوب: مصدر (للحادث) وهو الإلهام من الله تعالى بلا توسط ملك.

٤) والنقر في الأسماع: مصدر آخر (للحادث) أيضاً وهو حديث الملك.

ثالثاً: إن الصنف الثالث أفضل علمهم، إذا أرجعنا الضمير (هو) إلى الحادث ومصدريه (الإلهام وحديث الملك)، وإذا أرجعناه إلى (نقر في الأسماع) فيكون راجعاً إلى تفضيل العلم الحاصل من هذا الطريق.

ولعل فيما ورد من الأحاديث الصحيحة والكثيرة ما يرجح قوة هذا المصدر على سواه، وإن كان في الإلهام من الله تعالى بلا توسط ملك معنى شامخ.

رابعاً: روعة حسن الختام في قول الإمام عليه السلام (ولا نبي بعد نبينا):

فربما في خاطر السامع أن حديث الملك مصدر علم يخص الأنبياء فيساوي بين الحديث والوحي ولا يعقل الفرق بينهما كما هو شأن جملة من المعاندين المغرضين الذين لم يفقهوا ولا يريدون أن يفقهوا رغم تكرار البيان وتواتر الإعلام والإعلان بأننا معاشر الشيعة نعتقد في الصفوة المعصومة أنهم (أئمة خلفاء للنبي وليسوا بأنبياء).

وعطفاً على ما سبق يمكن أن يكون في هذا الختام قرينة تقوي القول برجوع الضمير إلى تفضيل العلم الواصل من طريق حديث الملك.

الثاني: روح التسديد الإلهي:

وتكشف لنا الروايات سراً عميقاً ولطفاً خفياً يرعى الباري به وليه ويحفظه ويصونه.

١) عن أبي بصير قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ قال: خلق من خلق الله ـ عز وجل ـ أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده".

٢) عن أبي بصير في تفسير ﴿ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وجواب الإمام الصادق عليه السلام وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.

٣) وفي ثالث لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم وليس كل ما طلب وجد.

وهذه الطائفة من النصوص الموصوفة بالصحة والحسن يمكن اعتدادها مصدراً من مصادر علم الإمام ومنابعه، كما أنها تحمل معان كباراً حول اختصاص المخصوص بفضلها وجلالها.

الثالث: تأهيل القائم بإمامة الله:

وهو ضرورة توجبها خطورة المنصب العظيم والمقام الرفيع الذي أعده المولى لوليه وأقامه فيه كما سنشرح ذلك في موطن مناسب.

يقول الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام ضمن حديث صحيح نأخذ منه: «عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطى الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أسرار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم مما فيه قوام دينهم»[1].

فأنت ترى في هذا الاستدلال المنطقي التناسب والانسجام بين المهمة العظمى والمنزلة الكبرى التي يتبوأها الإمام وبين ما يجب أن يكون عليه من إحاطة وشمول في العلم يعم خبر السماوات والأرض وما فيه صلاح العباد والبلاد وقوام الدين، وكل هذا لا يتم إلا بكمال مواد العلم المفاض من رب الأرباب على صفوة الخلق وخيرة البشر.

الرابع: جوامع العلوم ومجامع الآثار الإلهية:

ونلتقي هنا مع ما انفتح عليه قلب الإمام من مصادر الفيض التي لا

---

(١) الكافي ١/٢٦١.

تعرف الحدود والقيود، فقلب الإمام خزانة علم الله ومعدن كلماته ومجمع وحيه.

وهذا ما نلخصه من مجموعة نصوص صحيحة موثقة تناولت ما يلي:

١ـ ألف باب من العلم ينفتح من كل باب ألف باب.

٢ـ الجامعة: وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل شيء يحتاج إليه الناس.

٣ـ الجفر: (وهو الجفر الأبيض) وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

وعندهم (الجفر الأحمر) وهو السلاح، وطبيعي أن يكون له شأن خاص وشأو مميز.

٤ـ مصحف فاطمة عليها السلام: فيه مثل القرآن ثلاثة أضعاف.

٥ـ علم ما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة.

وكان الراوي أبو بصير يعقب كل صنف من هذه بقوله: (هذا والله العلم) فيجيبه الإمام عليه السلام بقوله «إنه لعلم وما هو بذاك»، ثم يسكت ساعة فيعود الإمام ويترقى فيبين جهات العلوم الغزيرة.

٦ـ ما يحدث بالليل والنهار والأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة.

النقطة الثانية: بينات وبصائر:

والحق أن منافذ استشراف علم الإمام واسعة وعديدة، ويمتلك الإمام فيها الرصيد الفخم، والمنبع الثر المتنوع المسارب.

فمنها ما حكاه الله عنه في آياته وبيناته، ومنها ما قرن رسول الله فيه بين كتاب الله وولي الله في عنوان واحد.

ومنها ما جهر به علي ذاته وتحدى به على رؤوس الأشهاد.

فلنأخذ من كتاب الله آية، ومن هدي رسول الله حديثاً، ومن علي دليلاً وأثراً:

١/ قال الحق في محكم التنزيل:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1].

وجنبات البحث في هذه الآية المباركة متشعبة، ولست في صدد استقرائها وتحليلها ولكني ملمٌّ وما يلتقي والغرض منها:

الجنبة الأولى: في موضوعها:

وكما هو جلي أن موضوعها إثبات رسالة الرسول الأكرم ﷺ وإقامة البرهان على صدقها وصدقه في دعواها.

وموضوع هكذا يعني أصلاً من أصول الدين الحق وركيزة قويمة منه فلابد في إثباته من حجة قاطعة لا تحتمل الشك، بل يخضع لها المنكر وتقوم بها البينة.

الجنبة الثانية: الشاهدان الكافيان:

وقد نصت الآية عليهما، فالأول الله العظيم، وكفى به شاهداً وهو

---

(١) سورة الرعد /٤٣.

أحكم الحاكمين، والثاني: من عنده علم الكتاب والحديث حول كفاية شهادة الله لرسوله، إذ لا محيص عن نصرته وإعزازه وإمداده بالمعجز، وكل برهان على صدقه.

وقد تولى الله ذلك فلم يخذله في موطن، بل توالت عليه عنايته وتواترت، ومن هنا قلت كما قالت الآية بكفاية شهادته ـجل وعلا.

ولكن الآية نحت منحى آخر فعطفت شهادة آخر على شهادة المولى وفي ذلك إقامة للحجة عليهم بإقامة شهادة واحد من أنفسهم ولكنه يمتاز على الكل بلياقته لذلك.

فلابد من أن تكون الإحالة على كفؤ مؤهل لإثبات الحجة وإقامة البرهان لسان صدق وشاهد حق على الرسالة، فلديه من وسائل الإثبات وطرق الاستدلال ما يقنعهم برفع شكهم وإلزامهم بالإذعان والتصديق.

الجنبة الثالثة: المؤهلات الجامعة:

لم تقرن الآية بالله صفة فهو الكمال المطلق فلذا اكتفت بذكر الذات المقدسة مجرداً، ولكنها نصت في الشاهد الآخر على المؤهل الجامع ألا وهو (علم الكتاب) بمقتضى الإضافة والإطلاق.

والكتاب ـالذي يحيط الشاهد بعلمهـ إما أن يكون كالكتب الإلهية السماوية المنزلة على الرسل والتي مر في الروايات إحاطة الإمام بها، وإما أن يكون المعجز الذي أوحي لنبي الإسلام ومواطن التحدي، وعلى كلا الاحتمالين فهذا الشاهد المعد محيط بكتاب الله إحاطة تامة يفقه أسراره ويعلم تأويله ويعرف مقاصده ولا يخفى له عليه من أمره شيء ويقوى على إلزام الخصم بالإذعان له، وإثبات أنه من عند الله أوحى به إلى رسوله.

الجنبة الرابعة: الآية مكية من سورة مكية:

وسند ذلك التاريخ وروايات أسباب النزول.

وتحمل هذه الحقيقة إثبات التأهيل الكامل لذلكم الشاهد المحال عليه الإثبات وإقامة الحجة، فالمسلمون في مكة على ندرة، وهم وإن انشرحت صدورهم للدين الجديد فنبذوا الكفر وتعلقوا بالإسلام إلا أنهم لا يفقهون أبعاد كتاب الله الذي يصدع بآياته نبيهم فضلاً عن كتب الله الأخرى، وأنى لهم ذلك.

أما الشاهد فهو يملك (علم الكتاب) وهو الذي التحم بالصادع به وانصهر فيه وناصره وآزره فكان نفسه وروحه وقلبه.

الجنبة الخامسة: عليٌّ أو عبد الله بن سلام:

وأحسب أن هذا موطن من مواطن مُنِيَ عليٌّ ببلائها، فلا يروق لخصومه أن ينفرد بمنقبة حتى تنتحل لغيره أو يشرك بها سواه.

فابن سلام المدعى له علم الكتاب إنما أسلم مؤخراً في المدينة، والآية والسورة مكيتان، وما عساه أن يحسن إذا فرضنا أن المقصود بـ (الكتاب) الكتب السماوية السابقة، فهل أحاط بأسرارها وخبر كنهها؟!

ثم ما منزلتها مع جلال القرآن وغاية عظمته وكمال روعته؟!

والحديث حول رسالة رسول الإسلام ومعجزته الخالدة قرآن الله العظيم فماذا عقل منه ابن سلام؟ حتى ينعت بأن لديه علمه، ويوجه إليه مؤنة الاحتجاج والإقناع، وما بال السابقين الأولين من المسلمين؟ فهل هو الفذ من بينهم؟

الجنبة السادسة: جلال القرآن وهيمنته على كافة الكتب:

وآية البحث لا تطلق الميزة ولاسيما في مثل هذا الموطن على من

عرف بضع آيات أو سوراً بل ترمي إلى تقرير حقيقة كبرى وبيان مقام شامخ يتجلى به الموهوب بفيض من الكمالات وغمر من الألطاف وإلا ما كان لائقاً ليكون عدلاً في الشهادة.

ولا يذهبن الوهم بمستعجل فيرمينا بدعوى التساوي بين الشاهدين غافلاً عن قولنا بأن الشاهد الإنسان موهوب بأكمل القوى مفاض عليه أسمى المنح.

نعم إن قرآن الله العظيم يسمو على كافة كتب الله المنزلة وصحفه وزبره، وتلك حقيقة لا مراء فيها.

من مواطن امتيازه:

أ/ جمع وأوعى.

وقد صرح الله في كتابه بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2].

وقوله جل وعلا: ﴿وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[3].

ب/ الهيمنة على ما سواه:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

---

(١) سورة النحل /٨٩.
(٢) سورة الأنعام /٣٨.
(٣) سورة يس /١٢.

وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[١].

كما نص على ما حوته تلكم الكتب بقوله تعالى عن كتاب نبيه موسى عليه السلام: ﴿وكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْعِظَةً﴾[٢].

وقال ـتبارك وتعالىـ عن نبيه عيسى عليه السلام:

﴿وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٣].

مضافاً إلى ناسخية القرآن لما سبق من كتب وخاتمية رسالة الإسلام لما سبقها من الأديان.

الجنبة السابعة: جلال من عنده علم الكتاب ومقامه:

وأعظم به مدحاً وشرفاً باذخاً وصف الله لعبد من عباده بالعلم الخاص واعتداده عدلاً له في الشهادة على أعظم رسالة وأجمع وحي وتنزيل مهيمن على كافة الصحف والزبر.

فلا غرو أن تكون النتيجة بعد الموازنة والمقارنة وبعدما ظهر ذلك أن الآية الكريمة تدل على أن (علم الكتاب) كله عند مولانا أمير المؤمنين والأئمة المعصومين من ذريته ـسلام الله عليهم أجمعينـ ظهر لك أنهم أعلم وأفضل من أولي العزم الأنبياء عليهم السلام لأن علومهم محدودة وليس عندهم علم الكتاب كله[٤].

---

(١) سورة المائدة /٤٨.
(٢) سورة الأعراف /١٤٥.
(٣) سورة الزخرف /٦٣.
(٤) مصباح الهداية /٥٠.

الجنبة الثامنة: الإمام والهيمنة والأسرار:

فكما امتاز القرآن على كافة كتب الله وكانت له الهيمنة عليها فلا بدع لو كان القرآن الناطق ومن عنده علم الكتاب الصامت يفضل الرسل ويهيمن على ما يقدره الله عليه، وتلك جنبة روحية وقوة معنوية وبمقتضى (الأولية) فإن القدرة لدى الفاضل أتم والنفوذ أوسع والهيمنة أكمل.

هذا القرآن يحدثنا عن عفريت من الجن في قصة سليمان وعرش بلقيس فيصف قدراته بقوله:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾، وما كان يملك من (علم الكتاب) شيئاً، أمّا من كان لديه (علم من الكتاب) فإنه يصفه بقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1].

إذن فما شأن من أوتي (علم الكتاب كله) وأحاط بأسراره؟! وما نسبة الجزء إلى الكل الواسع المحيط.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر، وقال أمير المؤمنين ـصلوات الله عليهـ: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضّلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين[2].

وينفتح من هذا الباب باب (الاسم الأعظم) وآثاره وأسراره ومقدار ما

---

(١) سورة النمل /٣٩ـ٤٠.

(٢) بحار ٢٦/ ١٦٠.

أعطي كل نبي من حروفه، وليس غرضنا في الصميم من ذلك وإنما بالعرض فنكتفي بهذه الرواية المرتبطة بالمقام وأحيل إلى روايات الباب:

عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم وما أوتي من الملك فقال لي: وما أعطي سليمان بن داود؟ إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وكان والله عند علي علم الكتاب، فقلت صدقت والله جعلت فداك[1].

وبعد .... فهذه جولة سريعة وتطواف وجيز في تلكم الجنبات وهاتيك الأطراف، وكم فيها من معان دقيقة وأسرار عميقة، وكم لها من شواهد ودلائل نصت عليها صحاح الروايات ومن قبلها بينات الآيات وصدقتها متواترات الإثبات من المواقف والإعجاز.

٢- الاقتران بين القرآن الكريم والإمام العظيم في بيان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

وهو من الكثرة والوفرة بحيث تضيق الصحف عن تعداده وإيراده ولكني مجملٌ القول فيه بذكر نصوص ثلاثة بلغت من التواتر والشهرة لدى المؤالف والمخالف مبلغاً عادت فيه من الضروريات المحكمة والإنباءات المسلمة.

١ـ حديث الثقلين.

٢ـ باب مدينة العلم.

---

(١) بحار ٢٦/ ١٧٠. وقد جاء في (إحقاق الحق ٨/١٨ـ٢٢) مقالة جمع من أعلام القوم حول الجفر والأعداد والاسم الأعظم.

٣ـ ألف ألف باب من العلم.

الحديث الأول:

قال رسول الله ﷺ: أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: الأكبر كتاب الله، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير عهد إليَّ أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بما تخلفوني فيهما[1].

ويهمنا من الحديث أمور:

الأول: إن مهمة الاستخلاف تولى أمرها صاحب الرسالة نبي الإسلام فقال: إني مخلّف، إني تارك، فهي من عزائم الأوامر، والأمور مستمدة من قضاء الله واختياره وقضاء الرسول قضاء ربه ومرسله فما كان ﷺ من المتكلفين، وبالتالي فهي وظيفة إلهية قام بإبلاغها وتأكيدها، وبقي على الأمة الإقرار بها وتنفيذها عملاً بقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ

---

(١) وأحاديث (الثقلين) من أقوى وأعلى المتواتر، كما أنها قد تعددت مواطنها تأسيساً وتأكيداً، وهاك من مصادره الوافرة ما تفنى الساعات الطوال في تتبعه واستقراء مظانه الكثر.

إحقاق الحق: ج٤/٤٣٦ـ٤٤٣، ٥/٧، ٢٨، ٣٧، ٥٢، ٨٦، ج٦/٤ـ٥، ٣٣٢ـ٣٤٢، ٣٤٣، ج٩/٣٠٩ـ٣٧٥، ج١٦/٤٠٥، ج١٨/٢٦١ـ٢٨٩، ٥٤٢.

وللشيخ البحاثة المتتبع قوام الدين الوشنوي رسالة مستقلة باسم (حديث الثقلين) جمعت طرقه وألفاظه أقرتها (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر وطبعتها، وأمّا في الموسوعات الأخرى الكبرى كـ (عبقات الأنوار) للسيد حامد حسين، و(الغدير) للشيخ عبد الحسين الأميني فحدث عن البحر ولا حرج.

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾[1].

الثاني: (ثقلين) (خليفتين) ويعني أن لهما من الشأن والخطر ما هو متعادل في القسمة بينهما، فهما عدلان توأمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر، كما لا يتحقق إسلام بشهادة التوحيد وحدها دون الشهادة بالرسالة.

الثالث: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً» ضمان إلهي يتعهد به رسول الله عن ربه ولكنه معلق على التمسك وبما يعنيه التمسك ويستلزمه من تحكيم خليفة رسول الله ورسوله في الشؤون كافة وما كان ليغني صرف الاعتقاد ومجرد الاقتناع دون الانصهار وترتيب الآثار فالقرآن وحي الله ودستور الحياة وكتاب الدهر، وعدله الآخر الخليفة العالم به ومترجمه قولا وعملاً والاعتصام بهما معاً محقق الهداية الأبدية وضمان السلامة من الانحراف في التفكير والعثرة في التطبيق.

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾.

وبكلمة: موقع العدل الآخر والثقل الآخر موقع النبي ﷺ إلا أنه ليس بنبي وانما خليفته القائم مقامه، والقرآن هو القرآن.

الرابع: «ولقد نبأني اللطيف الخبير» تحمل براعة فائقة ودلالة معمقة على سر الاختيار وضرورة الانتساب إلى المحيط بالغيب والواقع وعلمه بالمؤهل بالاضطلاع بدور الإمامة وجدارة الاستخلاف ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وبقاء امتداد الرسالة تمثله في الإمامة ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب /٣٦.

فكل هذا ونحوه منوط بالإحاطة بكنه البواطن وقيام الشريعة وصلاح الخلق وما كان ليتم لو أسند إلى البشر يحكّمون من يريدون وكما يشاؤون، فلا محيص من تولي (اللطيف الخبير) وهو العليم الحكيم.

الخامس: "إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" والجملة الشريفة على وجازتها البليغة تكتنز وتستبطن حقائق كبرى وخصائص عظمى يلتحم فيها الثقلان الخليفتان:

أ- فلهما معاً -أي كل منهما- الإحاطة بقضايا الدين كافة عقيدة وشريعة وسلوكاً ومعارف عالية وأسراراً غيبية وتبياناً لكل شيء.

ب- ولهما العصمة التامة فكما أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فكذلك الإمام من الله مصون بالعصمة من كل وصمة برعاية الله وألطافه، وإلا لافترقا وربما آل الأمر إلى: "كم قارئ للقرآن والقرآن يلعنه".

ج- بقاء الدين إلى قيام الساعة بهما، فكل آن من الزمان لا يخلو من القرآن فكذلك لا يخلو من عدله الإمام.

وهذا معنى امتداد الإمامة إلى أن يتبدل وجه الحياة وينتهي عالم الدنيا.

ولا ضير على الإمام لو خالفت الأمة فلم تتمسك بحبله وتنكبت الجدد فضلت في التيه فهو كما حكى الله عن نبذ الأمة لقرآن ربها في شكوى رسوله من ذلك ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ۞ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان /٣٠-٣١.

السادس: «فانظروا بما تخلفوني فيهما» تقرير للحقيقة، وإرهاص بالمستقبل بما يضمره المنافقون الحاسدون لعترة النبي الأبرار.

وفي أحاديث أخرى تنبيه على مساءلته ﷺ أمته عن ذلك وجوابهم له يوم ورودهم عليه في عرصات القيامة وقد أكظهم الظمأ فيطلبون ماء الكوثر فيردون ويذادون ويعترفون بأنهم فرقوا الكتاب وعطلوا حدوده، وشتتوا شمل العترة وأقصوهم وشردوهم وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وعليها، وأنهم على طوائف، وذلك من أنباء الغيب والملاحم العظمى.

السابع: شواهد:

والحديث على فخامة مبناه وجلالة مغزاه تقترن به شواهد تحمل الدلائل والبصائر، وهي على وفرة واتساع، وكلها ترمي إلى امتياز عدل القرآن وأنه الفذ فيما لا يشاركه أحد ولا ند له ولا نظير.

ومن دلائل الروعة أنها من المسلمات الضرورية التي لا تحتمل الجدال والمراء إلا ممن على بصرهم غشاوة وفي قلوبهم مرض، نسأل الله العافية والحمد له على السلامة مما ابتلي به البعض.

فحديث: «علي مع القرآن والقرآن مع علي».

وحديث: «علي مع الحق والحق مع علي».

ونظائرهما المتواتر المتكاثر تأسيس وتأكيد لتلكم الحقيقة الكبرى.

الحديث الثاني:

قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب».

وجليٌّ أنّ المصطفى مستودع علم الله وخزانة سره ولا يدانيه أحد من الخلق لا الرسل العظام من أولي العزم ولا الأنبياء الكرام ولا الملائكة المقربون.

ومدينة علم الله جمعت وأوعت ما أفاضه عليه من اختاره واصطفاه فجعله خاتم المرسلين وجعل رسالته خاتمة الرسالات.

وقد أفرغ رسول الله الأعظم علم ربه الموهوب ومما يعنيه العلم من حقيقة ويتسع له من إطلاق في قلب علي ووعته أذنه الواعية[1]، وضمت عليه جوانحه، فامتلأ به قلبه واشتمل عليه وجوده وباب مدينة العلم هو المدخل الوحيد والمنفذ الفريد لولوج المدينة واستعلام ما فيها من كنوز إلهية وذخائر ربانية، وهو الحافظ للشريعة والمحيط بكل شؤونها وهذا ما صرح به في بعض نصوص الحديث: «يا علي كذب من زعم أنه يدخلها من غير بابها»[2].

وأعظم بذلك مقاماً ومنزلة حيث ينحصر الدخول واستجلاء ما في خزانة الأسرار من هذا الباب وهذا الطريق:

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) (الحاقة /١٢)، وقد وردت روايات كثيرة من الفريقين في شأن نزولها في الإمام علي عليه السلام، فقد أورد في (غاية المرام) ٩ أحاديث من طريق العامة و٨ من طرق الخاصة وفي غيره أكثر بكثير، ومن الطريف في الروايات ما جاء في بعض متونها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله -بعد أن ضم الرسول علياً-: أمرني ربي أن أدنيك ولا أقصيك وأن تسمع وتعي حقاً على الله أن تسمع وتعي، فنزلت هذه الآية، وفي بعضها: وحق على الله أن تعي، وفي بعضها قول علي: فما نسيت شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنساه، وفي أخرى: سألت الله ربي أن يجعل لعلي أذناً واعية، فقيل له: قد فعل به ذلك، راجع مصباح الهداية ٢٠٢-٢٠٧.

(٢) دلائل الصدق ٢/٢٨٧.

إِنَّمَا الْمُصْطَفَى مَدِيْنَةُ عِلْمٍ وهُوَ البَابُ مَنْ أَتَاهُ أَتَاهَا

وبعد... فقد تحجرت عقول وصغت قلوب وضغنت ضمائر فنصبت عداء، فسمجت مقالاً فنفست ونافست قدس ومجد أبي الحسن المرتضى فاصطنعت له أبطالاً وأمثالاً فأضافت إلى المدينة سقفاً وحائطاً فنصبت فلاناً وعلاناً، ولكن الحق يأبى، فعليه من الجلال نور ومن الصدق برهان يفضح الدجى وينير البصائر.

الحديث الثالث: ألف باب من العلم:

عَلَّمَ رسول الله ﷺ علياً ألف باب يفتح كل باب ألف باب.

ونستجلي حقيقة هذا الحديث في الوقفات التالية:

الأولى: إن هذا النمط من العلم وأسلوب التعليم وطريقته هما بعالم الأسرار الدقيقة أشبه وألصق وأوفق.

فبماذا نفسر إفراغ ذلكم العلم الجم والتلقي المستوعب في مناجاة مفردة؟!(١).

الثانية: أنه جاء في بعض متون الرواية (ألف ألف ينفتح منها ألف ألف)(٢) فإذا كان مرتفع تلك مليون باب (١٠٠٠٠٠٠) فمرتفع هذه

---

(١) فقد جاء في بعض صورها: أن رسول الله ﷺ أدخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي إلخ. إحقاق الحق ٤٢/٦ عن الغزالي في رسالته (اللدنية)، وفي بعضها (أسرّ) وفي ثالثة: (أوصى) وفي رابعة: (جلل عليه ثوباً ثم كلمه) إلخ، وفي خامسة: (حدثني) وفي سادسة: (أكبّ عليه).

(٢) وقال ابن عباس معقباً على خطبة للإمام عليه السلام في يوم الجمل أنبأ فيها عن مقتل طلحة والزبير والغلبة والنصر وعدد من يأتيه من الكوفة فقال أولاً: الحرب خدعة، ثم سأل الناس فقالوا كما قال عليه السلام، فقال ثانياً: هذا ما أسره إليه رسول الله

(١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ولعل هذا يوحي بأن لا مفهوم لهذه الأعداد فتقف عنده بل هي كناية عمّا لا يحاط بكمه ولا يدرك عمقه ولا يبلغ مداه وإنما ألقي بهذا النحو مراعاة لتحمل العقول فتدرك هي أنه علم جم ويمتاز به عن كافة الصحابة ممن يحمل علماً.

ومما يقوي هذا المعنى ما جاء عن أبي بصير:

قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، إن الشيعة يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً باباً يفتح منه ألف باب فقال أبو عبد الله عليه السلام علّم والله رسول الله صلى الله عليه وآله علياً ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب، فقلت له: هذا والله العلم، قال: إنه العلم وليس بذاك[1].

فتأمل حكاية الراوي عن تصور الشيعة ـ ولعله يعني فئة منهم لمبلغ العلم الذي أوتيه الإمام ـ ويمكن أن يكونوا قد ورثوا هذا التصور، ثم تأمل ثانياً جواب الإمام مصدراً بالقسم، وثالثاً: تعجب أبي بصير من مليون باب من العلم، ثم جواب الإمام إنه علم وليس كله.

وقد مضى ضمن بيان مصادر العلم نحو هذا مما كان يعقب به الإمام عليه السلام على تعليق المستمع: إن هذا لهو العلم.

صلى الله عليه وآله إن علمه ألف ألف كلمة كل كلمة تفتح له ألف ألف كلمة. إحقاق الحق ٤٣/٦ عن منتخب كنز العمال، و٥٣٨/١٧ عن (الفقه الأكبر) ١٨/٣، وعقبه: أخرجه الإسماعيلي في معجمه والرواة فيه ثقات وقد صح.

وفي بحار الأنوار عن الخصال (ألف حديث في كل حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح) ١٢٧/٤٠ وفيه أوحى ألف كلمة وألف باب يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب، ١٣٢/٤٠ عن الخصال أيضاً وفيه (ألف كلمة، كل كلمة تفتح ألف كلمة، والألف كلمة تفتح كل كلمة ألف كلمة). بحار الأنوار ٤٠/ ١٣٤ عنه أيضاً.

(١) بحار الأنوار ٢٦ / ٢٩.

الثالثة: ولا يفوتني التنبيه على اختلاف التعبير في نصوص الأحاديث فبعضها: كلمة، وأخرى: باب، وثالثة: حرف.

وعلى أي نحو جاءت وصيغة وردت فلا تعني مفردات مسائل ومعارف جزئية مما سمع نظيره كثير من شرف بلقاء النبي وصحبته وحضور مجالسه بل هي كما سبق أسرار ورموز ومفاتيح العلوم، وما يكون الاعتراف بالقصور عن إدراك كنهه والوصول إلى ساحله أولى وأحجى[1].

ومن الخير إيراد هذه الرواية التي تلقي ضوءً يُفتح بنوره حرف أو كلمة أو باب.

عن ابن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال والحرام مما كان ومما هو كائن إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب[2].

٣ـ وأما حديث علي عن علمه:

فأحسب أنه في الصميم من غرضنا، وهو دليل الانطباق وبرهان التطبيق فما كان الله ورسوله ليودعا الكنز في غير موضعه ولا السر في غير مستودعه وحياة الإمام كلها تفيض علماً وتتفجر حكمة، وينابيعُ معرفة

---

(١) وكان في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة صغيرة هي الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف، فما خرج منها إلاّ حرفان حتى الساعة. بحار الأنوار ١٣٣/٤٠ مختصراً. وفي حديث علي عليه السلام مع أبي بكر وعمر حول موضوعنا: فلم أكن أطلعكما على سر رسول الله صلى الله عليه وآله. بحار الأنوار ١٤٠/٤٠.

(٢) بحار ٣٠/٢٦، وينابيع المودة /٧٧ فقارن بين طرفي الرواية "الحلال والحرام ما كان وما يكون إلى يوم القيامة" و"علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب"، وهي مقولة أخرى غير تلك.

تجري بالمنهل العذب في كل حقل.

ومن المجهد حقاً تتبع ذلكم المد الدافق والموج الزاخر المتلاطم ولكني متناول موارد ثلاثة انشعبت من تلكم المصادر الثرة، وفي الواحد منها ما يبهر ويحير.

المورد الأول: ما جهر به الإمام وتحدى.

الثاني: الخضوع والإذعان.

الثالث: نماذج ودلائل.

المورد الأول: ما جهر به الإمام وتحدى:

أ- «لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بردية، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعهما أسفل سرّته، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينتهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربّ إن عليّاً قضى بقضائك، والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كلّ مدّع علمه، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصّها من عامّها، ومحكمها من متشابهها، ومكيّها من مدنيّها، والله ما من

فئة تضلّ أو تمدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»[١].

ب- «ها إنّ هاهُنا لَعِلْماً جَمًّا (وأشار بيده إلى صدره) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً»[٢].

ج- بَلِ انْدَمَجْتُ على مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَوِيِّ البَعِيْدَةِ[٣].

د- «فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ ولا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً إِلا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وقَائِدِهَا وسَائِقِهَا ومُنَاخِ رِكَابِهَا ومَحَطِّ رِحَالِهَا ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ وحَوَازِبُ الْخُطُوبِ لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ إلخ»[٤].

هـ- «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وتَذْهَبُ بِأَحْلامِ قَوْمِهَا»[٥].

و- «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ ومُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ ومَعَادِنُ

---

(١) الإرشاد /٢٣. ولهذه الكلمات ولداتها وهو فيّاض مصادر عديدة ومواطن كثيرة تجدها مبثوثة في هذه المواضع من (إحقاق الحق):
٧/٥٧٧-٦٤٥، ٨/١٠٩-١٨٢، ٢١٥-٢٤٤، ١٧/٤٢١-٥٧٣.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة قصار الكلمات ١٤٧، ص١١٢.

(٣) م ن ص ١٨.

(٤) م ن ص ١٨.

(٥) م ن ص ٦٧.

الْعِلْمِ وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ»[١].

ز- «تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ وإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وعِنْدَنَا -أَهْلَ الْبَيْتِ- أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وضِيَاءُ الأَمْرِ»[٢].

ح- «أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ ووَضَعَهُمْ، وأَعْطَانَا وحَرَمَهُم، وأَدْخَلَنَا وأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى ويُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، ولا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[٣].

ط- «لَوْ كُشِفَ لِي الغِطَاءُ لَمْ أَزْدَدْ يَقِيْناً». وقد نظمه البوصيري:

لم يَزِدْهُ كَشْفُ الغطاءِ يقيناً ... بل هو الشمسُ ما عليهِ غطاءُ[٤]

أجل...

هذا بعض ما جهر وتحدى به الإمام عليه السلام وأعلن في مواطن عديدة ومناسبات مختلفة، وهو العليم بأن في الأقوام والأفراد ألد أعدائه الذين يحسبون عليه أنفاسه، ويرصدون أقواله ويختبرون مستميتين صدق ادعاءاته

---

(١) م ن ٤١.

(٢) م ن ٤٤.

(٣) م ن ٥٠.

(٤) وقال شاعر آخر:

ومَنْ ذا يُساويهِ بمجدٍ ولم يَزَلْ ... يقولُ: سلوني ما يَحِلُّ ويَحْرُمُ

سلوني ففي جَنْبَيَّ علمٌ وَرِثْتُهُ ... عن المصطفى ما فاتَ مني بهِ الفَمُ

سلوني عن طُرُقِ السماواتِ إنني ... بها عن سلوكِ الطُّرْقِ في الأرضِ أعلمُ

ولو كَشَفَ اللهُ الغِطَا لَمْ أَزِدْ بِهِ ... يقيناً على ما كنتُ أدري وأفهمُ

منهاج البراعة ٧/٧٤.

وإنباءاته، فكانوا يتعقبونه فلعلهم يظفرون بسقطة أو يقفون على عثرة.

واللافت حقاً في هذا التحدي أمور:

أولاً: العموم في كافة الشؤون العلمية، فعلوم كل شريعة ورسالة قد أحاط بها الإمام، وضمت عليها جوانحه وبنحوٍ تفصيلي لا يقوى عليه إلاّ من أفاض الله عليه ذلك وألهمه سره.

وكذلك علم أحوال الأمم والجماعات والأفراد وعلى ذلك الغرار والنسق من الشمول.

وعلم الكون والأفلاك وأسرار الوجود:

ثانياً: تقرير حقيقة عظمة مكنون العلم وسر الغيب، وأن لا طاقة لأحدهم باستيعابه وهضمه فالعلم الواسع لا يحمله الإناء الضيق، بل يستعصي عليهم فهمه، وربما ذهبت بأحلامهم الظنون وعبثت بها الأوهام فالناس أعداء ما جهلوا، ومن جهل شيئاً أنكره.

ثالثاً: الاعتراف الصادق بمصادر الفيض وينابيع الإلهام التي تمدها خزائن علم الله التي لا تنفد، وتقتضيها مهام الإمامة والولاية الإلهية فهم شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة، ومعدن التلقي وأوعية التحمل فلذا حباهم بارئهم واختصهم بمنائحه وصرفها عمن سواهم ممن لا يملكون الأهلية والقابلية.

رابعاً: بلاء الحسد ومحنته وآفات حب الدنيا وعشق الرئاسة والوله بالزعامة فقاسوا أنفسهم بمن هم فوقهم ومن تجري عليهم نعمتهم وبركاتهم.

والحال أن الأمر كله لله يضعه حيث يشاء ويختار، وهو -سبحانه-

أعلم حيث يجعل رسالته ويصطفي أولياءه ويختار من يشاء للقيام بأمر دينه، فالأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم.

خامساً: ويبقى التحدي قائماً صارخاً على مر التاريخ وتعاقب الدهور فعلي لا يزال يتحدى، ولا زالت الدنيا تكشف منه جديداً، وتستخرج من كنوزه فريداً.

ولم يجرؤ ابن أنثى أن يدعي ويعارض وهو يعلم في دخيلته ويرى من اغتر وسولت له نفسه ونفخ فيه شيطان فقال مرة (سلوني) إلاّ افتضح أمام الملأ واستحيا ولم يعد لما قال ثانياً[1].

---

(١) وقد انتشر هذا الأمر واشتهر وحفلت به الصحف والزبر، وهذه جملة مما أثر تحمل صدق دعوى الإمام الفريدة، وخجالة المغرورين العديدة، أورد منها ما ذكره شيخ المحققين وعمدة الأثبات الحجة الأميني ـعطر الله مرقدهـ.

قال ـرضوان الله عليهـ: لم أر في التأريخ قبل مولانا أمير المؤمنين من عرض نفسه لمعضلات وكراديس الأسئلة ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلمي بقوله: سلوني، إلاّ صنوه النبي الأعظم ﷺ كان يكثر من قوله: سلوني كما شئتم، وقوله: سلوني سلوني، وقوله: سلوني ولا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به، فكما ورث أمير المؤمنين علمه ﷺ ورث مكرمته هذه وغيرها، وهما صنوان في المكارم كلها، وما تفوه بهذا المقال أحد بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ وقد فضح ووقع في ربيكة، وأماط بيده الستر عن جهله المطبق نظراء:

١ـ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل (والي مكة والمدينة والموسم لهشام بن عبد الملك، حج بالناس سنة (١٠٧) وخطب بمنى ثم قال: سلوني فأنا ابن الوحيد، لا تسألوا أحداً أعلم مني، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أواجبة هي؟ فما درى أي شيء يقول له فنزل عن المنبر. تأريخ ابن عساكر ٢/٣٠٥.

٢ـ مقاتل بن سليمان، قال إبراهيم الحربي: قعد مقاتل بن سليمان فقال: سلوني عما دون العرش إلى لويانا، فقال له رجل: آدم حين حج من حلق رأسه؟ قال: فقال له: ليس هذا من عملكم، ولكن الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي. تأريخ بغداد

المورد الثاني: الخضوع والإذعان:

فقد أطبق علماء الأمة، وتطامن الكل، وأقر من ينسب إلى علم، والكافة اعترفوا وخشعوا لجلال علم الإمام وبخعوا، سيان في ذلك ولي الإمام وعدوه، وعلى ذلك تعاقبت الأجيال وتوالت العصور فالجميع يرمق الإمام بعين الإكبار ويطأطئ برأسه انحناءة إجلال وإعظام.

فما عسى الباحث أن يسرد ويعدد، وفي أي حقبة يدير بحثه ويفرد؟! وفي أي حقل من العلوم يختار ويحدد؟!

ففي أيام الإسلام الأولى للإمام العظيم مواقف، وفي أيام تنحيته عن سدة الحكم مشاهد، وفي زمان خلافته شواهد، وبقي نوراً مستطيلاً شاملاً يغذي الأجيال بنور علمه فهو شرعة للصادر والوارد.

فسبحان من أفاض عليه وأفرغ وأوسعه معارف وأسبغ؟!

ولولا أن يخلو البحث من هذه الإشارة لعدلت عن التعداد واكتفيت بالإشارة كما قال المتنبئ الشاعر الحكيم:

١٦٣/١٣.

٣ـ وسؤال آخر عن أمعاء الذرة أو النملة هل هي في مقدمها أو مؤخرها فحار فقال الراوي: فظننت أنها عقوبة عوقب بها.

٤ـ ٥ـ وحكى عن قتادة واقعتين. انتهى ملخصاً عن الغدير ١٩٤/٦ـ١٩٦.

٦ـ إن ابن الجوزي قال يوماً على منبره: سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته امرأة عما روي أن علياً سار في ليلة إلى سلمان فجهزه ورجع، فقال: روي ذلك، فقالت: فعثمان تمّ ثلاثة أيام منبوذاً في المزابل وعلي عليه السلام حاضر، قال: نعم، فقالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما، فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله وإلاّ فعليه، فقالت: خرجت عائشة إلى حرب علي بإذن النبي صلى الله عليه وآله أو لا؟ فانقطع ولم يحر جواباً. منهاج البراعة ٧٤/٧.

وتركتُ مَـدْحي للوصـيِّ تَعَمُّـداً إذْ كـانَ نـوراً مسـتطيلاً شـاملا
وإذا استطالَ الشـيءُ قـامَ بنفسِـهِ وصفاتُ ضوءِ الشمسِ تَذْهَبُ باطلا

فها أنا ذاكر نماذج من هنا وهناك:

١ـ إطراء النبي الأكـرم وإعجابـه بقضـاء الإمـام المعظـم ـصـلى الله عليهما وآلهما وسلمـ تيمناً وتبركاً بشذرة من إكباره واشهاره مقـام وصـيه نورد بعض ما روي فمن قوله ﷺ وقد ذكر له قضاء قضى بـه: «الحمـد لله الذي جعل فينا الحكم أهل البيت»[١].

وفي ثانية وقد رفع إليه قضية قتل ثور حماراً وهو في أناس من أصـحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان فأمر أبا بكر أولاً وعمر ثانياً بالقضاء فيها فلـم يوفقا، فالتفت ﷺ إلى علي عليه السلام وقال له: اقض بينهما فقال: حبّاً وكرامـة فقضى فيها، فرفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء وقال: الحمد لله الذي مـنّ على العباد بمن يقضي قضاء النبيين»[٢].

وفي ثالثة: ضحك رسول الله ﷺ سروراً وقال: لا أعلـم فيهـا إلاّ مـا قضى علي، وفي رواية أخرى خاطبه: حكمت فيهم بحكـم الله، لقـد رضـي الله ـعز وجلـ حكمك فيهم[٣].

وفي رواية حول بعض ما مر من بعض قضائه عليه السلام قال: ﷺ الحمـد لله الذي جعل فينا من يقضي على سنن داود عليه السلام[٤].

وفي دعوى الأعـرابي علـى الـنبي ﷺ فـأمر أبـا بكـر فقـال القضـية

---

(١) إحقاق الحق ٨/٤٧.
(٢) إحقاق الحق ٨/٤٨.
(٣) إحقاق الحق ٨/٤٩ـ٥٥.
(٤) بحار الأنوار ٤٠/٢٢٢.

واضحة وطلب من النبي البينة ثم أمر عمر فقال مقالة صاحبه (ويبدو أن منطقهما واحد كما لاحظت في كثير من القضايا) ثم قضى فيها الإمام عليه السلام وقال: نصدقك في الوحي ولا نصدقك على أربعمائة درهم، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إليهما فقال: هذا حكم الله لا ما حكمتما به فينا[1].

٢ـ مع أبي بكر:

له مواقف كثيرة كان يفزع فيها إلى مولانا باب مدينة علم الله كما له تصريحات عديدة بأنه موئل العلم ومنتجع الحق، نورد من ذلك هذه القضية.

"دخل يهودي في زمن خلافة أبي بكر فقال: أريد خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاؤا به إلى أبي بكر فقال له اليهودي: أنت خليفة رسول الله؟ قال: نعم، أما تنظرني في مقامه ومحرابه، قال له: إن كنت كما تقول يا أبا بكر فأسألك عن أشياء، قال: اسأل عما بدا لك وما تريد فقال اليهودي: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله، قال أبو بكر عند ذلك: هذه مسائل الزندقة يا يهودي، قال: فعندها هَمَّ المسلمون بقتل اليهودي وكان ممن حضر ذلك ابن عباس رضي الله عنه فزعق بالناس وقال: يا أبا بكر ما أنصفتم الرجل، قال: سمعت ما تكلم به، قال ابن عباس: فإن كان يرد جوابه وإلا أخرجوه حيث شاء من الأرض، قال: فأخرجوه وهو يقول: لعن الله قوماً جلسوا في غير مراتبهم يريدون قتل النفس التي حرم الله بغير علم، قال فخرج وهو يتكلم ويقول: أيها الناس ذهب الإسلام حتى لا يجيبوا عن مسألة، أين رسول الله؟ وأين خليفة رسول الله؟ فتبعه ابن عباس وقال له: اذهب إلى عيبة علم النبوة إلى منزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فعند ذلك خرج أبو بكر والمسلمون في طلبه فلحقوه في بعض الطريق فأخذوه

---

(١) بحار الأنوار ٤٠/٢٢٣.

وجاؤا به إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فاستأذنوا عليه، ثم دخلوا إليه وقد ازدحم الناس قوم يضحكون وقوم يبكون، قال فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سألني عن مسائل الزندقة، فقال الإمام رضي الله عنه ما تقول يا يهودي؟ قال اليهودي: أسألك وتفعل بي ما أراد هؤلاء أن يفعلوا بي؟ قال: وأي شيء أرادوا أن يفعلوا بك؟ قال: أرادوا أن يذهبوا بدمي، قال رضي الله عنه: دع هذا وسل ما شئت، فقال: سؤالي لا يعلمه إلا نبي أو وصي نبي، قال: اسأل عما تريد قال اليهودي: أنبئني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله، قال له علي عليه السلام: على شرط يا أخا اليهود، قال: وما هو الشرط؟ قال: تقول معي قولاً عدلاً مخلصاً: لا إله إلا الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله، قال: نعم يا مولاي، قال: يا أخا اليهود أما قولك ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم، فقال: صدقت يا مولاي، وأما قولك ما ليس لله فليس له صاحبة ولا ولد ولا شريك، قال: صدقت يا مولاي، وأما قولك ما ليس يعلمه الله ما يعلم الله أن له صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً ولا وزيراً وهو قادر على ما يشاء ويريد، فعند ذلك قال: مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله وأنك خليفته حقاً ووصيه ووارث علمه فجزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: فضج الناس عند ذلك فقال أبو بكر: يا كاشف الكربات أنت يا علي، أنت فارج الهم، قال: فعند ذلك خرج أبو بكر ورقا المنبر وقال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم قال: فخرج عمر وقال: يا أبا بكر ما هذا الكلام؟ قال: فقد ارتضيناك لأنفسنا ثم أنزله عن المنبر فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك»[1].

٣ـ مع عمر بن الخطاب:

فنظراً لطول أمد حكمه وما يقتضيه ذلك من كثرة النوازل وتواتر المعضلات والمسائل فقد حفلت تلكم الأيام بأحداث لم يجد عمر فيها مخرجاً

---

(١) إحقاق الحق ٨/٢٣٩.

ولا لِكَشْفِ الحرج فرجاً إلا باللجوء إلى الكهف الحصين والملجأ الأمين فطفقَ يجهر بالامتنان لكَشَّاف الكرب وحَلاَّل المشاكل.

وقد تواترت كلماته حتى عاد بعضها سائراً مجرى الأمثال كقوله الشائع الذائع (لولا علي لهلك عمر).

وسأستخلص منها قليلاً ينبئ عن كثير يؤلف كتاباً حافلاً في هذا الباب وحده:

الموقف الأول:

أمر عمر برجم امرأة فمنعه علي فقال عمر: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[١].

(نعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن)[٢].

(لا عاش عمر لمعضلة ليس لها أبو الحسن)[٣].

(لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)[٤].

قال أحمد في الفضائل حدثنا .... قال: كان عمر بن الخطاب يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو أن ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على أمير المؤمنين فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب قال ابن المسيب: كتب ملك الروم إلى عمر

---

(١) إحقاق الحق ٨/١٨٥.
(٢) إحقاق الحق ٨/١٩٤.
(٣) إحقاق الحق ٨/١٩٤.
(٤) إحقاق الحق ٨/ ١٩٧.

(رض) من قيصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المسلمين، أما بعد فإني مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها فذكر المسائل بطولها، إلى أن قال: فقرأ عليٌّ الكتاب وكتب في الحال خلفه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد... فقد وقفت على كتابك أيها الملك وأنا أجيبك بعون الله تعالى وقوته وبركته وبركة نبينا ﷺ فساق الجواب، فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة، ثم سأل عن المجيب فقيل له هذا ابن عم محمد ﷺ فكتب إليه: سلام عليك أما بعد فقد وقفت على جوابك وعلمت أنك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأنت موصوف بالشجاعة والعلم وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم والروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إلخ[١].

(لولاك لافتضحنا)[٢].

(يا ابن أبي طالب فما زلت كاشف كل شبهة وموضح كل كلم)[٣].

«اللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي»[٤].

«أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن»[٥].

«اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حياً»[٦].

كان عمر بن الخطاب يقول لعلي بن أبي طالب فيما كان يسأله عنه

---

(١) إحقاق الحق ٨/١٩٩ عن تذكرة الخواص ص ١٥٤.
(٢) إحقاق الحق ٨/٢٠٤.
(٣) إحقاق الحق ٨/٢٠٥.
(٤) إحقاق الحق ٨/٢٠٧.
(٥) إحقاق الحق ٨/٢٠٩.
(٦) إحقاق الحق ٨/٢١٠.

فيفرج عنه: لا أبقاني الله بعدك يا علي.

الموقف الثاني:

نزلت بعمر نازلة قام لها وقعد وقال معاشر المهاجرين ما عندكم فيها؟ وغضب لقولهم ثم قال: أما والله إني وإياكم لنعرف ابن بجدتها والخبير بها، قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب، قال: وأنى يعدل بها عنه، وهل طفحت حرة بمثله، قالوا: فلو بعثت إليه، قال: هيهات هناك شيخ من بني هاشم ولحمة من الرسول وأثارة من علم يؤتى ولا يأتي، امضوا بنا إليه، فافضوا نحوه، وأفضوا إليه وهو في حايط عليه تبان يتوكأ على مسحاته وهو يقول: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ ودموعه تجري على خديه فأجهش القوم بالبكاء لبكائه فلما سكن سكنوا فسأله عمر عن مسألة فأصدر إليه جوابها، فلوى عمر يديه وقال: أما والله لقد رادك الحق ولكن أبى قومك، فقال: يا أبا حفص هوِّن عليك من هنا ومن هنا ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، فانصرف عمر وقد أظلم وجهه وكأنما ينظر من ليل[1].

الموقف الثالث: "ردوا الجهالات إلى السنة"[2].

عقبة مات فحضر جنازته علي عليه السلام وجماعة من أصحابه وفيهم عمر فقال علي عليه السلام لرجل كان حاضراً: إن عقبة لمّا توفي حرمت امرأتك فاحذر أن تقربها، فقال عمر: كل قضاياك يا أبا الحسن عجيب وهذه من أعجبها يموت الإنسان فتحرم على آخر امرأته! فقال: نعم إن هذا عبد كان لعقبة تزوج امرأة حرة، وهي ترث اليوم ميراث عقبة فقد صار بعض زوجها رقاً

---

(١) إحقاق الحق ٨/٢١٦ عن الأربعين للفخر الرازي.

(٢) إحقاق الحق ٨/٢٣٢.

لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه[١].

الموقف الرابع: "شعرة من آل أبي طالب أفقه من عدي"[٢].

إن عمر قال: لا أدري ما أصنع بالمجوس أين عبد الله بن عباس؟ قالوا: هاهو ذا، فجاء فقال: ما سمعت عليا يقول في المجوس؟ فإن كنت لم تسمعه فاسأله عن ذلك، فمضى ابن عباس إلى علي عليه السلام فسأله عن ذلك فقال: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ثم أفتاه[٣].

الموقف الخامس:

جاء رجلان إلى عمر فقالا له: ما ترى في طلاق الأمة؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع فسأله، فقال (أشار بإصبعيه من غير قول) اثنتان، فالتفت إليهما فقال: اثنتان، فقال له أحدهما: جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك عن طلاق الأمة فجئت إلى رجل فسألته فوالله ما كلمك؟ فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أن السماوات والأرض وضعت في كفة ووضع إيمان علي عليه السلام في كفة لرجح إيمان علي عليه السلام[٤].

وقد نظم الشاعر العبدي هذه القصة:

إنّا روينا في الحديثِ خَبَراً ... يعرِفُهُ سائرُ مَنْ كانَ رَوى

---

(١) بحار الأنوار ٤٠/٢٢٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٠/٢٢٧.
(٣) بحار الأنوار ٤٠/٢٣٥.
(٤) بحار الأنوار ٤٠/٢٣٦.

إنَّ ابـنَ خطـابٍ أتـاهُ رجـلٌ ... فقالَ كـم عـدةُ تطليـقِ الإمـا
فقال: يـا حيـدرُ كـم تطليقـةً ... للأمةِ اذْكُـرْ فـأَوْمَى المرتضـى
بإصـبعيهِ فـثنى الوجـهَ إلى ... سـائِلِهِ قـال: اثنتـانِ وانـثنى
قال له: تعرفُ هـذا؟ قـال: لا ... قال له: هذا عليٌّ ذو العُـلا[1]

٤ـ لولا علي لهلك عثمان:

«إن رجلاً أتى عثمان بن عفان ـ وهو أمـير المـؤمنين ـ وبيـده جمجمـة إنسان ميت فقال: إنكم تزعمون أن النار تعرض على هـذا وأنـه يعـذب في القبر وأنا قد وضعت عليها يدي فلم أحس منها حرارة النار!!!.

فسكت عثمان وأرسل إلى علي بن أبي طالـب يستحضـره فلمـا أتـاه وهو في ملأ من أصحابه قال [عثمان] للرجل: أعد المسـألة فأعادهـا ثم قـال عثمان [لعلي] أجب الرجل عنها يا أبا الحسن فقال علي ـ كرم الله وجهـه ـ ايتوني بزند وحجر والرجل السائل والناس ينظرون إليه، فأتيا بهما فأخـذهما وقدح منهما النار ثم قال للرجل: ضع يدك علـى الحجـر فوضـعها عليـه ثم قال: ضع يـدك علـى الزنـد فوضـعها عليـه، فقـال [لـه علـي عليه السلام]: هـل أحسست منهما حرارة النار؟! فبهت الرجل، فقال عثمان: لولا علي لهلـك عثمان»[2].

٥ـ مع معاوية:

ومن غريب أمره أنه رغم عدائه الذي لا يوصـف إلاّ أنـه كـان يبعـث

---

(١) بحار الأنوار ٢٣٦/٤٠.
(٢) زين الفتى ٣١٨/١.

مسائله بل ربما كانت عن مكنون العلم إلى الإمام عليه السلام كما في مسألة إرساله إلى الكوفة من يشيع موته[١].

"إن معاوية كان يرسل يسأل علياً عن المشكلات فيجيبه فقال أحد بنيه: تجيب عدوك، قال: أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا؟!"[٢].

٦ـ مقالة العلماء:

قال العلامة الكنجي الشافعي: قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته (بيت الإمام) بتفضيل علي عليه السلام وزيادة علمه وغزارته وحدة فهمه ووفور حكمته وحسن قضاياه وصحة فتاواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحة حكمه[٣].

وقال القسطلاني:

وكان علي بإجماع الصحابة مرجوعاً إليه في علمه موثوقاً بفتواه

---

(١) جاء في بحار الأنوار ٤١/٣٠٤: "النضر بن شميّل، عن عوف، عن مروان الأصفر قال: قدم راكب من الشام وعلي عليه السلام بالكوفة، فنعى معاوية، فأدخل على علي عليه السلام فقال له عليه السلام: أنت شهدت موته؟ قال: نعم، وحثوت عليه، قال: إنه كاذب، قيل: وما يدريك يا أمير المؤمنين إنه كاذب؟ قال: إنه لا يموت حتى يعمل كذا وكذا ـأعمال عملها في سلطانهـ فقيل له: فلمَ تقاتله وأنت تعلم هذا؟ قال: للحجة".
وقد جاءت الرواية بنحو أوسع حيث ذكرت أن معاوية بعث ثلاثة رجال من ثقاته يتواطؤون على نعيه بالكوفة. فلتراجع في إحقاق الحق ٨/١٢٢.

(٢) إحقاق الحق ٨/٢٤٣.

(٣) إحقاق الحق ٨/٣٣.

وحكمه، والصحابة كلهم يراجعونه مهما أشكل عليهم ولا يسبقونه[١].

وقال حبر الأمة ابن عباس: إن علياً علم علماً علّمه رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ علّمه الله فعلم النبي ﷺ من علم الله وعلم علي من علم النبي صلوات الله عليه وآله، وعلمي من علم علي عليه السلام، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي عليه السلام إلا كقطرة من سبعة أبحر[٢].

وقال محمد بن إدريس ـإمام الشافعيةـ: ماذا أقول في رجل أنكر أعداؤه فضله حسداً وطمعاً، وكتم أحباؤه خوفاً وفرقاً، وفاض بين هذين ما طبق الخافقين[٣].

وقال الشيخ الرئيس ابن سينا: كان علي عليه السلام من العلوم في المحل الذي لاتحلق له البشر، وقال أيضاً: أشرف الناس وأعز الأنبياء وخاتم الرسل ﷺ قال لمركز الحكمة وفلك الحقيقة وخزانة العقل أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) صلوات الله وسلامه عليه ـالذي كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوسـ: إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر تقرب أنت إليه بأنواع العقل تسبقهم.

وقال أيضاً: إن علياً بن أبي طالب بين أصحاب رسول الله ﷺ هو كالمعقول بين المحسوس، فهو عقل وغيره حس، وطبيعة الحواس أنها بحاجة إلى العقل لقيادتها[٤].

وقال أبو جعفر النقيب: إن نفس علي القدسية التي أدركت بالفطرة

---

(١) إحقاق الحق ٨/٢١٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٠/١٤٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ١/٥٢.
(٤) فلاسفة الشيعة /٢٩٨.

لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الإلهيين[١].

وقال ابن أبي الحديد معلقاً على خطبة للإمام عليه السلام في التوحيد: وهذا أيضاً من دقائق العلم الإلهي، والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به، ولكن هذا الرجل كان ممنوحاً من الله تعالى بالفيض المقدس والأنوار الربانية[٢].

وقال شكيب أرسلان: وإلاّ فقل إن وجد في التأريخ البشري مثل علي بن أبي طالب في كمال صفاته وكثرة فضائله وعلو مزاياه، ومن كان يقدر أن يقول في علي شيئاً[٣].

ونقل العلامة الشيخ محمد جواد مغنية كلمة وصفها بأنها الكلمة الجامعة ولها حكاية وهي أن جمعية الإصلاح في بيروت أقامت احتفالاً بذكرى الإمام تكلم فيها عدد من الخطباء، وقدم شكيب معرف الحفلة بقوله: تسمعون كلمة من الأمير شكيب، وإنما سمي أميراً لأنه شبيه الأمير في سنانه وبيانه، فغضب شكيب من هذا التشبيه، وقال على المنبر: والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت حتى الساعة كما اعتراني حين سمعت المعرف يشبهني بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله إن كل ما في السماء والأرض عدا الله والرسول لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب، إن الله أمر بالخير، ونهى عن الشر ثم خلقه كما يشاء، ثم قال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه[٤].

وقال ميخائيل نعيمة في رسالة منه لجورج جرداق: تسألني رأيي في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/١١٥. ويلاحظ: موسوعة الإمام علي ٨/٤٠٥ـ٤٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣/٤٨.

(٣) تحت راية الحق /٤٤.

(٤) فضائل الإمام علي /١٨٠.

الإمام -كرم الله وجهه- ورأيي أنه -من بعد النبي- سيد العرب على الاطلاق بلاغة وحكمة وتفهماً للدين وتحمساً للحق وتسامياً عن الدنايا، فأنا ما عرفت في كل من قرأت لهم من العرب رجلاً دانت له اللغة مثلما دانت لابن أبي طالب سواء في عظاته الدينية وخطبه الحماسية، ورسائله التوجيهية، أو في تلك الشذور المقتضبة التي كان يطلقها من حين إلى حين مشحونة بالحكم الراقية والروحية، متوهجة ببوارق الإيمان الحي، مدركة من الجمال في البيان حد الإعجاز، فكأنما اللآلئ بلغت بها الطبيعة حد الكمال، وكأنه البحر يقذف بتلك اللآلئ دونما عنت أو عناء، إلى أن يقول: إن علياً لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان[1].

ويقول جورج جرداق: وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره[2].

بيان وتعقيب:

وبعد هذه الإلمامة السريعة الحاوية لنماذج قليلة مما حفلت به حياة الإمام الفياضة وأيامه الزاخرة بما لا يستقصى من المسائل وحل المشاكل نعقب بما يلي من هذا البيان:

أولاً: لا يتوهمن متوهم ولا يظنن ظان أن الغرض من تسجيل مواقف الإذعان وشواهد الانبهار والإكبار من مختلف الفئات وأصناف المعجبين هو الحاجة إلى إثبات مقامات الإمام الأجل العلمية والاحتجاج بها دليلاً على سموه وعلو شأنه، فكلاّ وألف كلاّ فعلي يمتلك من الله شهادة وكفى بالله شهيداً، ويمتلك من النبي تعريفاً وتوصيفاً ويمتلك من ذاته برهاناً، أفتبقى

---

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٥/٢٢٧.

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١/٤٧.

بعد ذلك حاجة لأولئك المبهورين، وهو المخصوص بحجب الخلق عن معرفته إذ لا يعرفه إلاّ الله ورسوله.

ثانياً: والناظر في ما عرضنا من أشتات الشواهد وأعطف عليها ما ملأ حياته من أشباهها ونظائرها وأسمى منها يلاحظ تنوعها وتعدد مواطنها وأهميتها البالغة.

ففيها غوامض مسائل الاعتقاد، وشائك مسائل الفقه مما له حرمة مؤكدة في شرع الله كشؤون الدماء والفروج والأموال، وفيها ما يتصل بعالم الغيب وتلافيف الكون وأسراره المحيرة، وقضايا أخرى فكرية ورياضية وأصناف حقول العلم والمعرفة وما له صلة بالحياة في كثير من مجالاتها العريضة الواسعة.

ثالثاً: التركيز على المقياس الحق في الإمامة والحكم، فما أروع وأوقع تلاوة الإمام عليه السلام بينات ربه المباركة حين تحير عمر في حكم المجوس فبعث ابن عباس ليسأله، فقرأ الإمام ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

فالقوم على بصيرة أنهم لا يهتدون إلى الحق فيما يعتورهم، وعلى بيِّنة بأن المُقْصَى المُنَحَّى هو المتفرد بعلم الحق والدعوة إلى الهدى.

رابعاً: وحق لعلي الفخر، وهو أبعد الخلق عن الزهو والتعالي:

أترى كيف عبر عن مشاعره يوم سأله عدوه العنيد المتجبر المتكبر «أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا»؟! فهو الحديث عن نعمة ربه الكبرى حيث أغناه بعلمه، وأفقر عدوه وأحوجه إليه ـ صلوات الله عليه ـ.

خامساً: القذى والشجى والأسى:

فقد كَابَدَ ـ سلامُ اللهِ على روحِهِ ـ المِحَنَ وعَايَشَ الغُصَص، اهتُضِمَ

حَقُّه وجُفِي وأُبْعِدَ وأُقْصِي، وهو الغَوْثُ والغَيْث.

وما كانتْ حَسَراتُ آهاتِه غَضَباً ولهباً منبعثةً مِنْ جَرَّاء تَنَكُّرِهم لِذَاتِـه، وإن كانَ ذلك حَقَّه، ولكنه وهو الأمينُ على دينِ اللهِ ومُسْتَوْدَعُ سِرِّهِ، يَـرى الحقَّ مُضَاعاً والدينَ نَهَباً ..

القائمونَ على الرقابِ المهيمِنونَ على شؤونِ الدينِ والدنيا لا لَيَاقةَ لهم ولا قَابِلِيَّة ..

عَشْعَشَ الجهلُ وفَرَّخ، وغَلَبَتْهُمُ الغَشَاوَةُ فضَـلُّوا سَـواءَ السـبيل، ولم يَعْمُرْ قلوبَهم الإيمانُ فتورَّطوا وتَرَدَّوا في الهَلَكات.

وماذا يُرتَجَى ممن خَفَّتْ مَوَازِينُ علمِهِ وإيمانِهِ وخُلُقِه؟!

تلكم الهنابثُ العظَامُ والخطوبُ الجِسامُ هي التي كانت تَعْتَصِـرُ قَلْـبَ الإمامِ ألماً، وتُوقِدُ مِنْ أنفاسِهِ ضَرَماً، فيَنْبَعِثُ منها حِمَماً.

فاقرأ بعقلكَ ووجدانكَ ما طَفَحَ به موقفُهُ من أسى .. ونَضَحَ منه مِـنْ عُصارَةِ العَلْقَمِ والألم، وما أَوْقَدَهُ قلبُهُ مِنْ ضَرَم.

أعني حديثَه وعمر يومَ خَفَّ إليه في جماعته وحاشـيته فـوَرَدُوا عليـه ـ سلامُ الله عليه ـ ويَدُهُ في مِسْحَاتِه .. يَتَوكَّأُ عليها فيَعْمُـرُ الأرض .. ولِسَـانُهُ لَهِجٌ بِتِلاوَةِ كتابِ رَبِّه ..

ولا يُفَاوِتُ في جلالِ الموقفِ بينَ قَصْدِ الإمامِ وانتقائـه للآيـاتِ المَتْلُـوَّةِ وتَنَاسُبِ حُكْمِها والموضوع، وبينَ العَفَوِيَّةِ ومُوَاصَلَتِه هذه الآيات بما سَـبَقَها .. فلا يَتَمَايَزُ الموقف .. فالإمامُ ممسوسٌ في ذاتِ الله .. لا يَنْقَطِعُ له فِكْرٌ عـن عُبُودِيَّتِه ورُبُوبِيَّةِ رَبِّه ـتَبَارَكَ وتَعَالى ـ .. والآيـاتُ مِـنَ الدلالـةِ علـى المعـنى والمغزَى أروعُ تصويرٍ وأبلغُ حكايةٍ وأكملُ أداء .. تامَّةُ الانطبـاق .. والْـتَحَمَ

الإمامُ بخيرِ الكلام، فقلبُهُ بحبِّ الله مُتَيَّمٌ ولسانُهُ بذكرِ الله لَهِج .. يَنْهمِرُ دمعاً ويَفيضُ عَبَرات، وتَنْبِضُ صَادقَةُ المَشَاعر .. وكما أَخَذتْ مِنْ صاحبِها موقعَها فقد أَثَّرتْ في من سَمعَها أَثَرَها فأَجْهَشُوا كما أَجْهَش .. وإنْ تَفَاوَتَ مَنْ بَكَى ممن تَبَاكى .. وسَكَنَ وسَكَنُوا .. ثم أشرقَ عليهم نورُ علمِه وأَسرَهُمْ جوهرُ كَلِمِه .. فلم يتمالكْ عمر فتفاعلتْ يدُهُ ولواها معبرةً عن خَفِيِّ معنى .. هل هو الإعجابُ أم يقظةُ ضميرٍ ولحظةُ صَحْو؟! فما بَرِحَ أَنْ أفصح .. فلعلَّ القولَ يحكي الحركةَ والفعل .. والمقامُ رهيبٌ والمقالُ عجيب: رَادَكَ الحق .. أبى قومُك ..

ولا حديث في الأولى .. فعليٌّ والحقُّ مَعِيَّةٌ لا انفرادَ ولا افتراق .. ولكن يا تُرى مَنِ القومُ الذين أَبَوا؟ وقد كانوا يعلمونَ التحامَ عليٍّ والحق.

أجل .. مَضَى السهمُ بما فيه، ودَعْ عنكَ نَبأً صِيْحَ في حُجُرَاته، ولكن لا بدَّ منَ انتصارٍ للحقيقة، وتأكيدٍ على الظُّلامة، وصرخةٍ مُدَوِّيَة يخترقُ صوتُها أُذُنَ الزمان، وانقطاعٍ مُطْلَقٍ إلى مَنْ تَجتمعُ لَدَيْهِ الخُصُومُ يومَ الفصلِ فهو الميقاتُ ونَفْخَةُ الصُّور.

أجل .. إنها الظُّلامة، وإنها الثقةُ والعزَّةُ بالله، وإنها خالصُ التَّوكُّلِ واليقينِ بحكمِ اللهِ، وعَدْلُهُ في قضائه بَيِّنٌ يومَ محكمةِ العدلِ الكبرى.

وهل للتحليلِ النفسيِّ الدقيقِ مَنْفَذٌ فطريقٌ إلى ما صَنَعَهُ بكاءُ الإمامِ وانقطاعُهُ إلى ربِّه؟ وماذا فَعَلَتْ حُرُوفٌ لَهِجَ بها لسانُهُ هي كلماتُ الله وآياتُه؟ ماذا صنعَ الفعلُ والقولُ في فكرٍ ونفسياتِ الجَمْهَرَةِ التي خَفَّتْ للإمامِ تُنْقِذُ جَهْلَها وحَيْرَتَها؟ وعَلامَ انْقَلَبَتْ وكَرَّتْ راجعة؟! أهو الانفعالُ الآني والتَّأَثُّرُ المُؤَقَّت؟!

أمَّا المعنيُّ أولاً بالخروجِ من ورطةِ المسائلِ والمشاكلِ فقد صَوَّرَتْهُ الروايةُ مُظْلِمَ الوَجْهِ أَسْوَدَهُ كأنَّهُ في لونِهِ حُنْدُس.

أمَّا قلبُهُ وضميرُهُ وروحُهُ فربما دلَّتْ قسماتُ الوجهِ ـوإنْ أخفى منها حَالكُ السوادـ على معنى، ولكنَّ الحقيقةَ عندَ اللهِ العظيمِ العليمِ بالضمائرِ وما تُخْفِيْهِ بَوَاطِنُ السرائر.

المورد الثالث: نماذج ودلائل:

وهي من الكثرة والوفرة والتنوع والشمول تثقل كاهل العاد ولا غرو في ذلك ولا عجب ـوإن كانت شؤون مولانا أبي الحسن الفذ كلها عجيبةـ إذا عرفنا ما وهب من استعداد ومعدن، وأدركنا الجود الإلهي المفاض، والمهام المناطة بتلكم الذات الفريدة والنسخة النادرة.

وسأحاول إيراد أشتات متنوعة تلقي بصيصاً من نور شع من هاتيك الآفاق، وإلا فعبثاً لو حاولت السبر والاستقصاء، فهذه شذرة ضئيلة تنم عمّا يعجز ويبهر ويحير، وبالله المستعان.

الأولى: المسائل الرياضية:

١ ـ «جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا: اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضاً مما أكلت لكما ونلته من طعامكما، فتنازعا وقال صاحب الأرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقصَّا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة، فقال: لا والله لا رضيت منه إلا بمر الحق، فقال علي: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة، فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي

بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن: أنه لا يجب لي في مر الحق إلا درهم واحد، فقال له علي: عرض عليك صاحبك أن تأخذ ثلاثة صلحاً فقلتَ: لم أرض إلا بمر الحق، ولا يجب لك بمر الحق إلا واحد، فقال الرجل: فعَرِّفْني بالوجه في مر الحق حتى أقبله، فقال علي: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منك أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء؟ قال: بلى، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة، وأكل لك واحداً في تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته فقال له الرجل: رضيت الآن»[1].

هذا وقد رويت بطرق أخرى، وفي بعضها أن الإمام عليه السلام قال لهما أولاً: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن.

قال السيد الأمين: فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة والروية وأصاب فيها كان فيها الفخر[2].

٢ ـ دخل يهودي على علي عليه السلام وقال: أخبرني عن عدد يكون له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر ولم يكن فيه كسر، فقال علي عليه السلام: إن أخبرتك تُسْلِم؟ فقال: نعم، فقال عليه السلام: اضرب أيام أسبوعك في سنتك، فكان كما قال، فلما تحقق المسألة وصحتها ولم يكن فيها كسر أسلم[3].

---

(١) وقد ذكرت في (قضاء أمير المؤمنين /١٢٠) وفي (الإرشاد /١١٧).

(٢) أعيان الشيعة ٢/١٧ وقد أوردها مفصلة ص٣٧ من الجزء نفسه. وقدم لها بقوله: رواها العامة والخاصة بأسانيدهم المتصلة...إلخ.

(٣) قضاء أمير المؤمنين /١٢١، وقد شرحها شرحاً علمياً مبسوطاً العلامة الرياضي الجليل الشيخ أحمد أمين في كتابه (التكامل في الإسلام) ٤/١٢٠.

أقول: ويأبى علي إلا الروائع، فما أروع هدفه وأسمى غايته فيجعل منه نوراً يهدي به إلى الإسلام وسُبُلِ السلام.

٣ـ بينما رجلان جالسان في زمان عمر بن الخطاب إذ مر بهما رجل مقيد، فقال أحد الرجلين إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً، فقال الآخر إن كان فيه كما قلت فامرأته طالق ثلاثاً.

فذهبا إلى مولى العبد وهو مقيد، فقالا له: إنا حلفنا على كذا وكذا فحل قيد غلامك حتى نزنه، فقال مولى العبد: امرأته طالق إن حللت قيد غلامي، فارتفعوا إلى عمر فقصوا عليه القصة فقال عمر: مولاه أحق به اذهبوا بنا إلى علي بن أبي طالب لعله يكون عنده في هذا شيء، فأتوا علياً عليه السلام فقصوا عليه القصة، فقال: ما أهون هذا، ثم دعا بجفنة وأمر بقيده فشد فيه خيوط وأدخل رجليه والقيد في الجفنة ثم صب عليه الماء حتى امتلأت، ثم قال عليه السلام: ارفعوا القيد فرفعوا القيد حتى أخرج من الماء، فلما أخرج نقص الماء، ثم دعا عليه السلام بزبر الحديد فأرسله في الماء حتى تراجع الماء إلى موضعه والقيد في الماء ثم قال: زنوا هذا الزبر فهو وزنه.

ورواه فضائل ابن شاذان عن كعب الأحبار عنه عليه السلام وزاد: فلمّا فعلوا ذلك وانفصلوا دخلت نساؤهم عليهم وخرجوا وهم يقولون: نشهد أنك عَيْبَةُ علم النبوة، فعلى من جحد حقك لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين[1].

هذا وتذكر له ـسلام الله عليهـ في هذا الباب مسائل عويصة حلها بديهة بواسع ما آتاه الله من علم[2].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين /١٨٤ وأورد في المقام عدة روايات يراجعه راغب المزيد.

(٢) كمسألة الجمال ١٧، و١٩ وتقسيمها على ثلاثة فراجعها، وشرحها مفصلة في (التكامل في الإسلام) ١٥٩/٤.

الثانية: البراعة في كشف الحيلة:

"استودع رجلان امرأةً وديعة وقالا لها لا تدفعيها إلى واحد منا حتى نجتمع عندك، ثم انطلقا فغابا فجاء أحدهما إليها فقال: أعطني وديعتي فإن صاحبي قد مات، فأبت حتى كثر اختلافه، ثم أعطته فجاء الآخر فقال: هاتي وديعتي، فقالت المرأة: أخذها صاحبك وذكر أنك قد مت، فارتفعا إلى عمر فقال لها عمر: ما أراك إلا وقد ضمنت، فقالت المرأة: اجعل علياً بيني وبينه، فقال عمر له عليه السلام: اقض بينهما، فقال علي هذه الوديعة عندي وقد أمرتماها أن لا تدفعها إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأتني بصاحبك، ولم يضمنها".

أقول: أوردها الشيخ التستري في كتابه (قضاء أمير المؤمنين /١٤) عن الكافي والتهذيب وعن من لا يحضره الفقيه باختلاف في أحد سلسلة السند، كما نقلها الشيخ الحكيمي في (سلوني قبل أن تفقدوني ٩٢/١) بتفاوت يسير عن جملة من كتب العامة وقد جاء في ذيلها: (فبلغ ذلك عمر فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب).

الثالثة: الدقة الفقهية:

عن أنس بن مالك قال: إن أعرابياً جاء بإبل له يبيعها فأتاه عمر يساومه بها فجعل عمر ينخس بعيراً بعيراً يضربه برجله ليبعث البعير لينظر كيف قواده فجعل الأعرابي يقول: خلّ إبلي لا أباً لك، فجعل عمر لا ينهاه قول الأعرابي أن يفعل ذلك ببعير بعير، فقال الأعرابي لعمر: إني لأظنك رجل سوء، فلمّا فرغ عنها اشتراها فقال: سقها وخذ أثمانها، فقال الأعرابي: حتى أضع عنها أحلاسها وأقتابها فقال عمر: اشتريتها وهي عليها فهي لي كما اشتريتها، فقال الأعرابي: أشهد أنك رجل سوء، فبينما هما يتنازعان إذ أقبل علي فقال عمر: ترضى بهذا الرجل بيني وبينك؟ قال الأعرابي: نعم، فقصا على علي قصتهما فقال علي: يا أمير المؤمنين إن كنت اشترطت

عليه أحلاسها وأقتابها فهي لك لما اشترطت، وإلا فإن الرجل يزين سلعته بأكثر من ثمنها، فوضع عنها أحلاسها وأقتابها فساقها الأعرابي فدفع إليه عمر الثمن.

أقول: عقب الناقل الرواية بقوله: جزى الله أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن الأعرابي خيراً يوم حفظ له الأحلاس والأقتاب عن أن تؤخذ منه بغير ثمن، وأما حل مشكلة عمل الخليفة وفقهه في المقام فنكله إلى نظرة التنقيب للباحث الحر[1].

وأقول أيضاً: إن ما قام به عمر من نخسه الإبل بعيراً بعيراً لئلا يغبن في شراء الصفقة، ولكونه من ذوي الخبرة في ذلك حيث كان في سالف عهده (مبرطشاً)[2] فمن ثم بالغ في اختبارها ولم يكترث لكلمات الأعرابي الجارحة وعباراته القارصة.

الرابعة: إحاطة بحدود الله وصيانة:

«أُتِيَ عمر بخمسة نفر أخذوا في الزنا، فأمر أن يقام على كل واحد منهم حد، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم، قال: فأقم أنت عليهم الحد، فقدم واحداً منهم فضرب عنقه، وقدم الثاني فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحد، وقدم الرابع فضربه نصف الحد، وقدم الخامس فعزره، فتحير عمر وتعجب الناس من فعله، فقال عمر: يا أبا الحسن خمسة نفر في قضية واحدة أقمت عليهم خمسة حدود وليس منها شيء يشبه الآخر؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما الأول فكان ذمياً

---

(١) سلوني قبل أن تفقدوني ١/١٠٢.

(٢) بالسين والشين الدلال والساعي بين البايع والمشتري الذي يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً ووصف عمر بذلك في الجاهلية. القاموس المحيط ٢/٢٠٠، ٢٦٢.

خرج عن ذمته ولم يكن له حكم إلاّ السيف، وأما الثاني فرجل محصن كان حده الرجم، وأما الثالث فغير محصن حده الجلد، وأما الرابع فعبد ضربناه نصف الحد، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله»[1].

والمسألة خطيرة لارتباطها بحدود الله التي لا يجوز أن تتعدى وتتجاوز، وشائكة لتعدد مرتكبي الجريمة، ومعضلة لتنوعهم فهي بحاجة إلى فهم دقيق وفقه عميق، ومن ثم استولت الحيرة على عمر ومن حضر مجلس الحكم والقضاء وملكهم العجب، وأنى لهم بالإحاطة بدقائق الأحكام وعويص القضايا.

وفي مثل هذا المعترك يتجلى ابن أبي طالب بما يتحلى به من خصائصه ومميزاته وأنه ممن عقمت النساء أن يلدن بمثله.

الخامسة: الفهم العميق:

عن الصادق عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما قضى بها أحد كان قبله، وكان أول قضية قضى بها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنه لما قبض رسول الله وأفضى الأمر إلى أبي بكر أتى برجل قد شرب الخمر، فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟ فقال الرجل: نعم، فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال: إنني أسلمت ومنزلي بين ظهراني قوم يشربون الخمر ويستحلونها ولو أعلم أنها حرام لاجتنبتها، فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة وأبو الحسن لها، فقال أبو بكر: يا غلام ادع لنا علياً، فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله، فأتوه ومعه سلمان الفارسي فأخبروه بقصة الرجل فاقتص عليه قصته، فقال عليه السلام لأبي بكر: ابعث معه من يدور على مجالس المهاجرين والأنصار فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه، فإن لم يكن تلا عليه آية التحريم فلا شيء

---

(١) قضاء أمير المؤمنين /٣٧.

عليه، ففعل أبو بكر بالرجل ما قال علي عليه السلام فلم يشهد عليه أحد، فخلى سبيله.

فقال سلمان: لقد أرشدتهم، فقال علي عليه السلام: انما أردت أن أجدد تأكيد هذه الآية فيّ وفيهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

وقال في الإرشاد رواه الخاصة والعامة[1].

وتقرر الرواية حقيقة راهنة ويقيناً جازماً أن الملاذ والمفزع والملجأ والمرجع إذا ادلهمت الخطوب واضطرب الرأي وضلت الحيلة إنما هو حلاّل المشكلات وكاشف الشبهات.

فعمر على ثقة مطلقة بأن القضية معضلة ولكن (وأبو الحسن لها) وأبو بكر يذعن بذلك ويسلم، أمّا علي فهو على بينة من أمره وهو المحيط بأسرار الشريعة على تملٍ وإفاضة في العلوم فوق ما يطلبه الطالبون ويبتلى به المبتلون.

ولا يفوت الإمام العظيم أن يسجل في مثل هذه المواقف انفعاله حزناً أو فرحاً، حزناً على الأمة بما آلت إليه قائداً ومقوداً من بضاعةٍ في فقهِ الدينِ والحياةِ مُزْجاة، وكيف ضيعت خطها وساء طالعها حيث قدمت من أخر الله وأخرت من قدم، وفرحاً بما آتاه الله وأفاض عليه حتى اضطر ألداء أعدائه إلى رفع شائك مسائلهم إليه حيث لا يجدون دونه بدلاً ولا عنه محيصاً[2].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين /٤٧.

(٢) مضافاً إلى ما حواه قوله واستدلاله بالآية الكريمة حيث تمثل قيامه عليه السلام بالحق وهدايته إليه، وأنهم ضالون عنه ولا يهتدون إلاّ أن يهدوا، وحيث الدلالة العقلية

فقد قال له أحد بنيه: تجيب عدوك (معاوية) فقال: أما يكفينا أنه احتاجنا وسألنا؟![1].

السادسة: براعة فقهية:

عن الصادق عليه السلام أن عقبة بن أبي عقبة مات فحضر علي عليه السلام وجماعة من أصحابه جنازته وفيهم عمر، فقال عليه السلام لرجل كان حاضراً: إن عقبة لما ما توفي حرمت عليك امرأتك فاحذر أن تقربها، فقال عمر: كل قضاياك عجيبة يا أبا الحسن وهذه من أعجبها، يموت إنسان فتحرم على آخر امرأته، فقال: نعم، إن هذا كان عبداً لعقبة وتزوج امرأة حرة ترث اليوم بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رقاً لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها، فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه[2].

السابعة: الفقه النادر الطريف:

عن علي بن جعفر عن أخيه عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام أتاه رجل بعبده فقال: إن عبدي تزوج بغير إذني، فقال علي لسيده: فرق بينهما، فقال السيد لعبده: يا عدو الله طلق، فقال علي عليه السلام: كيف قلت؟ قال: قلت له طلق، فقال علي للعبد: أما الآن فإن شئت فطلق وإن شئت فأمسك، فقال السيد: يا أمير المؤمنين أمر كان بيدي فجعلته بيد غيري؟ قال: لأنك حين قلت له (طلق) أقررت له بالنكاح[3].

في أولوية الاتباع للعالم بالحق الهادي إليه دون الجاهل به إلاّ أن يؤخذ بيده ويرشد ويوجّه، فما لهؤلاء لا يكادون يفقهون حديثاً!!.

(١) إحقاق الحق ٨/٢٤٣.

(٢) قضاء أمير المؤمنين /١١٠. وقد مرّ ذكرها بتفاوت في المصدر وبعض الألفاظ.

(٣) قضاء أمير المؤمنين /٢١٤.

الثامنة: في أعماق دقائق علم الكلام:

كتب الحجاج بن يوسف إلى الحسن البصري وإلى عمر بن عبيد وواصل بن عطا وعامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم في القضاء والقدر فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إلينا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: «من الذي دهاك، إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله برئ من ذلك».

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول علي بن أبي طالب «لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً».

وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت في القدر والقضاء قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «أيدلك على الطريق ويأخذ عليك بالمضيق».

وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول علي بن أبي طالب «كل ما استغفرت الله تعالى منه فهو منك وكل ما حمدت الله تعالى عليه فهو منه».

فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج قال: لقد أخذوها من عين صافية»[1].

التاسعة: بلاغة وبراعة وإبداع:

قال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين): ثلاث كلمات لأمير المؤمنين فتأن عين البلاغة: في الحكمة: قِيْمَةُ كُلِّ امْرِءٍ مَا يُحْسِنُه، النَاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، المَرْءُ مَخْبُوْءٌ تَحْتَ لِسَانِه.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين /٨٧.

في الأخلاق: أَحْسِنْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيْرَه، واسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيْرَه، واحْتَجْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيْرَه.

في الدعاء: إلهي كَفَى بي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وكَفَى بي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لي رَبّاً، أنتَ كما أُحِبُّ فاجْعَلْنِي كَمَا تُحِب[1].

وبعد ..

فهذه آثار وسوانح برزت كما أترعت حياته بفيض من نظائرها، وهذه وتلك وسواها تحكي سمة شاخصة ناصعة أيامه كلها في فتوته وشبابه وكهولته وشيخوخته، عصر الرسالة وزمان حكم غيره وفترة خلافته، وقد عالجت موضوعات شتى عقلية وفقهية وبلاغية وعقدية وما إليها وهي شؤون خطيرة تنبعث من الفكر وتنطلق من الابتلاء وتفرضها الحاجة فتفزع الأمة بأسئلتها لحل معضلتها ورفع مشكلتها، فإلى من تفزع؟ وإلى من تَمرع؟ أَ إلى ولاتها ورعاتها؟! كيف وهم أولُ من يفزع ويهرع، فالرعاة والولاة والرعية الأتباع سواء في الحاجة إلى رفع الجهل والاستضاءة بنور العلم، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الكُلِّ والكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْه.

وقد اعترف الناهلون وطأطأ المغترفون من بحر علومه الواقفون على ساحل كرمه واتفقوا رغم اختلاف الميول والهوى وشدة الصراع والنزاع أنه -سلام الله عليه- الملجأ والملاذ والغوث وكافة الخلق صديقاً وعدواً كافراً أو مسلماً، يضيء فيهم نورُه وتسعهم نفسُه وتشملهم أريحيتُه وتعطف عليهم كرائمُ خلائقِه.

وهي كما سبق أن قلت إنه إثبات الذات وتحقيق مصداق الاصطفاء والتعيين الإلهيين.

---

(١) علي في الكتاب والسنة ٢/٣٢.

عليٌ وعلمُ الغيب:

والباعث على إفراده بالبحث وعدم الاكتفاء بما أفادته الأحاديث السابقة المتعلقة بـ (علم الإمام) أن ثمت استيحاشاً بل واستفظاعاً عند فئات وحيرة وقلقاً عند أخرى من صحة نسبة علم الغيب إلى الإمام عليه السلام لما يرون أو يتصورون في ذلك من شائبة الغلو حيث لا يعلم الغيب إلاّ الله.

فأقول مستعيناً بالله:

المدلول اللغوي للغيب: هو ما غاب عن الحس، ويقابله الشهادة، والإنسان يحيط علماً بكثير مما يغيب عن حواسه فيصدق عليه في ذلك أنه عالم بالغيب فيها، وإن اختلفت منازع العلم عند الأفراد تبعاً لاختلاف الدين والفكر والمنهج.

فالمؤمن يعلم بالقيامة وأحوالها والجنة والنار وغيبة إمام العصر وظهوره ونزول عيسى، والملائكة والجن.

وغير المؤمن يعلم من الغيب عبر ما اعتمده طريقاً يوصله إلى ذلك.

وبما امتاز كل من المؤمن وغيره في المسلك الموصل وبما اتفقا.

فطريق الوحي وإخبار المعصوم وصفاء النفس وتزكيتها بالرياضات الشرعية يعتدها المؤمن نهجاً يسلك به إلى الإحاطة بما وراء الحس، والتنويم المغناطيسي أو الإيحائي وتحضير الأرواح والرياضة الشيطانية ونحوها من علوم غريبة يعتدها غير المؤمن طريقاً لاستكشاف المغيب[1].

---

(١) أ- حكى التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة) في إصابات المنجمين أن أباه قال: كنت يوماً بحضرة الموفق فأحضر أبا معشر ومنجماً آخر سماه لي ونسيته فقال لهما: في كمي شيء فما هو؟ فقال الآخر بعدما أخذ الطالع وعمل الزائجة وفكر:

ولا يعنيني هنا التنصيص بالدقة على المشترك والمفترق بين المسلكين ومدى اعتماد ذلك في عالم التشريع وترتيب الآثار وما يرد وما يقبل فلذلك مجال واسع عريض، مضافاً إلى أن هذا النحو من العلم الحاصل لدى الإنسان ليس محلاً للبحث ولا مقصوداً بالاستيحاش والرفض.

وإن نفع مثل هذا البحث في الإقناع بقابلية بعض الذوات لاستشراف المستقبل، ويعضد ذلك ما مُنِحَتْهُ الروح من قوة وقدرة على استطلاع الغيب وما قرره بعض الفلاسفة من تهيؤ النفس الإنسانية في أوقات صفائها

هو شيء من الفاكهة، وقال أبو معشر هو شيء من الحيوان فقال للآخر: أصبت ولأبي معشر أخطأت ورمى من يده تفاحة وأبو معشر واقف فتحير وعاود النظر في الزائجة ساعة ثم سعى نحو التفاحة حتى أخذها وكسرها فإذا هي تنتشر دوداً، فقال: أنا أبو فلان، فهال الموفق ما رآه منهما في الإصابة وأمر لهما بجائزة. قضاء أمير المؤمنين /١٠٥.

ب- وحكاية أخرى أوردها الشيخ الفاضل الدربندي وخلاصتها:

ورد أصفهان أيام حكم الصفوية سفير من بلاد الإفرنج وكان بارعاً في العلوم الرياضية والنجوم والإسطرلاب يدعي الإنباء عن الأحوال المقبلة والحوادث والبلايا فأحضر السلطان وقد تولى -كما قيل- الفيض الكاشاني المولى ملا محسن -بعد إثارة ومشادة ومما قاله السفير الخطير: فعند الاستبار (الامتحان) يعرف مقادير كمالات الرجال فامتحن تصدق قولي، فعند ذلك أدخل الفاضل الكاشاني يده في جيبه ثم أخرجها مقبوضة فقال ما في يدي هذه؟ ففكر المسيحي طويلاً وتغير لون وجهه فانتشى الكاشاني وقال ما أظهر جهلك وأبطل دعواك؟.. فقال السفير وحق المسيح وأمه إني عالم بما في يدك ولكن فكري وسكوتي لجهة أخرى، وما هي؟ فقال المسيحي: ما في يدك تربة من تراب الجنة وفكري في وجه وصولها إلى يدك، فقال الكاشاني: لعلك غلطت أو أن قواعد علمك غير تامة فأعاد المسيحي يمينه بالمسيح وأمه ثم كشف الكاشاني الحقيقة قائلاً: أيها السفير إن ما في يدي تربة كربلاء، وإن نبينا قال: كربلاء قطعة من الجنة، فهل لك بد من عدم الإيمان، مع قطعك بعلمك وأنه لا يتخلف عن الواقع، فقال السفير: صدقت أيها العالم الإسلامي، فأسلم السفير على يديه. إكسير العبادات في أسرار الشهادات ١/٥٢٣-٥٢٤.

وصحوها لمعرفة مخبئات ومكنون الوجود الذي لا يدرك بحس.

قال الشيخ الرئيس ابن سينا: التجربة والقياس متطابقان على أن النفس الإنسانية تنال من الغيب نيلاً ما في حالة المنام، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة إلا ما كان إلى زواله سبيل، ولارتفاعه إمكان، أما التجربة فالتسامع والتعارف يشهدان به، وليس أحد من الناس إلا وقد جرب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق، اللهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج، نائم قوى التخيل والتذكر إلخ[1].

وقال الشيخ محمد رضا المظفر: لقد ثبت في الأبحاث النفسية أن كل إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء من طريق الحدس الذي هو فرع الإلهام بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك.

وهذه القوة تختلف شدةً وضعفاً وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم فيطفر ذهن الإنسان في تلك الساعة إلى المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير وترتيب المقدمات والبراهين أو تلقين المعلمين[2].

إذن فلا بد أن تكون وجهة البحث معنى أدق وأفقاً أرحب وهي مناط النزاع وموطن الاختلاف.

فهل لبعض الذوات الإحاطة بالخفيات كلاً أو بعضاً والعلم بالمغيبات على نحو يصح حقيقة نسبة علم الغيب إليها لا مجرد الإخبار عنها بعد تلقيها من مصدرها الأول فيكون هو العالم بها وإنما هي ناقل صادق؟

---

(١) الإشارات والتنبيهات ـ النمط العاشر ٣/٣٩٩.

(٢) عقائد الإمامية /٦٨.

ويترتب على ذلك عند من لا يرى صحة النسبة أنها تعني مشاركة الباري سبحانه في علمه وهو الغلو المرفوض والتجاوز المردود لما يستتبعه من لوازم فاسدة.

ومحور الصراع هي تلكم الإنباءات الكثيرة والجهر الصريح الذي أدلى به الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أيام حياته وشمل شؤوناً عدة، وإن عم البحث مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من ذريته عليهم السلام إلاّ أن معقد بحثنا حول باب مدينة علم رسول الله، ولمدينة علم الله فضله وجلالة مقامه ـصلوات الله وسلامه على كافتهمـ.

وبعد فلنلق الضوء حتى نلج المعترك ونخبر الحقيقة:

أولاً: أدلة النافين:

فمن أولها وأهمها في نظر النافين آيات القرآن الحكيم الدالة على إثبات العلم بالغيب للذات المقدسة ونفيها عمن سواه ـجلّ وعلاـ.

كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[2].

وقوله جل شأنه: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ﴾[3].

وقوله ـتقدست أسماؤهـ: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) سورة الأنعام /٥٩.
(٢) سورة الأعراف /١٨٨.
(٣) سورة يونس /٢٠.

الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[1].

فهذه ونظائرها مما وردت في هذا المضمار مثبتة نافية، ومما يحمل بعضها من أسلوب الحصر.

وثانيها: الروايات المفسرة لتلكم الآيات، وغيرها مما تحمل هي الأخرى الإثبات والنفي.

ثالثها: الغلو في نسبة ما للخالق للمخلوق.

ثانياً: حجة المثبتين:

إن ما ذكر من دلالة الآيات والروايات إنما يتم لو كانت قطعة لا تحتمل تأويلاً ولا تقبل تقييداً أو تخصيصاً فترد بذلك الدعوى المخالفة، وإلاّ فيجب معالجة ما يظهر من التعارض بالتوفيق بينهما فالجمع مهما أمكن أولى من الطرح وبالتالي لا تصل النوبة إلى تعارض جوهري.

فما هو التوفيق ووجه الجمع والتصالح بين الوجهتين؟

يمكننا استجلاء الحقيقة في ذلك عبر النقاط التالية:

النقطة الأولى: آيات الإثبات:

أن ثمت آيات أخرى أفصحت عن تحلي فئة مميزة من البشر بالإحاطة بجملة من الغيوب فلا بدع في صحة نسبة ذلك إليهم.

فمن ذلك هذه الآيات المباركة:

---

(١) سورة النمل /٦٥.

١ ـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ۞ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[1].

وبالتأمل في أطراف الآية وجملها الشريفة نقف على التنصيص أولاً وأخيراً على إحاطة الباري ـ جلّ وعلا ـ بالغيب كله، ولكنه قد يفيض على المرتضى من رسله فيهبه ما يشاء من ذلك ويحوطه بعنايته فيوسع قلبه لحمله ويمده بما يمهد له من حفظه ورعايته ويسدده بما يسلك به من بين يديه ومن خلفه.

وإن مهام الرسالة وشؤونها تستدعي تلكم الرعاية وذلكم التسديد (لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ) فلابد لهم من إيقافهم على الحقائق ليتم تنفيذ مقاصد الله وإبلاغ شريعته.

٢ ـ ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ونظراً لموضوع صدر الآية من التمايز الواقعي بين الخبيث والطيب ـ ولا بد أن يكون فيما يخفى إذ لو كان فيما هو جلي لتساوت فيه المعرفة ـ جاء التعقيب بأن ذلك من شؤون الغيب ومن البديهي أن الناس ليسوا فيه شَرَعاً سواء بل ليس هو إلاّ من صفات الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولكنه ـ تبارك وتعالى ـ يجتبي من رسله من يشاء فيحبو المجتبى بميزة عمن سواه فيمده بقوة يكتشف بها واقع الناس فيميز ببركتها بينهم بما

---

(١) سورة الجن /٢٦ـ٢٨.
(٢) سورة آل عمران /١٧٩.

لا يقوى عامّتهم على نيلها.

ولا يأبى طرف الآية الأخير من حمل المؤمنين على الإذعان بهذه الحقيقة التي يختص بها المجتبى فجاء الأمر بالإيمان بالله ورسله وبما للرسل من امتياز يسمون به على من أرسلوا إليهم.

٣ـ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[1].

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وإذا أمعنا النظر وأعملنا الفكر في سوابق هذه الآية ولواحقها في حديثها المستفيض عن كلمة الله المسيح عليه السلام وما أسبغ عليه من قدرات إلهية ومظاهر الإبداع والإعجاز في خلقه وملكاته أوقفنا ذلك على ما يبلغه العبد من جلال المرتقى إذا اكتنفته إحاطة الرب ـجلّ وعلاـ.

ويعنينا هنا إنباؤه ـسلام الله على روحه الطيبةـ بما يأكله قومه وما يدخرونه، ومن الواضح سعة المعلوم وانتشاره، فكم هم قومه؟ وماذا يأكل كل فرد منهم من أصناف في رقعة الزمن الممتد؟ وماذا يدخر كل منهم لصيفه وشتائه وشدته ورخائه.

هذا وليست تلكم السعة منحصرة في المأكول والمدخر وإنما جاءت مثالاً لما هو لصيق بهم في معاشهم.

ومن سعة المعلوم نتعرف على سعة العلم وعمق الإحاطة.

---

(١) سورة آل عمران /٤٤، وكررها القرآن في موطن آخر (سورة يوسف /١٠٢) ونحوها في آية ثالثة (سورة هود /٤٩).

(٢) سورة آل عمران /٤٩.

ونظير هذه الآية حديث آية أخرى عن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام:

﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[1].

مضافاً إلى ما حفلت به سورة يوسف من موارد تلتقي وهذا الشأن.

النقطة الثانية: روايات الإثبات:

ومن جاس خلال الروايات وسبر أبعادها وغاص في أعماقها ألفى في أطرافها وأكنافها كنوزاً ذات أصناف وأسراراً لا يدرك لها مدى ولا تبلغ إليها غاية الباحث المنقب وإن جدّ في الطلب وأعياه البحث، ففي كل صنف منها طوائف وطرائف مستفيضة أو متواترة موثقة وصحيحة.

وإليك أيها القارئ الحر الكريم فهرست تلكم المنافذ والأبواب:

١ ـ إن الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء.

٢ ـ إن عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله ـعز وجلـ.

٣ ـ إنه لم يجمع القرآن كله إلاّ الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله.

٤ ـ ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم.

٥ ـ إن عندهم الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام.

٦ ـ إنهم عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام.

---

(١) سورة يوسف /٣٧.

٧ـ إنهم عليهم السلام يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء.

٨ـ إنهم عليهم السلام لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه.

٩ـ إنهم عليهم السلام محدثون مفهمون.

١٠ـ الروح التي يسدد بها الأئمة عليهم السلام[١].

مضافاً إلى ما حفلت به شخصية كل إمام من روايات وخطب وشواهد على آفاق علومهم الإلهية.

ومن الخير أن نعرض نماذج من جواهر تلكم الكنوز من خزائن الأسرار ومكنون الآثار.

١ـ «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن أبي يعفور إن الله واحد متوحد بالوحدانية، متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدَّرهم لذلك الأمر، فنحن هم يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده، وخزان علمه والقائمون بذلك»[٢].

٢ـ وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عبد الله ـعز وجلـ ولولانا ما عبد الله[٣].

---

(١) وللوقوف على نصوص هذه الروايات الشريفة يراجع (الكافي) في جزئه الأول من كتاب (الحجة) /٢٢١ـ٢٧٣.

(٢) الكافي ١/١٩٣.

(٣) الكافي ١/١٩٣.

٣ـ «عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلاوَةِ إِيمَانِهِ، وَعَلِمَ فَضْلَ طَلاوَةِ إِسْلامِهِ، لأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ، وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ، يَمُدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ لا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ وَلا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ، وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجَى وَمُعَمِّيَاتِ السُّنَنِ وَمُشَبِّهَاتِ الْفِتَنِ، فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ وَيَرْضَى بِهِمْ لِخَلْقِهِ وَيَرْتَضِيهِمْ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَاماً عَلَماً بَيِّناً وَهَادِياً نَيِّراً وَإِمَاماً قَيِّماً وَحُجَّةً عَالِماً، أَئِمَّةٌ مِنَ اللَّهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، حُجَجُ اللَّهِ وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلادُ، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلادُ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَيَاةً لِلأَنَامِ، وَمَصَابِيحَ لِلظَّلامِ، وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلامِ، وَدَعَائِمَ لِلإِسْلامِ، جَرَتْ بِذَلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى مَحْتُومِهَا، فَالإِمَامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتَضَى، وَالْهَادِي الْمُنْتَجَى، وَالْقَائِمُ الْمُرْتَجَى، اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ، وَفِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ، ظِلاً قَبْلَ خَلْقِ نَسَمَةٍ عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ، مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ، وَانْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ عليه السلام، وَخِيَرَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، وَمُصْطَفًى مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُلالَةٌ مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وَصَفْوَةٌ مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لَمْ يَزَلْ مَرْعِيّاً بِعَيْنِ اللَّهِ يَحْفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ، مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائِلُ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الْغَوَاسِقِ وَنُفُوثُ كُلِّ فَاسِقٍ، مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارِفُ السُّوءِ مُبْرَأً مِنَ الْعَاهَاتِ، مَحْجُوباً عَنِ الآفَاتِ، مَعْصُوماً مِنَ الزَّلاتِ، مَصُوناً عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، مَعْرُوفاً بِالْحِلْمِ وَالْبِرِّ فِي يَفَاعِهِ، مَنْسُوباً إِلَى الْعَفَافِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ، مُسْنَداً إِلَيْهِ أَمْرُ

وَالده، صَامتاً عَنِ الْمَنْطِقِ فِي حَيَاته، فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالده، إِلَى أَنِ انْتَهَتْ به مَقَادِيرُ اللَّه إِلَى مَشِيئَته، وجَاءَتِ الإِرَادَةُ منَ اللَّه فيه إِلَى مَحَبَّته، وبَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّة وَالده عليه السلام فَمَضَى وصَارَ أَمْرُ اللَّه إِلَيْه منْ بَعْده، وقَلَّدَهُ دينَهُ وجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عبَاده، وقَيِّمَهُ فِي بلاده، وأَيَّدَهُ بِرُوحه وآتَاهُ علْمَهُ، وأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانه، واسْتَوْدَعَهُ سرَّهُ، وانْتَدَبَهُ لعَظيم أَمْره، وأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَان علْمه، ونَصَبَهُ عَلَماً لخَلْقه، وجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْل عَالَمه، وضيَاءً لأَهْل دينه، والْقَيِّمَ عَلَى عبَاده، رَضيَ اللَّهُ به إِمَاماً لَهُمْ، اسْتَوْدَعَهُ سرَّهُ واسْتَحْفَظَهُ علْمَهُ واسْتَخْبَأَهُ حكْمَتَهُ واسْتَرْعَاهُ لدينه وانْتَدَبَهُ لعَظيم أَمْره وأَحْيَا به مَنَاهجَ سَبيله وفَرَائضَهُ وحُدُودَهُ، فَقَامَ بِالْعَدْلِ عنْدَ تَحَيُّرِ أَهْلِ الْجَهْلِ وتَحْيير أَهْلِ الْجَدَلِ، بِالنُّورِ السَّاطع وَالشِّفَاء النَّافع، بِالْحَقِّ الأَبْلَجِ والْبَيَانِ اللائح منْ كُلِّ مَخْرَجٍ، عَلَى طَرِيقِ الْمَنْهَجِ الَّذي مَضَى عَلَيْه الصَّادقُونَ منْ آبَائه عليهم السلام، فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا الْعَالِمِ إِلا شَقِيٌّ، ولا يَجْهَدُهُ إِلا غَوِيٌّ، ولا يَصُدُّ عَنْهُ إِلا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وعَلا»[1].

٤ـ عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرّضا عليه السلام[2].

٥ـ الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام[3].

٦ـ إن لله عز وجل علمين ح١ و ٤[4].

٧ـ تعليق على المشيئة ح١ و ٤[5].

---

(١) الكافي الشريف ١/٢٠٣ـ٢٠٥.
(٢) الكافي ١/٢٢٣.
(٣) الكافي ١/٢٣٨ـ٢٤٠.
(٤) الكافي ١/٢٥٥ـ٢٥٦.
(٥) الكافي ١/٢٥٧.

٨ـ علم بأخبار السماوات الأرض ح٤[١].

٩ـ نفي الألوهية وإثبات العلم والعصمة ح٦[٢].

١٠ـ روح التسديد ح١، ٣، ٤[٣].

١١ـ الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف، وما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة ح٥، ٤[٤].

١٢ـ الحجة وعمره[٥].

وبعد فهذا غيض من فيض وقليل من كثير مما حوته الروايات الصحيحة والحسنة والموثقة ولداتها كم جم، وكما قال عنها العلاّمة النحرير والمحدث الخبير السيد ميرزا حبيب الله الخوئي وقد أورد طرفاً منها:

"إلى غير ذلك من الأخبار المتظافرة بل المتواترة الدالة على عموم علمهم عليهم السلام بما في الآفاق والأنفس وعلى كونهم أعرف بطرق السماء من طرق الأرض، وكونهم شهداء على الناس، والشهادة فرع العلم، ومعرفتهم على الناس لحقيقة الإيمان وحقيقة الكفر وعلمهم بعدد أهل الجنة وأهل النار، وغير ذلك مما كان أو يكون، وقد مضى كثير من تلك الأخبار في شرح الخطب السابقة، ولا حاجة إلى الإعادة المفضية إلى التكرار والإطالة"[٦].

---

(١) الكافي ١/٢٦١.
(٢) الكافي ١/٢٦٩.
(٣) الكافي ١/٢٧٣.
(٤) الكافي ١/٢٩٦ـ٢٩٧.
(٥) الكافي ١/٣٢١.
(٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٨/٢١٥.

النقطة الثالثة: الواجب والممكن، والعلم الذاتي والمفاض:

وهذه العناوين والمصطلحات جليات واضحات.

وربما اختلفت الرؤية أو اضطرب الرأي لدى البعض في تحديد هوية (علم) أو (فعل) هل هما من مختصات الواجب أو من (الذاتي).

ومسألتنا مما دخلت في هذا الاختلاف والاضطراب.

هذا والمثبتون ينطلقون من منطلق التوحيد الخالص، فالذات الإلهية المقدسة (واجب الوجود) وعلمه (ذاتي) لا حدود له.

والعبد وإن سما في كمالاته (ممكن الوجود) مخلوق مربوب لا حول له ولا قوة إلا بالله، وعلمه وإن بلغ ما بلغ فهو (مفاض) ورشحة -وإن عظمت وغمرت- من رشحات ذي الجلال المطلق العليم الخبير.

فلا اتحاد بين الواجب والممكن، ولا تساوي في العلم بين الذاتي والعرضي المفاض.

وأنّى للمخلوق مقارنة الخالق ومساواته؟!

بل رتبة التفاوت جلية محفوظة، وافتقار العبد في كل آن وشأن قائم لا يزول، فلا قياس ولا مقارنة ولا اتحاد ولا مساواة ومحض صحة إطلاق (علم الغيب) على المخلوق وصدق النسبة لا يدعو إلى شيء من التشريك والمساواة.

فقد جاء وصف الرسول المصطفى ﷺ على لسان الله -جلّ جلاله- في قرآنه الحكيم بما وصف به -تبارك وتعالى- نفسه المقدسة ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

كما نَسَبَ إليه ـ وهو الغني بالذات المطلق ـ الإغناء لما جرى على يده المباركة من خير الخلق ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

وكما نسب إلى عيسى الإنباء بما يأكلون وما يدخرون وإلى يوسف الإنباء بالمرزوق قبل أن يأتي، وقد نصت آية يوسف على أن ذلك مما علمه إياه ربه.

فأي موقع للغلو بعد هذا في نسبة (علم الغيب) إلى العبد الموهوب؟!

اللّهم إلاّ الاستيحاش من إطلاق لفظ واحد على الخالق والمخلوق[1]

---

(١) قال الشيخ مغنية رحمه الله في شرحه لقول الإمام عليه السلام "يا أحنف كأني به وقد سار (صاحب الزنج)": ومع هذا يروي الرواة أن محمداً يعلم ما في الأرضين وما في السماوات، وما كان فيهما ويكون إلى يوم يبعثون!. وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن أي نقل عنه يخالف كتاب الله فهو من الشيطان، وعلى رغم كل حق وواقع يؤمن بعض الشيوخ بالقرآن وبهذا الحديث، وبأن النبي صلى الله عليه وآله يعلم الغيب، يؤمن بهذا التناقض ولا يشعر بوطأته وقسوته. وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله لا يعلم الغيب فبالأولى تلميذه وخليفته ... ولكنه تعالى يطلع من ارتضى واجتبى من عباده على شيء من هذا الغيب بواسطة واحدة كعلم النبي عن جبريل عن الله، أو أكثر كعلم الإمام عن النبي عن جبريل عن الله. في ظلال نهج البلاغة ٢/٢٥٦ـ٢٥٧.

أقول: لقد ذهب الشيخ بعيداً فرأى عدم صحة نسبة العلم بما في السماوات والأرضين وما كان وما يكون إلى النبي والوصي عليهما السلام، فإن كان المقصود ما هو معلوم ومقرر من نفي العلم الذاتي فكما قال، وإن عنى عدم صحة النسبة وإن كان بالمعنى الإفاضي فتلك مبالغة، وأي مخالفة في تلكم الروايات (بعد الفهم الدقيق) لكتاب الله، حتى توصف بأنها من الشيطان، وهل المسألة على ضخامتها وفخامتها من قبيل الرواية بواسطة أو واسطتين وكأنها من موارد جزئية محدودة.

ولا أعتقد أن الشيخ ـ غفر الله له ـ لم يحط خبراً بأحاديث وطرق مصادر علم الإمام ووفرة الروايات في إنباءات الإمام الغيبية، ـ وهل ينبئ إلاّ بما يعلم ـ وقد ادعي فيها لكثرتها التواتر، هذا وهو الرجل الموسوعي، وبكلمة: كان الأجدر بالشيخ معالجة الموضوع خيراً مما صنع، والله الهادي وهو العاصم.

مع الالتفات إلى واقع التفاوت وتمايز الاتصاف كما في صحة إطلاق (الموجود) على (واجب الوجود) و(ممكن الوجود) رغم البون بين الواجب والممكن[1].

وحيث لا لبس فلا مشاحة في الإطلاق والنعت.

وقد قيل: لا إيراد بعد فهم المراد.

وبالنظر الدقيق يعود النزاع لفظياً لا جوهرياً.

تتميم نفعه عميم:

والحق أن موضوع البحث طويل الذيل وعريض الحاشية واسع الأرجاء فرواياته جمة، وأطرافه مهمة لا تفي بحقها هذه الإلمامة.

ورغبة في تقديم خلاصة نافعة ألحقت نبذة موجزة من بعض تلكم الشؤون في العناوين التالية:

---

(١) قال الشيخ المظفر: "ليس كلما يستعظمه المرء يكون غلواً، وكلما يستكبره الإنسان يكون خروجاً عن الحد الأوسط، وإفراطاً في الاعتقاد، إن الغلو إنما يكون فيما إذا استلزم القول والاعتقاد فيهم إخراجهم عن ناموس البشر، وجعلهم أرباباً، أو شركاء للخالق الرازق سبحانه في خلق أو رزق، أو ما سواها مما اختص به الله ـجلّ شأنهـ ومهما اعتقدنا فيهم من سعة العلم، أو ما سوى ذلك من الصفات العالية فلا نعتقد فيهم إلا أنهم بشر مخلوقون مربوبون مرزوقون على سنن سائر البشر. وأما الاعتقاد فيهم بأن الله منحهم مواهب جليلة، وصفات نبيلة، لا يبلغ مداها ولا يعرف كنهها، فليس من الغلو في شيء إذ لا يلزم من ذلك خروجهم عن البشرية، أو مشاركتهم لله سبحانه في شيء من صفاته الخاصة". علم الإمام /٥٦.

اللدني والاكتسابي:

واللدني: ما كان مصدره من لدن الله ـجلّت آلاؤه وعظمت نعماؤهـ كما قال سبحانه ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾.

فهو غير متلقّى من الطرق المعهودة في التعليم، وذلك هو المعلوم من حال كل إمام، فلم يعهد أن أحداً منهم ـصلوات الله عليهمـ قرأ على يد أحد من الناس أو أفاد منه علماً، بل وحتى نحو التلقي من النبي الأعظم أو من الإمام يمتاز عن أساليب تلقي المعارف بالأسلوب المتعارف.

ولا يعني هذا أنه علم ذاتي بل إنه مفاض عليه من الكريم الوهاب ومكتسب من لدنه.

نعم هو في مقابل علم الآخرين غير اكتسابي.

الاكتسابي: وهو ما اكتسب من الغير وأخذ منه، ولولاه لما ناله ويلحظ في هذا لحاظان مثبت ومنفي:

فالمثبت الاكتساب والتلقي من قبل الله ـعز وجلـ.

والمنفي الاكتساب والتلقي من الناس.

وبالتالي فلا تنافي بين إثبات الاكتساب تارة ونفيه تارة أخرى كما لا تنافي في نفي (الذاتي) وإثبات (اللدني) ولا بين إثبات (اللدني) و(الاكتسابي) لما هو بيّن من تمايز جهة الإثبات والنفي.

قال السيد المهدي القزويني:

اختلفت العلماء في كيفية علوم الأئمة عليهم السلام بعد الاتفاق على أن علومهم ليست ذاتية، وأن العلم الذاتي مختصّ لله عز وجل لا يشركه فيه

أحد إذ لا شريك له في صفاته كما لا شريك له في ذاته ولا في أفعاله ولا في عبادته، ولا فرق في عدم الشركة في ذلك بين الأنبياء والأوصياء والملائكة والإنس والجان عقلاً ونقلاً إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، كما أنه لا خلاف في أن علومهم ليست بطريق الكسب بواسطة الدليل والبرهان بالنسبة إلى العلوم الفطرية مما يتعلق بالأمور الإلهية والرياضية والطبيعية أصولية وفرعية، ولا بواسطة الأسباب كالاستناد إلى حركات الكواكب وأحكام النجوم والآثار الطبيعية كطبايع النباتات والحروف والأشكال الرملية، ولا الاكتساب بالنظر في العلوم الشرعية من علم الحلال والحرام والاستناد إلى الدليل من عقل أو نقل بالاجتهاد، وإن علموا ذلك كله كما وكيفاً، وإنما علوُّ علومهم لدنية وموهبية كما قال تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[1].

وقال الشيخ كمال الدين محمد الشافعي:

كشف وتبيين:

هذا العلم الجم الذي لم يجد من يعينه[2]، والعلم المكنون الذي إباحته تقتضي اضطراب سامعيه، ليس علماً قد اكتسبه بقراءة ودراسة ولا بمباحثة وتكرار، بل هو علم لدني قذف الله تعالى نوره في قلبه من مشكاة تقواه، وألهمه إياه لما تحلّى زهده في متاع دنياه، وقد صرح كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بذلك فقال عز من قائل: (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) وقال رسول الله ﷺ: (من زهد في الدنيا علّمه الله تعالى بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً)..... ويلزم من حصول صفة التقوى وصفة الزهد له أن يترتب عليهما مقتضاها من حصول العلم المفاض على قلبه من غير

---

(١) آيات المتوسمين ج ٢ ـ من جملة آيات التوسم في الإمامة.

(٢) كذا والظاهر أنما: يعيه.

دراسة بل بتعليم الله تعالى إياه[١].

جهات العلوم ومصادرها:

وقد سلف في ثنايا البحث تعداد جملة منها، وهي وإن بدت متنوعة إلاّ أن جامعاً يجمعها ويوحدها ألا وهو منبع العطاء ومعدن الفيض: الذات المقدسة والحضرة الإلهية.

وحيث أن لصفوة الأولياء قرباً خاصاً ولطفاً مخصوصاً من حضرة قدس ذي الجلال ـتبارك وتعالىـ لا يحجبهم حاجب ولا يدنو منهم مقرب سواهم فقلوبهم برهم متيمة وأرواحهم به متعلقة، وهم تشرق عليهم أنواره وتفيض على ذواتهم أسراره ويغمرهم نواله ويخصهم إفضاله.

وذلك لطف خصهم به سبحانه من أن أنشأهم وبرأهم في كافة العوالم والنشآت ولم يزل موصولاً (وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً).

قال الشيخ المظفر:

«وإلا فعلم أمير المؤمنين عليه السلام كعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم رشحة من الفيض الإلهي سوى أن علم علي عليه السلام بواسطة النبي وعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل، فكما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحتاج في علمه إلى ملازمة جبرئيل فكذا علي لا يحتاج إلى ملازمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف وقد علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مقام واحد ألف ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف ألف باب»[٢].

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ١/٧٠ـ٧١.

(٢) دلائل الصدق ٢/٣٢٣ـ٣٣٣.

وقال الشيخ ميثم البحراني:

وفي قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم» وأُعطي

أقول: أ- وإن افترق الأمر بين توسط جبرئيل الأمين في نقل وحي الله إلى رسول الله فهو من قبيل (كم من حامل فقه الى من هو أفقه منه) وبين توسط النبي الأعظم في نقل العلم إلى وصيه المعظم فهو وإن كان نفسه وروحه ومعجزته إلاّ أن للنبي المقام الأسمى والمنزل الأعلى نبعة الخير وواسطة الفيض، إلاّ أن المقصود -والله أعلم بالأسرار- أن علياً المكرم من الله بالولاية والإمامة والمعين من قبله للزعامة محاط بالمدد الإلهي مشرف بالحضرة الإلهية مفاض عليه بالألطاف والإتحاف كما أفيض على صفوة الصفوة بما يليق بمقام نبوته العامة ورسالته الخاتمة.

فالنبي والوصي متصلان بالحضرة القدسية محبوّان بإشراقة الأنوار الإلهية ولكل منهما ما يليق بمنصبه وقربه من ربه.

ب- وينسجم مع عدم انحصار علم الإمام بالتلقي من النبي بل برشحة إلهية مفاضة ما ورد عن الأئمة عليهم السلام من عناية الله -جلّت آلاؤه وعظمت نعماؤه- بهم في عموم أدوار حياتهم.

ج- كحديث الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام: إذا ولد رفع له عامود من نور في كل مكان ينظر فيه الخلائق وأعمالهم[1].

"إذا وقع على الأرض رفع له عامود من نور يرى به أعمال العباد"[2].

بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي صلى الله عليه وآله جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى)). شرح نهج البلاغة ١/٨٤.

(١) آل محمد بين قوسي النزول والصعود /٨٣ عن بحار الأنوار ٢٦/١٣٢، والهداية الكبرى ٢٤٠، ٣٥٤، وبصائر الدرجات /٤٣١-٤٣٧.

(٢) آل محمد بين قوسي النزول والصعود /٨٣ عن بحار الأنوار ٢٦/١٣٢، والهداية الكبرى ٢٤٠، ٣٥٤، وبصائر الدرجات /٤٣١-٤٣٧.

وحديث الإمام الرضا عليه السلام: "إن الله أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن مضى إلاّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم، بيننا وبين الله"[١].

مضافاً إلى ما ورد من عروج أرواحهم الطيبة ليلة الجمعة إلى عرش ربهم فيتحفهم فلا يرجعون إلاّ بعلم مستفاد[٢].

وكذلك أحاديث مناجاة الله لعلي في مواطن عدة[٣].

ج- وقد سبق القول أن أسلوب تلقي الإمام علم ألف باب أو ألف ألف باب يمتاز في كيفيته كما امتاز في جوهره وكيفه عن نمط المتلقى والمتلقين.

فرأى أن ذلك كبر على من سمعه:

وتختلف قوة التعقل والتحمل وتتفاوت اللياقة والقابلية أيما اختلاف وتفاوت ويتجلى أثر ذلك في المعارف العالية والأفكار النائية عن الحس واللمس.

فهذه مجموعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سمعوه يقول: إني لأعلم ما في السماوات وأعلم ما في الأرضين وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من

---

(١) آل محمد بين قوسي النزول والصعود /١١٢ عن عيون أخبار الرضا ٢/٢٠٠.
(٢) آل محمد بين قوسي النزول والصعود /١١٩ عن الكافي ١/٢٥٤.
(٣) آل محمد بين قوسي النزول والصعود /١١٠ عن الإرشاد ١/١٥٣، والعمدة /٣٦١، والمعجم الكبير ٢/١٨٦، ومناقب ابن المغازلي ٩٥، وبصائر الدرجات /٤١٠-٤١١.

سمعه فقال: علمت من كتاب الله، إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء[1].

وقد حدثنا التاريخ عن فئة عاصرت الإمام علياً وعايشته بشراً بينهم تعرضه العوارض فيمرض ويجوع ويعطش وتأخذ منه الحرب مأخذها فيجرح بليغاً ويدمى وتنشب في جسمه السهام وهم مع ما يرون يعتقدونه رباً، لما رأوا من غرائب شؤونه في علمه وجسمه وملكاته وكمالاته.

وقد مر في الروايات ما حاكى فيه بعضُ الأئمة جدَّه أمير المؤمنين ومن هنا كان الأئمة الكرام يخاطبون الناس على قدر عقولهم من زعم البعض أنهم آلهة ويقرأون في ذلك قرآناً.

ويبيحون بعض أسرارهم لمن يقوون، ويمنعون من يضعفون وكم في الباب من شواهد؟! وكم في الموضوع من قرائن تفسر لنا ما جاء عنهم عليهم السلام من نفي علمهم بالغيب وبراءتهم ممن يعتقد فيهم ذلك.

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٨/٢١٤.
فقد جاء في إحقاق الحق ٨/١٠٤ نقلا عن (در بحر المناقب) و(ينابيع المودة) هاتين الروايتين:
١ ـ عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض غزواته، فمررنا بواد مملو نملاً، فقلت: يا أمير المؤمنين ترى يكون أحد من خلق الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمّار انا أعرف رجلاً يعرف كم عدده وكم فيه ذكر، وكم فيه أنثى، فقلت: من ذلك يا مولاي الرجل؟ فقال: يا عمّار ما قرأت في سورة يس ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ فقال: بلى يا مولاي، فقال: أنا ذلك الرجل الإمام المبين.
٢ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت سائراً مع علي عليه السلام إذ مررنا بواد نمله كالسيل، فقلت: الله أكبر جلّ محصيه، فقال عليه السلام: لا تقل ذلك ولكن قل جلّ بارئه، فوالذي صوّرني وصوّرك إني أحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله ـ عز وجل.

وقفة واستخلاص نتائج:

والحديث وإن طال وتشعبت أطرافه وعرضت أكنافه إلاّ أن من الأهمية بمكان لملمة تلكم الأطراف والأكناف واستخلاص عصارتها وهذا ما نلج عبابه ونعرضه في الفقرات التالية.

ففي الرواية الأولى والثانية: أ- طريف وللغاية جداً تصدير الحديث الأول بتأكيد وحدانية الله الواحد وتوحده بها لا شريك له.

ب- وأنه متفرد بأمره بلا معين ولا ظهير.

ج- ويشترك النصان الأولان في أنه سبحانه تولى بعنايته خلق صفوة من خلقه فأبدع خلقهم، وصورهم في أجمل صورة ركبها فأحسن صورهم، فهيأ عقولهم وقلوبهم وكافة جوانحهم وجوارحهم لاستيعاب فيضه العميم وعطائه الكريم، إعداداً لتحميلهم وتمكينهم من القيام بما يراد منهم فهم حججه على العباد ممن خلق في أرضه وسمائه فـ (إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه) أودع فيهم علمه، وما أدراك ما علمه؟! فجعلهم خُزَّانَهُ وكانوا في العالم الأول والملأ الأعلى أنواراً بعرش ربهم محدقين فسَبَّحُوا فسَبَّحَتِ الملائكة، وكانوا في العالم الآخر والملأ الأعلى هداة، وبفضلهم اهتدى الخلق إلى الخالق فعبدوه ولولا لطفهم لما عبد الله عابد.

فسبحان المبدع الحكيم العليم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها.

والرواية الثالثة: البيان الضافي في الحديث الثالث والذي يبدو أن الظروف الاستثنائية أتاحت للإمام خطبة في هذا المجال شرحت شؤوناً ومقامات عالية نركز على ما يخص بحثنا منها:

أولاً: يقرر عليه السلام حقيقة أن الله -جلّت آلاؤه- فتح بأئمة الهدى عن باطن ينابيع علمه إذ الإمام هو المنصوب من قبله علماً لخلقه، ومن كانت

مهمته ذلك فلا بد أن يفتح له الينابيع حتى يفتح للناس ما يعرفهم برهم ويعلمهم شرائعه.

ثانياً: إن المهمة الكبرى يناسبها عطية عظمى فمن ثمّ يمد بسبب إلى السماء لا ينقطع عن فؤاده فهي زاده الإلهي يبصر به الحق حقاً والباطل باطلاً لا يشتبه بما يرد عليه من ملتبسات ومعميات ومشبهات.

ثالثاً: إنه الإمام القيّم المنصوب من قبل الله يهدي إلى الحق ويقوم بالحسنى.

رابعاً: اصطنعه على عينه في الذر حين ذرأه، وذلك هو الاصطفاء والرعاية والألطاف في ذلك الدور وعموم لاحق الأدوار حتى أشرقت الأرض بنور ربها متنقلاً في الأصلاب والأرحام المطهرة عبر سلسة خيرة الأنبياء وصفوة الرسل الكرام.

خامساً: إنه من عباده المخلصين الذين لا سبيل للشيطان عليهم ولا طريق له إليهم فهو المعصوم المنزه عن كل نقص وشين المتحلي بالكمال المرتدي أبراد الجمال.

سادساً: إنها المسؤولية الكبرى التي أناط أمرها في كل عصر بإمام، وإنما المؤهلات العظمى التي يؤدي بها الدور المسند إليه، فكل من الصفوة المنتخبة المنتجبة مستودع السر، ومستحفظ العلم، والمسترعى للدين، والمنتدب لعظيم الأمر.

سابعاً:

إذا ما التِّبْرُ حُكَّ على مَحَكٍّ ... تَبَيَّنَ غِشُّهُ مِنْ غيرِ شَكٍّ

وفينا الغشُّ والذهبُ المُصَفّى علـيٌّ بينَنـا شِبْهُ المَحَـكّ[١]

فقد برهن كل منصوب من قبل الله الحكيم على امتيازه بين الخلق إذا ادلهمت الخطوب واختلطت الأمور وعمّت البلية وتفرقت السبل وضلت الحيلة، وأنه الإمام القيم القائم بالعدل ومبدد الجهالات وحلاّل المشكلات والمعضلات بفضل ما آتاه الله وحباه من النور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج والبيان اللائح من كل مخرج.

والرواية الرابعة: وتحمل الكتابة ما حملته الخطابة من بيان شامخ المقام وجلال منصب الإمام ولعل تشابهاً من جهة وامتيازاً من جهة أملته ظروف كل من الإمامين الصادق والرضا -عليهما وآبائهما وأبنائهما التحية والثناء- فبث كل منهما تعريفه المفصل للإمامة وشؤون الإمام.

يصدر الإمام أولاً كتابه بأن جدهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أمين الله في خلقه وأنهم أهل بيته وورثته فهم أمناء الله في أرضه.

ويكشف ثانياً جملة من الأمانة وشؤون الوراثة والتي بمقتضاها الإحاطة بأمور الشريعة والخلق فعندهم علم البلايا والمنايا ولديهم الاطلاع الدقيق على دخايل العباد من يوالي ومن يعادي، ومن يظهر خلاف ما يبطن، وأن ذلك كله ثابت في علم الله وعالم الميثاق.

الرواية الخامسة: وأول ما يلفت النظر ويسترعي الانتباه استفهام السائل: هاهنا أحد يسمع كلامي؟ فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: سل عمّا بدا لك، مما يعني أهمية الموضوع المسؤول عنه وجوابه، وسيأتي حديث يتصل بهذا النحو من الممارسات والملابسات.

---

(١) زين الفتى ١/٢٥.

والثاني تصحيح الإمام عليه السلام لما كان يعتقده البعض من كمية علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنه باب واحد ينفتح منه ألف باب، ولعلهم كانوا يستعظمون ما هو أكثر من ذلك بل هو مليون علم مما هر أبا بصير فوصف ذلك بأنه والله هو العلم.

والثالث هو التدرج والترقي لما هو أجل وأعلى وأوسع وأجمع فمن أسلوب لافت معبر من كل من السائل والإمام عليه السلام فيقول السائل: إن هذا هو العلم والإمام ينكت ويسكت ساعة فيجيبه: إنه لعلم وليس بذاك.

حتى أحاطه علماً بسعة علم الإمام بما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة فرأى أنه غاية العلم ومنتهاه وطفق قائلاً مقالته المتكررة أن هذا والله هو العلم فلما أنبأه عليه السلام إنه لعلم وليس بذاك عدل إلى السؤال: فأي شيءٍ العلم؟ فإذا بالإمام يحيطه علماً بواقع علم الإمام وحقيقته وأنه ما يحدث ليلاً ونهاراً من كليات القضايا وجزئياتها وما يبرم منها وما يمحى ويثبت إلى يوم القيامة ـوهو ما يعرض عليه البداء كما تشير إليه روايات أخرى يأتي الحديث عنها.

الرواية السادسة: وتؤكد روايات هذا الباب الحقيقة الواقعية بأن مصدر العلم ومفيضه على من شاء من خلقه المصطفين إنما هو الله ـتبارك وتعالى ـ وله علم لا يعلمه إلاّ هو ـسبحانه وتعالى ـ وأن الأئمة الكرام محيطون بكل ما أفاضه الباري على ملائكته وأنبيائه ورسله، وأنهم ـسلام الله عليهم ـ يمتازون عن سواهم بأن ما استأثر به الله من علم إذا بدا له في شيء منه أعلمهم بذلك إمامَ الوقت الحاضر منهم وأرواحَ السابقين منهم، كما امتازوا بإمدادهم بالعلم الإلهي حتى بعد انقطاع مدتهم في الدنيا كما جاء في الروايات[1].

---

(١) فمن حديث الإمام أبي جعفر عليه السلام: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

الرواية السابعة: ونلاحظ تقرير الإمام أبي الحسن عليه السلام الدقيق لعلم الإمام بالغيب فنراه في رواية -وهي هذه- يثبت ذلك بقول جده أبي جعفر عليه السلام يبسط لنا العلم فنعلم.

ولا تخلو الجملة الأخرى: "سر الله عز وجل" من دلالة على ذلك.

بل وحتى الرواية الرابعة في الباب[1] فهي وإن أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن أن الإمام هل يعلم الغيب بقوله: لا، ولكن تتمة الحديث تلتقي والإثبات.

فما معنى: إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك، فذلك الشيء غيب والله يُعلمه إياه.

وهكذا تلتقي جمل الروايتين في إثبات ونفي غير متعارضين، (فيبسط لنا العلم) (وإذا أراد أعلمه الله) إثبات بالإفاضة، (ويقبض عنا) و(لا) نفي لعلمهم الذاتي المختص بعلاّم الغيوب الغني الوهاب.

ومن هذا القبيل: "لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم وأن لهم شأناً ليالي الجمع بالطواف بعرش ربهم والصلاة عند قوائمه فيزاد في علمهم"[2].

قال: أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا.

وحديث الإمام الصادق عليه السلام: ليس يخرج شيء من عند الله -عز وجل- حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأمير المؤمنين عليه السلام ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا. الكافي ١/٢٥٥.

(١) باب نادر فيه ذكر الغيب. الكافي ١/٢٥٧، ح٤.

(٢) الكافي ١/٢٥٣-٢٥٥.

فهذا ونحوه تأكيد على أن المنعم الفياض علة مُحْدِثةٌ ومُبْقِية، فقد منحهم كما يحب ويرضى وواتر عليهم ولم يكن عطاؤه منقَطعاً ولا محظوراً.

الرواية الثامنة: يمهد أولاً الإمام باقر علوم الأولين والآخرين حديثه مع مجموعة من أصحابه بالنعي على المستوى العلمي لفئة من الشيعة وضآلة معرفتهم بشأن الإمامة وأقدار الأئمة حتى أنهم يستكثرون ويعجبون مما حمله أجلاؤهم من معرفة بذلك.

ثم يقارن بين مقامهم الذي أقامهم الله -جل جلاله- فيه وبين ما يستتبع ويتطلب من مؤهلات.

فقد فرض على كافة العباد إطاعة أوليائه والفرض لازم محتم، والإطاعة مطلقة وشؤون العباد واسعة لا حدود لها.

وأفرغ ذلك متعجباً فكيف يحجب عنهم أخبار السماوات ويخفي عليهم أنباء الأرض، بل موادّ العلم متصلة جارية لا مقطوعة ولا ممنوعة.

الرواية التاسعة: وبعنينا من رواية سدير أمران، الأول: خالص العبودية ومحض المربوبية وعميق اليقين بالتوحيد والرسالة المحمدية، "يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم.

الثاني: بيان حقيقة أمرهم وأنهم خُزَّان علم الله وتراجمة أمره، صفوة معصومون وحجته البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.

هذا وقد مضى مكرراً هذا المعنى مؤكداً في كلامهم -صلوات الله عليهم-.

الرواية العاشرة: وعناية مميزة وروح مسددة خص بها محمد وأهل بيته، من عالم الملكوت أعظم من الملكين الكريمين جبرئيل وميكائيل وناهيك بمقامهما وعلو قدرهما، بل هو نور إلهي أودع فيهم -سلام الله عليهم-.

وغني عن البيان أن ذلك لا يعني اشتراكهم مع الرسول الأعظم في النبوة فذلك منفي بالضرورة ولما علم بأن هذه الروح المباركة ليست جبرئيل أمين وحي الله، كما أن وظيفتها غير وظيفته عليه السلام.

الرواية الحادية عشرة: إنه السر المكنون والكنز الخفي ومفتاح العلوم حيث تكمن في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيفة صغيرة تختزن من العلم ما لا يدرك له مدى ولا تبلغ له غاية، وتحار العقول في ما رشح منه وما هو إلاّ قليل من كثير من خزائن علم الله التي لا تنفد، فما خرج منها حرفان حتى الساعة!!!

الرواية الثانية عشرة: ونظراً لامتداد سلسة الإمامة فمن هو تاسع الأئمة؟ لقد كان ثامن الحجج الإلهية ينبئ شيعته بامتداد عقبه في إمام من بعده وقد وهبه الله وأقر العيون بذلك ولكن لو لحق الإمام سريعاً بالرفيق الأعلى فمن يا ترى يكون إمام الخلق والحجة على العباد؟!

فإذا به عليه السلام يشير بيده الكريمة إلى نجله أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فما تمالك الرجل فهل يقوى على النهوض بأعباء إمامة الله الكبرى ابن ثلاث سنين؟ أجل وما موقع السن في الإمامة؟! أليس الله أعلم حيث يضع رسالته وإمامته، ألم يكن عيسى عليه السلام قد قام بالحجة وهو في مثل هذا العمر[1]؟!

---

(١) وفي حاشية الكافي أن ما ورد في إرشاد المفيد وإعلام الورى نقلاً عن الكافي (ابن أقل من ثلاث سنين).

فهذا ونحوه تأكيد على أن المنعم الفياض علة مُحْدِثةٌ ومُبْقِية، فقد منحهم كما يحب ويرضى وواتر عليهم ولم يكن عطاؤه منقطعاً ولا محظوراً.

الرواية الثامنة: يمهد أولاً الإمام باقر علوم الأولين والآخرين حديثه مع مجموعة من أصحابه بالنعي على المستوى العلمي لفئة من الشيعة وضآلة معرفتهم بشأن الإمامة وأقدار الأئمة حتى أنهم يستكثرون ويعجبون مما حمله أجلاؤهم من معرفة بذلك.

ثم يقارن بين مقامهم الذي أقامهم الله -جل جلاله- فيه وبين ما يستتبع ويتطلب من مؤهلات.

فقد فرض على كافة العباد إطاعة أوليائه والفرض لازم محتم، والإطاعة مطلقة وشؤون العباد واسعة لا حدود لها.

وأفرغ ذلك متعجباً فكيف يحجب عنهم أخبار السماوات ويخفي عليهم أنباء الأرض، بل موادّ العلم متصلة جارية لا مقطوعة ولا ممنوعة.

الرواية التاسعة: ويعنينا من رواية سدير أمران، الأول: خالص العبودية ومحض المربوبية وعميق اليقين بالتوحيد والرسالة المحمدية، «يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم.

الثاني: بيان حقيقة أمرهم وأنهم خُزَّان علم الله وتراجمة أمره، صفوة معصومون وحجته البالغة على من دون السماء وفوق الأرض.

هذا وقد مضى مكرراً هذا المعنى مؤكداً في كلامهم -صلوات الله عليهم-.

الرواية العاشرة: وعناية مميزة وروح مسددة خص بها محمد وأهل بيته، من عالم الملكوت أعظم من الملكين الكريمين جبرئيل وميكائيل وناهيك بمقامهما وعلو قدرهما، بل هو نور إلهي أودع فيهم -سلام الله عليهم-.

وغني عن البيان أن ذلك لا يعني اشتراكهم مع الرسول الأعظم في النبوة فذلك منفي بالضرورة ولما علم بأن هذه الروح المباركة ليست جبرئيل أمين وحي الله، كما أن وظيفتها غير وظيفته عليه السلام.

الرواية الحادية عشرة: إنه السر المكنون والكنز الخفي ومفتاح العلوم حيث تكمن في ذؤابة سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيفة صغيرة تختزن من العلم ما لا يدرك له مدى ولا تبلغ له غاية، وتحار العقول في ما رشح منه وما هو إلاّ قليل من كثير من خزائن علم الله التي لا تنفد، فما خرج منها حرفان حتى الساعة!!!

الرواية الثانية عشرة: ونظراً لامتداد سلسة الإمامة فمن هو تاسع الأئمة؟ لقد كان ثامن الحجج الإلهية ينبئ شيعته بامتداد عقبه في إمام من بعده وقد وهبه الله وأقر العيون بذلك ولكن لو لحق الإمام سريعاً بالرفيق الأعلى فمن يا ترى يكون إمام الخلق والحجة على العباد؟!

فإذا به عليه السلام يشير بيده الكريمة إلى نجله أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فما تمالك الرجل فهل يقوى على النهوض بأعباء إمامة الله الكبرى ابن ثلاث سنين؟ أجل وما موقع السن في الإمامة؟! أليس الله أعلم حيث يضع رسالته وإمامته، ألم يكن عيسى عليه السلام قد قام بالحجة وهو في مثل هذا العمر[1]؟!

---

(١) وفي حاشية الكافي أن ما ورد في إرشاد المفيد وإعلام الورى نقلاً عن الكافي (ابن أقل من ثلاث سنين).

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾.

أقول: أ- لعل التعجب والاستبعاد لأنه لم يعهد في أحد من الأئمة الكرام عليهم السلام أن قام بالأمر في سن الصبا، فهو أول من تولى الإمامة في مثل عمره، كما أنه عليه السلام أقلهم عمراً فقد استشهد مسموماً وعمره خمس وعشرون سنة.

ب- التنظير والمماثلة بين إمامة الإمام وحجية النبي عيسى هنا من حيثية العمر وعناية الإمام الرضا برفع التعجب والاستبعاد في ذلك، وإلاّ فآل محمد لا يقاس بهم أحد، وابن الرضا هو الجواد وكفى.

السجل الحافل:

وقد رصد التاريخ وافراً من إنباءات الإمام بالغيب، وعُني بعض الباحثين بتتبع ما ترمي إليه فألفاها تحكي الواقع بإصابتها هدفها القريب منها والبعيد على حد سواء.

فالناظر في ذلكم الكشف وفي قوائمه المتعددة المتنوعة يقف على سعة وعظمة ما أودعه الله في قلب وليه ووصي نبيه حتى أحاط بتلكم الأسرار وكشف عنها الأستار فلا حدود ولا سدود، ولا حيرة ولا تردد، بل هو اليقين الجازم والحق الواقع والعلم القاطع.

ولو جمعت هاتيك الآثار ونظمت موضوعات وأزمنة وأماكن لجاءت موسوعة ثرة طريفة نادرة.

وسأعرض نماذج وأشتاتاً تتميماً لحلقة البحث، وشواهد لتنوع وتعدد الزمان والمكان، مضيفاً ببالغ الاختصار ما أراه ضرورياً من التعقيب.

البند الأول: ١ـ حرب النهروان:

روى المدائني في كتاب الخوارج أنه لما خرج علي إلى أهل النهروان أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى علي فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله أكتافهم، فقال: الله، أنت رأيتهم عبروا؟ قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرات في كلها يقول نعم، فقال: والله ما عبروا ولن يعبروا إن مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلث ولا قصر بوران[1] حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى.

قال: ثم أقبل فارس آخر يركض فرسه فقال كقول الأول، فلم يكترث عليه السلام بقوله، وجاءت الفرسان كلها تركض وتقول مثل ذلك فقام عليه السلام فجال في متن فرسه، قال: فقال شاب من الناس: والله لأكونن قريباً منه فإن كان عبروا النهر لأجعلن سنان رمحي في عينه (أيدعي علم الغيب)، فلما انتهى علي إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وحبوا على ركبهم وتحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين إني شككت فيك آنفاً وإني تائب إلى الله وإليك فاغفر لي.

فقال علي: إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره[2].

---

(١) في نسخة البحار: قصر بوري بنت كسرى.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٤/٣٥٤، وشرح نهج البلاغة، وفي الإرشاد بنحو آخر أكثر تفصيلاً، وفي البحار ٤١/٣١٢.

أقول:

أرأيت قطعهم بما أخبروا والحلف على ذلك وأنهم رأوا ذلك رأي عين، هذا والإمام على بينة من أمره وبصيرة نافذة لا يكترث بقولهم وإن كانوا على يقين فيما يظنونه.

وتأمل في استماتة أحدهم حتى أعد نفسه للفتك بالإمام جهلاً منه بمقامه الأعلى، وركوناً منه لما سمع من القوم، ورفضاً منه لقطع الإمام المخالف لهم فلم يجد ثمت متمسكاً لإصرار الإمام إلاّ النسبة إلى دعوى (العلم للغيب) وهو ما لا يصح أن ينسب للبشر كما زعم.

٢ـ الإمام الضب:

عن الأصبغ بن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى الخورنق، فقالوا: نتنزه، فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً عليه السلام قبل أن يجتمع، فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين، فبايعه السبعة وعمرو منهم، فارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلمّا دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أيها الناس إن رسول الله أسرَّ إليّ ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم)، وأني أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت، قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما يسقط السعفة حياءً ولوماً

(جبناً وفرقاً)[١].

أقول: يلاحظ أولاً ورود حديث الإسرار بألف حديث بصيغة مميزة وأنها من مفاتيح الغيب، وثانياً: روعة الاستدلال بالآية معطوفاً عليها الإقسام بالله على بيعة أولئك الضلال المستهزئين الذين حكى فعلهم عن يقين.

٣ـ قائد جيش ضلالة:

عن سويد بن غفلة قال: إنا عند أمير المؤمنين إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفطة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إنه لم يمت، فأعادها عليه، فقال له علي عليه السلام: لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت، فأعادها عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات وتقول لم يمت، فقال له علي عليه السلام لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة، يحمل رايته حبيب بن جمّاز، قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أناشدك فيّ وإني لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن جمّاز لتحملنها، قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليهما السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب صاحب رايته[٢].

٤ـ ومن غيب كربلاء:

أـ لما رحل علي عليه السلام إلى صفين وقف بطفوف كربلاء ونظر يميناً وشمالاً واستعبر ثم قال: والله ينزلون ههنا، فلم يعرفوا تأويله إلاّ وقت قتل

---

(١) بحار الأنوار ٤١/٢٨٦ عن الخصال.

(٢) بحار الأنوار ٤١/٢٨٨ عن الاختصاص، وبصائر الدرجات، وقد أورد في (إحقاق الحق) ٨/١٤١ـ١٥٣ حديثاً كثيراً في ذلك عن عدة مصادر من طرق المخالفين.

الحسين عليه السلام.

ب- قال بعض أصحابه: فطلبت ما أُعلم به الموضع فما وجدت غير عظم جمل، قال فرميته في والموضع، فلمّا قتل الحسين عليه السلام وجدت العظم في مصارع أصحابه.

ج- عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي عليه السلام صفين فلما نزل بكربلاء صلى بنا، فلمّا سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال: واهاً لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، قال: فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير -وكانت من شيعة علي عليه السلام- حدثها هرثمة فيما حدّث فقال لها: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن؟ قال: لمّا نزلنا كربلاء وقد أخذ حفنة من تربتها وشمها وقال: واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟ فقالت المرأة له: دعنا منك أيها الرجل فإن أمير المؤمنين لم يقل إلاّ حقاً، قال: فلمّا بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلمت عليه وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين عليه السلام: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله لا معك ولا عليك، تركت ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد فقال الحسين: فتولّ هرباً حتى لا ترى مقتلنا، فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلاّ دخل النار، قال: فأقبلت في الأرض أشتد هرباً حتى خفي عليّ مقتلهم[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤١/٢٣٧ عن شرح نهج البلاغة.

٥ـ أعشى باهلة والحجاج:

قال إسماعيل بن رجاء: قام أعشى باهلة ـوهو يومئذ غلام حدثـ إلى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال علي عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت فقام رجل فقال: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلاّ انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه! فقال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعينيّ أعشى باهلة وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرعه ووبخه واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب ثم ضرب عنقه في هذا المجلس[1].

البند الثاني: إنباءات الغيب في نهج البلاغة:

وقد حوى جملة وافرة في موضوعات متعددة نورد منها ما يلي:

٦ـ غرق البصرة:

«حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة».

«كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء، حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر».

---

(١) بحار الأنوار ٣٤١/٤١، وللحجاج ذكر كثير في إنباءات الإمام عليه السلام كقوله عليه السلام: أَمَا واللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ. نهج البلاغة ص١٧٤ خ١١٦.

قال ابن أبي الحديد: والصحيح أن المخبر به قد وقع فإن البصرة قد غرقت مرتين مرة أيام القادر بالله، ومرة أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسبما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام.

وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم عن سلفهم[1].

٧ـ معاوية وجرائمه:

«رَجُلٌ رَحْبُ البُلْعُومِ مُنْدَحِقُ البَطْنِ ... سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي إلخ»[2].

٨ـ مروان ويومه الأحمر:

«كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ ... أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ وسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ ومِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ»[3].

٩ـ فتنة بني أمية:

«وأَيْمُ اللّه لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ... تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وقِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ولا عَلَمٌ يُرَى»[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/٢٥٣.
(٢) نهج البلاغة ص٩٢ خ٥٧.
(٣) نهج البلاغة ص١٠٢ خ٧٣.
(٤) نهج البلاغة ص١٣٥ خ٩٣.

١٠ـ ضليل الشام الناعق[١].

١١ـ صاحب الزنج والفجائع والفظائع سنة ٢٥٥:

«كأني به وقد سار بالجيش ... ويل لسككم العامرة ... أنا كاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها»[٢].

١٢ـ الأتراك والشنائع والدمار الشامل:

«كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ والدِّيبَاجَ ويَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ إلخ»[٣].

قال ابن أبي الحديد: واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر عليه السلام عنه قد رأيناه نحن عياناً ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق إلخ[٤].

وقال أيضاً:

وقد لاح لي من فحوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا بأس على بغداد والعراق منهم وأن الله تعالى يكفي هذه المملكة شرهم، ويرد عنها كيدهم، وذلك قوله عليه السلام: «ويكون هناك استمرار قتل» فأتى بالكاف، تقول للقريب: هنا، وللبعيد هناك، وخطب عليه السلام بهذه الخطبة في البصرة، ومعلوم أن البصرة وبغداد شيء واحد وبلد واحد، لأنهما جميعاً من إقليم العراق،

---

(١) نهج البلاغة ص١٤٦خ١٠١، وشرح النهج ٩٩/٧.
(٢) نهج البلاغة ١٨٥/خ ١٢٨ وتفاصيل ذلكم البلاء في شرح النهج ١٢٥/٨.
(٣) نهج البلاغة ص١٨٦ خ١٢٨.
(٤) شرح النهج ٢١٨/٨.

وملكها ملك واحد فيلمح هذا الموضع فإنه لطيف[١].

وقال الشيخ البحراني:

«أمّا إخباره عن استحرار القتل إلى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما يشهد بصدقه التواريخ بالوقايع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم ... ويكفي في صدق ذلك إلى الغاية المذكورة ما شهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم إياهم بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد»[٢].

أقول:

ولأمير المؤمنين عليه السلام خطبة أخرى تعرف بـ (الزوراء) وفيها إنباءات غيبية مفصلة دقيقة مع ما اكتنفها من لباقة عجيبة وعمّت بفضلها البركة وحقنت الدماء وصينت الأعراض، وإليك حديثها:

قال العلاّمة (الحلي) رحمه الله في (كشف اليقين) في باب إخبار مغيبات أمير المؤمنين عليه السلام: ومن ذلك إخباره عليه السلام بعمارة بغداد وملك بني العباس وأحوالهم وأخذ المغول الملك منهم، رواه والدي رحمه الله وكان سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل لما وصل السلطان هلاكو إلى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح إلاّ القليل فكان من جملة القليل والدي رحمه الله والسيد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العز فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت الإيلية وأنفذوا به شخصاً أعجمياً فأنفذ السلطان فرماناً إليهم مع شخصين أحدهما يقال له (نكله) والآخر يقال له (علاء الدين) وقال لهما: قولا لهم إن كانت كما وردت به كتبكم تحضرون إلينا، فجاء الأميران فخافوا لعدم

---

(١) شرح النهج ٨/٢٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/١٤٠.

معرفتهم بما ينتهي الحال إليه فقال والدي رحمه الله: إن جئت وحدي كفى؟ فقالا: نعم فاصعد معهما، فلمّا حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة قال له: كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه؟ فقال والدي: أقدمنا على ذلك لأنّا روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في خطبة الزوراء: الزوراء وما أدراك ما الزوراء أرض ذات أثل يشيّد فيها البنيان وتكثر فيها السكان ويكون فيها مخادم وخزّان يتخذها ولد العباس موطناً ولزخرفهم مسكناً تكون لهم دار لهو ولعب يكون بها الجور الجائر والخوف المخيف والأئمة الفجرة والأمراء الفسقة والوزراء الخونة، تخدمهم أبناء فارس والروم لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه ولا يتناهون عن منكر إذا نكروه، تكفى الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء فعند ذلك الغم العميم والبكاء الطويل والعويل لأهل الزوراء من سطوات الترك، وهم قوم صغار الحدق وجوههم كالمجان المطوقة لباسهم الحديد جرد مرد يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم، جهوري الصوت قوي الصولة عالي الهمّة لا يمر بمدينة إلاّ فتحها ولا ترفع عليه راية إلاّ نكّسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر.

فلما وصف لنا ذلك وجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك، فطيَّبَ قلوبهم وكتب لهم فرماناً باسم والدي رحمه الله يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها[1].

١٣ـ الإمام القائم بالحق والهدى:

«يَعْطِفُ الهَوَى على الهُدَى ... ويَعْطِفُ الرَّأْيَ على القُرْآنِ إذا عَطَفُوا

---

(١) سفينة البحار ٣/٥٣٣، وقد نقلتها برمتها، وقد ذكرها العلاّمة المحقق السيد محمد مهدي الخرسان في مقدمته على كتاب الألفين ص٨ـ١٠ وبين النقلين اختلافٌ ما في بعض الكلمات اليسيرة مطبعية وغيرها.

القُرآنَ عَلَى الرَّأي»[١].

قال الشارحان الشيخ البحراني وابن أبي الحديد: الإشارة إلى إمام في آخر الزمان الموعود به في الأخبار والآثار[٢].

وقد عبر المعتزلي عنه عليه السلام بأنه يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، ولا شك أن الإمام صاحب الزمان عليه السلام لم يخلق زمن النص أمّا في زمان الشارحين فالدنيا محفوظة بشريف وجوده وبركات حياته ودعواته، عجل الله فرجه وثبتنا على اليقين بإمامته وغيبته وأرضاه عنا ورزقنا نصرته.

هذا وفي الخطبة البشارة الكبرى بالدولة الإنسانية التي تعيش البشرية كلها في شعب واحد وتحت راية واحدة تدير شؤونها دولة واحدة تحقق العدل والأمن والمساواة للناس أجمعين، وتؤكد الروايات أن هذه الدولة ليست حلماً وخيالاً بل هي حق لا ريب فيه وإليها ينتهي العالم بأكمله لا محالة[٣].

وفي الخطبة حديث عن (عبد الملك بن مروان) وما يبتلى به الناس من عظيم جوره وشدة بلائه.

قائمة الأنباء الغيبية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

وللعلاّمة المعتزلي تتبع واسع ورصد جامع لإنباءات الإمام الغيبية عرضها تبعاً لشرح المتن تارة ومستقلة مبثوثة أخرى وجمع كثيراً منها في

---

(١) نهج البلاغة ص١٩٥ خ١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة البحراني ١٦٨/٢ والمعتزلي ٤٠/٩، أقول وللإمام المهدي الموعود حديث آخر في ملاحم جده أمير المؤمنين كـ خ ٢١٨/١٥٠ من نهج البلاغة، وفيها تصريحه عليه السلام باستتار الغائب عن الناس، عجل الله ظهور غائبنا المنتظر.

(٣) في ظلال نهج البلاغة ٢٩٨/٢ ملخصاً.

مقالة مفردة نوردها إكمالاً للغرض وخدمة للباحثين وقد جاءت ضمن شرحه للخطبة (٩٣) وقد ورد فيها قوله عليه السلام: «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألونني عن شيء بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت موتاً، ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين».

قال الشارح:

[فصل في ذكر أمور غيبية؛ أخبر بها الإمام ثم تحققت]:

واعلم أنه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده، أنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلاّ أخبرهم به، وأنّه ما صحّ من طائفة من الناس يهتدي بها مائة وتضلّ بها مائة، إلا وهو مخبرٌ لهم -إن سألوه- برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومَنْ يقتل منها قتلاً، ومَنْ يموت منها موتاً، وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبية، ولا ادّعاء النبوة، ولكنه كان يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرَه بذلك، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقا، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة، كإخباره عن الضربة يُضرب بها في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام، وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده، وإخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان، وما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، وصَلَب مَنْ يُصْلَب، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شَخَص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه: «خبّ ضبّ، يروم أمراً ولا يدركه، ينصِبُ حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش»، وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق، وهلاكها

تارة أخرى بالزَّنج، وهو الذي صحّفه قوم فقالوا: بالربح، وكإخباره عن ظهور الرايات السُّود من خُراسان، وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق -بتقديم المهملة- وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده إسحاق بن إبراهيم، وكانوا هم وسَلفهم دعاة الدولة العباسية، وكإخباره عن الأئمة الّذين ظهروا من ولده بطبرستان، كالناصر والداعي وغيرهما، في قوله عليه السلام: «وإن لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاؤه حق يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله»، وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله: «إنه يُقْتَلُ عند أحجار الزيت»، وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباب حمزة: «يُقتل بعد أن يظهر ويُقْهَر بعد أن يَقْهر»، وقوله فيه أيضاً: «يأتيه سهم غَرْب[1] يكون فيه منيّته فيا بؤساً للرامي! شَلّت يده، ووهَن عَضُده»، وكإخباره عن قتلى وَجّ، وقوله فيهم: «هم خير أهل الأرض».

وكإخباره عن المملكة العَلوية بالغرب، وتصريحه بذكر كتامة، وهم الذين نصروا أبا عبد الله الدَّاعي المعلّم، وكقوله وهو يشير إلى أبي عبد الله المهدي: وهو أولهم ثم يظهرُ صاحب القَيْروان الغضّ البضّ، ذو النسب المحض، المنتجَب من سلالة ذي البداء، المسجّى بالرداء، وكان عبيد الله المهدى أبيض[2] مترفاً مشرباً بحُمرة، رخْص البدن، تار[3] الأطراف.

وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام، وهو المسجّى بالرداء، لأن أباه أبا عبد الله جعفراً سجّاه بردائه لما مات، وأدخل إليه وجُوه الشيعة يشاهدونه، ليعلموا موته، وتزول عنهم الشبهة في أمره.

---

(١) سهم غرب: أي لا يدرى راميه.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) التار: الممتلئ جسمه وعظمه رياً.

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم: «ويخرج من دَيْلمانَ بنو الصياد»، إشارة إليهم.

وكان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوّت هو وعياله بثمنه، فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله عليه السلام فيهم: «ثم يستشري أمرُهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء» فقال له قائل: فكم مدّتُهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: «مائة أو تزيد قليلا»، وكقوله فيهم: «والمترفُ ابن الأجذم، يقتله ابنُ عَمّه على دِجْلة»، وهو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معزّ الدولة أقْطَع اليد، قطعت يده للنّكوص في الحرب، وكان ابنه عزّ الدولة بختيار مترَفاً، صاحب لهو وشرب، وقتله عَضُد الدولة فنّاخسرو، ابن عمه بقصر الجُصّ على دِجْلة في الحرب، وسلَبه ملكه، فأما خلعهم للخلفاء فإنّ معز الدولة خلع المستكفي، ورتّب عِوضه المطيع، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خَلع الطائع ورتّب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به عليه السلام.

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإنّ علي بن عبد الله لما ولد أخرجه أبوه عبد الله إلى علي عليه السلام، فأخذه ونَفَل في فيه وحَنّكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه، وقال: خذ إليك أبا الأملاك، هكذا الرواية الصحيحة، وهي التي ذكرها أبو العباس المبرّد في كتاب «الكامل»[1]، وليست الرواية التي يُذكر فيها العدد بصحيحة ولا منقولة من كتاب معتمَد عليه.

وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى، مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها

---

(١) الكامل ٢/٢١٧.

مشروحة[١].

البند الثالث: إنباءات (إحقاق الحق):

١ ـ إخباره عليه السلام بعدة من سار من الكوفة وأنهم اثنا عشر ألف رجل ورجل، وقعود ابن أبي الطفيل على نجفة يحصيهم فما ازدادوا ولا نقصوا رجلاً[٢].

٢ ـ من يقتل ومن يسلم من أصحابه وأعدائه في النهروان "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يقتلون منكم عشرة ولا يبقى منهم عشرة"[٣].

٣ ـ عن مقتل (ذي الثدية)[٤].

٤ ـ عن عدد الجيش الذي يأتي مع ابنه الحسن.

قال ابن عباس فلما أظلنا الحسن رضي الله عنه بالجند لم يكن لي همة إلاّ مساءلة الكاتب كم كمية الجند؟ قال لي: عشرة آلاف فارس وراجل لا يزيد فارس ولا ينقص فارس قال: فعلمت أن ذلك العلم من تلك الأبواب الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧/٤٧ ـ ٥٠.

(٢) إحقاق الحق ٨/٨٧ عن الطبري وابن الأثير.

(٣) إحقاق الحق ٨/٨٨ ـ ٩٥، عن تاريخ بغداد والمحاسن والمساوى للبيهقي، والمناقب لأخطب خوارزم، والمناقب لا بن المغازلي، وابن الأثير والمسعودي وعدة مصادر أخرى.
(عن علي قال قمرنا أو قمرهم، جواباً للقائل له: القمر في العقرب عند خروجه إلى قتال أهل النهروان، والله لن يفلت منهم إلاّ أقل من عشرة ولن يقتل منا إلاّ أقل من عشرة، ثم قال قمرنا أو قمرهم إشارة إلى أصل كبير في علم أسرار الغيوب).
إحقاق الحق ٨/٩٢ عن (الدر المنظم) لكمال الدين محمد الشامي الشافعي نقلاً عن (ينابيع المودة).

(٤) إحقاق الحق ٨/٩١ عن (المناقب) لابن المغازلي.

علّمَه رسول الله ﷺ[١].

٥ـ عن المرأة وشأنها العجيب: السلفع، المذكرة، السلقلقة[٢].

٦ـ عن أمر المرأة العجيب مع ولدها[٣].

وقال الناقل ختام الرواية: وفي هذه الواقعة منه عليه السلام ما يقضي بولايته ويسجل بكرامته.

٧ـ إخباره برؤيا خولة الحنفية[٤].

٨ـ إخباره المستفيض بمقتله[٥].

٩ـ كشفه عن حيلة معاوية لاستعلام سبق موته أو لحوقه[٦]. وقد سبق ذكرها.

١٠ـ عن شهداء مرج عذراء (حِجْرٍ وأصحابه)[٧].

١١ـ عن شهادة كميل[٨].

١٢ـ مزرع وصلبه بين شرافتين من شرف المسجد.

١٣ـ رشيد الهجري وقطع لسانه وصلبه.

١٤ـ جويرية وقطع يده ورجله وصلبه.

---

(١) إحقاق الحق ٨/٩٥ عن (در بحر المناقب) لابن حسنويه الحنفي.
(٢) إحقاق الحق ٨/٩٧ عن (الأربعين) للحافظ ابن أبي الفوراس وغيره.
(٣) إحقاق الحق ٨/٩٩ عن مطالب السؤول والمناقب المرتضوية.
(٤) إحقاق الحق ٨/١٠١ عن در بحر المناقب.
(٥) إحقاق الحق ٨/١٠٩ـ١٤١ عن وفرة من المصادر.
(٦) إحقاق الحق ٨/١٢١ عن (أرجح المطالب).
(٧) إحقاق الحق ٨/١٥٣ عن (تأريخ دمشق) و(البداية والنهاية) و(الخصائص) للسيوطي و(منتخب كنز العمال).
(٨) إحقاق الحق ٨/١٥٤ عن (الإصابة) لابن حجر العسقلاني.

١٥ـ ميثم التمار وصلبه على نخلة بـاب دار عمـرو بـن حريـث مـع تسعة من أصحابه.

١٦ـ عمرو بن الحمق الخزاعي.

١٧ـ قنبر[١].

١٨ـ حجر المرادي وأنه يؤمر بلعنه[٢].

وبعد هذا السبح الطويل ـوإن كانت بحار علم الإمام عليه السلام لا سـاحل لها ينقطع فيها النفس دونما بلـوغ غايـة إلاّ الاعتـراف بـالعجز والقصـور ـ أكتفي بما أوردت كنماذج وشواهد على ما خص بـه ذلكـم الرجـل الإلهـي الفذ وميز عن أن يدانى فضلاً عن أن يشارك ويقارن بسواه ويمتاز بفضل عـن غيره.

---

(١) إحقاق الحق ٨/١٥٥ـ١٦٢ عن وفرة من المصادر.

(٢) إحقاق الحق ٨/١٨١ عن الصواعق المحرقة، ومفتاح النجا، ولسان الميزان.

٢/ الإيمان

وهو من الصفات البطنية القلبية، وإن أمكن الاستدلال بظاهر أعمال الجوارح إجمالاً إلاّ أنه يبقى القطع به حدوثاً واستمراراً وفي متقلب الأحوال منوطاً بمعرفة المكنون والإحاطة بالسرائر وما تخفي الصدور.

وعلي مميز في ذاته كما هو ممتاز في استجلاء صفاته، فلا محيص عن سلوك ذلكم المسلك الذي أرشدنا إلى معالم علمه.

أجل إن حقيقة إيمان علي لا يعلمها إلاّ الله، وإن ما وسعه قلب علي من يقين وتصديق لا يعرفه إلاّ رسول الله.

وإن كان علي في ذاته أمثولة الإيمان مجسداً فماذا كشف الله وهو اللطيف الخبير عن إيمان عبده ووليه؟!

وماذا أبان رسول الله عن سريرة نفسه ووصيه؟!

وماذا جسّد علي من خلائقه التي أشاد بها خالقه ومربيه؟!

أولاً: وحي الله:

١ ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

فقد جعل الله علياً ولياً كما جعل محمداً ولياً ونبياً.

وطريف أن ينص على ولاية علي بأوصافه وبصيغة الجمع مصدرة

---

(١) سورة المائدة /٥٥.

بالأصل القويم والركن العظيم (الإيمان) فهو إيمان كله وأمة الإيمان وهو المؤمن الأفخم الأعظم.

٢ـ ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

٣ـ ﴿حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

فقد اكتنفت النبي محمداً قوتان: ذاتية، وموهوبة مفاضة، فالله تولى تأييده بنصره، وأمدّه بعلي يؤازره ويناصره.

وكفى بعلي من الخلق ناصراً وتابعاً.

ويا لمقامه الشامخ العلي حيث يقرن اسمه باسم الذات المقدسة، يقرنه بذلك ربه وخالقه في آيات قرآنه، وعلى طرة عرشه وأبواب جنانه، ويكشف في كل موطن منها خصائصه ومميزاته التي لا يشاركه فيها أحد كما لاحظنا فيما ورد من آيات الولاية والنصرة والاتباع وكما في آية الشهادة والحجية: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٣].

وثانياً: حديث رسول الله ﷺ:

وقد تنوعت أساليب النبي في التعريف بإيمان الوصي وأنه نمط خص به على غرار انفراده بالمميزات وانفراد المميزات به.

---

(١) سورة الأنفال /٦٢.

(٢) سورة الأنفال /٦٤.

(٣) سورة الرعد /٤٢.

١ ـ «بَرَزَ الإيمانُ كلُّه إلى الشركِ كلِّه»[١].

وناهيك به وصفاً تتحد فيه الذات والصفة، فهو كل الإيمان اعتقاداً وفكراً وعملاً وجوانح وجوارح وعواطف وخواطر ورغبات ومشاعر، وأعْظِمْ به نعتاً يحكي حقيقة الذات في كافة الأدوار ومراحل الحياة وما أسماه بياناً جامعاً تتكفل بتفصيل أبعاده أحاديث أخرى وإن أوفت في التعريف وعظمت في التوصيف.

٢ ـ «والإيمانُ مخالِطٌ لحمَكَ ودَمَك كما خَالَطَ لحمي ودَمِي»[٢].

ومن يكن الإيمان كله هو، وهو كل الإيمان، فهو الإيمان لحماً ودماً وعروقاً وروحاً، وكفى بالتمثيل بصفوة الخلق غنى عن التحليل والتطويل.

٣ ـ «يا أبا الحسن لو وُضعَ إيمانُ الخلائقِ وأعمالُهم في كفةِ ميزانٍ ووُضعَ عَمَلُكَ يومَ أحدٍ على كفةٍ أخرى لَرَجَحَ عملُك على جميعِ ما عَمِلَ الخلائق»[٣].

«لو وُضعَت السماواتُ السبعُ والأرضونَ السبعُ في كفةٍ ووُضِعُ إيمانُ عليٍّ في كفةٍ لَرَجَحَ إيمانُ علي»[٤].

«لو أن إيمانَ أهلِ السماواتِ والأرضِ وُضعَ في كفةٍ ووُضعَ إيمانُ عليٍّ في كفةٍ لَرَجَحَ إيمانُ عليِّ بنِ أبي طالب»[٥].

---

(١) إحقاق الحق ٩/٦.
(٢) إحقاق الحق ٤٨٤/٤.
(٣) إحقاق الحق ١٠/٦.
(٤) إحقاق الحق ٤٠٧/١٦ ـ ٤١٠.
(٥) إحقاق الحق ٤٠٧/١٦ ـ ٤١٠.

ولا بد في المقابلة من مقياس في المبنى وحكمة في المعنى، هذا والإيمان من عالم والسماوات والأرضون من عالم آخر، والخلائق وفيهم الرسل أولو العزم والملائكة على تفاوت مقاماتهم وكافة من آمن بالله ممن خلق وبرأ[1].

إذن لا بد أن يكون إيمانه عليه السلام بنحو فريد أوجب البارئ للقائم به تلكم الولاية الكبرى والهيمنة العظمى على عالم الإمكان بعد ولايته سبحانه وولاية سيد رسله صلى الله عليه وآله وسلم.

حتى أن عملاً واحداً من أعماله وما أكثرها وأجلّها يوازن إيمان الخلائق وأعمالهم ويرجح عليهم كما يرجح على السماوات والأرض.

وهذا ما يؤكد ما سبق تقريره من أن علياً في ذاته وصفاته يتفرد امتيازاً عن سواه بما لا تصح معه مقارنة أو مقايسة.

طريفة: العيب في الميزان:

قيل لبهلول يوماً: إنه ورد في الحديث الصحيح أن يوم القيامة توضع أعمال أبي بكر وعمر في كفة من الميزان وأعمال سائر الخلائق في كفة أخرى فترجح أعمال الشيخين على أعمال الخلائق.

فقال بهلول: إن كان هذا الحديث صحيحاً فالعيب في الميزان[2].

---

(١)

أَشْهَدُ بِاللهِ لقد قالَ لنا ... محمدٌ والقولُ مِنْهُ ما خَفَى

لو أن إيمانَ جميعَ الخلقِ مِـ ... ـن سَكَنَ الأرضَ ومَنْ حَلَّ السَّمَا

يُجْعَلُ في كَفَّةِ ميزانٍ لكي ... يُوفِي بإيمانِ عليٍّ ما وَفَى

بحار الأنوار ٢٢٣/٣٨ للعبدي.

(٢) روضة المؤمنين في إفحام المخالفين /١٤٣.

وثالثاً: حكاية علي عن نفسه:

«ونُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانَ مَنْ عَايَنَ الغُيُوبَ، ووَقَفَ عَلَى المَوْعُودِ إِيْماناً نَفَى إِخْلاصُهُ الشِّرْكَ، ويَقِينُهُ الشَّكَّ»[1].

«ونُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوْقِناً، وأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَضَعَ لَهُ مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً»[2].

قال العلاّمة الهاشمي الخوئي:

(ونؤمن به) أي نصدقه بقول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول، واتباع الرسول، (إيمان من عاين الغيوب) وشاهد بعين اليقين الغيب المحجوب عن غمرة الموت وسكرته وضيق القبر وظلمته وطول البرزخ ووحشته وعقبات الساعة ودواهيها وأهوال القيامة وشدايدها، (ووقف) أي اطلع على الموعود، من الرفد المرفود والطلح المنضود والسدر المخضود والظل الممدود وغيرها مما وعد به المتقون، أو النار ذات الوقود والقيح والصديد والعذاب الشديد ونزل الحميم وتصلية الجحيم ونحوها مما وعد به المجرمون.

وإنما خص إيمان المعاين الواقف بالبيان لكونه أقوى درجات الإيمان، فإن من الإيمان ما يكون بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين، وأقوى منه الإيمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الإيمان الخالص.

وحيث كان إيمانه عليه السلام من أقوى درجات الإيمان وأعلى مراتبه موصوفاً بالخلوص واليقين كما قال: (لَوْ كُشِفَ لِي الغِطَاءُ ما ازْدَدْتُ يَقِيْناً)

---

(١) نهج البلاغة ص١٦٩ خ١١٤.

(٢) نهج البلاغة ص٢٦٠ خ١٨٢.

أتبعه بقوله: (إيماناً نفى إخلاصُه الشرك، ويقينُه الشك)، إلخ[١].

وقال العلاّمة المعتزلي:

وهذا إشارة إلى إيمان العارفين الذين هو عليه السلام سيدهم ورئيسهم، ولذلك قال: «لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ ما ازْدَدْتُ يَقِيْناً»[٢].

أقول:

إن توفية البحث حقه يستلزم بالضرورة مراعاة كافة مقدماته وشرائطه وكل ماله دخل في موضوعه.

ومقامنا هذا لا ينفك تجليته إلاّ بالنظر في ما مر عرضه صدر هذا الكتاب من حديث الاصطفاء والخلق الأول وعرض الولاية على الكون وسائر ملابسات ذلك.

والدراسة الدقيقة المستوعبة تنتج ما يلي:

١ ـ «والحق أن أمير المؤمنين عليه السلام ولد مسلماً مقراً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كالنبي، فإنهما معصومان طاهران من حين ولادتهما، أترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان غير مؤمن بربه ولا عارفاً بنبوته كما يتخيله الجاهلون حتى زعموا أن خديجة وورقة علّماه نبوته، كيف لا وقد خلقهما الله سبحانه نوراً واحداً قبل أن يخلق آدم، وهما خيرة الله من أرضه، ... فكيف يتصور فيمن اختاره الله تعالى من جميع بريته حتى الأنبياء أن لا يكون مؤمناً عالماً بالحق حين ولادته، وقد كان عيسى ـ وهما مختاران

---

(١) منهاج البراعة ٨/٥٦ـ٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧/٢٥٣.

عليه- مؤمناً عالماً بأنه رسول الله ساعة الولادة[١].

وفي حديث ابن المسيب أنه قال: سألت علي بن الحسين عليهما السلام ابن كم كان علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم، فقال: أو كان كافراً قط؟! إنما كان لعلي عليه السلام حيث بعث الله -عز وجل- رسوله صلى الله عليه وآله عشر سنين، ولم يكن يومئذ كافراً، ولقد آمن بالله -تبارك وتعالى- وبرسوله عليه السلام وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله ورسوله إلخ[٢].

٢- وأعظم بالقرآن المجيد سنداً لإثبات الحقائق العالية التي لا يحوم حولها السواد الأعظم من الناس، هي من مواطن الإبداع والإعجاز والخوارق، فاستمع إلى قول الحق في كلمته المسيح ابن مريم وما أفاض عليه من مواهب وقت ولادته كما تجلى فيه إعجازه في حمل أمه به:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ۞ وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[٣].

وعليٌّ نبعة الإمامة، وسيد أوصياء سيد الأنبياء، منتقى ومفاض عليه من ذي العرش، موهوب.

قال أبو جعفر النقيب: وأين هيولانية نفس حمزة وخلوها من العلوم من نفس علي القدسية التي أدركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه

---

(١) دلائل الصدق ٢/٣٣٠-٣٣١ ملخصاً.

(٢) بحار الأنوار ١٩/١١٥.

(٣) سورة مريم /٢٩-٣٤.

نفوس مدققي الفلاسفة الإلهيين[١].

وقال ابن أبي الحديد معقباً على خطبة للإمام في التوحيد: وهذا من دقائق العلم الالهي، والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به، ولكن هذا الرجل كان ممنوحاً من الله تعالى بالفيض المقدس والأنوار الربانية[٢].

٣ـ وكفى بالخطبة (القاصعة) بياناً لطرف من الأسرار التي خص بها وميز.

«ولَقَدْ كانَ يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ بِحِراءَ فأَرَاهُ ولا يَرَاهُ غَيْرِي»[٣].

«أَرَى نُورَ الوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولقد سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطانِ حِيْنَ نَزَلَ الوَحْيُ عليه ﷺ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ما هذه الرَّنَّة؟ فقالَ: هذا الشَّيْطانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِه، إِنَّكَ لَتَسْمَعُ ما أَسْمَعُ وتَرَى ما أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيْرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ إلخ».

فليتأمل المنصف إلى ما انطوت عليه هذه الجمل من معانٍ كبار ودقائق أسرار، وليلحظ الانسجام بين هذه المأثورات وبين واقع الذات.

هذا وقد مر طرف صالح صدر الكتاب يلقي مزيداً من الشرح والتوضيح.

٤ـ ولذلك كله لا يعنيني ما كثر فيه المقال واحتدم الجدال فيمن أسلم أولاً، والتفاضل بين إسلام البالغ وغيره وكم كان عمر الإمام آنذاك، والمصالحة والتوفيق بأنه عليه السلام أول من أسلم من الصبيان وغيره من الرجال.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/١١٥، و١٣/٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١/١١٥، و١٣/٤٨.

(٣) نهج البلاغة ص٣٠٠ خ١٩٢ (فضل الوصي).

والطريف في الروايات المؤرخة للإمام في تلكم الحقبة والمكذبة للدعاوى المغرضة أنها جاءت تحكي النمط المميز للإمام في إيمانه، وانفراده عن الناس كافة في خصائصه.

أ- روى الحاكم في المستدرك عن علي عليه السلام قال: «إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها أحد بعدي إلاّ كاذب صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة»[١].

ب- وروى جماعة عن أنس وأبي أيوب وروى شيرويه في الفردوس عن جابر قالوا: قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ بن أبي طالب سبع سنين قبل الناس وذلك أنه كان يصلي ولا يصلي معنا غيرنا[٢].

ج- عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتي عرضت عليّ عند الميثاق وكان أول من آمن بي وصدقني علي عليه السلام، وكان أول من آمن بي وصدقني حين بعثت فهو الصديق الأكبر[٣].

د- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين وذلك أنه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني محمد رسول الله إلاّ مني ومن علي[٤].

هـ- وقال عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام: إنك إن تربصت بي فقد تربصت بمن هو خير مني ومنك، قال: ومن هو خير مني؟ قال: أبو بكر وعمر! فقال: كذبت أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلكم وعبدته

---

(١) دلائل الصدق /٣٣١، المستدرك ١١٢/٣.
(٢) بحار الأنوار ٢٠٤/٣٨.
(٣) بحار ٢٢٦/٣٨ عن بصائر الدرجات /٢٣.
(٤) بحار ٢٢٦/٣٨ عن الإرشاد /١٤.

بعدكم[١].

و- «بينما النبي ببقيع الغرقد وعلي معه فحضرت الصلاة فمر به جعفر فقال النبي -صلى الله عليه -وآله- وسلم: يا جعفر صل جناح أخيك فصلى النبي بعلي وجعفر، فلما انفتل من صلاته قال: يا جعفر هذا جبرئيل يخبرني عن رب العالمين أنه صير لك جناحين أخضرين مفضضين بالزبرجد والياقوت تغدو وتروح حيث تشاء، قال علي: فقلت يا رسول الله هذا لجعفر فما لي؟ قال النبي -صلى الله عليه -وآله- وسلم: يا علي أما علمت أن الله عز وجل خلق خلقاً من أمتي يستغفرون لك إلى يوم القيامة؟ قال علي: ومن هم يا رسول الله؟ قال: قول الله عز وجل في كتابه المنزل عليّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠ الحشر ٥٩) فهل سبقك إلى الإيمان أحد يا علي»[٢].

عن ابن عباس قال: كنت مع علي بن أبي طالب فمر بقوم يدعون فقال: ادعوا لي فإنكم أمرتم بالدعاء لي قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[٣].

هذا وفي المقام أحاديث تتسق هذا المساق، وكافتها تقرر حقيقة الإيمان المطلق الخالص الذي كان عليه الإمام عليه السلام[٤].

والقوم حيث نظروا لمقام الإمامة نظرهم العادي وغفلوا أو تغافلوا

---

(١) بحار ٢٢٨/٣٨.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٩٨/١.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٦٥/١.

(٤) اقرأ بأناة وتأمل ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٣٢/١-١٠٣ متناً وتعاليق المحقق المتتبع.

عن مقامات الإمام التي يوردونها أشغلوا أنفسهم وغيرهم في الحديث عن المفاضلة والسبق والمصالحة ما لا أرى وجهة البحث فيما خاضوا تامة والله الهادي وهو العاصم.

٣/ الشجاعة

والتحم الإمام بالشجاعة كما التحمت به، وقد تميزت فيه نمطاً فريداً أدوار حياته كلها بفضل ما منح من الإيمان كله، وأودع من قوة وقدرة حارت في نعتها الألباب حتى غلا بعضهم فاعتقد أنه من الأرباب.

وبكلمة: إنه ـ سلام الله على ملكاته ـ مظهر قدرة الله الخارقة.

فهو قوة الإسلام وجيشه ولواؤه ودرعه وحصنه ومِجنُّهُ، صولاته وجولاته وضرباته بالغة الأثر بليغة التأثير مدى وصدى فهو الموت الأحمر، وضربة من ضرباته تعدل أعمال الثقلين، وهو الإيمان كله.

وما الآيات والروايات وما حديث السير والزبر وصحف التاريخ إلاّ حكاية عن مآثر سطر ملاحمها سيفٌ لعلي وساعدٌ، وليست إلاّ ترجمة لأمجاد استولى على عرشها ابن أبي طالب.

وهي بالتالي سفر خلود رقمت حروفه من نور ودم يفنى الزمان ولا يفنى، ويأبى الله أن يطفأ.

وما عساني مورداً من حديث البطولات وقد ابتدأت مع البعثة يوم كان سيد الغلمان وامتدت وهو سيد الفتيان إلى أن شاخ عمره وهي الفَتِيَّة القوية لم تهن ولم تنكل.

أجل ... أُصَدِّرُ سجل الملاحم المتزاحم بوحي الله في قرآنه فقد وصف الواهبُ الموهوب ونعت قدرته وأثنى على حسن بلائه وكفى المؤمنين بقتاله وتوعد به المنافقين، مؤرخاً بذلك أيام جهاده في نشوء الإسلام وارتقائه.

فلنستمع إلى الله يحدثنا عن صنيعته ومظهر قدرته وقوته:

١ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[١].

٢ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

٣ـ ﴿وَرَدَّ اللّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[٣].

٤ـ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۞ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[٤].

٥ـ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة /٢٠٧.

(٢) سورة التوبة /١٩ـ٢٢. سبق الحديث عن الآية وسبب نزولها في فصل (السجل الحافل).

وكتب التفسير وأسباب النزول حافلة بحديث المفاخرة، وللمزيد: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/٣٢٥ـ٣٢٧، والغدير ٢/٥٣ـ٥٥، إحقاق الحق ٣/١٢٢ـ١٢٧، ١٤/١٩٤ـ١٩٩ـ٥٨٩ـ٢٠، ٦٠٦/٢٩ـ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب /٢٥.

(٤) سورة الزخرف /٤١ـ٤٢.

(٥) سورة العاديات /١ـ٥.

أجل ذلكم هو الله العظيم يمجد علياً ويُتَوِّجُهُ بوسام الامتياز من بين الناس حيث أخلص في بذل وجوده لمرضاة معبوده، فبوركت صفقة بين المولى والعبد، وربحت تجارة البايع علي والمشتري العلي الأعلى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وإذا نضدت الخصائص والمميزات وصنفت وأريد القران بينهما نجد أن الحق والحكم العدل ـتبارك وتعالىـ يأبى لمميزات علي أن تقرن بغيرها، فما تقارب حتى تقارن، وما تشاكل حتى تفاضل، فإذا افتخر العباس بن عبد المطلب بسقاية الحاج وافتخر طلحة بن شيبة بمفاتيح البيت وعمارة المسجد الحرام وهذا كل ما يملكان من بضاعة ورصيد، أمّا عليٌ فرأس ماله الإيمان المطلق بالمبدأ والمعاد وتجارته بذل النفس والجهاد.

وفي المجمع روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن أبي بريدة عن أبيه قال: بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مر عليهما علي بن أبي طالب فقال: بما تفتخران؟

فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام، وقال علي: وأنا أقول لكما: لقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا، فقالا: وما أوتيت يا علي؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله تبارك وتعالى ورسوله، فقام العباس مغضباً يجر ذيله حتى دخل على رسول الله ﷺ فقال: أما ترى ما استقبلني به عليٌ؟ فقال: ادعوا لي علياً، فدعي له فقال ﷺ: ما حملك يا علي على

---

(١) سورة التوبة /١١١.

ما استقبلت به عمّك؟

فقال: يا رسول الله، صدقته الحق، فإن شاء فليغضب، وإن شاء فليرض، فنزل الأمين جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول: اتل عليهم ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وما أسمى علياً حيث ترصد السماء حديثه في الأرض فتحكيه وحياً وقرآناً يتلى مفعماً بالإجلال ناصاً على امتياز الانفراد وانفراد الامتياز (لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ الله) واعداً بفيض من الجزاء والمكافاة مما لا يدرك.

فهل تدرك (أَعْظَمُ دَرَجَةً عندَ الله)؟! وهل يبلغ مدى بشرى الرب بالرحمة والرضوان؟! (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ)، والخلود الأبدي ومن الأجر ما يصفه العظيم بأنه عنده عظيم ونعيم مقيم.

وبعد فأين سقيا الماء وحمل مفتاح البيت وأخذ ثيابه من الإيمان وبذل الدماء في سبيل الله إقامة لدينه وحفظاً لحُرُمِهِ، ورعاية لبيته وحَرَمِه؟! (لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ الله).

ويتقابل الجيشان: عصبة الكفر، وفئة الإيمان، وقد نغلت قلوب الكافرين على المسلمين، وامتلأوا غيظاً وتفقؤا حنقاً فأرادوها حرباً طاحنة مدمرة، ولا سيما وقد أدركوا وهناً وضعفَ عزائم لدى المسلمين، فأيقنوا بالنصر والقهر، ولكن الله حسم الموقف وقلب الموازين بفتكة من فتكات الدهر النادرة تلقاها بطل الحرب من ذلكم الساعد الأسدّ، والصمصام الأشد، فخابت الآمال وانقلب ما يوقنونه من النصر هزيمة منكرة محققة، وعادت النشوة وروح الحياة لأمة في جيش الإسلام كادت تذوب فرقاً وتموت

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/١٢٩ـ١٣٠.

قلقاً.

فيالها ضربة أماتت جيشاً وأحيت جيشاً!!

رُدَّ خاسراً خائباً مترعاً غيظاً، أما الآخر فقد كُفِيَ الخطب ومنح السلامة.

أجل .. إنها من قوة الله العزيز، تجلت في فتى الإيمان، فكان ـ مفرداً ـ قوةَ الدين وجيشَ الإسلام عدة وعدداً.

ولا أروع وأدق وأبرع وأصدق من تصوير القرآن وحكايته عن الجيشين المتقابلين ونفسياتهم ومدى الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين:

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ۞ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

في آيات عديدة تجسد الواقع.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[1].

وبدراسة ظروف تلكم الحرب وملابساتها تعرف قيمة تلكم الضربة القاصمة لظهر الكفر والحاطمة لعمود الشرك.

---

(١) سورة الأحزاب /٩ـ٢٧.

وحسبي من حديثها ما ذكرت وسأعود للحديث عنها في سياق موضوعنا (شجاعة الإمام).

ويبقى عليٌّ ـ كما كان ـ مظهر القوة الباهرة والقدرة القاهرة، يهدد الله به المعتدين وينتقم به من الكافرين.

ولئن كان النبي الأعظم ركن الدين وحمى الإسلام فعليٌّ كان وسيبقى سيفَهُ وجيشَه يخلفه من بعده ويقوم بأمره كما كان في حياته.

فقد روى جابر بن عبد الله أن آية التهديد بالانتقام "نزلت في علي بن أبي طالب إنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي".

وعن حذيفة بن اليمان وابن عباس ذلك.

وعن جابر أيضاً قال: إني لأدناهم من رسول الله في حجة الوداع بمنى حين قال: لألفينَّكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم.

ثم التفت إلى خلفه فقال: أو علي، أو علي، أو علي، ثلاثاً، فرأينا أن جبرئيل غمزه وأنزل الله على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعلي بن أبي طالب[1].

والله الحكيم يقسم بما يشاء ممن خلق وما خلق، وبمقتضى الحكمة توفر المُقْسَم به على الإبداع والإعجاز.

وقد حفل القرآن بجملة من الأقسام شملت الشمس والقمر والنجم والأرض والسماء والتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين، والنفس،

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/٢٤٣ـ٢٤٤.

وحياة النبي، وغير ذلك.

وقد أقسم الله بالخيل العاديات الضابحات الموريات القدح المغيرات الصبح المثيرات النقع المتوسطات الجمع[١].

نعم إنما خيل الله يقودها وليُّ الله فتطأ أرض أعدائه فتدمر عروش الكفر وتقتل الكافرين وتغنم وتأسر وتفتح وتعود ظافرة بفضل ما أوتي عليٌّ من حكمة وشجاعة وقوة إيمان وصلابة واستماتة بعد أن خاب السابقون وآب المتقدمون بالوهن والفشل والجبن والخور.

إنما (ذات السلاسل ووادي الرمل).

حديثها طريف ذو أبعاد يكشف عن حقائق في التأريخ عن الرجال والأعمال أجمع أطرافها في ما يلي:

جاء أعرابي إلى النبي ـعليه وآله السلامـ فجثا بين يديه وقال له: جئتك لأنصح لك، قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيِّتوك بالمدينة، ووصفهم له.

فأمر النبي ﷺ بالصلاة جامعة فخطب وأقرع بينهم واستدعى أبا بكر فقال له: خذ الراية وامض، فلما مضى ومعه القوم وقارب أرضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر إليه صعب فلما أراد الانحدار خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً وانهزم أبو بكر.

---

(١) الضبح: الحمحمة وشدة النفس عند العدو، ومد الضبع في السير حتى لا يجد مزيداً. وأورى القادح: إذا قدح قدحاً فأورت عنه النار مثل الزناد. والنقع: الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء.

ثم عقد النبي ﷺ لعمر فكمنوا له تحت الحجارة والشجر، فلما ذهب ليهبط جرى له ما جرى لصاحبه.

فساء رسول الله ﷺ ذلك، فقال له عمرو بن العاص: ابعثني إليهم فإن الحرب خدعة ولعلّي أخدعهم، فأنفذه فلما صار إلى الوادي خرجوا إليه فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعة.

ومكث رسول الله ﷺ أياماً يدعو عليهم، ثم دعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فعقد له، ثم قال: أرسلته كرَّاراً غير فرَّار، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كنت تعلم أني رسولك فاحفظني فيه وافعل به وافعل، فدعا له ما شاء الله.

وخرج رسول الله ﷺ لتشييعه وبلغ معه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه أبا بكر وعمر وعمرو بن العاص فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم أخذ بهم على محجة غامضة حتى استقبل الوادي من فمه، وكان يسير الليل ويكمن النهار، ولما قرب من الوادي أمر أصحابه أن يكعموا الخيل ووقفهم مكاناً وقال: لا تبرحوا، وانتبذ أمامهم فأقام ناحية منهم، فلم يشك عمرو بن العاص أن الفتح يكون له، فقال لأبي بكر: أنا أعلم بهذه البلاد من علي بجنده، وفيها ما هو أشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب فكلّمْهُ يخلّ عنا نعلو الوادي، فكلّمه أبو بكر فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام حرفاً واحداً!!!.

فقال عمرو لعمر: أنت أقوى عليه فانطلق فصنع به كما صنع بصاحبه!!!، فقال عمرو بن العاص: إنه لا ينبغي أن نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي، فقال المسلمون: لا والله لا نفعل، أمرنا رسول الله ﷺ أن نسمع لعلي ونطيع، فنترك أمره ونسمع لك ونطيع؟!

فلما أحس أمير المؤمنين عليه السلام الفجر صلى بأصحابه وصفّهم صفوفاً

واتكأ على سيفه مقبلاً على العدو فقال لهم: يا هؤلاء أنا رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإلا ضربتكم بالسيف، قالوا: ارجع كما رجع صاحباك، قال: أنا أرجع؟! لا والله حتى تسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، فاضطرب القوم لما عرفوه ثم اجترؤوا على مواقعته، فواقعهم عليه السلام فقتل منهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، ونزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (والعَادِيَاتِ ضَبْحاً).

وروي عن أم سلمة ـ رحمة الله عليها ـ قالت: كان نبي الله عليه السلام قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك، قال: صدقتِ، الله جاري، لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني أن علياً قادم.

ثم بشَّر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بالفتح، وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين عليه السلام فاستقبلوه، والنبي صلى الله عليه وآله يقدمهم فقاموا له صفين.

فلما بصر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ترجَّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له النبي ـ عليه وآله السلام ـ: اركب فإن الله ورسوله راضيان عنك، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك.

قال الشيخ المفيد ـ رضوان الله عليه ـ:

فكان الفتح في هذه الغزاة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة بعد أن كان من غيره فيها من الإفساد ما كان، واختص عليه السلام من مديح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها

بفضائل لم يحصل فيها شيء لغيره، وبأن له من المنقبة فيها ما لم يشركه فيه سواه[١].

وتقديراً لجهد المحقق العلاّمة السيد محمد مهدي الخرسان ـ دامت بركاته ـ أنوّه ببحثه الممتاز وتحقيقه الرائع وتتبعه الواسع وتجليته المميزة في عرض حديث غزوة (ذات السلاسل)، فجزاه الله خير جزاء الأمناء المخلصين والمجاهدين الناصحين[٢].

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، جمعاً ملخصاً بين موطنين /١١٣ـ١١٧ و١٦٢ـ١٦٦. وقد صدّر الموطن الأول بقوله عنها إنها (ما حفظه العلماء ودوّنه الفقهاء ونقله أصحاب الآثار ورواه نقلة الأخبار مما ينضاف إلى مناقبه عليه السلام في الغزوات ويماثل فضائله في الجهاد وما توحّد به في معناه من كافة العباد).

(٢) راجع شرحه القيم على (علي إمام البررة) والبحث المشار إليه ٣/١٢٩ـ١٨٠.

علي الشجاعة والأيد

ولقد تجسَّدت البطولة والفروسية والقوة ـبكل ما لهـذه وأمثالهـا مـن كمال المعنى وجماع القدرة وما تتسع لـه مـن دلالـةـ في ذات فريـدة في عـالم الإمكان ودنيا الوجود.

ومن يقرأ سِفْرَ البطولات التي سطَّرها عليٌّ غلاماً وفتى وكهلاً وشيخاً فإنه يحار في ترجمة هذه الذات الفياضة بما فوق العبقريـات، بـل ويعـيى عـن تحليل مفردة من قاموس امتيازاته.

وأعرض لعشاق الفتوة ومستلهمي العزيمة والقوة مشـاهد ومواقـف، ثم أعقبها بالتقييم والإجلال والانبهار والإكبار.

تاركاً بعد ذلك مجال التحليل والتعليل ـبما يليق وينسجمـ لمن يقوى على ذلك ويروقه.

المواقف والمشاهد:

ومواقفٌ لكَ دونَ أحمدَ جَـاوَزَتْ بمقامِكَ التعريـفَ والتحديـدا[1]

بدر:

وهي البطشة الكبرى.

أحصى الرواة من جدَّلهم سيف ابن أبي طالب في بـدر مـن المشـركين

---

(١) للشاعر الجليل الحاج هاشم الكعبي.

فكانوا أكثر من شطر المقتولين كافة[١].

وممن قتل من أبطالهم:

الوليد بن عتبة:

«وكان شجاعاً جريئاً فاتكاً وقاحاً تهابه الرجال».

فلم يلبثه الإمام حتى قتله.

العاص بن سعيد بن العاص:

«وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال ـ وهو الذي حاد عنه عمر بن الخطاب[٢] ـ وأحجم عنه من سواه فلم يلبث أن قتله.

طعيمة بن عدي بن نوفل:

وكان من رؤوس أهل الضلال.

---

(١) الإرشاد ١/٧٢، وقد أورد قائمة بأسمائهم.

(٢) وحديث ذلك: مر عثمان بن عفان بسعيد بن العاص فقال: انطلق بنا إلى عمر، فانطلقا فصار عثمان إلى مجلسه الذي يشتهيه، ومال سعيد في ناحية القوم فنظر إليه عمر وقال: مالي أراك كأن في نفسك عليَّ شيئاً؟ أ تظن أني قتلت أباك؟ والله لوددت أني كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، لكنني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ، فلما رأيت ذلك هبته ورغت عنه، فقال: إلى أين يا ابن الخطاب، وصمد له علي فتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتى قتله.

وكان علي عليه السلام حاضراً فقال: اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدم، فما لك تهيِّج الناس؟ فكف عمر، فقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب. الإرشاد /٧٥ـ٧٦.

حنظلة بن أبي سفيان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم، وقد قتلت الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة وشركته في قتل شيبة، إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان فلما دنا مني ضربته بالسيف فسالت عيناه فلزم الأرض قتيلاً.

نوفل بن خويلد:

من أشد المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قريش تقدمه وتعظمه وتطيعه، وهو الذي قرن أبا بكر بطلحة -قبل الهجرة بمكة- وأوثقهما بحبل وعذبهما يوماً إلى الليل حتى سئل في أمرهما.

ولما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضوره بدراً قال: اللهمَّ اكفني نوفلاً، فلما انكشفت قريش رآه الإمام عليه السلام حيران لا يدري ما يصنع، فصمد له ثم ضربه بالسيف في جحفته فانتزعه منها، ثم ضرب به ساقه -وكانت درعه مشمرة- فقطعها ثم أجهز عليه فقتله، فلما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله، فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

أحد:

طلحة بن أبي طلحة:

ولواء المشركين بيده، وكان كبش الكتيبة.

ضربه علي عليه السلام ضربة على مقدم رأسه فبدرت عيناه وصاح صيحة

لم يسمع مثلها قط وسقط اللواء من يده[١].

قال الواقدي: وبرز طلحة بن أبي طلحة فصاح من يبارز؟ فقال عليه السلام: هل لك في مبارزتي؟ قال: نعم، فبرز بين الصفين ورسول الله جالس تحت الراية عليه درعان ومغفرة وبيضة، فالتقيا فبدر علي عليه السلام بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف علي عليه السلام عنه فقيل له: هلاً وقعت عليه؟ قال: إنه لما صرع استقبلتني عورته فعطفتني عليه الرحم، وقد علمت أن الله سيقتله، هو كبش الكتيبة، فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبَّر تكبيراً عالياً، وكبَّر المسلمون[٢].

بنو عبد الدار:

«نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة كلهم يأخذ اللواء، ثم جاء صوأب الحبشي مولاهم وهو يقول: والله لا أقتل بسادتي إلا محمداً، قد أزبد شدقاه واحمرت عيناه، فاتقيتموه وحدتم عنه، وخرجت إليه، فلما أقبل كأنه قبة مبنية فاختلفت أنا وهو ضربتين فقطعته بنصفين وبقيت رجلاه وعجزاه وفخذاه قائمة على الأرض، تنظر إليه المسلمون ويضحكون منه».

كتائب المشركين:

«لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من كنانة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فمازال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مراراً، حتى قتل بني سفيان بن

---

(١) الإرشاد ٨١/١.

(٢) بحار الأنوار ١٢٧/٢٠، إحقاق الحق ٢٩/١٨ عن مرآة المؤمنين /٤٧.

عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممن لا يعرف أسماؤهم»[١].

جراحات مثخنة:

انحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أُحد فوقف وكان القتال من وجه واحد وقد انهزم أصحابه فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة[٢].

ضربات مقعدة:

«أصابت علياً عليه السلام يوم أُحد ست عشرة ضربة، وهو بين يدي رسول الله ﷺ يذب عنه، كل ضربة يسقط إلى الأرض فإذا سقط رفعه جبرئيل عليه السلام»[٣].

الأحزاب:

عمرو بن عبد ود:

فارس قريش، قاتل يوم بدر حتى ارتث فلم يشهد أُحداً، وخرج يوم الخندق معلماً ليرى مشهده، يعد بألف فارس، أقبل في ركب من قريش حتى وصل إلى واد قريب من بدر يقال له (يَلْيَل) عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: امضوا فمضوا، فقام في وجوههم حتى منعهم من أن يصلوا إليه فعرف بذلك، وهو أول من طفر الخندق، وسل سيفه كأنه شعلة نار.

---

(١) بحار الأنوار ١٢٩/٢ عن شرح نهج البلاغة.
(٢) علي في الكتاب والسنة ٢٣٥/٢.
(٣) م ن عن شرح نهج البلاغة ٩٣/٢٠، أسد الغابة ١٢٠/٤.

وعظم البلاء، واشتد الخوف، وأرهبهم العدو، ونجم النفاق في بعضهم وتبختر عمرو وتجبَّر وتحدَّى وسبَّ وأنَّب وسَخِر: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها، فطأطأ القوم رؤوسهم وأحجموا.

ولم يكن للموقف غير ابن أبي طالب، ولا يحسمه إلا قلبه وسيفه وإيمانه[1].

«فلما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له: يا عمرو إنك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاَّ قبلتها أو واحدة منها، قال: أجل، قال: فإني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تسلم لرب العالمين، قال: يا ابن أخ أخَّر هذه عني، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنها خير لك لو أخذتها، وها هنا أخرى، قال: ما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً. ـفها هنا أخرى، قال: ما هي؟ ـتنزل فتقاتلني، فقال: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك وقد كان أبوك لي نديماً[2]، فقال علي عليه السلام: لكنني أحب أن أقتلك فانزل إن شئت[3].

---

(١) وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله، بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه، ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلي فيه. بحار الأنوار ٢٣٠/٢٠.

(٢) قال ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنه لكاذب فيهما. شرح نهج البلاغة ٦٤/١٩.

(٣) الإرشاد ١٠٢/١ ملخصاً.

فما كان أسرع أن صرعه أمير المؤمنين عليه السلام وجلس على صدره، فلما هَمَّ أن يذبحه وهو يكبِّر الله ويمجِّده قال له عمرو: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتي، فقال عليه السلام: هي أهون عليَّ من ذلك[1]، فجزَّ عليٌّ رأسه وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلَّل، فقال عمر بن الخطاب: هلاَّ استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خيراً منها؟ فقال: ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت من ابن عمي أن أستلبه[2].

وقام أبو بكر وعمر فقبَّلا رأس علي عليه السلام[3].

خيبر:

وخرج مرحب يتعرض للحرب، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين فاجتهد فلم يغن شيئاً، فعاد يؤنِّبُ القوم الذين اتبعوه ويؤنِّبُونه.

فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار غير بعيد ثم رجع يجبِّن أصحابه ويجبِّنونه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي بن أبي طالب، فقيل له: إنه أرمد، فقال: أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه اللهُ ورسولُه، يأخذها بحقها، ليس بفرَّار، فجاؤوا بعلي عليه السلام يقودونه إليه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد ما أبصر معه وصداع برأسي، فقال له: اجلس وضع رأسك على فخذي، ففعل علي عليه السلام ذلك، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه

---

(١) بحار الأنوار ٢٠/٢٠٤، و٢١٥. وإحقاق الحق ١٨/٣٠ عن ابن عساكر.
(٢) بحار الأنوار ٢٠/٢٠٤، وإحقاق الحق ١٨/٣٠ عن ابن عساكر.
(٣) بحار الأنوار ٢٠/٢٠٦.

وسكن ما كان يجده من الصداع، ودعا له، وقال: خذ الراية وامض بها فجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم اسمه أليا، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي فإنهم يخذلون إن شاء الله[1].

قال علي عليه السلام: فمضيت بها حتى أتيت الحصون فخرج مرحب وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، فاختلفنا ضربتين، فبدرته وضربته فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه[2]، وخرَّ صريعاً.

ولما قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب، قال حَبْرٌ من أحبار القوم: غُلبتم وما أُنزل على موسى، فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به.

الباب:

ورجع من كان مع مرحب وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فعالجه أمير المؤمنين عليه السلام حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا فأخذ الباب فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا.

فلما انصرفوا أخذ الباب أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم، وقال له رجل: لقد حملت منه ثقيلاً! فقال: ما كان إلا مثل جُنَّتِي التي في يدي في غير ذلك المقام.

---

(١) إحقاق الحق ٤٦٢/٥ عن أرجح المطالب /٤٨.

(٢) في إحقاق الحق ٤٢٧/٥ عن المناقب للخوارزمي: وفي غير هذه الرواية وصل السيف إلى الأوراك، وهو الأصح، وأخذ المدينة.

ورام المسلمون حمل الباب فلم يقله منهم إلا سبعون رجلاً[١].

عمرو بن معدي كرب صاحب الصمصامة:

وقد قدم المدينة بعد تبوك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر، فقال: يا محمد، وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع!؟ فقال: يا عمرو إنه ليس مما تحسب وتظن، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نُشر ولا حيٌّ إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال وتزفر النيران وترمي بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه، إلا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا.

ثم ارتدَّ وأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام فأمَّره على المهاجرين وسار حتى لقي بني زبيد فلما رأوه قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة (الخراج) قال: سيعلم إن لقيني.

وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام وبرز إليه فصاح به صيحة فانهزم عمرو[٢].

وقد كان عُمَرُ يهدِّد به عَمْراً.

فمما كتب إليه متوعِّداً: فإنه بلغني أن عندك سيفاً تسميه (الصمصامة) وإن عندي سيفاً أسميه (مصمماً) وأقسم بالله لئن وضعته بين

---

(١) الإرشاد ١/١٢٥ـ١٢٩ ملخصاً.

(٢) شرح النهج ١٢/١١٩ـ١٢٠، و١٠/٢٥٩.

أذنيك لا يقلع حتى يبلغ قحفك، فلما قرأ عمرو الكتاب قال: من ترونه يعني؟ قالوا: أنت أعلم، قال: هدَّدني بعلي والله.

وقد كان صلي بناره مرة في حياة رسول الله ﷺ.

وفي كتاب آخر أورد رواية أخرى -في أمرٍ أنكره عليه وغدرٍ تخوفه منه-: لأبعثنَّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك، فقال عمرو لما وقف على الكتاب: هدَّدني بعلي عليه السلام[1].

حنين:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما مر بالنبي ﷺ يوم كان أشد عليه من يوم حنين، وذلك أن العرب تباغت عليه.

قال الفضل بن العباس: التفت العباس يومئذ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم فلم ير علياً فيمن ثبت، فقال: شوهة بوهة، أفي مثل هذه الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ وهو صاحب ما هو صاحبه؟ يعني المواطن المشهورة له، فقلت له: نقص قولك لابن أخيك يا أبة، قال: ما ذاك يا فضل، قلت: أما تراه في الرعيل الأول؟ أما تراه في الرهج؟ قال: أَشْعِرْهُ لي يا بني، قلت: ذو كذا ذو البردة، قال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يزيل به الأقران، فقال: بَرٌّ ابنُ برٍّ، فَدَاهُ عَمٌّ وخال.

قال: فضرب عليٌّ يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقده حتى أنفه وذكره، وكانت ضرباته مبتكرة[2].

---

(١) الإرشاد ١/١٥٨ـ١٦٠ ملخصاً.

(٢) بحار الأنوار ٢١/١٧٩.

الجمل:

وودع الإمام ساحات القتال، وبعد العهد عن مجالدة الأبطال واقتحام الغمرات وخوض الشدائد واللزبات فقد مضى دهر وسلفت أزمان لم يفرغ فيها من حرب إلا ويبدأ بأخرى، ولا تكاد تلتئم جراحة إلا واتسعت منه جراحات، ولم تبرد حرارة (ذي فقاره) حتى تشعله نار الحروب فيأتي على الأقران لا يبقي منهم ولا يذر.

وتلكم أيام القوة والفتوة والشباب ... وهو الآن الشيخ المجلل بالمشيب المترع بالقذى والشجى المثقل بكل أنماط المحن والأسى، فهل ودعته قدرته، وهل وهن عضده وفل ساعده، وهل أخذت منه ضروب المكاره ضراوته وضرباته وفتكاته ونكاياته؟

هذا ما ترويه لنا (وقعة الجمل)، وتجسد صولاته وجولاته (صفين)، وتحكي ممحمته وزئيره (النهروان).

فهو البطل أولاً وهو البطل أخيراً، كيف لا وهو البطشة الكبرى وفتكة الدهر العظمى.

"فتناول الراية من (ابنه محمد) بيده اليسرى، وذو الفقار في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في معسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين، فلم يجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره، وظل يخط ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله وتبادروه، وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله، ولا يرد حواراً، ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ثم حمل ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بسيفه قُدماً قُدماً، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فاعصوصب به أصحابه وناشدوه في نفسه وفي الإسلام،

وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين فأمسك ونحن نكفيك، فقال: وإنه ما أريد بما ترونه إلا وجه الله والدار الآخرة، ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا ابن الحنفية، فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيع يا أمير المؤمنين![1].

وقال محمد بن الحنفية:

«ورأيته قد ضرب رجلاً فأبان زنده وقال الزم رايتك يا بني فإن هذا ستكفاه، فرمقت لضرب أبي ولحظه وإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم»[2].

صفين:

«أحمر مولى بني أمية وكان شجاعاً خرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط علياً ليضربه بالسيف وينتهزه علي فتقع يده في جيب درعه فجذبه عن فرسه فحمله على عاتقه، فوالله لكأني أنظر إلى رجلي أحمر تختلفان على عنق علي ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه»[3].

حريث مولى معاوية وكان فارسه الذي يعده لكل مبارز ولكل عظيم وكان شديداً أتياً ذا بأس لا يرام وكان يلبس سلاحه متشبهاً به فإذا قاتل قال الناس: ذاك معاوية وقد قال له: اتق علياً وضع رمحك حيث شئت، فأتاه عمرو بن العاص فقال: يا حريث إنك والله لو كنت قرشياً لأحب لك معاوية أن تقتل علياً ولكن كره أن يكون لك حظها فإن رأيت فرصة فاقتحم، فبرز وقد خرج علي عليه السلام أمام الخيل فصاح: يا علي هل لك في

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/٢٥٧.
(٢) الجمل /١٩٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ٥/١٩٨ ملخصاً.

المبارزة؟ فأقدم أبا الحسن إن شئت، فأقبل عليه السلام وهو ينشد شعراً ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة فقطعه نصفين.

وجزع معاوية عليه جزعاً شديداً وعاتب عمراً في إغرائه إياه بعلي عليه السلام وقال في ذلك شعراً[1].

ليلة الهرير:

"فلا والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنه قتل ـفيما ذكر العادّونـ زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرة إلى الله وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه، ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي"، وأنا أقاتل به دونه ـصلى الله عليهـ.

قال: فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه عليه السلام"[2].

"وقتل أمير المؤمنين بانفراده في هذه الليلة خمسمائة وثلاثة وعشرين فارساً، وكان كلما قتل فارساً أعلن بالتكبير فأحصيت تكبيراته في تلك الليلة فكانت خمسمائة وثلاثة وعشرين تكبيرة بخمسمائة وثلاث وعشرين فارساً"[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥/٢١٥ـ٢١٦ـبتصرف وتلخيص.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/٢١١.

(٣) قال ابن الحجاج:

مَنْ مَضَتْ ليلةُ الهَرِيرِ وقَتْلا ... هُ جُزافاً يُحْصَونَ بالتكبيرِ

مناقب آل أبي طالب ٢/٩٩.

«وعرفوا قتلاه نهاراً بضرباته فإنها كانت على وتيرة واحدة، إن ضرب طولاً قد، وإن ضرب عرضاً قط»[١].

الأوسمة الإلهية:

و بعد العرض الوجيز لمظاهر القوة الخاصة المتجلية في بطولات ابن أبي طالب أعرض بعض ما منح من أوسمة الشرف والامتياز من لدن الحضرة الإلهية المقدسة على لسان صفوة الملائكة وخيرة الأنبياء، وقد مر صدر هذا الموضوع وثناياه ما ذكره الله العظيم من بالغ الإشادة وجليل التقيم، إلا أنني أعطف عليها أوسمة أخرى تحمل أرفع التكريم ودقيق المغزى.

أولاً: هتاف السماء:

١ ـ النداء يوم بدر «قال رسول الله ﷺ يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»[٢].

٢ ـ ويوم أحد: «وذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم (أي يوم أحد) وقائل يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريلُ نادى معلناً ... والنقعُ ليس بمنجلي
و المسلمونَ (قد) احدَقُوا ... حولَ النبيِّ المرسَلِ
لا سيفَ إلا ذُو الفقارِ ... ولا فتى إلا علي[٣]

---

(١) غزوات أمير المؤمنين /١٩٠.
(٢) إحقاق الحق ١٣/٦، عن المناقب للخوارزمي.
(٣) إحقاق الحق ١٧/٦.

"وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء ولا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً لا سيف ... ولا فتى إلا علي فسئل رسول الله ﷺ فقال: هذا جبرئيل"[١].

٣ـ ويوم خيبر:

"ورد أن علياً عليه السلام لما ضرب مرحباً هتف الهاتف:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي"[٢].

وقد عجبت ملائكة السماء من مناداته وضرباته التي باهى الله به ملائكته ووصفوه بأنها المواساة.

وثانياً: ومن حديث الرسول الأعظم:

وفي بعض الروايات (ملخصاً) فكسرت جفن سيفي وقلت:
لأقاتلن به حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا برسول الله ﷺ وقد وقع مغشياً عليه فنظر إلي وقال: ما فعل الناس يا علي؟ قلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر وأسلموك فنظر الى كتيبة قد أقبلت فقال: ردهم عني، فحملت عليهم أضربهم يميناً وشمالاً حتى فروا، فقال: أما تسمع مديحك في السماء، إن ملكاً اسمه رضوان ينادي:
لا سيفَ إلا ذو الفقارِ ولا فتى إلا علي
فبكيت سروراً وحمدت الله على نعمته. كشف الغمة ١/١٩٤.
أقول: لا مانع من تكرار النداء من ملكين كما لا مانع من تعدد مواطن النداء في أكثر من غزوة كما جاءت الروايات بذلك.
(١) إحقاق الحق ٦/٢٠ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وقد نقل في إحقاق الحق روايات كثيرة في المقامين ١٢ـ٢٣.
(٢) إحقاق الحق ٦/٢٢ عن (الفتوة) لابن المعمار البغدادي.

١ـ هذا المفرج الكرب عني،

٢ـ هذا أسد الله في أرضه،

٣ـ وسيفه على أعدائه،

٤ـ صاحب لوائي في الآخرة كما هو صاحب لوائي في الدنيا[١].

٥ـ قاتل الفجرة والكفرة والناكثين والقاسطين والمارقين،

٦ـ أشجعهم قلباً في لقاء الحرب[٢].

٧ـ كرار غير فرار،

٨ـ «أركبه رسول الله ﷺ يوم خيبر وعممه بيده وألبسه ثيابه وأركبه بغلته ثم قال: امضِ يا علي وجبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك وعزرائيل أمامك وإسرافيل ورائك ونصرُ الله فوقك ودعائي خلفك»[٣].

وأعطف على ذلك التتويج الكريم والتفخيم العظيم:

يوم منحه رسول الله الأعظم عندما برز إلى منازلة (عمرو بن ود العامري):

٩ـ «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»،

---

(١) قيل يا رسول الله ﷺ من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام. إحقاق الحق ٦/٢٦٨ عن المناقب للخوارزمي.

(٢) مقتطفات من نصوص عديدة مروية بطرق كثيرة لمصادر مختلفة راجعها ونظائرها في إحقاق الحق ٤ مبثوثة في ثناياه.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٧٢.

وحينما جدله بضربته القاضية القاصمة:

١٠ ـ «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

فما أروعهما تاجي إجلال يودع بهما الإيمان كله ويستقبل بهما مَنْ عبادته تفضل عبادة الخلائق، وكم هو الانسجام التام والتجانس الدقيق بين الإيمان كله والعبادة كلها.

وبعد .. فشجاعته الإيمان، وشجاعته تفوق عمل الخلائق عامة كافة الأزمان.

علي يتحدث عن شجاعته:

وهو ـ سلام الله على ملكاته ـ يحكي في ذلك ما انضمت عليه جوانحه من تفانٍ مطلق خالص في العبودية، واستماتة لا تعرف الحدود في سبيلها، وما حفلت به جوارحه من قوة خارقة وقدرة فائقة لا تعرف الوهن والإحجام.

وقد سخر قواه الموهوبة في حماية دين ربه الواهب، فقد كان سداً لعادية الكافرين، ونصراً للدين القويم لا يخالطها انتقام للذات ولا يمازجها ذرة من خلجات النفس وإثبات الذات مهما كانت الانتصارات تبعث بطبعها الزهو ونشوة الاستعلاء.

ويتنوع حديث ابن أبي طالب في إعرابه عن تكلم المنحة الكبرى بأساليب شتى ومناح شتى تلتقي أطرافها في كمال الملكة وملكة الكمال، فلنصغي إلى ما يقوله الموهوب عن قدراته وامتيازاته كيف وضعها وفي ما سخرها وما موقعها في ذاته؟ وكيف عشق مبادئه وأفنى ذاته في سبيل إقامتها وإحيائها؟!

١ ـ روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراش[١].

٢ ـ قال عليه السلام: لا أبالي أسقط عليَّ الموت أم سقطت عليه[٢].

٣ ـ إني لا أفر على من كر ولا أكر على من فر[٣].

٤ ـ وخطب علي رضي الله عنه فقال: تقول قريش جزع ابن أبي طالب من الموت، والله لعلي آنس بالموت من الطفل بثدي أمي[٤].

٥ ـ قيل: ولما كان في حرب صفين والناس أشد ما يكون من الحرب قال رضي الله عنه: ألا ماء فأشتريه (فأشربه) ظ، فأتاه شاب من بني هاشم بشربة من عسل فتناوله وقال: يا فتى عسلك هذا طائفي، قال: سبحان الله، في هذا الوقت تعرف الطائفي من غيره، فقال: إنه لم يملأ صدر ابن عمك شيء قط[٥].

٦ ـ قال علي إليه ـلمعاويةـ: علام يقتل الناس بيني وبينك أحاكمك إلى الله ـعز وجلـ فأينا قتل صاحبه استقام الأمر له، فقال عمرو بن العاص له: أنصفك والله يا معاوية، فقال معاوية: تعلم والله أنه لم يبارزه أحد إلا قتله، فيزعم قوم أن معاوية قال: فابرز أنت يا عمرو، فلبس مدرعة ذات فرجين من قدّامها وورائها، وبارز علياً فلما تمكن من ضربه، رفع عمرو

---

(١) إحقاق الحق ٨/٢٣ عن المستطرف ١/١٩٩ وفي نهج البلاغة في ص١٣٢ خ٤٥ زيادة في آخرها: في غير طاعة الله.

(٢) إحقاق الحق ٨/٣٢١.

(٣) إحقاق الحق ٨/٣٢١.

(٤) إحقاق الحق ٨/٣٢١ عن المحاسن والمساوئ /٤٨٣.

(٥) إحقاق الحق ٨/٤٠٢ عن المحاسن والمساوئ /٤١٣.

رجله فبدت عورته فيصرف عنه علي وجهه ويتركه[١].

ثم صاح عليٌّ عليه السلام: يا معاوية هلمَّ إلى مبارزتي لا تفنى العرب بيننا فقال معاوية: لا حاجة لي في مبارزتك فقد قتلت أربعة من أبطال العرب بيننا فحسبك[٢].

٩- ومن طريف ما روي في هذا الشأن: أن أبرهة بن الصباح الحميري قام بصفين، فقال: ويحكم يا معشر أهل اليمن إني لأظن قد أذن بعض بفنائكم! ويحكم خلّوا بين الرجلين، فليقتتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً -وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية- فبلغ قوله علياً عليه السلام، فقال: صدق أبرهة والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سروراً مني بهذه الخطبة، وبلغ معاوية كلامه فتأخر الصفوف فقال لمن حوله: إني لأظن أبرهة مصاباً في عقله، فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهة لأكملنا ديناً وعقلاً ورأياً وبأساً، ولكن الأمير كره مبارزة علي...إلخ[٣].

١٠- ومن كتاب كتبه لمعاوية جواباً:

"وعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وخَالِكَ وأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِد، وإِنَّكَ واللهِ مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ والأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لا لَكَ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ورَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ولا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ. وقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَصُرِعُوا

---

(١) إحقاق الحق ٨/٤١٣ البدء والتأريخ ٥/٢١٩ ونحو ذلك عن البداية والنهاية ٧/٢٧٣، وغيرها من المصادر.

(٢) إحقاق الحق ٨/٤١٥ عن الفصول المهمة للمالكي /٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٨/٩٤.

مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلا مِنْهَا الْوَغَى ولَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى»[١].

«وفي ختام كتاب آخر: وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ ... وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وخَالِكَ وجَدِّكَ وأَهْلِكَ وما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»[٢].

١١ ـ ذكر المؤرخون أن علياً رضي الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان وألفي نفس، وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثني ويخرج ويقول: لا تلوموني ولوموا هذا، ويقوِّمه بعد ذلك[٣].

١٢ ـ وقال عليه السلام: أَلا وقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ والنَّكْثِ والْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ... وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ولَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً[٤].

١٣ ـ وكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ ومُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلا وإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، والرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، والنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وقُوداً وأَبْطَأُ خُمُوداً. وأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ، واللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، ولَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ والْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ

---

(١) نهج البلاغة ص١٠٣ كتاب ٦٤.

(٢) نهج البلاغة ص٨٩ كتاب ٢٨.

(٣) إحقاق الحق ٤٧/٨ عن الغيث المسجم ١١٤/٢.

(٤) نهج البلاغة ص٧١ خ ١٩٢، القاصمة.

الْحَصِيدِ[١].

١٤ـ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ولَكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، للهِ أَبُوهُمْ وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ[٢].

وبعد فقد طال هذا المقطع وإن فيه لسبحاً طويلاً، ولم يكن المقصد فيه ولا فيما يعقبه إثبات ما لا يحتاج إلى برهان من شجاعة الإمام الفريدة، وإنما الغاية قراءة بواعث شجاعته ومقاصد فروسيته، وسر انطلاقة روحه وجسمه وتنمره في ذات الله واهبِهِ ومحبوبِه.

شجاعة الإمام على لسان أوليائه وأعدائه:

١ـ وأُصَدِّرُ هذا الفصل بوصف دقيق بحكاية معبرة ممن عايشت بطلها الإمام ووقفت علي دخايل نفسه ورصدت خلواته وعرفت وقائعه فطالما ناولها سيفه ذا الفقار لتغسل ما علق عليه من دماء.

تلكم شريكة روحه وجهاده السيدة فاطمة ـصلوات الله على عنصرهاـ وكان الأليق والأجدر أن تصدر هذه المقولة منضمة مع (الأوسمة الإلهية) فقد كانت تفرغ عن لسان أبيها أمين وحي الله.

فاستمع إليها في خطابها التأريخي المجلجل وهي تعرض بطولات الإمام وتفانيه في إقامة وحيطة الإسلام ومؤازرته ومشاطرته للرسول الأكرم:

«فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تبارَكَ وتعالى بأبي محمدٍ ﷺ بعد اللُّتَيَّا واللَّتي، وبعد أَنْ

---

(١) نهج البلاغة ص٩٦ كتاب ٤٥.
(٢) نهج البلاغة ص٢ خ٢٧.

مُنِيَ ببُهَم الرجال، وذؤبان العرب، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأَها الله، أو نَجَمَ قرنٌ الشيطان، أو فغرت فاغرةٌ من المشركين، قَذَفَ أخاهُ وابنَ عمِّهِ في لَهَواتِها، فلا ينكفئُ حتى يَطَأَ صِمَاخَها بأَخمصِه، ويخمدَ لَهَبَها بسيفِه، مكدوداً في ذاتِ الله مجتهداً في أمرِ الله، قريباً من رسولِ الله، سيداً في أولياءِ الله، مشمِّراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائم»[1].

وتعيد أمجاد البطولات في حديثها مع النساء اللاتي عدنها فتقرر الحقيقة الراهنة لمواقف الإمام فتملأ بها سمع الأمة.

«وَمَا الذي نَقَمُوا مِنْ أبي الحسن؟! نقموا ـ واللهِ ـ منْه نكير سيفِه، وقلة مبالاتِهِ بحتفِه، وشدة وطأتِه، ونكال وقعتِه وتنمره في ذاتِ الله»[2].

العباس بن عبد المطلب:

الفضل بن العباس قال: التفت العباس يومئذ (حنين) وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم فلم ير علياً فيمن ثبت، فقال: شوهة وبوهة أو مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ وهو صاحبه فيما هو صاحبه (يعني المواطن المشهورة له) فقلت: بعضَ قولِك لابن أخيك أما تراه في الرهج؟ قال: أشعره لي يا بني قلت: هو ذو كذا ـ ذو كذا ـ ذو البرقة قال فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يرقل به بين الأقران، فقال: بَرٌّ ابنُ برٍّ، فَدَاه عَمٌّ وخال، قال: فضرب علي يومئذ مبارزاً كلهم بقدّه حتى يقدّ أنفه وذكره،

---

(١) فاطمة صوت الحق الإلهي /٦٥.

(٢) فاطمة صوت الحق الإلهي / ٢٥٣، واقرأ شرحهما وملابساتهما في موطنهما من الكتاب.

قال: وكانت ضرباته منكرة[١].

عمر بن الخطاب:

أ- قيل: مر عثمان بن عفان بسعيد بن العاص وقال: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نتحدث عنده، فانطلقا فصار عثمان إلى المجلس الذي يشبهه وقلت أنا في ناحية القوم، فنظر إليّ عمر وقال: مالي أراك كأنه في نفسك عليَّ شيئاً، أتظن أني قتلت أباك والله لوددت أني كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، لكن مررت به يوم بدر ورعت عنه، فقال: إليّ يا ابن الخطاب، وصمد له علي فتناوله فما رمت مكاني حتى قتله، وكان أمير المؤمنين في المجلس فقال: اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحى الإسلام ما تقدم فمالك تهيج الناس عليّ...إلخ[٢].

ب- وروي أنه لما قتل عمراً احتز رأسه وألقاه بين يدي رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي عليه السلام[٣].

"فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو، فكبر عمر فقال: يا رسول الله قتله[٤].

الكناني ومعاوية:

محمد بن إدريس الشافعي قال: دخل رجل من بني كنانة على معاوية

---

(١) إحقاق الحق ٨/٤٧٣ عن إمتاع الأسماع /٤٠٨ وأرجح المطالب /٤٩ وعقب النقل بقوله: ذو البرقة: علي بن أبي طالب لقبه العباس يوم حنين. من قاموس اللغة في البرق.

(٢) كشف الغمة ١/١٨٥ عن المقادي للواقدي.

(٣) كشف الغمة ١/٢٠٥.

(٤) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر ١/١٥٤ ـ الحاشية.

بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم، قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قمدود مثل عطباء الجلمود، قال: حدثني ما رأيت وحضرت، قال: ما كنا إلا شهوداً كأغياب، وما رأينا ظفراً كان أوشك منه، قال: فصف لي ما رأيت، قال رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب غلاماً شاباً ليثاً عبقرياً يفري الفري، لا يثبت له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئاً إلا هتكه، لم أرَ من الناس أحداً قط أنفق منه، يحمل حملة ويلتفت التفاتة كأنه ثعلب زواغ وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه وثوب وحش، يتبعه رجل معلم بريش نعامة كأنه جمل يحطم يبساً، لا يستقل شيئاً إلا هده، ولا يثبت له شيء إلا ثكلته أمه، شجاع أبله، يحمل بين يديه ولا يلتفت وراءه، قيل هذا حمزة بن عبد المطلب عم محمد ﷺ قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك، ورأيت جدك عتبة وخالك الوليد حين قتلا، ورأيت ما وصفت لمن حضر من أهلك لم يعفوا عنه، قال: فكنت في المنهزمين؟ قال نعم ما انهزمت عشيرتك فإني كنت منهم؟ قال: لما انهزمت كنت في سرعانهم، قال: فأين رحت؟ قال ما رحت حتى نظرت إلى الهضاب، قال: لقد أحسنت الهرب قال: فعلى ما احتسبه أبوك وبعده ما اتعظت بمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إني ممن يفر، قال: إنكم تبغضون قريشاً، قال: أما من كان منهم أهله فنبغض، قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه من، قال: ما فيكم خير من أن يسكت عنك، قال: ذاك إليك قال: قد فعلت، قال: قد سكت[1].

الكفار:

ولقد فسر قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾[2] يعني علياً لأن

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩/١٤٥.

(٢) سورة آل عمران /١٤٣.

الكفار كانوا يسمونه الموت الأحمر، سموه يوم بدر لعظم بلائه ونكايته.

مَنْ اسمُهُ الموتُ في القِرانِ فهل ... يَسْبِقُهُ في الحروبِ مَنْ هَربا

ومَنْ رأى وَحْدَه مبارزه ... إلا رأى الموتَ منهُ والعَطَبا[1]

وفي الفائق أن علياً عليه السلام حمل على المشركين فما زالوا يبقطون ـ يعني تعادوا ـ إلى الجبال منهزمين، وكانت قريش إذا رأوه في الحرب تواصت خوفاً منه، وقد نظر إليه رجل وقد شق العسكر فقال: علمت بأن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي[2].

ابن أبي الحديد:

وأما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرق ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث: «كانت ضرباته وتراً» ... وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته... وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها[3].

«وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عبادتها حاملاً سيفه، مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفائلون به النصر والظفر».

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/٨١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٩/ ٩٨، وقد أورد شعراً للناشئ في ذلك.

(٣) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠ـ٢١و ٢٨ـ٢٩، ٧/٣٠٧ ملخصاً.

«واعلم أنه عليه السلام أقسم أن القتل أهون من الموت حتف الأنف، وذلك على مقتضى ما منحه الله من الشجاعة الخارقة لعادة البشر، وهو عليه السلام يحاول أن يعظ أصحابه ويحرضهم ويجعل طباعهم مناسبة لطباعه، وإقدامهم على الحرب مماثلاً لإقدامه على عادة الأمراء في تحريض جندهم وعسكرهم، وهيهات! إنما هو كما قال أبو الطيب:

يكلفُ سيفُ الدولةِ الجيشَ هَمَّهُ ... وقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ

ويطلبُ عند الناسِ ما عند نَفْسِهِ ... وذلك ما لا تَدَّعِيهِ الضراغِمُ

ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطباع والأمزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الأوقات المتطاولة، والدهور المتباعدة، وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان ـ فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا ـ أن أحداً أعطي من الشجاعة والإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها، من الترك والفرس والعرب والروم وغيرها[1].

ودخل الشعر ميدان شجاعة الإمام:

ولست أروم تسجيل تغنّي الشعراء وتسطير روائعهم التي استقوا مصدر الإلهام فيها من بطولات الإمام فذلك ما لا أقوى على جمعه واستقرائه وكفى بالعجز عذراً.

ولكني مورد نزراً يسيراً من شعورهم وشعرهم الذي أفرغوه في قوالب فنّية تحكي صوراً مثيرة ومعبرة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/٢٠ـ٢١ و٢٨ـ٢٩، ٧/٣٠١ ملخصاً.

١ ـ قال ابن الحجاج:

أنا مـولى الكـرارِ يـومَ حُنَـيْنٍ ... والظُّبا قد تحَكَّمَتْ في النحورِ
أنا مولىً لِمَنْ بهِ افتتحَ الإسـ ... ـلامُ حصني قريضةٍ والنضـيرِ
والذي عَلَّـمَ الأراملَ في بَـدْرٍ ... على المشركين جَـزَّ الشـعورِ
مَنْ مَضَتْ ليلةُ الهريـرِ وقـتلا ... هُ جزافاً يُحْصَـونَ بـالتكبيرِ[1]

٢ ـ الوليد بن عقبة:

وقال معاوية يوم صفين:

أريد منكم والله أن تشجروه بالرماح فتريحوا العباد والبلاد منه، قال مروان: والله لقد ثقلنا عليك يا معاوية، إذا كنت تأمرنا بقتل حية الوادي والأسد العادي، ونهض مغضباً فأنشأ الوليد بن عقبة:

يقـولُ لنـا معاويـةُ بـنُ حَـرْبٍ ... أمـا فـيكم لـواتِرِكُمْ طَلُـوبُ
يَشُـدُّ علـى أبي حسـنٍ علـيٍّ ... بـأسمرَ لا تُهَجِّنُـهُ الكعـوبُ
فقلتُ لـهُ أتلعـبُ يـا ابـنَ هنـدٍ ... فإنـك بيننـا رجـلٌ غريـبُ
أتأمرُنـا بحيـةِ بطـنِ وادٍ ... يتـاحُ لنـا بـه أَسَـدٌ مَهِيـبُ
كـأنَّ الخلـقَ لَمَّـا عـايَنُوهُ ... خلالَ النَّقْعِ ليس لهـم قلـوبُ[2]

٣ ـ ابن رزبك:

ما جَرَّدَتْ مِنْ عليٍّ ذا الفقـارِ يـدٌ ... إلاَّ وأغمـدتْ في هامـةِ البطـلِ
لم يقتربْ يومَ حـربٍ للكمـيِّ بـهِ ... إلاَّ وقَـرَّبَ منـهُ مـدةَ الأجـلِ

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/٩٩.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٢/٩٩ـ١٠٠.

كم كربةٍ لأخيه المصطفى فرجتْ ... به وكانَ رهينَ الحادثِ الجللِ[١]

٤ـ السروجي:

فقلتُ أما عليٌّ آيةٌ خلقت ... واللهُ أظهرَها للناسِ في رجلِ
مخيفةٌ بعليٍّ ثم ألحقها ... بذي الفقارِ وفيه قبضةُ الأجلِ
ما سلهُ ورَحاءُ الحربِ دائرةٌ ... إلا وأغمدَهُ في هامةِ البطلِ
ما صاحَ في الجيشِ صوتاً ثم أتبعهُ ... أنا عليٌّ تولى الجيشُ منجفلِ[٢]

٥ـ الزاهي:

هذا الذي أردى الوليدَ وعتبةً ... والعامري وذا الخمارِ ومرحبا
هذا الذي هشمتْ يداه فوارساً ... قسراً ولم يكُ خائفاً مترقّبا
في كلِّ منبتِ شعرةٍ من جسمِهِ ... أسدٌ يمدُّ إلى الفريسةِ مخلبا[٣]

٦ـ دعبل:

سنانُ محمدٍ في كلِّ حربٍ ... إذا نهلت صدورُ السمهريِّ
وأولُ مَنْ يجيبُ إلى برازٍ ... إذا زاغَ الكميُّ عن الكميِّ
مشاهدُ لم تفلَّ سيوفُ تيمٍ ... بهنَّ ولا سيوفُ بني عَدِيِّ[٤]

٧ـ الناشي:

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١٠١/٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١٠٦/٢.
(٣) مناقب آل أبي طالب ١٠٦/٢.
(٤) مناقب آل أبي طالب ١٠٦/٢.

فلـــم يثـــورُوا ببـــدرٍ وقـــد تبلـت[١] مـن القـومِ إذ بارزوكـا
ولم عـرّدوا إذ شـجيتَ العـدى بمهـراسِ أحـدٍ ولم نازلوكـا
ولِـمْ أحجمُـوا يـومَ سـلعٍ وقـد ثبـتَّ لعمـرٍ ولِـمْ أسـلموكا
ولِـمْ يـومَ خيـبرَ لم يثبتُـوا صـحابةُ أحمـدَ واسـتركبوكا
لاقيـت مرحبـا والعنكبـوت وأسـد يحـامون إذ وجهوكـا[٢]
فدكـدكتَ حُصْـنَهُمُ قـاهراً وطَوَّحْـتَ بالبـابِ إذْ حاجَزُوكـا
ولَـمْ يَحْضُـرُوا بحـنينٍ وقـد صَكَكْتَ بنفسِكَ جيشاً صكوكا
فأنـت المقـدَّمُ في كـلِّ ذاك فللـهِ دَرُّكَ لِـمْ أَخَّرُوكـا[٣]

٨ـ السيد الحميري:

ولله ـجـلَّ اللهُـ في فـتحِ خيـبرٍ عليـهِ أيـادي نعمـةٍ بعـد أنعـمِ
مشى بينَ جبريلٍ وميكالَ حولَـهُ ملائكـةٌ مَشْـيَ الهزبـرِ المصـمِّمِ
فصـمَّمَ آطـامَ الـذين تمـوَّدُوا وأرعن ممـن يعبـد الله مـوحم[٤]

وله أيضاً:

مَـنْ كـان جبريـلُ يقـومُ يمينَـهُ فيهـا وميكـالٌ يقـومُ يسـارا
مَنْ كان ينصـرُهُ ملائكـةُ السـما يأتونـه مـدداً لـه أنصـارا[٥]

وله أيضاً:

---

(١) التبل: العداوة والثأر.
(٢) كذا ورد البيت في المصدر.
(٣) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٣١ـ٢٣٢.
(٤) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٧٢ـ٢٧٣.
(٥) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٧٢ـ٢٧٣.

يـا رايـةً جبريـلُ سـارَ أمامهـا ... قـدماً وأتبعهـا الـنبيُّ دعـاءَ
اللهُ فَضَّـلَهُ بهـا ورسـولُهُ ... واللهُ ظَـاهَرَ عنـدَهُ الآلاءَ[1]

وله أيضاً:

وفي ذاتِ السلاسـلِ مـن سُـليمٍ ... غـداةَ أتـاهمُ المـوتُ المـبيرُ
وقد هَزموا أبـا حفـصٍ وعَمْـراً ... وصـاحبَهُ مـراراً فاسـتُطيروا
وقد قتلـوا مـن الأنصـارِ رَهْطـاً ... فحـل النـذر أوجبـت نـذور
أزار المـوتُ مشـيخةً ضـخاماً ... جحاجحـةً تُسـدُّ بهـا الثغـور[2]

وللسيد الحميري رحمه الله وهو من المكثـرين في آل الله وفي علـي ولي الله أشعار كثيره في هذا المعنى[3].

٩ـ ابن أبي الحديد:

ورَدْتَ حنينـاً والمنايـا شـواخصٌ ... فـذَلَّلْتَ مـن أركانِهـا مـا تَـوَعَّرا
فكم مِنْ دمٍ أضحى بسيفِكَ قـاطراً ... بها مـن كَمِـيٍّ قـد تركـتَ مُقَطَّـرا
وكـم فـاجرٍ فَجَّـرْتَ ينبـوعَ قلبِـهِ ... وكم كافرٍ في التُّرْبِ أضحى مُكَفَّرا
وكم من رؤوسٍ في الرماحِ عقدتَها ... هنـاكَ لأجسـامٍ محللـةِ العُـرا[4]

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٧٢ـ٢٧٣.
(٢) ديوان السيد الحميري /١٩٩. وجاء صدر البيت الثاني (وقـد هزمـوا أبـا حفـص عميراً) ولكنه في (مناقب ابن شهرآشوب) كما أثبتناه. كما ذكر ذلك السيد محمد مهدي الخرسان في شرح (علي إمام البررة ٣/١٣٢).
(٣) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٧٤ وراجع ديوانه ص٣٣٠ وما بعدها.
(٤) الروضة المختارة /١٠٧.

ثم أخذ في المقارنة بينه عليه السلام وبين رموز كبيرة فرت في الحروب وهفا جنانها في الخطوب.

ومن عينيّته:

الضارب الهامِ المقنع في الوغى ... بالخوف للبُهْمِ الكماةِ يقنعُ
والسمهريةُ تستقيمُ وتنحني ... فكأنها بين الأضالعِ أضلعُ
ومبدد الأبطالِ حيث تألّبُوا ... ومفرق الأحزابِ حيث تجمعُوا
حتى إذا اسْتَعَرَ الوغى متلظياً ... شَرِبَ الدماءَ بغلةٍ لا تنقعُ
متجلبباً ثوباً من الدمِ قانياً ... يعلوهُ من نقعِ الملاحمِ برقعُ
زهدُ المسيحِ وفتكةُ الدهر الذي ... أودى بها كسرى وفوز تبعُ
يا هازمَ الأحزابِ لا يثنيهِ عن ... خوضِ الحِمامِ مدججٌ ومُدَرَّعُ
يا قالعَ البابِ الذي عن هزِّها ... عجزتْ أَكُفٌّ أربعونَ وأربعُ[1]

١٠ ـ عبد الباقي العمري:

وأنتَ ذاك الهزبرُ الأنزعُ البطلُ ... الذي بمخلبِهِ للشركِ قد نَزَعا
حَكَّمْتَ في الكفرِ سيفاً لو هويتَ بِهِ ... يوماً على كتد الأفلاكِ لانْخَلَعا
محدَّبٌ يتراءى في مُقَعَّرِهِ ... موجٌ يكادُ على الآفاقِ أَنْ يَقَعا
أَسَلْتَ مِنْ غِمْدِهِ ناراً مروّقة ... تجرعُ الكفرَ من راووقِها جُرَعا
حكى الحِمامُ حماماً من حسامِكَ في ... لسانِ نارٍ على هاماتِهِمْ سجعا
وبابُ خيبرَ لو كانت مسامِرُهُ ... كلُّ الثوابتِ حتى القطب لانْقَلَعا[2]

---

(١) الروضة المختارة /١٣٧...إلخ.
(٢) الترياق الفاروقي /٩٧ـ٩٨.

١١ ـ أبو تمام الطائي:

هو السيفُ سيفُ اللهِ في كلِّ مشهدٍ ... وسيفُ الرسولِ لا ددان ولا دثرُ[١]

فأيَّ يدٍ للذمِّ لم يَبْرِ زَنْدَها ... ووجهِ ضلالٍ ليس فيهِ له أثرُ

ثوى ولأهلِ الدينِ أمنٌ بجدِّهِ ... وللواصمينَ الدينِ مِنْ حدِّهِ ذُعْرُ

يسدُّ به الثغر المخوف من الردى ... ويعتاضُ من أرضِ العدوِّ به الثغرُ

بأُحْدٍ وبدرٍ حين ماجَ بِرَجْلِهِ ... وفُرسانِهِ أُحْدٌ وماجَ بهم بَدْرُ

ويومَ حنينٍ والنضيرِ وخيبرٍ ... وبالخندقِ الثاوي بعقوتِهِ عمرو

سما للمنايا الحُمْرِ حتى تَكَشَّفَتْ ... وأسيافُهُ حُمْرٌ وأرماحُهُ حُمْرُ

مشاهدُ كان اللهُ كَشَّافَ كَرْبِها ... وفارِجَهُ والأمرُ ملتبسٌ إمرُ[٢]

١٢ ـ الحسين بن الحجاج:

كانَ النبيُّ إذا استكفاكَ معضلةً ... مِنَ الأمورِ وقد أعْيَتْ لديهِ كُفِي

والخيلُ راكعةٌ في النقعِ ساجدةٌ ... والمشرفياتُ قد ضَجَّتْ على الحجفِ

والموتُ طوعُكَ والأرواحُ تملكُها ... وقد حَكَمْتَ فلم تظلمْ ولم تحفِ

لا قَدَّسَ اللهُ قوماً قال قائلُهم: ... بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرفِ

وبايعوكَ بخمٍّ ثم أكَّدها ... محمدٌ بمقالٍ منه غيرِ خفي

عافوك واطَّرَحوا قولَ النبيِّ ولم ... يمنعهم قولُهُ: هذا أخي خلفي

هذا وليُّكم بعدي فمن عَلِقَتْ ... به يداهُ فلن يخشى ولم يَخَفِ[٣]

---

(١) ددان: من لا غناء عنده. الدثر: الرجل البطيء الخامل النؤوم.

(٢) تحت راية الحق /١٤٤.

(٣) تحت راية الحق /١٦٢ـ١٦٣.

١٣ ـ الملك الصالح طلائع بن رزيك:

والـــذي كـــبرتْ ملائكـــةُ اللهِ ... لـــه عنـــد صـــرعهِ العـــامريِّ
قســـماً مـــا وقـــاهُ بـــالنفسِ لمّـــا ... باتَ في الفراشِ عنه غيرُ عليِّ[1]

١٤ ـ الشيخ كاظم الأزري:

ظهرتْ منه في الـوغى سـطواتٌ ... مـا أتـى القـومُ كلُّهـم مَأْتاهـا
مَنْ لعمروٍ وقد ضَمِنْتُ على اللهِ ... لـــهُ مِـــنْ جنانـــهِ أعلاهـــا
فـــالْتَوَوا عـــن جوابِـــهِ كســـوامٍ ... لا تراهـــا مجيبـــةً مَـــنْ دعاهـــا
فـــإذا هـــمْ بفـــارسٍ قرشـــيٍّ ... ترجفُ الأرض خِيْفَـةً إذْ يطاهـا
وإلى الحشـرِ رنَّـةُ السـيفِ منـه ... يمـلأُ الخـافقينِ رَجْـعُ صـداها
يا لهـا ضـربةً حَـوَتْ مكرمـاتٍ ... لم يَـزِنْ ثِقْـلَ أَجْرِهـا ثَقَلاهـا
لا تَـرُمْ وصـفَهُ ففيـهِ معـانٍ ... لم يَصِـفْها إلاَّ الـذي سـوَّاها
وعلـيٌّ يلقـى الألـوفَ بقلـبٍ ... صـوَّرَ اللهُ فيـه شـكلَ فَناهـا
لم تَفُـهْ ملـةٌ مـن الشـركِ إلاَّ ... فـضَّ بالصـارمِ الإلهـيِّ فاهـا[2]

ومن ملحمته الرائعة:

مـــلأ الأرضَ بـــالزلازلِ حـــتى ... زادَ مِـــنْ أَرْؤُسِ الكُمـــاةِ رُباهـــا
لا تَخَلْ سَيْفَهُ سِوى نفخةِ الصورِ ... يســـيلُ الأرواح مـــن أشـــلاها

---

(١) تحت راية الحق /١١٩.
(٢) تحت راية الحق /٢٠٥، أبيات مختارة من الملحمة العصماء.

فكأنَّ الأنفاسَ قد عاهَدَتْهُ ... في جفاءِ النفوسِ مهما جَفاها
بطلٌ طاوَلَ الظُّباءَ العوالي ... بيدٍ ما يطولُها ما عَداها
كم شَرى أَنْفُسَ الملوكِ الغوالي ... بالعوالي فأَرْخَصَتْ مشتراها
فأبانَ الأعناقَ عن مركزِ الأبدانِ ... حتى كأنَّ نافٍ نفاها
وأعادَ الأجسامَ قفرى من الأر ... واحِ يبكي على الأنيسِ صداها[1]

١٥ ـ الحاج هاشم الكعبي:

ومواقفٌ لكَ دونَ أحمدَ جاوَزَتْ ... بمقامِكِ التعريفَ والتحديدا
وغداةَ بدرٍ وهي أُمٌّ وقائعٍ ... كَثُرَتْ وما زالتْ لهنَّ ولودا
سجدتْ رؤوسُهُمُ لديكَ وإنما ... كان الذي ضُرِبَتْ عليهِ سُجودا
وبني قريظةَ والنضيرِ وسلّعٍ ... والوادِيينِ وخثعماً وزبيدا
مزَّقْتَ جيبَ نفاقِهِمْ فتركتَهُمْ ... أمماً لعاريةِ السيوفِ غمودا
وشَلَلْتَ عشراً فاقتنصتَ رئيسَهُمْ ... وتركتَ تسعاً للفرارِ عبيدا
ولخيبرٍ خبرٌ يَصُمُّ حديثُهُ ... سمعَ العِدى ويفجِّرُ الجلمودا
يومٌ بهِ كنتَ الفتى الفتّا ... حَ والكرَّارَ والمحبوبَ والصِّنْدِيدا
مِنْ بعدِما ولّى الجبانُ برايةِ ... الإيمانِ يَلْتَحِفُ الهوانَ بُرُودا
فلقيتَها وعَقَلْتَ فارِسَها ولا ... عجباً إذا افترسَ الهزبرُ السيدا
ويلُ أمِّهِ أَيُظَنُّكَ النَّكْسَ الذي ... ولّى غداةَ الطعنِ يَلْوِي الجيدا[2]

---

(١) علي في الكتاب والسنة ٢/٢٥٨.
(٢) تحت راية الحق /٢١٢ إلخ.

ولتلكم الشجاعة النادرة والقوة القاهرة تحامى فتكاته الشجعان، وافتخر حتى الهارب منهم بأن قد بارزه ونازله، بل لم يعتبروا الفرار من سيفه عجباً إذ لا طاقة لبطل في مبارزته[1].

وربما أثار الإغراء في أحدهم حماساً، وربما بعث الغرور في أحدهم قوة وتجلداً، ولكن إذا أخذ الإمام بنفسه لم يجد حيلة لسلامة نفسه إلاّ اتقاء ذباب السيف بكشف (السوأة) فهي وإن جرت فضيحة وعاراً إلا أنها جلبت حياة ووقت من ممات.

وقد شهدت ملاحم الإمام مواقف كريمة تجلّت فيها الشجاعة الفائقة توأم وملكات شريفة من الحلم وعفة النفس والترفع عما لاينسجم وسمو الذات.

وكان علي في ذلك كله آية عجيبة تصدر عنها العجائب وقد حفلت حروبه بنوادر ـوإن كانت سخيفةـ إلا أنها لا تعدم ملابسات طريفة خرجت

---

(١) قال ابن أبي الحديد: وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهرُ وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتلُ عمرٍو غيرَ قاتلِهِ ... بكيتُهُ أبداً مادمتُ في الأبدِ

لكن قاتلَهُ من لا نظيرَ لَهُ ... وكانَ يُدْعى أبوهُ بيضةَ البلدِ

وانتبه يوماً معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر! قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصفّ إزاء علي بن أبي طالب! قال: لا جرم، إنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. شرح نهج البلاغة ١/٢١.

وفي حديث عمرو ومعاوية بعد كشف السوأة: إنّ الجبن والفرار من علي لا عار فيهما على أحد فيها ٦/٣١٧.

من ساحات الحرب إلى ميدان الأمثال والتاريخ والأدب، فمن ثمّ رأيت عرضها في ختام هذا الفصل.

نوادر وطرائف في كشف السوءات:

١ـ صاحب لواء المشركين في (أحد) أبو سعد بن طلحة:

«لما اشتد القتال يوم أحد جلس الرسول ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل علي بن أبي طالب أن قدم الراية، فتقدم علي فقال: أنا أبا (كذا) القضم فناداه أبو سعد بن طلحة صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة، قال: فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي عليه السلام فصرعه ثم انصرف عنه ولم يحر عليه، فقال له أصحاب رسول الله: أفلا أحرت عليه، فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عنه الرحم وعلمت أن الله قد قتله».

٢ـ عمرو بن عبد ود ـيوم الخندقـ:

«ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب: هلا سلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها؟!! فقال: ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه، وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق».

أقول: ولعلّ في شعر الإمام عليه السلام دلالة على تركه سلبه لذلك فتأمّل قوله:

وعَفَفْتُ عن أثوابِهِ ولو أنني كنتَ المقطَّرَ بَزَّنِي أثوابي

٣ـ عمرو بن العاص:

شاعت أبيات الحارث بن نضر حتى بلغت عمراً فأقسم بالله ليلقينّ عليّاً ولو مات ألف موتة، فلمّا اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه، فتقدّم علي عليه السلام وهو مخترط سيفه معتقل رمحاً، فلمّا رهقه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه من فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه، كاشفاً عورته، فانصرف عنه لافتاً وجهه مستدبراً له، فعدّ الناس ذلك من مكارمه وسؤدده، وضرب به المثل[1].

ومنذ أن كشف عمرو سوأته غدت حديث المجالس والتندّر والتبكيت وضرب الأمثال.

فمن حديثها:

أ ـ معاوية مع عمرو:

"ورجع عمرو إلى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقيني علي فصرعني، قال: احمد الله وعورتك، والله إني لأظنّك لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاوية في ذلك:

ألا للهِ من هفواتِ عمرو ... يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسنٍ علياً ... فآبَ الوائليُّ مآبَ خازي
فلو لم يبدِ عورتَهُ لطارتْ ... بمهجتِهِ قوادِمُ أيِّ بازي
فإن تكنْ المنيةُ أخطأتْهُ ... فقد غنّى بها أهلُ الحجازِ

فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك (علياً) أبا تراب في أمري! هل أنا إلاّ رجل لقيه ابن عمه فصرعه! أفترى السماء قاطرة لذلك دماً! قال: لا،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣١٣ـ٣١٤، وقد أورد أبيات الحارث.

ولكنها معقبة لك خزياً»[1].

ب- مجلس بطانة معاوية:

اجتمع عنده في بعض ليالي صفّين عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي فقال عتبة: إن أمرنا وأمر علي بن أبي طالب لعجب! ما فينا إلا موتور مجتاح.

أمّا أنا فقتل جدّي عتبة بن ربيعة، وأخي حنظلة، وشرك في دم عمّي شيبة يوم بدر، وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك صبراً، وأما أنت يابن عامر فصرع أباك وسلب عمّك، وأما أنت يابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل وأيتم أخوتك، وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر:

وأفلتهنّ علياءٌ جريضاً ... ولو أدركنهُ صِفْرَ الوِطابِ

فقال معاوية: هذا الإقرار، فأين الغُيُر؟ قال مروان: وأي غُيُر تريد؟ قال: أريد أن تشجروه بالرماح، قال: والله يا معاوية ما أراك إلا هاذياً أو هازئاً، وما أرانا إلا ثقلنا عليك، فقال ابن عقبة:

يقولُ لنا معاويةُ بنُ حربٍ ... أما فيكم لواترِكم طلوبُ
يشدُّ على أبي حسنٍ عليٌّ ... بأسمرَ لا تهجّنُهُ الكعوبُ
فهتكُ مجمعِ اللبّاتِ منه ... ونقعُ الحربِ مطّردٌ يؤوبُ
فقلتُ له: أتلعبُ يابنَ هندٍ ... كأنك بيننا رجلٌ غريبُ
أتغرينا بحيةِ بطنِ وادٍ ... إذا نهشتْ فليس لها طبيبُ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٨/٦٠-٦١.

وما ضبعٌ يدبُّ ببطنِ وادٍ ... أتيح لهُ بهِ أسدٌ مَهِيبُ
بأضعفَ حيلةً منا إذا ما ... لقيناهُ ولقياهُ عجيبُ
سوى عمرٍو وقَتْهُ خصيتاهُ ... وكان لقلبهِ منهُ وجيبُ
كأنَّ القومَ لَمَّا عاينوهُ ... خلالَ النَّقْعِ ليس لهم قلوبُ
لعمرُ أبي معاويةَ بنِ حربٍ ... وما ظني ستلحقُهُ العيوبُ
لقد ناداه في الهيجا عليٌّ ... فأسمعهُ ولكن لا يجيبُ

فغضب عمرو، وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلق علياً، أو فليقف حيث يسمع صوته.

وقال عمرو:

يذكرني الوليدُ دعا عليٌّ ... ونطقُ المرءِ يملؤُهُ الوعيدُ
متى تَذْكُرْ مشاهِدَهُ قريشٌ ... يطرْ من خوفه القلبُ الشديدُ
فأما في اللقاءِ فأين منهُ ... معاويةُ بنُ حربٍ والوليدُ
وعيَّرَني الوليدُ لقاءَ ليثٍ ... إذا ما شدَّ هابَتْهُ الأسودُ
لقيتُ ولستُ أجهلُهُ علياً ... وقد بلَّتْ من العلقِ اللبودُ
فأطعنُهُ ويطعنُني خلاساً ... وماذا بعد طعنتِهِ أريدُ!
فرُمْها منه يابنَ أبي معيطٍ ... وأنت الفارسُ البطلُ النجيدُ
وأقسم لو سمعتَ ندا عليٍّ ... لطارَ القلبُ وانتفخَ الوريدُ
ولو لاقيتَهُ شُقَّتْ جيوبٌ ... عليكَ ولُطِّمَتْ فيكَ الخدودُ[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣١٤ـ٣١٦.

جـ ـ رؤية عمرو تذكر معاوية بسوأته:

قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة له ـلعمرو بن العاص ـ: يا أبا

«وأقبل عمرو على معاوية فجعل معاوية يضحك من عمرو، وقال: أحمد الذي عافاك وأشكر استك الذي وقاك، فقال عمرو والله لو بدا له من صفحتك مثل ما بدا له من صفحتي إذاً لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب أموالك، فقال معاوية: لو كنت تحتمل مزاحاً لمازحتك، فقال عمرو: وما أحملني المزاح ولكن لو لقى رجل رجلاً فصد عنه ولم يقتله أ قطرت السماء دماً؟ قال لا ولكنها تعقب فضيحة الأبد وجبناً، أما والله لو أنك عرفته لما أقدمت عليه، قال أنا وأنت سواء في هذه». غزوات أمير المؤمنين /١٨٦.

وقال عمرو في شماتة معاوية به:

معاويُّ لا تشمتْ بفارسِ همةٍ ... لقى فارساً لا تعترِيهِ الفوارسُ

معاويُّ إنْ أبصرتَ في الخيلِ مقبلاً ... أبا حسنٍ يهوي دهتكَ الوساوسُ

وأيقنتَ أنَّ الموتَ حقٌّ وأنهُ ... لنفسكَ إن لم تمضِ في الركضِ حابسُ

فإنك لو لاقيتَهُ كنت بُومةً ... أُنيحَ لها صقرٌ من الجوِّ آنسُ

وماذا بقاءُ القومِ بعد اختباطِهِ ... وإن امرأً يلقى علياً لآيسُ

دعاكَ فصُمَّتْ دونَهُ الأذنُ هارباً ... بنفسكَ قد ضاقتْ عليكَ الأمالسُ

وأيقنتَ أن الموتَ أقربُ موعدٍ ... وأن التي ناداكَ فيها الدهارسُ

وتشمتُ بي أن نالني حدُّ رمحِهِ ... وعضضني نابٌ من الحربِ ناهسُ

أبى الله إلاّ أنه ليث غابةٍ ... أبو أشبلٍ تمدى إليهِ الفرايسُ

وإني امرؤٌ باقٍ فلم يُلفَ شلوُهُ ... بمعتركٍ تسفي عليهِ الروامسُ

فإن كنتَ في شكٍّ فأرهجْ عجاجة ... وإلاّ فتلكَ الترَّهاتُ البسابسُ

صفّين /٤٧٣.

عبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك، قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين، فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سوأتك له، فقال عمرو: أنا منك أشد ضحكاً، إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سَحْرُك، وربا لسانك في فمك، وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فقال معاوية: لم يكن هذا كله، وكيف ودوني عك والأشعريون! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفتُ دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب! فقال: يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد، إن الجبن والفرار من علي لا عار على أحد فيها[1].

د- وجرت مثلاً:

ومن لطائف التلميح قول أبي فراس:

وقال أصيحابي الفرارَ أو الردى ... فقلتُ هما أمرانِ أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبُني ... وحسبُكَ من أمرينِ خيرُهما الأسرُ
ولا خيرَ في دفعِ الرَّدى بمذلّةٍ ... (كما رَدَّها يوماً بسوأتِهِ عمرو)[2]

هـ- وكان للصفح وقعه:

"ولم يكن أحد من قريش أشدّ تعظيماً لعلي من عمرو منذ يوم لقيه وصفح عنه".

وقال لمعاوية وقد غاظه شعر عمرو يستخف به ويصغّره يوم طلب الشام من أيام صفين ويعظّم علياً: "وأمّا إعظامي علياً فإنك بإعظامه أشدّ معرفة فينا، ولكنك تطويه وأنا أنشره، وأما فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي

---

(١) صفّين /٣١٧.

(٢) إحقاق الحق ١٨/٣٧-٣٨، معاهد التنصيص ٤/٢٠٨.

أبا حسن[١].

و- أيهما أدهى:

«قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله أيّنا أدهى، قال عمرو: أنا للبديهة وأنت للروية، قال معاوية: أقضيت لي على نفسك وأنا أدهى منك في البديهة، قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف، قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه، قال: والله إن الكذب لقبيح فاسأل عمّا بدا لك أصدقك، فقال: هل غششتني منذ نصحتني، قال: لا، قال: بلى، والله لقد غششتني، أما أني لا أقول في كل المواطن ولكن في موطن واحد، قال: وأي موطن هذا، قال: يوم دعاني علي بن أبي طالب عليه السلام للمبارزة فاستشرتك فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله، فقلت كفؤ كريم فأشرت عليَّ بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلمت أنك غششتني، قال: يا أمير المؤمنين دعاك رجل إلى مبارزته عظيم الشرف جليل الخطر فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إما تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك، وأما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، قال معاوية: هذه شر من الأولى، والله إني لأعلم أني لو قتلته دخلت النار، ولو قتلني دخلت النار، قال عمرو: فما حملك على قتاله، قال: الملك عقيم، ولن يسمعها مني أحد بعدك»[٢].

ز- وكان (هلول) يحمل على الصبيان وهو يقول:

أكر على الكتيبة لا أبالي ... أفيها كان حتفي أم سواها

فيقفون ويتكشفون فيقف ويقول: عورة المؤمن حمى، ولولا ذلك لما

---

(١) صفّين /٤٧٢.

(٢) أمالي الصدوق /٦٩.

(أفل) عمرو بن العاص يوم صفين[1].

٤ ـ بسر بن أرطاة:

وبعد أن قتل الإمام عليه السلام أبا داود عروة العامري ـ وكان من فرسان معاوية ـ قتلة ارتجّ لها العسكران لهول الضربة حيث قطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنية والأخرى شامية، وألحق به ابن عم له، هذا ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد، فقال: تبّاً لهذه الرجال وقبحاً، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع، فقال الوليد بن عقبة: ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته، فقال: والله لقد دعاني إلى البراز حتى لقد استحييتُ من قريش وإني والله لا أبرز إليه، ما جُعل العسكرُ بين يدي الرئيس إلا وقاية له، فقال عتبة بن أبي سفيان: الهوا عن هذا لو أنكم لم تسمعوا نداءه، فقد علمتم أنه قتل حريثاً وفضح عمراً ولا أرى أحداً يتحكك به إلاّ قتله.

فقال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم لمبارزته؟ فقال: ما أحد أحق بها منك، أما إذ أبيتموه فأنا له، قال معاوية: إنك ستلقاه غداً في أول الخيل، وكان عند بسر ابن عم له، قدم من الحجاز يخطب ابنته، فأتى بسراً، فقال له: إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً، أما تعلم أن الوالي من بعد معاوية عتبة ثم بعده محمد أخوه، وكل من هؤلاء قرن علي، فما يدعوك إلى ما أرى! قال: الحياء، خرج مني كلام، فأنا أستحي أن أرجع عنه، فضحك الغلام وقال:

تنازلُهُ يا بسرُ إنْ كنتَ مِثْلَهُ ... وإلاّ فإن الليثَ للشاءِ آكلُ
كأنك يا بسرُ بنُ أرطاةَ جاهلٌ ... بآثارِهِ في الحربِ أو متجاهلُ

---

(١) كشكول الحائري ٢/٣٦.

معاويـةٌ الـوالي وصـنواهُ بعـدَهُ ... وليس سـواءٌ مسـتعارٌ وثاكـلُ
أولئك هـم أولى بـه منـكَ إنـهُ ... عليٌّ فـلا تَقْرَبْـهُ أمُّـكَ هابـلُ؟
متى تَلْقَهُ فالموتُ في رأسِ رمحِـهِ ... وفي سيفِهِ شغلٌ لنفسِكَ شاغلُ
وما بعدَهُ في آخرِ الخيلِ عاطفٌ ... ولا قبلهُ في أولِ الخيـلِ حامـلُ

قال بسر: هل هـو إلا المـوت؟ لابـد مـن لقـاء الله، فغـدا علـي عليه السلام منقطعاً من خيله، ويده في يد الأشتر، وهما يتسـايران رويـداً، يطلبـان التـل ليقفا عليه، إذ برز له بسر مقنعاً في الحديد، لا يعـرف، فنـاداه: ابـرز إليّ أبـا حسن، فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث به حتى إذا قاربه طعنه وهـو دارع فألقاه إلى الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليـه، فاتقـاه بسـر بعورتـه، وقصد أن يكشفها، يستدفع بأسه، فانصرف عنـه عليه السلام مسـتدبراً لـه فعرفـه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، هـذا عـدو الله وعدوك، فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها؟ فحمل ابن عم بسر مـن أهل الشام، شاب على علي عليه السلام وقال:

أرديـتَ بسـراً والغـلامُ ثـائرُه ... أرديتَ شيخاً غابَ عنه ناصرُه
وكلنـا حـامٍ لبسـرٍ واتـره

فلم يلتفت إليه علي عليه السلام، وتلقاه الأشتر فقال له:

في كلِّ يومٍ رجلُ شيخٍ شـاغرَه ... وعورةٌ وسطَ العجاجِ ظـاهرَه
تبرزُهـا طعنـةُ كـفٍّ واتـرَه ... عمـرو وبسـرُ مُنِيـا بالفـاقِرَه

فطعنه الأشتر، فكسر صلبه، وقام بسر من طعنـة علـي عليه السلام مولـياً، وفرت خيله، وناداه علي عليه السلام: يا بسر، معاوية كان أحق بهـا منـك، فرجـع

بسر إلى معاوية، فقال له معاوية: ارفع طرفك، فقد أدال الله عمراً منك[١].

وقد دخلت مع سابقتها دائرة التندر والتعيير، فمن حديثها وربما شاركتها أختها:

وضحك معاوية:

أ- «فضحك معاوية من بسر ثم قال: لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحيني فقد نزل بعمرو مثل الذي نزل بك، فصاح رجل من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشام، أما تستحيون لقد علمكم عمرو بن العاص في الحروب (كشف السوءات)»[٢].

ب- قال الحارث بن النضر -وكان عدواً لعمرو وبسر-:

أفي كلِّ يومٍ فارسُ ليس ينتهي ... وعورَتُهُ وسطَ العجاجةِ باديه
يكفُّ بها عنه عليٌّ سنانَهُ ... ويضحكُ منها في الخلاءِ معاويه
بَدَتْ أمسِ مِنْ عمرٍو فقنَّعَ رأسَهُ ... وعورةُ بسرٍ مثلُها حَذْوَ حاذيه
فقولا لعمرٍو ثم بِسْرٍ: ألا انْظُرا ... سبيلَكما لا تلقيا الليثَ ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما ... هما كانتا واللهِ للنفسِ واقيه
فلولا هما لم تنجُوَا من سنانِهِ ... وتلكَ بما فيها عن العَوْدِ ناهيه
متى تلقيا الخيلَ المشيحةَ صبحةً ... وفيها عليٌّ فاتركا الخيلَ ناحيه

---

(١) شرح نهج البلاغة ٨/٩٤-٩٦-بتصرف ما.

(٢) وصاح كوفي: يا أهل الشام أما تستحون من معاملة المخانيث لقد علمكم رأس المخانيث عمرو، وقد روى هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف العورات وسط عرصات الحروب، ثم ذكر الأبيات: أفي كل يوم فارس ذو كريهة إلخ. غزوات أمير المؤمنين /١٨٦.

وكونا بعيداً حيثُ لا تدركُ القنا نحوركما إن التجاربَ كافيه
وإن كانَ منهُ بعدُ للنفسِ حاجةٌ فعودا إلى ماشئتما هي ماهيه[1]

ج- وامتلأ بسر وغيره من علي خوفاً:

فكان بعد ذلك اليوم إذا لقي الخيل التي فيها علي بتنحى ناحية، وتحامى فرسان الشام بعدها علياً عليه السلام[2].

د- وتساويا في الفضيحة وتعادلا في الفسق:

«فكان بسر مرة يضحك من عمرو، ثم صار عمرو يضحك منه»[3].

---

(١) جمعاً بين معاهد التنصيص ٤/٢٠٨-٢٠٩، وشرح نهج البلاغة ٨/٩٦-٩٧، إحقاق الحق ١٨/٣٨-٣٩، مع اختلاف وزيادة ونقصان في بعض الكلمات والأبيات، وقد ورد اسم البطل في معاهد التنصيص (بشر) بالمعجمة.

(٢) شرح نهج البلاغة ٨/٩٦.

(٣) إحقاق الحق ١٨/٤٠ عن الفتوح لابن أعثم ٣/١٧٣.

٤/ الإنسان الكامل

والحديث هنا كنظائره ولداته السابقة مترامي الأطراف، لا ساحل له فلا يبلغ مداه ولا ينتهي إلى أعماقه.

فعليٌّ معدن الفضائل وجوهر الكمالات، تتعانق في ذاته غرر الصفات، وتتسابق إلى عنصره درر الملكات.

ولئن تفرقت في الأماثل المكارم، وتوزعت بينهم المعالي وتقمص كل بمنقبة، فالإمام سيد الكل، والجامع لما تفرق وتوزع.

ما فَرَّقَ اللهُ شيئاً في بَرِيَّتِهِ من الفضائلِ إلاّ عندَك اجتمعا

لا بل امتاز بخصائص، واختص بمميزات لا يشركه فيها سواه ولم يحم حولها غيره.

وقد عقب العلامة الأربلي رواية تشبيهه بأولي العزم من الرسل الآتية في موطنها بما يلي:

فقد ثبت لعلي عليه السلام ما ثبت لهم عليهم السلام من هذه الصفات المحمودة واجتمع فيه ما تفرق في غيره.

تركتُ فيكَ المنى مفرقةً وأنت منها بمجمعِ الطرقِ[1]

وتتظافر النصوص ووسائل الإثبات على تمثل الكمال في الإمام وتجسده فيه، فحديث الله عن صفيه ووليه ووصي نبيه حافل بالآيات البينات، وحديث رسول الله عن أخيه وربيبه فيّاض بالمناقب الباهرات،

---

(١) كشف الغمة ١/١١١.

وسيرة علي في كافة أدواره وأطواره وشؤونه وشجونه مترعة بالخوارق والمعجزات.

وكفى بمآثره وخصائصه الذاتية برهاناً قاطعاً لا تحتاج إلى إقامة وسيلة إثبات أخرى.

وإذا استطالَ الشيءُ قامَ بنفسِهِ وصفاتُ ضوءِ الشمسِ تذهبُ باطلاً

وما عساني لو حاولت خوض عباب بحره وتياره المواج المتلاطم إلاّ الاعتراف بالعجز والقصور عن ما لا ساحل له ولا منتهى لفضائله، ولست أول من اعترف بهذه الحقيقة ولا آخرهم، ولكنني متناول شذرات من لآلئه وطرفاً من خلائقه منتهجاً ما اعتمدته سابقاً من الافتتاح بحديث الله ومثنّياً بإنباءات رسول الله والاختتام بانطباعات من عاصر وساير وسبر أشتاتاً من تلكم المناقب والخلال.

أولاً: من آيات الله البينات:

الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

١ ـ المؤمن الحق:

ولئن كان عنوانه ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ صادقاً على من اتّصف وتحلّى بالإيمان، فلعلي ـ صلوات الله عليه ـ امتيازه الخاص سبقاً وكمالاً وآثاراً بما لا يقارن به غيره، فمن ثمّ علّق المفسرون بما يشرح الاختصاص فقالوا: «ما نزلت في القرآن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلاّ وكان علي بن أبي طالب عليه السلام أميرها وشريفها ورأسها وسيدها ولبها ولباها»[1].

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/٣١، وقد عقّب ذلك بوفرة من المصادر.

ومما اختصّ به عليه السلام من وصف الإيمان وأريد منحصراً كما يقول المفسرون هذه الآية المباركة التي جمعت الإيمان الكامل متجلّياً في العقيدة والسلوك وجزاء ذلك في الدار الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

فقد ورد أنها نزلت في علي خاصة[2].

وأطلق عليه الوصف بالإيمان في مقابل وصف مقابله بالفسق في قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[3].

والطريف في هذه المقارنة والمقابلة أنها جاءت تأييداً وتصديقاً للإمام في جوابه لمفاخره الفاسق (الوليد بن عقبة)، ولها نظائر أخرى في مواطن أخرى[4].

٢ـ صالح المؤمنين:

وتنفرد هذه الصفة ببطلها كما انفرد بفضلها، وإن عم الاشتراك في انطباق عنوان الإيمان، فتأمل قول الحق ـجل وعلاـ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلآئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة /٨٢.
(٢) علي في الكتاب والسنة ١/ ٥٠ عن جملة من المصادر والشواهد المؤيدة عنه.
(٣) سورة السجدة /١٨.
(٤) علي في الكتاب والسنة ١/٢١٣ عن عدة مدارك.
(٥) سورة التحريم /٤.

ولست في صدد شرح القصد وأسباب النزول والدلائل واللوازم فقد عنيت بذلك كتب التفسير، وإنما يعنيني تنوع المؤازر والظهر الناصر، فالله هو نعم المولى والنصير، ومن الخلق في عالم الملائكة والملأ الأعلى جبريل والملائكة، ومن البشر الرجل الثاني الذي ينتصر به الله لوليه الرجل الأول في دنيا الوجود (محمد بن عبد الله ـصلى الله عليه وآله وسلم تسليماـ).

وطريف جداً اقتران الفعل بالقول فيلتحم النص في الشخص فيقطع بذلك تعلل كل مكابر.

«فحيث نزلت هذه الآية، أخذ رسول الله ﷺ يد علي عليه السلام وقال: أيها الناس هذا صالح المؤمنين، و﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من مختصاته الكثر»[1].

وكفى بهذا المقام وهذه السمة دلالة على عمق ما تحوي من بلوغ الغاية في الإيمان إلى تبوء المقام الشامخ فيه والذروة منه وهذه حكاية المولى الرب عن المرتضى العبد، فما أعظمها واصفاً ووصفاً وموصوفاً.

٣ـ الصراط المستقيم:

الثانية: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾[2].

وإذا نظرنا أولاً إلى مدلول الاستقامة وقيام بناء الوجود على قاعدتها سواء في عالم التكوين أو التشريع:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/٢٩٥ إلخ عن جملة من المصادر.
(٢) سورة الفاتحة /٥.

وإذا نظرنا ثانياً إلى أمثولة الاستقامة ومظهر الكمالات ومجلى خير الصفات (الإمام عليه السلام) فإننا نجد الانسجام التام بين قيام أمر الرب ـ تبارك وتعالى ـ على الاستقامة، ودعوة سيد الخلق صلى الله عليه وآله إلى سلوك دربها وبين تشخيص نهجها المتجسد في الإمام عليه السلام.

وقضية الانسجام بين الإمام وما نزل في حقه وورد في شأنه في هذا الموطن وكل المواطن من آيات وروايات تبرهن بكل جلاء أن كلاً منها حكاية عن الآخر وصورة ومرآة له.

ولا غرو فيمن هو مع القرآن والقرآن معه، ومع الحق والحق معه، وترجمان القرآن، أن يكون مظهر الاستقامة الذي يشاد به، ويدعى إلى سلوك نهجه.

أجل إن النبي صلى الله عليه وآله قال عن علي عليه السلام: «أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم».

ودعا إلى الاهتداء به وبآله فقال: «من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم»[1]، وعلى هدى مستقيم من ربه حيث أدبهم وعلمهم في مفتتح قرآنه وأم كتابه أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم وفي كافة صلواتهم مفروضها ومسنونها.

٤ ـ التوحيد الخالص:

الثالثة: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[2].

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/٣٥، ١٣٨ عن مختلف المصادر التفسيرية والروائية.
(٢) سورة إبراهيم / ٣٥ـ٣٦.

فقد تمثل فيه التوحيد الخالص، وما خالط وجوده شرك أو كفر بل هو على الفطرة الإلهية القويمة والعبودية المستقيمة، والحنيفية الإبراهيمية.

«قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا يا رسول الله: وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله -عزّ وجلّ- إلى إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ فاستخف إبراهيم الفرح، فقال: يا رب، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أئمة مثلي، فأوحى الله -عزّ وجلّ- إليه أنه: يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا رب، ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذرّيتك، قال: ومن الظالم من ولدي الذي لا يناله عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصلح أن يكون إماماً، قال إبراهيم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ قال النبي ﷺ: فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحد منا لصنم قط، فاتخذني الله نبياً وعلياً إماماً»[1].

٥ـ مشروح الصدر ذو النور من الرب:

الرابعة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[2].

ولئن اشترك في صدق الوصف مع علي عليه السلام غيره كما ورد في أسباب النزول من مشاركة أو انطباق ذلك على حمزة سيد الشهداء فالفرق بينه وبين إمام الأولياء والشهداء عظيم جداً فهو الذي لم يشرك بربه طرفة عين.

واعطف على الآية آية أخرى تحمل عمق الدلالة وبعد المعنى ﴿قَالَ

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/١٧٠ عن جملة من المصادر.

(٢) سورة الزمر /٢٢.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً﴾[1].

وتأمل في ابتهال رسول الله ﷺ ودعائه فقد أخذ بيد علي بن أبي طالب وصلى أربع ركعات ثم رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إن موسى بن عمران سألك، وأنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري، وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري[2].

فالوزارة من الأهل والأخوة وشد الأزر والشركة في الأمر اضطلاع بأمر النبوة والإمامة وإقامة للتوحيد الخالص والذكر الكثير، وقد استجاب الله لنبيّه في وليّه فهو سبحانه البصير والعليم الخبير بشؤون خلقه وأهلية اللائق للمقامات العلية من عباده.

٦ـ الهادي بالحق والعادل:

الخامسة: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[3].

وعليٌّ أمة واحدة، وهو والحق متلازمان لا ينفكّان، وقد ورد في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ يعني من أمة محمد، أمة يعني (علي بن أبي طالب)، ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يدعون بعدك يا محمد إلى الحق، ﴿وَبِهِ

---

(١) سورة طه /٢٥ـ٣٥.

(٢) علي في الكتاب والسنة ١/٢٣٣ إلخ و١٩١ إلخ عن مجامع الحديث وأسباب النزول.

(٣) سورة الأعراف /١٨١.

يَعْدِلُونَ﴾ في الخلافة بعدك[١].

وما ألصق هذه وأشد التحامها ووشيج انسجامها مع قوله سبحانه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[٢].

وكم لهما من نظائر تفصح عن كامل الانسجام في شخصية هذا البطل الفذ والرجل الفريد في خلائقه.

فهو الوزير، والهادي، وذو البصيرة، والتابع لسبيل رسول الله، والشاهد، والأذن الواعية.

فاستفرغ الوسع -عزيزي القارىء- في فهم هذه الآيات المشار إليها، ونظائرها وهي كَمٌّ جَم، لتتجلى لك الصورة النادرة والحكاية المعبرة عن شخصية بطل الإسلام والمجسمة لذاته وحقيقته.

٧ـ المنفق:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾[٣].

أـ وتلكم جنبة من طبائعه وسجاياه، فهو لا يعرف للجود والإحسان آناً دون آن، وحالة دون أخرى.

فما الزمان إلاّ ليل أو نهار، وما الفعل إلاّ إعلان أو إسرار وعلي في كل ذلك الباذل المنفق.

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/١١١ إلخ و٢٠١ عن فيض من كتب التفسير وحديث الفضائل والمناقب.

(٢) سورة الشعراء /٨٤.

(٣) سورة البقرة /٢٧٤.

"فقد كان عليه السلام معه أربعة دراهم، فتصدق بالليل درهم، وبالنهار درهم، وفي السر درهم، وفي العلانية درهم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي، ما حملك على ما صنعت؟ قال: إنجاز موعد الله تعالى فأنزل الله الآية"[1].

وطريف جداً أن ترصد السماء فعل (علي) في كافة أطواره ثم توحي به قرآناً يصدح بالثناء ووافر الأجر والجزاء كفاء عمله الخالص ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

ب- ورائع حقاً أن ينفرد (علي) بالمكرمات فيسجل له الله في قرآنه مواقف أخرى يخلد بها فعله ويرفع له ذكره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[3].

وتدور المحاورة بين النبي وعلي فيما يفرض من (صدقة النجوى) وفي ذلك دلالة على الروح المنسجمة والأمر المشترك بينهما.

ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يطيقون، قال: فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد.

وما كان (علي) بأوفرهم مالاً إن لم يكن أفقرهم وهنا يمتاز ابن أبي طالب فيختص بهذه الفضيلة، وينحصر فيه مصداق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وينفرد عن الكافة شكلاً ومضموناً فهو المقدم أمام كل مناجاة وصدقة، وقد كانت

---

(١) غاية المرام وحجة الخصام ٤/٢٨ وقد أورد في الباب روايات عدة فراجع ٤/٢٥-٢٨.

(٢) سورة البقرة /٢٧٤.

(٣) سورة المجادلة /١٢.

عشراً وهو المناجي المعبر في مناجاته عن فكره وروحه واهتماماته.

١ ـ ما الوفاء؟ قال: التوحيد، شهادة أن لا إله إلاّ الله.

٢ ـ وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله ـعز وجل.

٣ ـ وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية.

٤ ـ وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

٥ ـ وما عليّ؟ قال: طاعة الله ورسوله.

٦ ـ وكيف أدعو الله؟ قال: بالصدق واليقين.

٧ ـ وماذا أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالاً، وقل صدقاً.

٨ ـ وما السرور؟ قال: الجنة.

٩ ـ وما الراحة؟ قال: لقاء الله[1].

فلما أقدم وأحجموا نسخت الآية بقوله سبحانه: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) هذه وقد وردت هذه الرواية في كتب كثيرة من العامة والخاصة وفي بعضها زيادة أو تقديم وتأخير كما جاء في جواب السؤال: وما الحق؟ الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك، وماذا أسأل الله؟ قال: العافية. فراجع (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار) ١٦/٣٧٣ـ٣٧٤، و(غاية المرام وحجة الخصام) ٤/٣١.

(٢) سورة المجادلة /١٣.

فهو ـ سلام الله عليه ـ المخصوص بهذه المنقبة، وبه خفف عن الأمة[١].

ج ـ وتتحدث سورة (الإنسان) عن الإنسان الكامل وإطعامه الخالص الوجه ونفسيته الشريفة وتنعته بخير النعوت وتعده بأفضل المكافآت.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً﴾[٢].

فهي الوفاء وخشية الله واليوم الآخر وبذل الماعون إيثاراً ورغبة فيما عند الله غير منتظر ثناء من المحسن إليه.

وقد أفاض عليهم الجواد الكريم من النعوت أعلاها ووعدهم بما لا يحاط بوصفه ولا يوقف على مبتداه فضلاً عن منتهاه.

فهم الأبرار المنعمون في الجنة والموقون النار، ولهم النعيم المقيم والملك الكبير وناهيك بقوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾[٣].

وما بال غيرهم ممن يعزى له التصدق والبذل لا يمتدح بشيء مما مدح به هؤلاء الصفوة على إطعامهم خبزاً وأقراصاً؟![٤].

وكم نظم الشعراء وأبدعوا في الإشادة بهذه المأثرة الفائقة لو تصدّى لجمعها جامع لتوفّر له بيسر ديوان ضخم حافل بالروائع.

---

(١) علي في الكتاب والسنة ١/٢٨٧. وغاية المرام وحجة الخصام ٤/٢٩ـ٣٢ وقد أورد في المقام روايات جمة.

(٢) سورة الإنسان /٧ـ٩.

(٣) سورة الإنسان /٢٠.

(٤) علي في الكتاب والسنة ١/٤٤٣ إلخ عن سيل من المصادر.

٨ـ النبأ العظيم:

﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[١].

وحقاً إنه النبأ العظيم في خلاله وخصاله وأقواله وأفعاله وسيرته وسريرته ومبتداه ومنتهاه.

فلم تشهد دنيا الإسلام بعد المصطفى فذّاً كالمرتضى، ولم يتحلّ أحد بمثل ما تحلّى به، ولم يكن لأحد شأن كشأنه.

فعن رسول الله ﷺ: ولاية علي عليه السلام يتساءلون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميّت في شرق، ولا في غرب، ولا في بر، ولا في بحر، إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الموت، يقولان للميّت: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟

وقال الكاشي: أجمع المفسّرون أن النبأ العظيم هو علي، وكان علي عليه السلام يقول: أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف فيه جميع الأمم بألسنتها، والله ما لله نبأ أعظم منّي، ولا لله آية أعظم منّي[٢].

وإذا قرأت قوله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ عرفت تمام الانسجام الذي طالما كررنا ظهوره وجلاءه في كافة شؤون الإمام ـعليه أفضل التحية وأكمل السلامـ.

٩ـ الإيمان والعمل الصالح:

---

(١) سورة النبأ /١ـ٢.

(٢) علي في الكتاب والسنة ٣٢٣/١ عن مصادره الجمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[١].

والآية الشريفة وصفت صفوة بأبلغ وصف وأفخم نعت فهم ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، وإذا فهمنا من ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ كافة من برأ الله من خلقه فإن التفضيل لا يبلغ شأوه، والتعظيم لا يدرك له حد.

ولابد من تحلّي أولئكم الصفوة المنتقاة بما بوّأهم المحل الأرفع وهل ثمة رصيد أعظم من محض الإيمان وعمل الصالحات؟!

وتأبى المكارم بانتسابها إلاّ إلى علي، ويأبى علي إلاّ أن يكون رجلها وبطلها ولبها ولبابها.

وقد عرف عليٌّ بأنه ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل علي فقال: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فمسّها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم بالرعية، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

قال: فكان الصحابة إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: جاء خير البريّة[٢].

هذا ومن الأحاديث المعلومة: «عليٌّ خيرُ البشر ومن أبى فقد كفر».

وبعد فأكتفي بما أوردت من آيات معترفاً بأنّي لو جهدت على إيراد

---

(١) سورة البيّنة /٧.

(٢) علي في الكتاب والسنة ١/٣٤٩ إلخ، والحديث من المتواتر وقد أفرد بالتأليف.

كافتها لاستوعبت سفراً كبيراً فخماً ضخماً.

فقد تواترت الآيات البينات في حق علي عليه السلام فقد رُوي عن مجاهد قوله: نزلت في علي سبعون آية لم يشركه فيها أحد.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقد نزلت في علي ثمانون آية صفواً في كتاب الله ما شركه فيها أحد من هذه الأمة.

وعن ابن عباس: نزلت في علي ثلاثمائة آية وقد جاء في صدر فهرس ملحقات إحقاق الحق ما يقرب من ذلك مذيلاً كل آية بموضعها[1].

مضافاً إلى روايات أخرى في نزول ربع القرآن أو ثلثه في حق أهل بيت النبوة عليهم السلام.

بل أفرد العلماء المتتبعون من العامة والخاصة كتباً مستقلة في هذا الشأن وقد ألف السيد أبو القاسم الشريفي (آيات الولاية) فسر فيه (١٠٠١) آية من كتاب الله العزيز النازلة (٣٠٠) منها في حق أهل البيت وولايتهم باتفاق المفسّرين، والباقي من طرق أصحابنا الإمامية خاصة حسب تفاسير أهل البيت عليهم السلام الذي نزل فيهم القرآن وهم أعرف به[2].

وقد أورد بعض السادة الباحثين قائمة تضم (٦٥) مؤلفاً.

هذا ولم يكن حديثنا عن (علي في القرآن) وإنما كان الغرض الوقوف على التعريف الإلهي لعلي عليه السلام في إنسانيته وفضائله النفسية وكمالاته الروحية.

---

(١) كتاب (إحقاق الحق) وملحقاته فراجع ٢٤/٩ـ٤٠.

(٢) الكرام البررة ١/٦٨ وقد وصف الشيخ آغا بزرك مؤلفه بأنه (عالم مصنف من مشاهير العرفاء).

ثانياً: حديث رسول الله:

وإنباؤه ﷺ في حديثه كقول ربه -تبارك وتعالى- في كتابه، وإفاضته كإفاضته، ومناحيه المتعدّدة كمناحيه المتكثرة، فهو لسان ربه الناطق والمخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهنا يحار الباحث فيما يختار، وهو من الوفرة والكثرة ما لا يقوى على جمعه وحصره، ومن الإشادة والإبانة بسمو المعنى وامتياز الذات ما جعل الحاسدين يبوحون بكلمة كبرت تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً، بأنه قد هام بحبه وغوى في التعلّق به.

أجل ... فإن الذي أقوى على إيراده نماذج من التعريف والتوصيف فمن ذلكم الكم المتدفّق.

١ ـ التشبيه بجملة من الأنبياء والملائكة:

آدم: العلم، الصفوة، الخلق، السلم، السلامة.

إدريس: المنزلة.

أيّوب: الصبر، البلاء.

إبراهيم: الخلق، النحلة، الصدق، الإنابة، الحكمة، الحلم، السخاء، الحكم.

موسى: الفطنة، المناجاة، البطش، الصلاة، الكمال، القرب، الشوكة، الشجاعة، الزهد.

عيسى: الصفوة، العبادة، الزهد، السنن، البهاء.

يحيى: الزهد، الجهاد، الطهارة.

يوسف: الجمال، الحسن.

يونس: الورع.

يعقوب: الحزن.

نوح: الفقه، الفهم، الحكم، الحكمة، التقوى، الحسن، الخشية، الهم العزم، البركة، الطاعة.

داود: الخلق.

سليمان: المملكة، السخاء.

محمد: في كماله وبهائه وهديه وحلمه، (وفي كل خلائقه).

إسرافيل: الهيبة.

جبرئيل: الأمانة، الجلال.

ميكائيل: الرتبة.

أقول: أ- إن هذه الصفات قد وردت في جملة أحاديث كثيرة مما وقفت عليه في (ملحقات إحقاق الحق)، رواها عن جملة من كتب العامة فلاحظ ج٤/٣٩١-٤٠٦ وسواه من أجزائه وفهرسته.

وإليك أنموذجاً منها:

قال النبي صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في حكمته وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى علي رضي الله عنه[1].

ب- وقد عرض بعض من كتب ونظم في الإمام عليه السلام صوراً أخرى من التشبيه مضافة إلى تلكم الصور.

ومن نماذج ذلك:

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ٤/٣٩٧.

كتاب (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى):

فقد ذكر أحد عشر نبياً من الأنبياء الكرام وأورد مشابهة أمير المؤمنين لهم بنحو من التفصيل معتمداً على الآيات وما يناسبها من الروايات.

وقد أثنى عليه الشيخ الأميني في (الغدير)، وقد حقق جملة منه الشيخ المحمودي وطبعه باسم (العسل المصفى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى).

وإليك فهرستاً من نهجه في كتابه:

آدم عليه السلام:

فإنه قد وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه عليه السلام بعشرة أشياء بالخلق والطينة، المكث والمدة، الصاحبة والزوجة، التزويج والخلعة، العلم والحكمة، الذهن والفطنة، الأمر والخلافة، الأعداء والمخالفة، الوفاء والوصية، الأولاد والعدة، وبحث (العلم) وأن العلوم التي نحتاج إليها في باب الدين اثنا عشر وأوردها مفصلة، فراجع حديثه في ذلك[1].

نوح ـصلوات الله عليهـ بثمانية أشياء:

الفهم، الدعوة، الإجابة، السفينة، البركة، السلام، الشكر، الإهلاك، فراجع ذلك[2].

إبراهيم الخليل عليه السلام بثمانية أشياء:

الوفاء، الوقاية، المناظرة، إهلاك الأصنام، البشارة بالوالدين، اختلاف

---

(١) ج١ من ص١٢٩ إلى ص٤٢٨.

(٢) من ج١ ص٤٢٩ إلى ص٤٥٨.

أطوال ذريته، الابتلاء في النفس والولد والمال، التسمية له من الله بالخليل[١].

يوسف الصدِّيق ـصلوات الله عليهـ بثمانية أيضاً:

العلم والحكمة في صغره، حسد إخوته له، نكثهم بالعهود، الجمع له بين العلم والملك في كبره، الوقوف على تأويل الأحاديث، الكرم والتجاوز عن أخوته، العفو عنهم وقت القدرة عليهم، تحويل الديار[٢].

موسى الكليم ـصلوات الله عليهـ بثمانية أيضاً:

الصلابة والشدة، المحاماة والدعوة، العصار والقوة، شرح الصدر والفسحة، الأخوة والفرقة، الود والمحبة، الأذى والمحنة، ميراث الملك والإمرة[٣].

داوود ذو الأيد ـصلوات الله عليهـ بثمانية أيضاً:

العلم والحكمة، التفوق على إخوانه في صغر سنه، المبارزة بقتل جالوت، الغدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه، إلانة الحديد، تسبيح الجوامد معه، الولد الصالح، فصل الخطاب[٤].

سليمان بن داوود عليهما السلام بثمانية أيضاً:

الفتنة والابتلاء في نفسه، تسليط الجسد على كرسيه، تلقين الله إياه في صغره ما استحق به الخلافة، رد الشمس لأجله بعد المغيب، تسخير الهواء

---

(١) ج١ من ص٤٥٩ إلى ص٤٨٨.
(٢) ج١ من ص٤٨٨ إلى ص٥٠٤.
(٣) ج٢ من ص٥ إلى ص٢٦.
(٤) ج٢ من ص٢٦ إلى ص٣٨.

والريح له، تسخير الجن له، يعلم الحكل[١] وكلام الجوامد، المغفرة ورفع الحساب عنه[٢].

أيوب ـصلوات الله عليهـ بثمانية أيضاً:

البلايا في بدنه، البلايا في ولده، البلايا في ماله، الصبر على الشدائد، خروج الجميع عليه، شماتة الأعداء، الدعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها، الوفاء بالنذر والاجتناب عن الحنث[٣].

يحيى بن زكريا ـصلوات الله عليهـ بثمانية أيضاً:

الحفظ والعصمة، الكتاب والحكمة، التسليم والتحية، بر الوالدين والحرمة، القتل والشهادة لأجل امرأة مفسدة، شدة الغضب والنقمة على قبيلته، الخوف والمراقبة، فقد السمي والنظير له في التسمية[٤].

عيسى ـصلوات الله عليهـ:

الإذعان لله، العلم بالكتاب طفلاً، العلم بالكتاب ووجوه الانفصال والاتصال، هلاك الفريقين من أهل الضلال فيه، الزهد في الدنيا، الكرم والأفضال، الإخبار عن الكوائن، الكفاءة[٥].

محمد ـصلوات الله عليهـ بثلاثة وعشرين:

---

(١) الحُكل من الحيوان ما لا يسمع صوته كالذر والنمل، وقيل هو العجم من الطيور والبهائم.
(٢) ج٢من ص ٣٨ إلى ص٨٠.
(٣) ج٢ من ص٨١ إلى ص٩٠.
(٤) ج٢ من ص٩٠ إلى ص١١٦.
(٥) ج٢ من ص١١٧ إلى ص١٦٦.

الخلق والطينة، الأخوة والقرابة، العمر والمدة، الاستسقاء في الجدوبة، الرق والعبودية، العفو والمغفرة، الأذن الواعية، الحفظ والعصمة، الأمر بالطاعة، الأذى والمحنة، الحب والمودة، الشنآن والبغضة، الخلاف والمفارقة، الشتم والمسبة، السؤدد والرفعة، الأولى والأحقية، المولى والولاية، اللواء والراية، الأول والسبقة، الصاحب والصحبة، التشبيه بالشجرة، التسمية حال الولادة بالأبوين في الحكم والتسوية[1].

وقصيدة (الأشباه) للشاعر أبي عبد الله المفجّع البصري المتوفى ٣٢٧هـ.

قال الحموي: وسميت بذات الأشباه لقصده فيما ذكر من الخبر الذي رواه عبد الله بن بريدة اللثآلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو في محفل من أصحابه إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّه، ومحمد في هديه وحلمه فانظروا إلى هذا المقبل، فتطاول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فأورد المفجّع ذلك في قصيدته وفيها مناقب كثيرة.

ومما قال رحمه الله فيها:

أشبَهَ الأنبياءَ كهلاً وزولاً ... وفطيماً وراضعاً وغذيّا

كان في علمِهِ كآدمِ إذ ... عُلّم شرحَ الأسماءِ والمكنيا

وهي في (١٦٠) بيتاً، وقد شرحها وخرّج مصادر الأشباه والمناقب فيها الشيخ عبد الرسول الغفار ـ كافأه الله بالحسنى ـ في كتابه (ملامح شخصية الإمام علي) من كتب الجمهور مع قصيدة الأشباه فراجع الكتاب

---

(١) ج٢ من ص١٦٧ إلى ص٣٣٨.

مقدمة وشرحاً.

جـ ـ لا يعني التنظير والتشبيه هنا تساوياً، فضلاً عن كون المشبه به أعلى من المشبه، بل الأمر يحمل عنوان الإجلال بإظهار صفات صفوة تجسدت في الإمام، وإن كان سهمه منها وفيها أكثر وأوفر وعلى غرار ما ذكر في شرح الصلاة على النبي الأعظم ﷺ (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم)، أو أنها اجتمعت في شخص وتفرقت في غيره، كما ورد في بعض روايات المقام: فإنه فيه تسعين خصلة من خصائل الأنبياء جمعها الله فيه ولم يجمعها أحد غيره.

مضافاً إلى دلائل أخرى من آيات وروايات تدل على امتياز علي وعلوه على كافة الخلق والبرية.

وقد يكون الإشادة مراعى فيها تفاوت الأفهام ومستوى الإدراك خشية الوقوع في الغلو أو التكذيب ومحاذير أخرى.

فقد جاء في حديث الحرث الأعور ـ صاحب راية علي بن أبي طالب عليه السلام ـ قال: بلغنا أن النبي ﷺ كان في جمع من صحابته فقال: أيكم آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمته، فلم يكن بأسرع من أن طلع علي، فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ أقست رجلاً بثلاثة من الرسل بخ بخ بهذا الرجل من هو يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ أولا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن[1].

٢ ـ خصائل الأنبياء:

---

(١) إحقاق الحق ٣٩٩/٤ عن المناقب للخوارزمي /٥٣.

وقد ورد ضمن أحاديث تشبيهه ـ سلام الله عليه ـ بسادات الملائكة وأولي العزم من الرسل العظام وجملة من الأنبياء الكرام عليهم السلام:

«فإن فيه تسعين خصلة من خصائل الأنبياء جمع الله فيه ولم يجمع أحداً[1] غيره»[2].

٣ـ خير البرية والبشر:

والحديث فيهما نصّاً وفيهما يلتقي ومعناهما كثير جداً، وقد نصّ في جملة منه على غاية التأكيد بما يدفع الوهم ويقتلع الشك، ويمنع المقارنة بسواه بأساليب متعددة.

فمن ذلك:

قال أبو بكر: «أيها الناس عليكم بعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي».

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «علي خير البرية».

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر».

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «على خير البشر فمن افترى فقد كفر».

عن عبد الله بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لم يقل علي خير

---

(١) كذا جاءت في المصدر.

(٢) إحقاق الحق ٤/٣٩٧ عن (المناقب المرتضوية) للكشفي الترمذي و(تجهيز الجيش) ص٣٣٦ للدهلوي الهندي.

الناس فقد كفر».

روى ابن مسعود أنه قال رسول الله ﷺ: «علي خير البشر من أبى فقد كفر».

إلى وفر من الروايات المتعددة الطرق المتحدة النص أو مقاربة، ويؤكّد استقرار هذا اللقب ومعروفية ذلكم الوصف لدى صحابة رسول الله ﷺ ما روي عنهم:

فعن عطيّة بن سعيد العوفي قال: «دخلنا على جابر بن عبد الله وقد سقط حاجباه على عينيه فسألناه عن علي فقلت: أخبرنا عنه، فرفع حاجبيه بيديه فقال: ذلك من خير البشر».

وفي رواية أخرى: كان خير البشر.

«وكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء خير البريّة»[1].

وللشيخ الفقيه أبي محمد جعفر بن أحمد القمي ـ من علماء القرن الرابع ـ (نوادر الأثر في علي خير البشر)، وقد أورد أولاً: ما جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري من طريق عاصم بن عمر، وثانياً: من طريق عطية العوفي وهي روايات كثيرة في حدود (٥٠) رواية، وثالثاً: عن طريق سالم بن أبي الجعد، ورابعاً: عن طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، وخامساً: عن طريق أبي الزبير ثم أورد ما جاء عن حذيفة بن اليمان بـ (١٢) رواية، وعن عائشة

---

(١) إحقاق الحق ٤/٢٤٩ـ٢٥٦ وقد أورد مصادر الروايات عن عدة من كتب الحديث كالفضائل لابن حنبل، وذخائر العقبى للطبري، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني، والمناقب لأخطب خوارزم وكفاية الطالب للكنجي والدر المنثور للسيوطي وغيرها.

وعن سلمان وأبي رافع، فراجع ذلك ضمن كتاب (جامع الأحاديث) للشيخ القمي تصحيح وتعليق السيد محمد الحسيني النيشابوري من ص٢٩٧ إلى ص٣٢٤.

مضافاً إلى آيات وروايات ومقامات يتلو بها ابن أبي طالب أفضل خلق الله على الإطلاق وأشرف الكائنات الصفوة المنتجبة والنسمة المختارة محمد بن عبد الله.

وأعظم بمقام يتبؤ فيه الإمام المقام العلي فيعتده البارئ العظيم والخالق الحكيم نفس مصطفاه وحبيبه، ويخلّد ذلكم الشموخ في أشرف كتاب أنزله وأسمى خطاب سجله: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾.

وكفى بما شركه فيه ﷺ من تشابه الشمائل واتساق الفضائل، وقد سلفت نبذة من ذلك فلا غرو لو فهمنا من قوله ﷺ: "لولا أني خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة" جامعيته عليه السلام لخلال النبوة وجلال الرسالة.

فعليٌّ عليه السلام متوفر على آلة النبوة، آخذ بأسبابها، مؤهل للقيام بها، وعلى تمام الاقتضاء.

ولكن ثمة حكمة إلهية أخرى خصت محمداً بالشأن كله، وميّزته على وصيّه فمدلول (شريك في النبوة) وإلاّ أنه لا نبي بعدي ولو كان لكنت، عميق، يرمي إلى مغزى دقيق.

وإلى أي مدى بلغت بنا الدلالة أو بلغنا إليها فهي أن نسيج صفات النبي والوصي واحد، والصفات تنبعث عن الذات وهما نفس واحدة.

عليٌّ مع الهادي كشِقّيْ يراعةٍ ... هما واحدٌ لا ينبغي عَدُّهُ اثْنينِ

فإنْ تَرَ مِنْ غَطْشٍ على الخطّ لائحٍ ... فمِنْ شعراتٍ قد تَوَسَّطْنَ في البَيْنِ

ومن هذا المنطلق وغيره جاء الإمام الأعظم في الرتبة الثانية في سيادة الخلق وشرف الوجود.

ويمتاز في ذلك على بقية الرسل العظام والأنبياء الكرام ويلتقي حديث الامتياز والتفضيل وبحث (الأمانة الكبرى) والمفاضلة بينها وبين (النبوة) مع التأكيد على بيان أن علياً عليه السلام وإن فاق الأنبياء والرسل فهو إمام وليس بنبي.

وقد تناولها العلماء بالبحث وأفردوا لها كتباً وأبواباً وقد عرضت لطرف في بعض مؤلفاتي.

وللعوني شعر في ذلك:

ألَمْ يكنْ في حالِهِ نبيا ثم رسولاً منذراً رضيّا
ثم خليلاً صفوةً صفيّا ثم إماماً هادياً مهديّا
وكان عند ربِّهِ مرضيّا
فعندها قال ومن ذريّتي قال له لا لن ينالَ رحمتي
وعهدي الظالِمُ من بَرِيَّتي أبتْ لملكي ذاكَ وحدانيتي
سبحانَهُ لازالَ وحدانيّا[1]

ثالثاً: علي في ذاته:

وهل يتصوّر بعد حديث الله عن وليّه، وحكاية الرسول عن صفيّه ووصيّه أن يكون المتحدّث والمحكي عنه على غير تلكم الحكايات والوصف.

لا بل إنه الواقع الذي ترجمته الآية والرواية، ولكنه الدليل الآخر الذي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١/٣٠٧.

تفصح عنه أفكاره وأفعاله وأقواله فيتعرّف على ذاته من خلال ذاتـه، (فكـلٌّ إلى ذاك الجمال يشير).

وماذا نسرد؟ وماذا نعدد؟ وقد قيل:

تِعْدادُ مَجْدِ المَـرْءِ مَنْقَصَـةٌ إذا فاقَـتْ مزايـاهُ عـن التعـدادِ

أجل ... إنها مقتطفات من حقله، وشذرات من لآلئ بحـره، ولمـع مـن كلمه وحكمه في أشتات من الشؤون ومختلف الأغراض.

فلنحم حول روائعه، ولنطـف حـول عجائبـه ولنقطـف مـن أزهـاره ولنستنشق من عبيرها وشذاها:

الأولى: جوامع الكلم في التوحيد:

قال ـصلوات الله على عقله وروحهـ:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وكَمَالُ مَعْرِفَته التَّصْديقُ به، وكَمَالُ التَّصْـديقِ بِـهِ تَوْحِيدُهُ، وكَمَالُ تَوْحيده الإخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإخْلاصِ لَهُ نَفْـيُ الصِّـفَاتِ عَنْهُ، لشَهَادَةِ كُلِّ صفَة أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوف، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوف أَنَّـهُ غَيْـرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَـدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَـنْ قَـالَ عَـلامَ فَقَـدْ أَخْلَى مِنْهُ، كَائِنٌ لا عَـنْ حَـدَث، مَوْجُـودٌ لا عَـنْ عَـدَم، مَـعَ كُـلِّ شَـيْءٍ لا بِمُقَارَنَة، وغَيْرُ كُلِّ شَيء لا بِمُزَايَلَة، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ والآلَة، بَصِيرٌ إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَكَنَ يَسْـتَأْنِسُ بِـهِ وَلا يَسْـتَوْحِشُ

لِفَقْدِهِ»[١].

وكم له في الباب من روائع الخطاب!! بل هو فاتحه ومبتكر القول فيه بما لا يعهد لأحد قبله، ولم يبلغه أحد جاء بعده.

وقد عرضت طرفاً من كلمه في توحيد الذات والصفات وجملة من مسائلهما في (العقائد من نهج البلاغة)[٢].

قال علاّمة المعتزلة:

ـوقد أورد فصلاً من خطبة للإمام في التوحيدـ في هذا الفصل على قصره ثماني مسائل من مسائل التوحيد، ثم عددها وعقبها بقوله:

واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عرفت إلاّ من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام[٣].

ومن جملة قوله في موطن آخر:

"وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام، ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه ولو فُهِّمُوه لم يفهموه، وأنى للعرب ذلك!

ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصة

---

(١) نهج البلاغة /٣٩ الخطبة الأولى.
(٢) فلاحظ من ص٦١ إلى ص٩٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ٦/٣٤٥ـ٣٤٦.

دون غيره، وسمّوه رئيسهم، واجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها" إلخ[١].

وأعاد مضمون هذا في موطن آخر:

"ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم، لأن معلومه أشرف المعلومات، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت أذهانهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه وبغيره من الفنون" إلخ[٢].

وكرر المعنى في مقام ثالث:

"لأنه إمام المتكلمين الذي لم يعرف علم الكلام من أحد قبله"[٣].

وحسبي من توحيده ـ سلام الله عليه ـ في كلامه وكلامه في التوحيد ما ذكرت وما إليه أرجعت مما كتبت ونقلت.

الثانية: في جماع شؤون الرسالة والرسول:

وهو ـ سلام الله عليه ـ الخبير بشأن ذلك كله، الواقف على حقيقته وسره القريب اللصيق قرب الروح من ذيها.

وطالما أفاض في النعت والتوصيف والكشف والتعريف نافذاً في الأعماق محلقاً في الآفاق، شارحاً ببليغ القول مجملات القرآن وببينات الكلم مواطن الإبداع والإعجاز في المصطفى الأول وحبيب الله الأكمل.

حتى جسد شخصية النبي الأعظم أصلاً ومنبتاً وشجرة ودوحة وثمراً

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣٧٠ ـ ٣٧١.
(٢) شرح نهج البلاغة ٩/٢٥٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٠/٦٠.

وعطاء مباركاً وقلباً وقالباً وفكراً وروحاً.

فلنقرأ محمداً بما رسمه لنا علي في آيات بينات من نهج البلاغة:

«حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ـ صلوات الله عليه وآله ـ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، فهو إمام من اتقى».

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وسيد عباده، كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر».

«اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرّة البطحاء، ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة».

«مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده».

«خير البرية طفلاً، وأنجبها كهلاً».

«حتى أورى قبساً لقابس، وأنار علماً لحابس، فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة».

«أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات».

«فبالغ ﷺ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة».

«خاض إلى رضوان الله كل غرة، وتجرع فيه كل غصة، وقد تلون له الأدنون، وتألب عليه الأقصون، وخلعت عليه العرب أعنتها، وضربت إلى محاربته بطون رواحلها، حتى أنزلت بساحته عداوتها، من أبعد الدار، وأسحق المزار».

«فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة».

«فساق الناس حتى بوأهم محلتهم، وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم».

«أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية».

فانظروا إلى مواقع نعمة الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته إلفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت جداول نعيمها»[1].

الثالثة: يطفح علماً وينضح عرفاناً:

قال كميل بن زياد: أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب عليه السلام فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانِ فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ ثُمَّ قَالَ: يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ، النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ. يَا

---

(١) اقرأ مواقع النصوص ونظائرها في (العقائد في نهج البلاغة) /١٦٤ـ١٩٦.

كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، والْعِلْمُ حَاكِمٌ والْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً. بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلا لا ذَا ولا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ والادِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ. اللَّهُمَّ بَلَى لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وبَيِّنَاتُهُ، وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ واللَّهِ الأَقَلُّونَ عَدَداً والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ واسْتَلانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ والدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ. آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ. انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ[1].

أجل ... إنها مناجاة وبوح خفي تنفس به مع من يثق، وإنها التصنيف لأوضاع الناس وتفاوت قابلياتهم، ومواطن أهوائهم، ووجهة السواد الأعظم منهم.

وإنها الآهة والنفثة المتقدة ضراماً من الأوضاع والطباع.

---

(١) نهج البلاغة ص ١١٢، رقم ١٤٧ من الكلمات القصار.

فما بال الأمة ـ وسر السعادة قائم، ونور الحق مشرق، ومصدر الخير لديها وبين يديها ـ تحجب النور عن بصرها والحق عن قلبها وبصيرتها!!!، فتخبط جهلاً وتحيا ضلالاً، وتتفقأ حمقاً فتولي وجهها متنكبة درها حيرة وتيهاً.

ويا لسوء طالع أمة تمتلك نبع العلم والعرفان وخزانة الحق والإيمان ويبقى دهره غريباً بينهم مشتاقاً إلى رؤية سواهم.

وعلّق ابن أبي الحديد على قول الإمام عليه السلام: «ها إن ها هنا» قائلاً: هذا عندي إشارة إلى العرفان والوصول إلى المقام الأشرف الذي لا يصل إليه إلاّ الواحد من العالَم ممن لله تعالى فيه سر، وله به اتصال[1].

وعلى قوله: «لو أصبت له حملة»: ومن الذي يطيق حمله! بل من الذي يطيق فهمه فضلاً عن حمله![2].

وعلى قوله: «آه آه شوقاً» هو عليه السلام أحق الناس بأن يشتاق إلى رؤيتهم، لأن الجنسية علة للضم، والشيء يشتاق إلى ما هو من سنخه وسوسته وطبيعته، ولما كان هو عليه السلام شيخ العارفين وسيدهم، لا جرم اشتاقت نفسه الشريفة إلى مشاهدة أبناء جنسه، وإن كان كل واحد من الناس دون طبقته[3].

وسبق للشارح أن أشاد بامتياز الإمام على الكافة، فمما قال: واعلم أن الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملة الإسلامية إلاّ عن هذا الرجل،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٥٠ـ٣٥٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٥٠ـ٣٥٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٥٠ـ٣٥٢.

ولعمري لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات وأبعد النهايات[١].

وبعد ...

فقد قال الرضي ـ معقباً الكلمة الجامعة ـ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هذا الْكِتَابِ إِلاَّ هَذا الكَلاَمُ لَكَفَى بِهِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً، وحِكْمَةً بَالِغَةً، وبَصِيْرَةً لِمُبْصِرٍ، وعِبْرَةً لِناظِرِ مُفْكِرٍ[٢].

الرابعة: أجل العظات وأعظم العبر:

وعليٌّ الرجل الإلهي المشغوف بربه حباً ومنه وصلاً وقرباً، كابُّ الدنيا على وجهها، ومطلقها بائناً، والمتحدث عن بلائها وعنائها ومآلها بأروع الأساليب الآخذة بمجامع القلوب، والمحذرة عمّا تستبطن من العيوب، والمذكرة بالمهول من الخطوب فيما يعقبها من عوالم للآخرة مفتتحها الموت، وختامها ما لا يدرك بوصف أو تعريف.

فهاك ـ أعانني الرب الرحيم الكريم وإياك على لقائه ـ أنموذجاً معبراً ببليغ القول عن فظيع الهول، وحاكياً عن عمق الإيمان، ومدى الانصهار مع هدي القرآن:

١ ـ هول الموت:

فمن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

«يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ وخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ لَقَدِ اسْتَخْلَوْا

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/٧٢.

(٢) نهج البلاغة ص١١٢.

مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ».

«ولَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ والرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلاَّلاً وذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا وإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ ونَوَائِحُ عَلَيْكُمْ».

«أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وسُوقاً».

«سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لا يَنْمُونَ».

«جِيرَانٌ لا يَتَأَنَّسُونَ وأَحِبَّاءُ لا يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ وانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الإِخَاءِ فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وهُمْ جَمِيعٌ وبِجَانِبِ الْهَجْرِ وهُمْ أَخِلاَّءُ».

«فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا ومَا عَايَنُوا».

«فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كَشَفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ واكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ وتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا وهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا وسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلَمَاتٍ فَلا أَيْدٍ تَدْفَعُ ولا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وأَقْذَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لا تَنْتَقِلُ وغَمْرَةٌ لا تَنْجَلِي».

«فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ ولَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ونَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ ونَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَتٌّ لَا يَعْرِفُهُ ونَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ».

«وإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا»[1].

قال ابن أبي الحديد:

وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلي عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فلمّا قيل لهم في ذلك، قالوا: إنا نعرف مواضع السجود في الشعر، كما تعرفون مواضع السجود في القرآن[2].

وقال عن تفاعله بهذه الموعظة البليغة والحكمة البديعة:

وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة، ولا تأملتها إلاّ وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي، وأرباب ودّي، وخيّلت في نفسي أنّي أنا

---

(١) نهج البلاغة ص٧٩ خ٢٢١.
(٢) شرح نهج البلاغة ١١/١٥٣.

ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله[1].

٢ـ المؤمن الحق وموقع الموعظة في قلبه:

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام، كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا همّام اتق الله وأحسن: فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، فلم يقتنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال، ومما قاله عليه السلام:

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ومَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ».

«غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ».

«عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ».

«صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا».

«أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/١٥٣.

وإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ».

«وأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وما بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، ويَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا، ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ ولا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ».

«فَمِنْ عَلامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وحَزْماً فِي لِينٍ وإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وحِرْصاً فِي عِلْمٍ وعِلْماً فِي حِلْمٍ، وقَصْداً فِي غِنًى وخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وصَبْراً فِي شِدَّةٍ وطَلَباً فِي حَلالٍ ونَشَاطاً فِي هُدًى وتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهُوَ عَلَى وَجَلٍ».

«قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لا يَزُولُ، وزَهَادَتُهُ فِيمَا لا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ».

«الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ويَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ».

«فِي الزَّلازِلِ وَقُورٌ وفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ، لا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ولا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ».

«يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ولا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، ولا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ ولا يُضَارُّ بِالْجَارِ ولا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ولا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ولا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ».

«نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ وأَرَاحَ

النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ».

«بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ، ودُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ ورَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وعَظَمَةٍ، ولا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وخَدِيعَةٍ».

فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا[1].

وكم له ـ سلام الله عليه ـ من نفائس الكلم المعبّر عن فكره وقلبه وسلوكه وخشيته من ربّه أفرغه خطباً غرراً ونثره درراً في قوالب الإطناب والإيجاز وجوهر الإبداع والإعجاز.

الخامسة: الأدب الرفيع والخلق العظيم:

وتلكم سماته المعربة عن ذاته، وملكاته المعبّرة عن كمالاته ومخايل نفسيته الشريفة، ومناقبه اللطيفة.

وسبحان من أبدعه قمة الجمال الأروع وبوّأه السنام الأرفع، فلا ترى باصرة ولا تتلقّى سامعة أكمل وأجمل مما قال أو فعل سواء في أدبه مع بارئه أو خلائقه في ذاته أو علائقه مع الخلق ولياً أو عدواً ممن قربت لحمته منه أو بعدت عنه.

وقراءة سفر حياته الزاخر بالفضائل والفواضل والعجائب المبتكرة والطرائف النادرة تبهر وتحير، فمن أي طينة خلق؟! ومن أي معدن تكون هذا الجوهر؟! وأي مزايا وسعت ذلك من إناء جودة ووفرة وندرة؟!

---

(١) نهج البلاغة ص٧٢ خ١٩٣.

فإلى شذرات ونُبذ وأشتات وقف المستقرئون على طرف منها وأعياهم السير للإحاطة بها، وبقي من بحار مناقبه مالا يعلم بمده ومنتهاه إلاّ من أفاض عليه سحائب فيوضه واعتده مثالاً لصفاته، ودليلاً على كماله وآية لجلاله.

ومن مظاهر تعلقه بربه:

روى الشيخ الصدوق عن أبي الدرداء أنه شهد علي بن أبي طالب بشويطات النجار قد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه فافتقده ثم سمع مناجاته بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ولا أنا براجٍ غير رضوانك، قال: فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام فاستترت له فركع ركعات من جوف الليل، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما به ناجى أنه قال:

«إلهي أفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي»، ثم قال:

«آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول: خذوه فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء»، ثم قال:

«آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهيات لظى».

قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله،

وذكرت قصته فقالت فاطمة: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله»[١].

حليف الأدب القرآني:

سار عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة (بهرسي) وإذا رجل من أصحابه ينظر إلى آثار كسرى، ويتمثل بقول الأسود بن يعفر:

جَرَتِ الرياحُ على محلِّ ديارِهِمْ فكأنما كانوا على ميعادِ

فقال له عليه السلام: ألا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، الآيات. إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، ولم يشكروا النعمة، فسُلبوا دنياهم بالمعصية، إياكم وكفر النعم، لا تحل بكم النقم»[٢].

صور من عدله:

قال عليه السلام: «أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ، واللهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ»[٣].

«إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي ولا لَكَ وإِنَّمَا هُوَ فَيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وجَلَبُ أَسْيَافِهِمْ»[٤].

---

(١) الكنى والألقاب ١/٦٦ـ٦٧.
(٢) شرح نهج البلاغة ٣/٢٠٢.
(٣) نهج البلاغة ص٤٦ خ١٢٦.
(٤) نهج البلاغة ص٨٣ خ٢٣٢.

وقال عليه السلام:

«والله لأَنْ أَبيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ ورَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وغَاصِباً لِشَيءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرَعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا ويَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا ... واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا»[1].

أ ـ مع طلحه والزبير:

قالا له وقت البيعة: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر، فقال لهما: لا، ولكنكما شريكاي في الفيء، لا أستأثر عليكما ولا على عبد حبشي بدرهم فما دونه، لا أنا ولا ولداي هذان، فإن أبيتما إلا لفظ الشركة، فأنتما عونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوة والاستقامة[2].

حديث خالد السدوسي وعلباء بن الهيثم:

وهو يحمله على مفارقة علي عليه السلام واللحاق بمعاوية: اتق الله يا علباء في عشيرتك، وانظر لنفسك ولرحمك، ماذا تؤمل عند رجل أردته على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان بها ظلف عيشهما، فأبى وغضب فلم يفعل[3].

ب ـ السيدة القرشية والعجوز الفارسية:

---

(١) نهج البلاغة ص٨١ خ٢٢٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ٧/٤٢.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٠/٢٥٠.

وفدت إليه ـسلام الله عليهـ سيدة تطلب زيادة عطائها وقد التقت بعجوز فارسية كانت مقيمة بالكوفة وسألتها عن عطائها فإذا به يماثل عطاءها فأمسكت بها وجاءت بها إلى الإمام وقالت: هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسية، فرمقها الإمام بطرفه وتناول قبضة من التراب وجعل ينظر إليه ويقلبه وهو يقول: لم يكن بعض هذا أفضل من بعض، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

ج- شكاية سودة بنت عمارة الهمدانية وعزله للوالي:

ولطرافة حوارها وجرأتها مع معاوية أورد الحديث كاملاً:

فقد دخلت على معاوية بعد موت علي فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إن الله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الرمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك، فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة، لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة ثم قالت:

صَلَّى الإلهُ على رُوحٍ تَضَمَّنَها ... قبرٌ فأصبحَ فيه العدلُ مدفونا

قد حالفَ الحقَّ لا يَبْغِي به بدلاً ... فصارَ بالحقِّ والإيمانِ مقرونا

---

(١) حياة الإمام الحسين ١/٤٠٨.

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: والله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائماً يصلي، فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل عليَّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: (اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، الآيات. فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام).

ثم دفع الرقعة إليّ فوالله ما ختمها بطين ولا خزمها فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً[1].

د ـ مع العتاة المردة:

"وبايع الناس إلاّ ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم، فقال: يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه من نور قريش، وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه ... فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا، فغضب عليّ وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إياكم، فالحق وتركم، وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله تعالى، وأمّا إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم

---

(١) كشف الغم ١/١٧٢ـ١٧٣.

أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم»[١].

السادسة: العفو عند المقدرة:

مع عائشة:

أ ـ «وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة»[٢].

ب ـ «على أن أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها وصانها وعظم من شأنها، ومن أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة، ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، وشقت عصا الأمة عليه، ثم ظفر بها، لقتلها وفرقها إرباً إرباً، ولكن علياً كان حليماً كريماً»[٣].

جـ ـ «فوقف علي عليها فقال: استفزت الناس وقد فزّوا، فألّبت بينهم، حتى قتل بعضهم بعضاً ... في كلام كثير، فقالت عائشة: يابن أبي طالب، ملكت فأسجح، نعم ما أبليت قومك اليوم ... وجهزّها، وأمر لها باثني عشر ألفاً من المال»[٤].

تعقيب:

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٢/١٧٨ـ١٧٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ١/٢٣.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٧/٢٥٤.
(٤) تأريخ الطبري ٤/٥٠٩ـ٥١٠، وتأريخ اليعقوبي ٢/١٨٣.

يلاحظ أن هذه المرأة العجيبة ورغم الإحسان لم يبرد غليل قلبها، فهاهي بعد ما منّ عليها تتأفف وتذكره في الطريق بما لا يجوز، وتتهمه بهتك سترها، ولا أدري من الذي هتك ذلكم الستر؟! وكيف كان سترها مصوناً في خروجها قائدة للجيش الجرّار، وهل أحاط بها الرجال أم النساء.

وإن قولها: (ملكت فأسجح) يحاكي قول هند للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة حينما جاءت لتبايع فعرفها في محاورة طريفة، فما أعظم الحالين وأجل الموقفين؟! وما أكرم النبي والوصي وأحلمهما؟!.

د ـ حلم وصفح لا توزن بهما الجبال:

«ثم راح (عليٌّ) إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلما رأته قالت: يا علي يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه! فلم يرد عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وقال لها: جَبَهتنا صفية، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام فكفّ بغلته وقال: أما لهممتُ ـ وأشار إلى الأبواب من الدار ـ أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، وكان أناس من الجرحى قد لجئوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم، فسكتت، فخرج علي، فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب وقال: صه! لا تهتكنّ ستراً، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجنّ امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهنّ أمراءكم وصلحاءكم ... فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس»[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٣٩ ـ ٥٤٠، ملخصاً، وأوردها ابن أبي الحديد في شرحه

السابعة: نبل وكرم:

أ ـ «الأصبغ بن ضرار الأزدي، من مسالح معاوية وطلائعه، فندب إليه عليّ عليه السلام الأشتر فأخذه أسيراً من غير قتال، فجاء به ليلاً فشدّه وثاقاً، وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح، وكان الأصبغ شاعراً مفوّهاً، فأيقن القتل، ونام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشتر وقال:

ألا ليتَ هذا الليلَ أصبحَ سرمداً ... على الناسِ لا يأتيهمُ بنهارِ
يكونُ كذا حتى القيامةِ إنني ... أُحَاذِرُ في الإصباحِ يومَ بَوَاري
فيا ليلُ أَطْبِقْ إن في الليلِ راحةً ... وفي الصبحِ قتلي أو فكاكَ أساري
ولو كنتُ تحت الأرضِ ستينَ وادياً ... لما رَدَّ عني ما أخافُ حذاري
فيا نفسُ مهلاً إن للموتِ غايةً ... فصبر على ما نابَ يا ابنَ ضرارِ
أَ أخشى ولي في القومِ رحْمٌ قريبةٌ ... أبى اللهُ أن أخشى ومالكُ جاري
ولو أنهُ كانَ الأسيرَ ببلدةٍ ... أُطَاعُ بها شَمَّرْتُ ذَيْلَ إزَاري
ولو كنتُ جارَ الأشعثِ الخيرِ فَكَّني ... وقَلَّ من الأمرِ المَخُوفِ فِراري
وجارَ سعيدٍ أو عديِّ بنِ حاتمٍ ... وجارَ شريحِ الخيرِ قَرَّ قَراري
وجارَ المراديِّ الكريمِ وهانئٍ ... وزَحْرِ بنِ قيسٍ ما كَرِهْتُ نهاري
ولو أنني كنتُ الأسيرَ لبعضِهم ... دعوتُ فتى منهم ففَكَّ إساري
أولئكَ قومي لا عَدِمْتُ حياتَهم ... وعفوَهم عني وسَتْرَ عَوارِي

١٠٥/١٥ مختصرة باختلاف ما، ومن ذلك أنه عليه السلام وقف وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته فسكتت وانصرفت، وكانت قد سترت عندها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم.... وكان عليه السلام حليماً كريماً.

قال فغدا به الأشتر إلى علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين، إن هذا رجل من مسالح معاوية، أصبته أمس، وبات عندنا الليل، فحركنا بشعره، وله رحم فإن كان فيه القتل فاقتله، وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا، فقال: هو لك يا مالك، وإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله، فان أسير أهل القبلة لا يقتل فرجع به الأشتر إلى منزله وخلى سبيله[1].

ب- عن أبي خليفة الطائي قال: لما رجعنا من النهروان لقينا قبل أن ننتهي إلى المدائن أبا العيزار الطائي فقال لعدي: يا أبا طريف أغانم سالم أم ظالم آثم قال: بل غانم سالم، قال: إذن إليك، فقال الأسود بن يزيد والأسود بن قيس المراديان -وكانا مع عدي-: ما أخرج هذا الكلام منك إلاّ شر وإنا لنعرفك برأي القوم، فأخذاه فأتيا به علياً، فقالا: إن هذا يرى رأي الخوارج وقد قال كذا وكذا لعدي، قال فما أصنع به؟ قالا: تقتله، قال: أقتل من لا يخرج عليّ، قالا: فتحبسه، قال: وليست له جناية أحبسه عليها، خليا سبيل الرجل[2].

الثامنة: رحمة وبركة:

دعا علي عليه السلام غلاماً له مراراً، وهو لا يجيبه، فقام إليه فقال: ألا تسمع يا غلام! قال: بلى، قال: فما حملك على ترك الجواب؟ قال: أمني لعقوبتك، قال: اذهب فأنت حر[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٨/١٠٠-١٠٢ ملخصاً.

(٢) أعيان الشيعة ٢/٣٤٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١/٢٢١. وأوردها في بحار الأنوار ٤١/٤٨ هكذا: ودعا علي عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك، فقال: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، امض فأنت حر لوجه الله.

التاسعة: الأدب الرفيع:

عن زيد بن علي عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وهو في بعض حجراته، فاستأذنت عليه فأذن لي، فلمّا دخلت قال لي: يا علي أما علمت أن بيتي بيتك فما لك تستأذن عليّ؟ قال: فقلت: يا رسول الله أحببت أن أفعل ذلك، قال: يا علي: أحببت ما أحب الله وأخذت بآداب الله، يا علي أما علمت أنّك أخي؟ أما علمت أنّه أبى خالقي ورازقي أن يكون لي سر دونك؟ يا علي أنت وصيّي من بعدي، وأنت المظلوم بعدي، يا علي الثابت عليك كالمقيم معي، ومفارقك مفارقي، يا علي كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، لأنّ الله تعالى خلقني وإيّاك من نور واحد[1].

العاشرة: نجدة وشفاعة وإصلاح:

إن سعيد بن قيس الهمداني رآه يوماً في فناء حائط فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أُغيث ملهوفاً، فبينما هو كذلك إذ أتته امرأة قد خلع قلبها لا تدري أين تأخذ من الدنيا، حتى وقفت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين ظلمني زوجي وتعدّى عليّ وحلف ليضربني، فاذهب معي إليه، فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: حتى يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، وأين منزلك؟ قالت: في موضع كذا وكذا، فانطلق معها حتى انتهت إلى منزلها، فقالت: هذا منزلي، قال: فسلّم، فخرج شاب عليه إزار ملوّنة، فقال عليه السلام: اتق الله فقد أخفت زوجتك، فقال: وما أنت وذاك والله لأحرقنّها بالنار لكلامك، قال: وكان إذا ذهب إلى مكان أخذ الدرة بيده والسيف معلّق تحت يده، فمن حلّ عليه حكم بالدرة ضربه، ومن حلّ عليه حكم بالسيف عاجله، فلم يعلم الشاب إلا وقد أصلت

---

(١) بحار الأنوار ٣٢٩/٣٨.

السيف وقال: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وترد المعروف؟ تب وإلاّ قتلتك، قال: وأقبل الناس من السكك يسألون عن أمير المؤمنين عليه السلام حتى وقفوا عليه قال: فأسقط في يد الشاب وقال: يا أمير المؤمنين اعف عني عفى الله عنك والله لأكونن أرضاً تطأني، فأمرها بالدخول إلى منزلها وانكفأ وهو يقول: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ الحمد لله الذي أصلح بي بين امرأة وزوجها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾، الآيات[1].

الحادية عشرة: شفقة وعفو وصفح وعطف:

عن أبي مطر البصري أن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلمّا أتيته به أبى أن يقبله، قال: يا عبد الله إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر، فقام إليه الرجل فلكزه، فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردّ إليها درهمها ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني، فقال: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك، وفي فضائل أحمد إذا وفيت الناس حقوقهم[2].

الثانية عشرة: بليغ النطق وسامي الخُلُق:

مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إن أبصار هذه الفحول طوامع، وإن ذلك سبب هناتها، فإذا نظر أحدكم إلى

---

(١) بحار الأنوار ٤٠/١١٣ـ١١٤ من حديث طريف طويل عن أبي دأب، جدير بالمراجعة والتأمل والتحلي من عطائه.

(٢) بحار الأنوار ٤١/٤٨.

امرأة تعجبه فليلمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب[١].

الثالثة عشرة: جوامع الشرف:

وجاءه أبو هريرة -وكان تكلم فيه وأسمعه في اليوم الماضي- وسأله حوائجه فقضاها، فعاتبه أصحابه على ذلك فقال: إني لأستحي أن يغلب جهله علمي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي[٢].

الرابعة عشرة: الإخلاص لله:

ولما أدرك عمرو بن ود لم يضربه، فوقعوا في علي عليه السلام فردّ عنه حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مر يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته، ثم إنه ضربه، فلمّا جاء سأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال: قد كان شتم أبي وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله[٣].

الخامسة عشرة: الخلق الكريم:

عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام صاحب رجلاً ذميّاً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمي عدل معه علي، فقال له الذمي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق، فقال: قد علمت، فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا، فقال:

---

(١) بحار الأنوار ٤١/٤٩.
(٢) بحار الأنوار ٤١/٤٩.
(٣) بحار الأنوار ٤١/٥٠-٥١.

هكذا؟ قال: نعم، فقال له الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أني على دينك، فرجع الذمي مع علي عليه السلام فلمّا عرفه أسلم[1].

السادسة عشرة: التواضع الجم:

عن أبي محمد العسكري أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً.

ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان أب وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين يديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل ليلبس، وجاء ليصب على يد الرجل فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟ قال: اقعد واغسل فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك، يريد بذلك خدمة في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها، فقعد الرجل فقال له عليه السلام: أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأب على الأب فليصبّ الابن على الابن، فصبّ محمد بن الحنفية على الابن، ثم قال الحسن بن علي العسكري عليه السلام: فمن اتّبع علياً على ذلك فهو الشيعي

---

(١) بحار الأنوار ٥٣/٥١.

حقاً[١].

السابعة عشرة: السخي في الشدائد:

أبو السعادات في فضائل العشرة: روي أن علياً عليه السلام كان يحارب رجلاً من المشركين، فقال المشرك: يا ابن أبي طالب هبني سيفك، فرماه إليه، فقال المشرك: عجباً يا ابن أبي طالب في مثل هذا الوقت تدفع إليّ سيفك؟! فقال: يا هذا إنك مددت يد المسألة إليّ، وليس من الكرم أن يرد السائل، فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال: هذه سيرة أهل الدين، فقبل قدمه وأسلم[٢].

الثامنة عشرة: جوامع الفضائل ومجامع الفواضل:

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: والله إن كان علي ليأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وأنه كان ليشتري القميصين السنبلانيين فيخيّر غلامه خيرهما، ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وأنه كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلاّ أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يده تربت فيه يداه وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله أحد من الناس، وأنه كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وأنه كان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين عليهما السلام وما أطاق عمله أحد من الناس بعده[٣].

التاسعة عشرة: التوعية الدينية:

---

(١) بحار الأنوار ٤١/٥٥ـ٥٦.

(٢) بحار الأنوار ٤١/٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٤١/١٠٢ـ١٠٣.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين علي عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السيبة، فيقف على سوق سوق فينادي: يا معشر التجار قدّموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، ﴿أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، الآية. يطوف في جميع أسواق الكوفة فيقول هذا، ثم يقول:

تَفْنَى اللذاذةُ ممنْ نالَ صفوتَها ... من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبتِها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ[1]

العشرون: دقيق المحاسبة:

عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه ذكر عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عمّاله: أدقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار، فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار[2].

الحادية والعشرون: ومع خاصّة أهله:

وعن أم عثمان ـ أم ولد علي ـ قالت: جئت علياً وبين يديه قرنفل مكتوب في الرحبة، فقلت: يا أمير المؤمنين هب لابنتي من هذا القرنفل قلادة، فقال: هاك ذا، ونفذ بيده إليّ درهماً، فإنما هذا للمسلمين أولاً،

---

(١) بحار الأنوار ٤١/١٠٤.
(٢) بحار الأنوار ٤١/١٠٥.

فاصبري حتى يأتينا حظنا منه فنهب لابنتك قلادة[١].

الثانية والعشرون: تعالٍ وإحسان:

«ولَمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً سألهم علي وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء فقالوا: لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى أن الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عسكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي وملكوا عليهم الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة إلى الحرب فقال: لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يغني عن ذلك».

قال: فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤١/١١٥.

(٢) أعيان الشيعة ١/٣٣ عن شرح ابن أبي الحديد وحديث ذلك طويل فراجع أعيان الشيعة ١/٢٤٥ وغيره.

ملحق: الصفات المنيفة في الزيارات الشريفة

توطئة:

وثمت رافد ثرٌّ يمدنا بزاخر من المعارف العالية، وفيض من المقامات السامية في أصناف من المناقب نلتقط من بحرها الموّاج دراً وغرراً.

وتشكّل بمجموعها تعريفاً وتوصيفاً وترجمةً للإمام جامع الكمالات والمستأثر بالخصائص والمميّزات المفردات.

نعم ... إنها وردت في (الزيارات) التي يزار بها الإمام عليه السلام على لسان الأئمة الهداة من آل محمد عليهم السلام وبأسانيد معتبرة، حفلت بها مجاميع الحديث وكتب الدعاء والزيارة، وعُني بتدوينها أجلاء العلماء، ودأب على تلاوتها أهل الإيمان والولاء في المواسم العامة والخاصة.

وإتماماً للفائدة، وتعقيباً على الفصول السابقة رأيت إلحاقها أعم نفعاً وأوفر عائدة، مقتصراً على شذرات منها، مقتطعاً بعض نصوصها، مكتفياً هنا بإيرادها دون شرح أو تحليل، وإلاّ فهي كنوز من المعارف وخزائن من الأسرار نطق بها الأئمة الأبرار، ومن ذا يعرف قدر الإمام ومقامه غير الإمام؟

ولا يفوتني التنبيه على أن ما ورد في زيارات الأئمة الكرام من ولد أمير المؤمنين من مناقب وخصائص فلأبيهم الإمام الفضل الأكمل والشأن الأتم.

كما أنّ تلكم الفضائل والفواضل التي حفلت بها كافة الزيارات

والصلوات والتسليمات قد جاءت في مجاميع الحديث وصحف التاريخ وزبر السير مما روته الأمة وعُني بتدوينه الرواة والباحثون والمترجمون من المؤالف والمخالف والمنصف والمعاند، (فكلٌ إلى ذاك الجمال يشير)، ومن جاس خلال الديار وقف على تلكم الآثار.

(١) الصلاة المرويّة عن مولانا الإمام المهدي عليه السلام:

١ـ أمير المؤمنين. ٢ـ وارث المرسلين. ٣ـ قائد الغر المحجّلين.
٤ـ سيد الوصيين. ٥ـ حجة رب العالمين. ٦ـ الأئمة الهادين.
٧ـ إمام المؤمنين. ٨ـ العلماء الصادقين. ٩ـ الأبرار المتّقين.
١٠ـ دعائم الدين. ١١ـ أركان التوحيد. ١٢ـ تراجمة الوحي.
١٣ـ الحُجج على الخلق. ١٤ـ الخلفاء في الأرض. ١٥ـ الذين اختارهم الله لنفسه.
١٦ـ اصطفاهم على العباد. ١٧ـ ارتضاهم للدين. ١٨ـ خصّهم بالمعرفة.
١٩ـ جلّلهم بكرامته. ٢٠ـ غشّاهم برحمته. ٢١ـ ربّاهم بنعمته.
٢٢ـ غذّاهم بحكمته. ٢٣ـ ألبسهم بنوره. ٢٤ـ رفعهم في ملكوته.
٢٥ـ حفّهم بملائكته. ٢٦ـ شرّفهم بنبيّه ـصلوات الله عليه وآله[1].

(٢) زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الأحد:

٢٧ـ الشجرة النبويّة.

---

(١) وقد رواها الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس في أعمال عصر الجمعة، وقال السيد: هذه الصلاة مرويّة عن مولانا المهدي ـصلوات الله عليهـ ثم ذكر الصلاة بسندها، وقال الشيخ في المصباح: هذه صلاة مرويّة عن صاحب الزمان عليه السلام خرجت على أبي الحسن الضرّاب الأصبهاني بمكة. مفاتيح الجنان /٨٣ (مختصراً).

٢٨ـ الدوحة الهاشميّة المضيئة المثمرة بالنبوّة المونقة بالإمامة[١].

(٣) من أدعية يوم الغدير:

٢٩ـ مولى المؤمنين. ٣٠ـ عبد الله. ٣١ـ أخي رسوله.

٣٢ـ الصدّيق الأكبر. ٣٣ـ المؤيد به نبيّه ودينه. ٣٤ـ الحقّ المبين.

٣٥ـ علَم الدين. ٣٦ـ خازن علم الله. ٣٧ـ عيبة غيبه.

٣٨ـ موضع سرّه. ٣٩ـ أمينه على خلقه. ٤٠ـ الشاهد في بريّته.

٤١ـ الشأن والقدر الذي خص به محمد النبي وعلي الولي دون الخلق.

٤٢ـ الأئمة القادة. ٤٣ـ الدعاة السادة. ٤٤ـ النجوم الزاهرة.

٤٥ـ الأعلام الباهرة. ٤٦ـ ساسة العباد. ٤٧ـ الناقة المرسلة.

٤٨ـ السفينة الناجية الجارية في اللجج الغامرة. ٤٩ـ معادن الكرامة.

٥٠ـ الباب المبتلى به الناس من أتاه نجى، ومن أباه هوى. ٥١ـ أهل الذكر.

٥٢ـ ذوي القربى المأمور بمودتهم والمفروض حقّهم ومن جعلت الجنّة معاد من اقتصّ آثارهم[٢].

(٤) الزيارة المطلَقة الأولى:

٥٣ـ المنتجب من الخلق. ٥٤ـ الدليل على المبعوث بالرسالة.

٥٥ـ ديّان الدِّين بعدل الله. ٥٦ـ فصل القضاء بين الخلق.

٥٧ـ الصفوة من سلالة النبيين. ٥٨ـ باب حكمة رب العالمين.

٥٩ـ التالي للرسول. ٦٠ـ الناطق بحجّته.

---

(١) وقال الشيخ المحدّث القمّي رحمه الله عنها أنها: برواية من شاهد صاحب الزمان عليه السلام يزور بها، في اليقظة لا في النوم. مفاتيح الجنان /٨٨.

(٢) من جملة دعائين من أعمال يوم الغدير الأعظم وهما: الخامس والثامن مما ذكره الشيخ القمّي في مفاتيح الجنان /٣٤٤ـ٣٤٧.

٦١ـ خليل النبوّة.
٦٢ـ المخصوص بالأخوّة.
٦٣ـ يعسوب الدين والإيمان.
٦٤ـ كلمة الرحمن.
٦٥ـ ميزان الأعمال.
٦٦ـ مقلب الأحوال.
٦٧ـ سيف ذي الجلال.
٦٨ـ ساقي السلسبيل الزلال.
٦٩ـ صالح المؤمنين.
٧٠ـ وارث علم النبيين.
٧١ـ الحاكم يوم الدين.
٧٢ـ شجرة التقوى.
٧٣ـ سامع السر والنجوى.
٧٤ـ حجّة الله البالغة.
٧٥ـ نعمة الله السابغة.
٧٦ـ نقمته الدامغة.
٧٧ـ الصراط الواضح.
٧٨ـ النجم اللائح.
٧٩ـ الإمام الناصح.
٨٠ـ الزناد القادح.
٨١ـ ولي رسول الله.
٨٢ـ ناصره.
٨٣ـ وصيّه.
٨٤ـ وزيره.
٨٥ـ مفرّج الكرب عن وجهه.
٨٦ـ قاصم الكفرة.
٨٧ـ مرغم الفجرة.
٨٨ـ الذي جعله الله من نبيّه بمنزلة هارون من موسى[1].

(٥) زيارة (أمين الله) وهي الزيارة المطلقة الثانية:

٨٩ـ أمين الله في أرضه.
٩٠ـ المجاهد في الله حقّ جهاده.
٩١ـ العامل بكتابه.
٩٢ـ المتّبع لسنن نبي الله ﷺ حتى دعاه الله إلى جواره.

---

(١) مفاتيح الجنان /٤١٦ـ٤١٩ وقد رواه الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس وغيرهم.

(٦) الزيارة المطلقة الثالثة:

٩٣ـ النبأ العظيم.
٩٤ـ خيرة الله على الخلق أجمعين.
٩٥ـ حبيب الله.
٩٦ـ خاصّة الله وخالصته.
٩٧ـ حجة الخصام.
٩٨ـ باب المقام.
٩٩ـ نور الله التام[١].

(٧) الزيارة المطلقة الرابعة:

يروي فيها الإمام الباقر ذهابه مع أبيه الإمام الصادق عليهما السلام لزيارة جدهما أمير المؤمنين عليه السلام وهي زيارة مختصرة متفقة في كثير من جملها مع الزيارة المطلقة الأولى[٢].

(٨) الزيارة المطلقة الخامسة:

١٠٠ـ أنت أول مظلوم، وأول من غُصب حقه صبرت واحتسبت حتى أتاك اليقين[٣].

(٩) الزيارة المطلقة السادسة:

١٠١ـ صاحب السوابق والمناقب.
١٠٢ـ والنجدة ومبيد الكتائب.
١٠٣ـ المكين الأساس.
١٠٤ـ ساقي المؤمنين من حوض

---

(١) وهي رواية السيد عبد الكريم بن طاووس عن صفوان الجمّال يحكي فيها زيارة الإمام الصادق عليه السلام جده أمير المؤمنين عليه السلام لما وافى الكوفة يريد أبا جعفر المنصور وأورد لها فضلاً عظيماً وأجراً كبيراً. مفاتيح الجنان /٤٢٥.
(٢) مفاتيح الجنان /٤٢٦.
(٣) مفاتيح الجنان /٤٢٦ رواها الكليني عن الإمام أبي الحسن الثالث (علي بن محمد النقي) عليه السلام.

الرسول الأمين.

١٠٥ ـ ليث الموحّدين.

١٠٦ ـ المؤيّد بجبرئيل، والمعان بميكائيل.

١٠٧ ـ باب الله.

١٠٨ ـ عين الله الناظرة.

١٠٩ ـ يده الباسطة.

١١٠ ـ أذنه الواعية.

١١١ ـ قسيم الجنة والنار.

١١٢ ـ المخلوق من طينة رسول الله.

١١٣ ـ الأصل القديم والفرع الكريم.

١١٤ ـ شجرة طوبى وسدرة المنتهى.

١١٥ ـ نور الأنوار.

١١٦ ـ سليل الأطهار وعناصر الأخيار.

١١٧ ـ حبل الله المتين.

١١٨ ـ جنب الله المكين.

١١٩ ـ صاحب الدلالات والآيات الباهرات والمعجزات القاهرات المنجي من الهلكات.

١٢٠ ـ اسم الله الرضي.

١٢١ ـ وجهه المضيء.

١٢٢ ـ جنبه العلي.

١٢٣ ـ طُهْرٌ طاهرٌ مُطَهَّرٌ مِنْ طُهْرٍ طاهرٍ مُطَهَّر.

١٢٤ ـ ذو المقام المحمود والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة.

١٢٥ ـ العبد المرتضى وأمين الله الأوفى.

١٢٦ ـ العروة الوثقى.

١٢٧ ـ يد الله العليا.

١٢٩ ـ وصي الرسول البائت على فراشه والمواسي له بنفسه وكاشف الكرب عن وجهه.

١٣٠ ـ سيف النبوة.

١٣١ ـ آية الرسالة.

١٣٢ ـ الشاهد على أمّته.

١٣٣ ـ وقاية لمهجته.

١٣٤ ـ يداً لبأسه.

١٣٥ ـ تاجاً لرأسه.

١٣٦ ـ باباً لسرّه.

١٣٧ ـ مفتاحاً لظفره.

١٣٨ ـ الباذل نفسه على مرضاة الرسول وجاعلها وقفاً على طاعته.

(١٠) الزيارة المطلقة السابعة:

١٣٩ـ سرّ الله.
١٤٠ـ المخصوص بسيدة النساء.
١٤١ـ المولود في الكعبة.
١٤٢ـ المزوّج في السماء.
١٤٣ـ من شُرفت به مكة ومنى.
١٤٤ـ صاحب الحوض.
١٤٥ـ حامل اللواء.
١٤٦ـ خامس أهل العباء.
١٤٧ـ البائت على فراش النبي ومفديه بنفسه.
١٤٨ـ قالع باب خيبر والداحي به في الفضاء.
١٤٩ـ مكلم الفتية في الكهف بلسان الأنبياء.
١٥٠ـ منبع القليب في الفلا.
١٥١ـ قالع الصخرة وقد عجز عنها الرجال الأشداء.
١٥٢ـ مخاطب الثعبان على منبر الكوفة.
١٥٣ـ مخاطب الذئب ومكلم الجمجمة وقد نخرت في النهروان.
١٥٤ـ من عنده تأويل المحكم والمتشابه وعنده أم الكتاب.
١٥٥ـ من ردت عليه الشمس حين توارت بالحجاب.
١٥٦ـ من خاطبه جبرئيل بإمرة المؤمنين.
١٥٧ـ من عجب من حملاته في الحروب ملائكة السماوات.
١٥٨ـ مناجي الرسول والمقدم بين يدي نجواه صدقات.
١٥٩ـ المخصوص بذي الفقار.
١٦٠ـ المنعوت في التوراة والإنجيل والقرآن الحكيم.
١٦١ـ الطور والكتاب المسطور والرق المنشور وبحر العلم المسجور[1].

---

(١) مفاتيح الجنان /٤٣١ـ٤٣٢.

(١١) الزيارة يوم الغدير:

١٦٢ـ سفير الله في خلقه.

١٦٣ـ النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه يُسألون.

١٦٤ـ المؤمن بالله والناس مشركون.

١٦٥ـ العابد لله مخلصاً له الدين صابراً محتسباً حتى أتاه اليقين.

١٦٦ـ الذي أوجب رسول الله على أمته فرض طاعته وولايته وعقد عليهم البيعة له، وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما جعله الله كذلك وأشهد الله تعالى عليهم.

١٦٧ـ أمير المؤمنين الحق الذي نطق بولايته التنزيل.

١٦٨ـ الشاك فيه ما آمن بالرسول الأمين.

١٦٩ـ العادل به غيره عادل عن الدين القويم الذي ارتضاه لنا رب العالمين وأكمله بولايته يوم الغدير.

١٧٠ـ ما تناقضت أفعاله، ولا اختلفت أقواله، ولا تقلبت أحواله.

١٧١ـ العُدّة للمعاد.

١٧٢ـ لعن الله من ساواه بمن ناواه.

١٧٣ـ المخصوص بمدحة الله.

١٧٤ـ مطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً لوجه الله لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً، والمؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.

١٧٥ـ الكاظم للغيظ والعافي عن الناس.

١٧٦ـ القاسم بالسويّة والعادل في الرعية.

١٧٧ـ العالم بحدود الله من جميع البريّة.

١٧٨ـ المخصوص بعلم التنزيل وحكم التأويل ونصّ الرسول.

١٧٩ـ ذو المواقف المشهودة والمقامات المشهورة، والأيام المذكورة[١].

١٨٠ـ به ظهر الحقُّ وقد نبذه الخلق.

١٨١ـ أشبهت محنته بالظالمين محن الأنبياء عليهم السلام عند الوحدة وعدم الأنصار.

١٨٢ـ أشبه في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام.

١٨٣ـ أشبهت محنته يوم صفّين وقد رفعت المصاحف محنة هارون إذ أمّره موسى على قومه فتفرّقوا عنه.

١٨٤ـ وفي مدح الله ـتعالى ـ غنى عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين[٢].

(١٢) زيارة أخرى يوم الغدير:

١٨٥ـ أشرف عترة النبي الذين آمنوا به.

١٨٦ـ أبو ذرّيّته.

١٨٧ـ الداعي إلى شريعته.

١٨٨ـ من جاهد الناكثين عن سبيل الله، والقاسطين، والمارقين عن أمره حتى بلغ في ذلك الرضا وسلّم إلى الله القضاء[٣].

(١٣) زيارته عليه السلام يوم ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

١٨٩ـ وصي الأوصياء.

١٩٠ـ ولي الأولياء.

١٩١ـ سيد الشهداء.

١٩٢ـ آية الله العظمى.

١٩٣ـ عصمة الأولياء.

١٩٤ـ زين الموحّدين النجباء.

١٩٥ـ خالص الأخلاّء.

١٩٦ـ صاحب الحوض.

---

(١) يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم خيبر.

(٢) مروية بأسناد معتبرة عن الإمام علي بن محمد النقي عليهما السلام وقد زار عليه السلام بها الأمير عليه السلام يوم الغدير في السنة التي أشخصه المعتصم. مفاتيح الجنان /٤٣٦ـ٤٤٥.

(٣) رواها السيد في الأقبال عن الإمام الصادق عليه السلام. مفاتيح الجنان /٤٤٦ـ٤٤٧.

١٩٧ـ حامل اللواء.
١٩٨ـ من شُرِّفت به مكّة ومنى.
١٩٩ـ بحر العلوم.
٢٠٠ـ كهف (كنف) الفقراء.
٢٠١ـ من خصّه النبي بجزيل الحباء.
٢٠٢ـ من ردّت له الشمس.
٢٠٣ـ من أنجى الله سفينة نوح باسمه واسم أخيه النبي.
٢٠٤ـ من تاب الله به وبأخيه على آدم.
٢٠٥ـ فلك النجاة الذي من ركبه نجى ومن تأخّر عنه هوى.
٢٠٦ـ إمام ذوي الألباب.
٢٠٧ـ المتصدق بالخاتم في المحراب.
٢٠٨ـ من كُتب اسمه في السماء على السُّرادقات.
٢٠٩ـ المُخبر بما غبر وبما هو آت.
٢١٠ـ خاتم الحصى.
٢١١ـ مبين المشكلات.
٢١٢ـ تالي المبعوث.
٢١٣ـ غياث المكروبين.
٢١٤ـ حبل الله المتين.
٢١٥ـ مستودع علم الأوّلين والآخرين.
٢١٦ـ صاحب لواء الحمد.
٢١٧ـ يسمع كلام (زائره في قبره) ويشهد مقامه.
٢١٨ـ المقرونة طاعته بطاعة الله وموالاته بموالاة الله.
٢١٩ـ باب حطّة الله[1].

---

(١) روى الشهيد والمفيد والسيد ابن طاووس أن الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ في اليوم السابع عشر من ربيع الأول بهذه الزيارة، وعلّمها الثقة الجليل محمد بن مسلم الثقفي رضي الله عنه وقال المجلسي رحمه الله: إن هذه الزيارة هي أحسن الزيارات، وهي مروية بالأسناد المعتبرة في الكتب المعتبرة. مفاتيح الجنان /٤٤٧ـ٤٥١.

أقول: ثم عقّب الشيخ القمّي رحمه الله بالسؤال عن اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بزيارات مخصوصة يوم ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ويوم مبعثه الشريف، وأجاب عن ذلك بشدة الاتصال بين القدوتين العظيمين وكمال الاتحاد بين النورين الطاهرين بحيث

(١٤) زيارته عليه السلام يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

٢٢٠ـ وارث آدم خليفة الله، ونوح صفوة الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمد سيد رُسل الله.

٢٢١ـ الصديق الأكبر. ٢٢٢ـ الفاروق الأعظم.

٢٢٣ـ حُجّة الله الكُبرى. ٢٢٤ـ من تمّت به كلمات الله.

٢٢٥ـ الخليفة الحقّ غير منازع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وضغن الفاسقين.

٢٢٦ـ الأب الرحيم.

٢٢٧ـ العظيم عند الله، الكبير في الأرض، الجليل في السماء.

٢٢٨ـ يد الله العليا. ٢٢٩ـ كلمة الله الحسنى.

٢٣٠ـ المعصوم من الزلل، والمفطوم من الخلل والمُهذّب من العيب والمُطهّر من الريب.

٢٣١ـ مفتاح الظفر. ٢٣٢ـ معجزة الرسالة.

٢٣٣ـ اللهم صلِّ عليه صلاة زاكية نامية يلحق بها درجة النبوة في الجنّة[1].

(١٥) الزيارة الجامعة الكبيرة:

وهي كاسمها جامعة كبيرة، فخمة الأسلوب، بديعة البيان، عالية المضامين جمعت وأوعت، عُني بشأنها العُلماء فأفردوا لها شروحاً مستقلة.

٢٣٤ـ مختلف الملائكة. ٢٣٥ـ منتهى الحلم.

٢٣٦ـ قادة الأمم. ٢٣٧ـ أولياء النعم.

٢٣٨ـ ساسة العباد. ٢٣٩ـ أركان البلاد.

كأن من زار أمير المؤمنين عليه السلام كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأورد في ذلك روايتين فراجع.

(١) أوردها الشيخ المفيد والسيد الشهيد. مفاتيح الجنان /٤٥٣ـ٤٥٦.

٢٤٠ـ كهف الورى.

٢٤١ـ حجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى.

٢٤٢ـ بقية الله وحزبه.

٢٤٣ـ اصطفاهم لعلمه وارتضاهم لغيبه وأيدهم بروحه.

٢٤٤ـ أركان توحيده.

٢٤٥ـ شهداء على الخلق.

٢٤٦ـ الحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم وهم أهله ومعدنه.

٢٤٧ـ إياب الخلق لديهم وحسابهم عليهم وآيات الله لديهم.

٢٤٨ـ الرحمة الموصولة والآية المخزونة والأمانة المحفوظة.

٢٤٩ـ الباب المبتلى به الناس.

٢٥٠ـ الجاحد لهم كافر والمحارب لهم مشرك.

٢٥١ـ أرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض.

٢٥٢ـ خلقهم أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بهم.

٢٥٣ـ بلَغَ الله بهم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع.

٢٥٤ـ من أراد الله بدأ بهم.

٢٥٥ـ من وحّد الله قبل عنهم[1].

٢٥٦ـ بهم فتح الله وبهم يختم.

٢٥٧ـ بهم ينزل الغيث ويمسك السماء أن تقع على الأرض.

---

(١) قال السيد الخوئي ـرضوان الله عليهـ: «وقد ورد في الزيارة الجامعة: «ومن وحّده قبل عنكم» فإنه ينتج بعكس النقيض أن من لم يقبل منهم فهو غير موحّد لله سبحانه فلا محالة يحكم بكفره إلخ». التنقيح في شرح العروة الوثقى ٢/٨٤.

٢٥٨ـ آتاهم الله ما لم يؤت أحد من العالمين. ٢٥٩ـ طأطأ كل شريف لشرفهم.
٢٦٠ـ ذلّ كل شيء لهم. ٢٦١ـ أشرقت الأرض بنورهم.
٢٦٢ـ فاز الفائزون بولايتهم.
٢٦٣ـ هم أول الخير وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

وتضيق الأرقام ..

وتختزن ذاتُ (علي) وكمالاته صفات وصفات تتعالى فيها الأعداد ولكنها لا تفي بالتعداد.

وتلكم حقيقةٌ جليةٌ تستبطن سراً، وذلكم سرٌّ يطفح جهراً، فإعلان العجز عن الإحاطة أجدر وأحرى.

وربما يرميني عجلٌ بالغلو وتجاوز الحدود في نعت الإمام العظيم، فهل بعد هاتيك الفضائل والمناقب وبما تحمل من معانٍ ـلم يتحلّ بطرف منها إلاّ من اصطفيـ تبقى الحقيقة بعيدة المنال محجوبة عن الإحاطة والإدراك؟!

أجل ومن حق الباحث أن يسأل، ومن حقي أن أستدل بما لا يرد ولا يعارض.

فلتسمع الدنيا لقول محمد وليخضع البشر وليخشع لصوته المجلجل، وندائه المدويّ، ولتنقبض الأيدي بعد هذا عن الأقلام، ولتنقطع الألسن عن الكلام.

١ـ هذه مقولة محمد:

«لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حُسَّاب والإنس كُتَّاب ما

أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام»[١].

قال الشيخ سليمان الماحوزي -رضوان الله عليه-: أقول: والأخبار الناطقة بهذا المعنى كثيرة جداً[٢].

٢ـ وهذا نداؤه:

«إنَّ اللهَ جَعَلَ لأخي عليٍّ فضائلَ لا تُحصى كثرةً، فمن ذكرَ فضيلةً مِنْ فضائله مُقرًّا بها غفرَ الله ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخّر، ومن كتبَ فضيلةً مِنْ فضائلَهَ لَمْ تَزَلِ الملائكةُ تستغفرُ لهُ ما بَقِيَ لتلكَ الكتابةِ رَسْم، ومن استمعَ فضيلةً من فضائله غفر لهُ الذنوب التي اكتسبَها بالاستماع، ومن نظرَ إلى كتابٍ من فضائلَهَ غفر له الذنوب التي اكتسبَها بالنظر».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «النظرُ إلى وجهِ عليٍّ عبادة، وذِكْرُهُ عبادة، ولا يَقْبَلُ اللهُ إيمانَ عبدٍ إلاّ بولايتِه»[٣].

وقد نظم هذا المعنى:

الشافعي:

يقولونَ لي قُلْ في عليٍّ مدائحاً ... فإنْ أنا لَمْ أَفْعَلْ يقولوا مُعانِدُ

فلو أنَّ ماءَ السبعةِ الأبحرِ التي ... خُلِقْنَ مِداداً والسماواتِ كاغِدُ

---

(١) إحقاق الحق ٤/٣٩٠ عن المناقب للخوارزمي /٣٢ وغيره، و١٥/٦٠٩ـ٦١٠ عن مودة القربى، وينابيع المودة باختلاف يسير عن عمر بن الخطاب، وراجع مصادر الحديث في مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (في الهامش) فقد أورد محقق الكتاب كثيراً منها ص١٦٢.

(٢) الأربعون حديثاً /٣٩٤.

(٣) مناقب الخوارزمي /٣٣، وهامش (مئة منقبة) /١٦٣ عن عدة مصادر.

وأشجارَ أرضِ اللهِ أقلامُ كاتبٍ ... إذا الخطّ أفناهنَّ عُدْنَ عَوائدُ
وكانَ جميعُ الجنِّ والإنسِ كُتَّباً ... إذا كلٌ منهم واحدٌ قامَ واحدُ
ورامُوا جميعاً منقباً إثْرَ مَنْقبٍ ... لما خُطَّ مِنْ تلكَ المناقبِ واحدُ[1]

العوفي:

ولو كانتِ الآجامُ كُلٌّ بأسرِها ... تُقَطَّعُ أقلاماً وتُبْرَى وتحفرُ
وكانتْ سماءُ اللهِ والأرضُ كاغداً ... وكانتْ بأمرِ اللهِ تُطْوَى وتُنْشَرُ
وكانتْ جميعُ الإنسِ والجانُّ كُتَّباً ... وكانَ مِدادُ القومِ سبعةَ أبْحُرِ
لَكَلَّتْ أيادِيهِمْ وغارَ مِدادُهُمْ ... ولَمْ يُعْطَ عُشْرَ العُشْرِ مِنْ فَضْلِ حَيْدَرِ[2]

أبو القاسم الزاهي:

يا لائِمِي في الوِلا هل أنتَ تَعْتَبِرُ ... بمنْ يُوالي رسولَ اللهِ أو يَذَرُ؟
قومٌ لو انَّ البحارَ تُنْزَفُ بالأ ... قلامِ مشقاً وأقلامَ الدُّنا شَجَرُ
والإنسَ والجنَّ كُتَّابٌ لِفَضْلِهِمُ ... والصُّحْفَ ما احْتَوَتِ الآصالُ والبكرُ
لَمْ يكتبوا بل لم يَعُدْ جُهْدُهُمْ ... في ذلك الفضلِ إلاّ وهو محتقرُ[3]

السيد نصر الله الحائري:

---

(١) إحقاق الحق ٣٩١/٤ عن أنوار إرشاد الأمة (مخطوط).
(٢) إحقاق الحق ٣٩١/٤.
(٣) الغدير ٣٩٥/٣ـ٣٩٦، منسوبة لابن أبي الحديد، وبعد البيت الأول هذان البيتان:
وما صُنْتُ عنه الشِّعْرَ عن ضعفِ هاجِسٍ ... ولا أنني عن مذهبِ الحقِّ حَائِدُ
ولكن عن الأشعار والمدح صُنْتُ مَنْ ... عليهِ ابْتَنَى قرآنُنا والمَسَاجِدُ
وبين النقلين اختلافٌ ما في بعض المفردات، وأبيات العوفي لم أقف عليها في مصدر آخر.

هذا الذي لـو كانـت الجـنُّ والإ ... نـسُ وأمـلاكُ السـماءِ تسـطرُ
وكانـت الأشـجار أقلامهـم ... وحِبْـرُهم مـا حـوت الأبحـرُ
لم يحـرزوا معشـارَ عُشْـرِ الـذي ... لـه مـن الفضـلِ ولم يحصـرُوا[1]

عبد الباقي العمري مخمّساً لقصيدة الشيخ صالح التميمي:

ولـو أن الأقـلامَ كـلُّ نبـاتِ ... وميـاهَ البحـرِ حِبْـرُ دواةِ
ضِقْنَ عمّا أظهرتَ من خارقاتِ ... أو تضيق الأرقامُ مـن معجـزاتِ
لـكَ يـا مَـنْ رُدَّتْ إليـهِ ذكـاءُ

٣ـ وهذا إطراؤه:

«يا أبا الحسن، لو وُضعَ إيمانُ الخلائقِ وأَعْمالُهُمْ في كفّةِ ميزان، ووُضعَ عَمَلُكَ ليومٍ واحدٍ في الكفّةِ الأخرى، لَرَجَحَ عَمَلُكَ على جميعِ ما عَمِلَ الخلائق، وإنّ اللهَ باهى بِكَ يومَ أُحُد ملائكتَهُ المقرَّبين، ورفعَ الحجبَ من السماواتِ السبعِ وأشرقتْ إليكَ الجنةُ وما فيها، وابْتَهَجَ بفعلِكَ ربٌّ العالمين، وإنّ اللهَ لَيُعَوِّضُكَ بذلك اليومِ ما يَغْبِطُكَ بِهِ كلُّ نبيٍّ ورَسولٍ وصدِّيقٍ وشهيد»[2].

قال ابن شهرآشوب:

وقد روى المخالف والمؤالف من طرق مختلفة منها عن أبي بصير ومصقلة بن عبد الله عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «لو وزن إيمان علي بإيمان أمتي (وفي رواية وإيمان أمتي) لرجح إيمان علي على إيمان أمتي إلى يوم القيامة».

---

(١) أعيان الشيعة ١٥/١٢٠.
(٢) مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين /١٠٦.

وقد نظم هذا المعنى (العبدي):

أَشْـهَدُ بـاللهِ لقـد قـالَ لنـا ... محمـدٌ والقـولُ منـه مـا خَفَـى
لو أَنَّ إيمـانَ جميـعِ الخلـقِ مِمَّـنْ ... سَـكَنَ الأرضَ ومَـنْ في السـما
يُجْعَـلُ في كفـةِ ميـزانٍ لكـي ... يُـوفي بإيمـانِ علـيٍّ مـا وَفَـى[1]

فهل بعد هذا مطمع لكاتب أو حاسب أن يجمع ما يفوق التعداد؟!، ورغم ما مني به (أمير المؤمنين) عليه السلام من حملات مقعدة، ومنيت به مناقبه من طمس وإخفاء، وعلى مدى من الدهر طويل إلا أنها استطالت على الزمان وتعالت أن يُطفئ أنوارها الحاقدون بأفواههم، يأبى عليهم الله ذلك.

وانبهر من كثرة ما سمع من مناقب وفضائل فرأى أنها بلغت (منتهى الجموع) في حسابه فقال لابن عباس: سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله! إني لأحسبها ثلاثة آلاف، فقال ابن عباس: أولا تقول إنها إلى ثلاثين ألفاً أقرب[2].

قال ابن أبي الحديد:

«فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها ... وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنوا أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/١٤.
(٢) المناقب للخوارزمي /٣٣.

ذكراً، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسُمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تُعْزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَلْبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى»[1].

سرُّ الله:

ونقل ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر:

«فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة، لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدّة، وشدّة العداوة»، «ولو لا أن لله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه من يعلمه لم يُرْوَ في فضله حديث، ولا عرفت له منقبة، ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره، ونسي اسمه، وصار وهو موجود معدوماً، وهو حي ميتاً»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/١٦ـ١٧ـ ملخّصاً.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤/٧٣.

وقد ذكر الشارح عن أستاذه وشيخه قبل هذا أمرين مناسبين لما نحن بصدده آثرت إيرادهما:

أ ـ قال: «وصحَّ أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرايع الدِّين لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب».

وجرت كثرة فضائله مثلاً:

قال الثعالبي:

"فضائل علي، يضرب بها المثل في الكثرة، كما قال محمد بن مكرم لأبي علي البصير: فضولك واللهِ أكثر من فضائل علي"[1].

وبعد ..

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ب- وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل، وأن عنقي هذه ضربت بالسيف.

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٨٧.

(٢) سورة لقمان /٢٧.

٧

المقامات العالية

وما تلكم المناقب وما تشير إليه من جلال إلاّ حكاية عمّا يتبواه فذها من مقامات عالية ومراتب سامية.
وهي الأخرى ذات أبعاد مترامية، وبحرها محيط لا ساحل له، وتتزاحم هاتيك المقامات للانتساب إلى إمام الإسلام فتدور في فلكه وتتمحور حول قطبها، وهو ذاته خُزانة الأسرار ونبع الكمالات.

- رد الشمس
- خطاب الشمس
- البساط وزيارة أصحاب الكهف
- الولاية التكوينية

١/ رد الشمس

إضاءة:

أـ «الإعجاز: أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه ويقصر دونه»[١].

«والمعجز: الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدّي»[٢].

وقال الفقيه عماد الدين بن حمزة الطوسي:

«وللمعجز أحكام لابد من معرفتها:

أحدها: أن يكون من فعل الله تعالى.

وثانيها: أن يكون خارقاً للعادة.

وثالثها: أن يكون متعذّراً مثله على الخلق في الجنس مثل إحياء الموتى، أو في الصنعة نحو القرآن وانشقاق القمر.

ورابعها: أن يكون موافقاً لدعوى المدّعي ... سواء كان مدعياً للنبوّة، أو الإمامة، أو الصلاح»[٣].

أقول: وربما كان من بواعث تمكين المولى ـجلّ وعلاـ لوليّه وإجراء المعجز على يديه الإشادة بشأنه أو التنويه بذكره، وامتيازه عن معاصريه بعلو كعبه وسمو شأوه، وانفراده عن الكافة بما لا يبارى في كمالاته ولا يجارى

---

(١) مجمع البحرين ٤/٢٤ـ٢٥.
(٢) مجمع البحرين ٤/٢٤ـ٢٥.
(٣) الثاقب في المناقب /٤٠.

في سابقاته، وفي ذلك الإيذان والإرهاص بتأهله للمناصب العليا وارتقائه مفارق الذرى، فلا يُعارض ولا يُزاحم فضلاً عن أن يقدم عليه من دونه.

ب- وربما تفاوتت رتب الإعجاز، وربما قبل الناس صنفاً أو نوعاً منها دون آخر استقراباً واستبعاداً.

والتفاوت حق، والرد لمحض الاستبعاد مردود والقضيتان تحكمان بالإذعان والقبول.

(المعجز من فعل الله) و(هو الخارق للعادة).

وإلاّ لم تعد المعجزة كاسمها وواقعها، ولما سما بها بطلها ولكان الكثير فيها شرعاً سواء، والحق يأبى ذلك كله والإمكان بعد هذا لا شك فيه، والوقوع تثبته الحجّة القائمة.

ج- وعليٌّ إعجاز كله:

وأين ينأى الإعجاز عن علي أو ينفصل علي عن الإعجاز وقد اتحدا وامتدا في بواطن الغيوب وعوالم الشهود.

فهذا علي وقد أشرقت الأرض بنوره بوجه معجز وفي تسميته وتربيته وصباه وفتوته إعجاز في كل الأدوار وقوته وشجاعته وزهده وعبادته وصبره وكرائم خلائقه تنضم كل معجزة منها لأختها فتلتحم إعجازاً.

وعلمه تجاوز الإعجاز، وكلامه دون كلام الخالق فقط، فبماذا يوصف وكيف يصنف؟! فهل ترى المعجزة والإعجاز تفيان بالتوصيف والتعريف؟!

ولماذا نمضي بعيداً وكأننا نلتمس دليلاً؟! أليس القرآن معجزة الله الكبرى؟! فما موقع علي من القرآن؟! أليس هو قرآن الله الناطق وترجمانه الصادق؟!.

فكما كان القرآن معجزة للإسلام ولنبي الإسلام فقد كان علي معجزة لمحمد ولدين محمد، وآية كبرى لعظمة الله وقدرته ومظهراً لأسماء الله وصفاته.

روى الواقدي: أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام[1].

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ قال: فقال: ذلك إليّ إن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم، قال: فقال: ولكني أخبرك بتفسيرها، قال: فقلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ قال: فقال: هي في أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين يقول: ما لله آية أكبر مني ولا لله من نبأ عظيم أعظم مني إلخ[2].

د- ولعلي من الخوارق الكثير، ومن المعاجز الكبار الوفير وليس علي بحاجة إلى بذل المزيد من وسائل الإثبات وأدوات التأكيد والاشتغال بالنقض والإبرام، فعلي -صلوات الله على ملكاته- كما قلنا: إعجاز كله، ومن تنساب من بين يديه وشفتيه تلكم الخوارق فإنه فوق ذلك كله.

وإنما أورد نماذج حفلت بها حياة الإمام وشهدتها الأمة وأثبتها التاريخ بأقلام أوليائه وأعدائه وهذا في واقعه ضرب من الإعجاز.

ردت الشمس لعلي مرتين:

الأولى: في حياة النبي صلى الله عليه وآله:

"فما روته أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر الأنصاري وأبو ذر وابن

---

(١) الكنى والألقاب ٣/ ٢٨٠.

(٢) بصائر الدرجات /٦٩ ح٣.

عباس والخدري وأبوهريرة والصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بكراع الغميم، فلما سلم نزل عليه الوحي وجاء علي عليه السلام وهو على ذلك الحال، فأسنده إلى ظهره، فلم يزل على تلك الحال حتى غابت الشمس، والقرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما تم الوحي قال: يا علي صليت؟ قال: لا، وقص عليه، فقال: ادع ليرد الله عليك الشمس، فسأل الله فردت عليه الشمس بيضاء نقية، وفي رواية أبي جعفر الطحاوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم إن علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فردت، فقام وصلى علي عليه السلام، فما فرغ من صلاته وقعت الشمس وبدت الكواكب، وفي رواية أبي بكر مهرويه قالت أسماء: أما والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في الخشب»[1].

الثانية: بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم:

«عن أم المقدام الثقفية قالت: قال لي جويرية بن مسهر[2]: قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جسر الصراة في وقت العصر، فقال: إن هذه أرض معذبة لا ينبغي لنبي ولا وصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل، فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلون، فقلت أنا: والله لأقلدن هذا الرجل صلاتي اليوم، ولا أصلي حتى يصلي، فسرنا وجعلت الشمس تسفل، وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم، حتى وجبت الشمس وقطعنا الأرض، فقال: يا جويرية أذن، فقلت: تقول أذن وقد غابت الشمس؟ فقال: أذن، فأذنت، ثم قال لي: أقم، أقمت، فلما قلت: (قد قامت الصلاة) رأيت شفتيه يتحركان وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية، فارتفعت

---

(١) بحار الأنوار ٤١/١٧٤.

(٢) جورية من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام شهد معه المشاهد، ووثّقه الكليني وقال عنه إنه من ثقاة أمير المؤمنين عليه السلام وقال المفيد في الإرشاد إن زياد بن أبيه قطع يده ورجله ثم صلبه. كشف الرمس عن حديث ردّ الشمس (حاشية) ص٢٩٠.

الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر، فصلى، فلما انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم، فقلت أنا: أشهد أنك وصي رسول الله ﷺ، فقال: يا جويرية أما سمعت الله عزوجل يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؟ فقلت: بلى، قال: فإني سألت الله باسمه العظيم فردها علي»[1].

أقول:

أولاً: إن عناية حملة الحديث وحفّاظهم وأرباب السير والتاريخ بالحديثين العظيمين العجيبين تحمل دلالتين: أولاهما جلال مقام مولانا أمير المؤمنين ـعليه الصلاة والسلامـ ورعاية الله لوليّه وإمام أمة نبيه ﷺ، وثانيتهما: ما بلغه خبرهما من أعلى مراتب الصحة حيث تواتر[2] حديثهما

---

(١) بحار الأنوار ١٦٨/٤١ وبصائر الدرجات /٢٣٩.

(٢) قال البحاثة المتتبّع المحقق الشيخ المحمودي: الذي أطبق عليه الشيعة الإمامية وفقاً للأخبار المتواترة هو عود الشمس بعد غروبها مرتين، الأولى في حياة رسول الله ﷺ والثانية بعد وفاته ﷺ ووافقهم على عودها في حياة رسول الله ﷺ كثير من المحققين المنصفين من أهل السنة وألّفوا في ذلك رسائل، وقال أيضاً: معلّقاً على قوله: المستفاد من الأخبار المتواترة المحفوفة بالقرائن القطعية أن الشمس بعدما غربت وأفلت... أعادها الله... إلى مقر عصر البلدين تعرفة ونكرمة لوليّه ووصي نبيّه علي بن أبي طالب ـصلوات الله عليهـ كما صرّح به غير واحد من منصفي أهل السنة ويقتضيه أيضاً ما مهّدوه للتواتر.
وقد أورد طائفة كثيرة ممن ألّف من أهل السنة، وقد أفدنا منه كثيراً جزاه الله خيراً.
راجع كشف الرمس عن حديث رد الشمس /١٠ـ١١.
ولقد أغرق نزعاً في التحقيق شيخ الباحثين وحجّة المحققين العلاّمة الأميني في كتابه الأعظم الغدير ١٢٦/٣ـ١٤١. وكشف عداء النواصب وأسرارهم وهتك أستارهم أمثال من يصفهم بِـ (الأبناء الأربعة حملة الرُّوح الأمويّة الخبيثة ألا وهم: ابن حزم، ابن الجوزي، ابن تيمية، ابن كثير).
وقد أورد في (إحقاق الحق) وهو الموسوعة الجامعة الكبرى ـأحاديث كثيرة جداً وكلها من كتب السنة فراجع: ٢٩/٥، ٣١، ٥٢١ـ٥٣٩ وج٣١٥/١٦ـ٣٣١،

وأفردهما بالتأليف أجلاّء المحدّثين والحفّاظ ونظمهما الشعراء ودفع عن شبه المغرضين فحول العلماء وطبقت شهرتهما الآفاق وباءت محاولات النواصب بالفشل وكانوا قوماً بوراً، وأباطيلهم هباءً منثوراً.

ثانياً: ولا موقع بعدُ للمثار من السؤال عن ترك الصلاة المفروضة في وقتها ونحو ذلك مما عني بالدفاع عنه وتوجيهه العلماء المخلصون.

ثالثاً: إن قراءة نصوص الروايات وهي وافرة جدّاً تستوقف المتأمّل في دلائل مفرداتها ومواطن الإجلال فيها:

أـ دعاؤه والحدث الكوني:

«ادع ليرد الله عليك الشمس»، فالشمس طوع لسانه، والمولى ينتظر من وليّه دعاءه فيجيبه كلمح البصر ويمكنه من التصرّف في كونه.

ولا أجد في الأمر فرقاً بين من دعا فاستجيب له أهو النبي أم الوصي؟ (هما واحد لا ينبغي عدّه اثنين) ولا مانع من دعائهما معاً، فطالما دعا محمد وأمّن علي، بل إن دعاء المصطفى هو دعاء المرتضى ودعاء المرتضى دعاء المصطفى، وهما بعدُ يقتسمان جلال الحديث، فهذا علي يحتضن محمداً وقرآنه حتى فرغ الوحي وقد تصرّم النهار وتبدت طلائع الليل.

وتلكم مكافأة تحكي روعة العمل المكافأ، ألم يكن علي حين فاته الفرض في طاعة الله ورسوله حابساً نفسه على ذلك؟! فلا غرو لو تبدل وضع الكون جزاء ووفاء ولصلاته أداء.

ب ـ الصوت المجلجل:

وج٢٠/٦١٧ـ٦٢٠، وج٢١/٢٦١ـ٢٧١.

وعودة الشمس ثانية وإشراقها صافية ربما فات البعض معرفته لسرعة الغروب بعد الإشراق فيظن أن الشمس جللها السحاب، وقد لا يلتفت كثير إلى ذلك فشؤون حياتهم تلفهم وأسواقهم ونواديهم وبيوتهم تضمهم وتشغلهم.

أما أن يؤذن بالغروب (صريرٌ كصرير المنشار في الخشب) أو (صرير كصرير البكرة) كما في نص آخر ـوكان ذلك في المرة الأولىـ.

وأما أن يسمع لها (وجيب شديد هال الناس ذلك) ـكما في المرة الثانيةـ فإنه الإعلان السماوي الذي يستولي على العقول والقلوب والأبصار فهو نداء الله لعباده الممتد من آفاق السماء لا خفاء فيه ولا مراء.

وطريف جداً أن صوت الشمس وصريرها ووجيبها يعقب البطولات العلوية النادرة فالأولى بعد خيبر والثانية بعد النهروان، واعطف عليها نداء جبريل في مواطن عدة (لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار).

أجل إنه التتويج والوسام الالهي بأن قائد الفتح هو إمام الأمة بشهادة الله التي أنطق بها جبريل والشمس مراراً.

وقد أخذت هذه الظاهرة أثرها من جيش الإمام الذي سمع ورأى فطفقوا يكثرون من (التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم).

ت ـ معجزة أخرى وضعف اليقين:

صاح المسلمون هذا وقت الصلاة قد دخل، وإمام المسلمين يأبى الصلاة في هذا الزمان والمكان لأنه لا يحلّ له ذلك ويرخص لمن شاء منهم.

أما (جويريّة) فخالطه القلق واعتلج في داخله الشك والريب بين أداء فرض الله واتباع ولي الله، يلتفت إليه الإمام ـوقد غابت الشمسـ قارئاً

خواطره قائلاً له: يا جويريّة أشككت؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ثم ينتحي الإمام ناحية يناجي ربه ويقول لصاحبه الحيران: أذّن يا جويرية، فقال جويرية: ما وجب العشاء بعد! فقال صلوات الله عليه: أذن للعصر، فقلت في نفسي: أذن للعصر وقد غربت الشمس ولكن عليّ الطاعة، فأذّنت، فقال لي: أقم، ففعلت وإذا أنا في الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو، فرجعت الشمس بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر فقام عليه السلام وكبّر وصلّى وصلّينا وراءه، فلما فرغ من صلاته وقعت كأنها سراج في طشت وغابت واشتبكت النجوم، فالتفت إلي وقال: أذّن أذان العشاء يا ضعيف اليقين.

أجل إنه من علم الباطن وكشف الغيب والاطلاع على ما في الضمير.

هذا والواقعة تحكي عدم إدراك الرعيّة لمقام الإمامة ومنزلته الولائيّة وعدم لياقتهم لتحملها واستيعاب أبعادها.

وإلاّ فكان عليهم الإذعان المطلق للإمام دون ما اعتراض أو عروض قلق أو اعتلاج شك، واستعلام حكمهم منه.

ويبدو من بعض نصوص الواقعة أن للجيش الرخصة في تأخير أداء فرضه ـ فيسعه عدم الصلاة ذلك الزمان في ذلك المكان ـ ويقتدي بإمامه.

رابعاً: إشراقة الشمس في رحاب الشعر:

والأحداث الكبار والملاحم العظام تلهم الشعراء فيعمر وجدانهم وتفيض مشاعرهم ويخصب خيالهم وترتفع عقيرتهم بالمطرب المعجب.

وعلي العظيم يمد بحور الشعر ويرفد بما لا ينفد، وتلك ميزة خصائصه، ففي كل جنبة منها بواعث الإلهام تنداح منها قرائح الشعراء

فترشح بالإبداع.

وحسبي إضمامة تجمع أطرافاً من ذلكم الإبداع أقتصر على إيرادها دونما تتبع لغاياتها، وإلا لو رمت إيفاءها حقها جمعاً وتفصيلاً لما كفاها ديوان فخم ضخم.

١ـ البوصيري:

رُدَّتِ الشمسُ والشروقُ عليهِ ... لِعَلِيٍّ حتى يُتِمَّ الأداء
ثُمَّ وَلَّتْ لها صريرٌ وهذا ... لفراقٍ لَهُ الوِصالُ دواء[1]

٢ـ ابن السبكي:

وشمسُ الضحى طاعَتْكَ وقْتَ مَغِيبِها ... فما غَرُبَتْ بَلْ وافَقَتْكَ بِرِفْقَةِ
ورُدَّتْ عليكَ الشمسُ بَعْدَ مَغِيبِها ... كما أنها قِدْمًا لِيُوشعَ رُدَّتِ[2]

٣ـ حسّان بن ثابت:

روى جابر بن عبد اللّه الأنصاري أن رسول اللّه ﷺ كان مع جماعة من صحابته بوادي (منى) وعلي قائم بين يديه، فأقبل على صحابته وقال:

«معاشر الناس هذا علي بن أبي طالب سيد العرب، والوصي الأكبر، والأملح الأزهر، [و] قاتل المارقين، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يحبه اللّه ورسوله، ويحب اللّه ورسوله، لا تقبل التوبة من تائب

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٦٥.
(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /١٦٨.

إلا بحبه".

ثم التفت رسول الله ﷺ إلى حسان بن ثابت، وقال له: قم واذكر شيئا من مناقب علي، فقام حسّان وقال:

لا تُقْبَلُ التوبةُ مِنْ تائبٍ ... إلا بحبِّ ابْنِ أبي طالبِ
أخي رسولِ اللّهِ بَلْ صِهْرُهُ ... والصِّهْرُ لا يُعْدَلُ بالصاحبِ
يا قومُ مَنْ مِثْلُ عليٍّ وقد ... رُدَّتْ لهُ الشمسُ مِنَ المَغْرِبِ
رُدَّتْ عليهِ الشمسُ مِنْ شَرْقِها ... حتى كأنَّ الشمسَ لَمْ تَغْرُبِ[1]

٤ـ السيد الحميري:

رُدَّتْ عليهِ الشمسُ لما فاتَهُ ... وقْتُ الصلاةِ وقد دَنَتْ للمغربِ
حتى تَبَلَّجَ نورُها في وَقْتِها ... للعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هُوِيَّ الكوكبِ
وعليهِ قد رُدَّتْ ببابلَ مَرَّةً ... أخرى وما رُدَّتْ لخلقٍ معربِ
إلاَّ لِيُوشعَ أَوْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ... ولِرَدِّها تأويلُ أَمْرٍ معجبِ[2]

٥ـ أبو محمد سفيان العبدي:

لكَ المناقِبُ يَعْيَى الحاسِبُونَ بها ... عَدًّا ويَعْجَزُ عنها كلُّ مُكْتَتِبِ

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٣٢، وروى عن ابن عباس رأيت حسّان واقفاً بمنى وأصحاب النبي مجتمعين حوله فقال النبي ﷺ: معاشر الناس هذا علي بن أبي طالب سيد العرب والوصي الأكبر...إلخ.

(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٣٦، وهي من جملة قصيدته (المذهبة)، وللسيد الشريف المرتضى شرح عليها، وله رحمه الله شعر كثير في ذلك.

كرجعةِ الشمسِ إذْ رُمْتَ الصلاةَ وقد ... راحَتْ تَوارَى عن الأبصارِ بالحُجُبِ
رُدَّتْ عليكَ كأنَّ الشهبَ ما اتَّضَحَتْ ... لناظرٍ وكأنَّ الشمسَ لَمْ تَغُبِ[1]

٦ـ أبو الحسن علي بن عباس ابن الرومي:

ولهُ عجائبُ يومَ صارَ بجيشِهِ ... يَبْغِي لِقَصْرِ النهروانِ المَخْرَجا
رُدَّتْ عليهِ الشمسُ بعد غُرُوبِها ... بيضاءَ تَلْمَعُ وَقْدَةً وتَأَجُّجا[2]

٧ـ الصاحب بن عبّاد:

كانَ النبيُّ مدينةَ العلمِ التي ... حَوَتِ الكمالَ وكنتَ أفضلَ بابِ
رُدَّتْ عليكَ الشمسُ وَهْيَ فضيلةٌ ... بَهَرَتْ فلم تُسْتَرْ بلفٍّ نِقابِ
لَمْ أَحْكِ إلاَّ ما رَوَتْهُ نواصبٌ ... عادَتْكَ وَهْيَ مُباحَةُ الأسلابِ[3]

٨ـ مهيار الديلمي:

ورَجْعَةُ الشمسِ عليكَ نَبأ ... تشعبُ الألبابُ فيهِ وتَضِلْ
فما ألومُ حاسداً عنكَ انْزَوى ... غَيظاً ولا ذا قَدَمٍ فيكَ تَزِلْ[4]

٩ـ أبو الحسن علي بن حمّاد البصري:

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٣٩.
(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٤١.
(٣) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٤٧.
(٤) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٤٩.

قَـــرَنَ الإلـــهُ ولاءَهُ بولائِـــهِ ... لَمَّـا تَزكّـى وهـو حـانٍ يركـعُ
سَـمَّاهُ رَبُّ العـرشِ نَفْسَ محمـدٍ ... يـومَ البِهـالِ وذاك مـا لا يُـدْفَعُ
والشـمسُ قـد رُدَّتْ عليـهِ بخيـبرٍ ... وقد ابْتَدَتْ زُهْـرُ الكواكـبِ تطلـعُ
وببابـلٍ رُدَّتْ عليـهِ ولم يكـنْ ... واللّهِ خـيرٌ[1] مـن علـيٌّ يُوْشَـعُ[2]

وله شعر كثير في ذلك:

رُدَّتِ الشـمسُ وهـو شـأنٌ ... لو عَلِمَـتِ النـاسُ أَيَّ شـأنِ[3]

١٠ـ أبو الفضل الإسكافي:

مَنْ ذا لَـهُ شمـسُ النـهارِ تراجَعَـتْ ... بعـدَ الأفـولِ وقـد تَقَضَّـى المَطْلَـعُ
حـتى إذا صـلى الصـلاةَ لِوَقْتِهـا ... أَفَلَتْ ونجـمُ عشـا الأَخِـيرةِ تطلـعُ
في دونِ ذلـك للأنـامِ كفايـةٌ ... مِنْ فضلِهِ ولذي البصـيرةِ مقنـعُ[4]

١١ـ السيد عبد العزيز السريجي الأوالي:

والشـمسُ لم تعـدل بيـومِ ببابـلٍ ... ولا تَعَـدَّتْ أَمْـرَهُ حـينَ أمـرْ
جاءتْ صلاةُ العصر والحرب على ... سـاق فـأومى نحوهـا رَدَّ النظـرْ

---

(١) كذا في المصدر.
(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٥١.
(٣) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٥٥.
(٤) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٥٦.

فلـــم تـــزلْ واقفـــةً حـــتى قَضَـــى صـــلاتَهُ ثم هَـــوَتْ نحـــوَ المَقَـــر[١]

١٢ ـ الشيخ صالح ابن العرندس:

ذُو المعجزاتِ البـاهراتِ الـنيراتِ المشـرقاتِ المعـذراتِ لِمَـنْ غـلا
منها رجوعُ الشمسِ بعد غروبِها نبـأٌ تصـيرُ لَـهُ البصـائرُ ذُهَّـلا[٢]

١٣ ـ ابن أبي الحديد:

إمامٌ هُدَىً بـالقُرْصِ آثَـرَ فاقْتَضَـى لَهُ القُرْصُ رَدَّ القُرْصِ أبيضَ أَزْهرا[٣]

١٤ ـ مسيحا الفسوي:

هل رُدَّتِ الشمسُ يوماً لابنِ حنتمةٍ أو هل هوى كوكـبٌ في بيـتِ عثمـانَ[٤]

١٥ ـ محمد أمين الموصلي:

ومَنْ رُدَّتْ عليـهِ الشـمسُ قسـرا كمـا قـد شـاءَ في الـزمنِ الأخـيرِ

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٦٢.
(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٦٣.
(٣) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٦٥، وقال آخر في هذا المعنى:

جَادَ بالقُرْصِ والطَّوَى بين جَنْبَيْـهِ وعَـافَ الطعـامَ وهـو سَـغُوبُ
فأَعَـادَ القُـرْصَ المُنِيْـرَ عَلَيْـهِ القرصُ والمقرضُ الكريمُ كسـوبُ

وللشعراء في ذلك كثير.
(٤) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٦٨.

ولا عجـــبٌ إذا رُدَّتْ لقطـــبٍ عليـه مـدارُ ذا الفلـكِ الأثـيرِ[1]

١٦ ـ السيد جواد زيني:

وفيها مقارنة (شق القمر ورد الشمس) وقد أبدع:

أَعْظِـمْ ببـدرينِ بصـقعِ الهـدى نورُهمـــا أشـــرقَ للـــنيرين
لولاهمـــا مـــا فلـــكٌ دارَ أو نجـمُ سمـاءٍ سـارَ في الخـافقين
لم يُـــدْرِكِ العقـــلَ لمرقاهمـــا كمٌّـا ولا كيفًـا ولا قـط أيـن
مـــاذا يقـــولُ نـــاطقٌ في الثنـــا إنْ رامَ عـدَّ الفضـلِ في فرقـدين
البـــدرُ والشـــمسُ بظِلَّيهمـــا رِقَّـــانِ مملوكـــانِ في النشـــأتين
همـــا ســـراجانِ ببيتيهمـــا كـــان لَعَمْـــري لهمـــا آيـــتين
إن شَـــقَّ فَـــرْدٌ منـــهما مـــرةً لواحـــدٍ مـــن ذينِـــك الـــنيرين
فإنمـــا الآخـــرُ في أوجـــه قد رجـه الآخـرَ في موضـعين[2]

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٦٩.

(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشـمس /٢٧١ـ٢٧٢، ونظـير هـذه المقارنـة ـوإن كانت في موطن آخرـ ما عرَّبه الشاعر الحـاج مجيـد العطـار ـأديـب يجيـد عـدّة لغاتـ:

عَـرَجَ الهـادي إلى العـرشِ عُـلاً وعلـيٌّ مَنْكِـبَ الهـادي عَـلا
أيُّهـــا المنصـــفُ بـــاللهِ أَبِـــنْ أيُّ معراجَيهمـــا أعلـــى عُـــلا

ولا تظنّ في ذلك تفضيل الوصي على النبي، وإنما هو الشعر البديع التصوير والمقارنة بين الأمرين.

١٧ ـ السيد محمد القزويني:

حضر مجلسَ السيدِ عبد الرحمن النقيب ببغداد عام (١٣٢٢هـ) فجرى حديث رد الشمس للإمام علي عليه السلام فأورد النقيب شكوكه حول صحة الحديث، والسيد القزويني يدلي بالبراهين الجليلة والأخبار المتواترة من طريق الفريقين، وعلى الأثر قال السيد القزويني:

قد قلتُ للعلويِّ المحضِ كيف ترى ... حديثَ رَدِّ ذكاءٍ للإمامِ علي
فقال في النفسِ شيءٌ منه قلتُ له ... الأمرُ في ذاك ما بين الرواةِ جلي
فقال: (قد قلتَ تقليداً) فقلتُ له: ... أنت المقلِّدُ في علمٍ وفي عملِ
وقل لهُ يا عديمَ المثلِ مجتهداً ... فيوشَعٌ قبلَهُ في الأعصرِ الأولِ
وكلما صحَّ أن تلقاهُ مكرمةً ... للأنبياءِ غدا أكرومةً لولي
ومشهدُ الشمسِ في الفيحاءِ إنْ تَرَهُ ... كأنه في العلى نارٌ على جبلِ
وما رواه الطحاوي وابنُ مندةَ من ... حديثِ (أسما) شفا فيه العلل[1]

١٨ ـ جارية بن قدامة (وهو شاهد القصّة):

رَدَّ الوصيُّ لنا الشمسَ التي غَرُبَتْ ... حتى قضينا صلاةَ العصرِ في مهلِ
لم أَنْسَهُ حين يدعوها فتتبعُهُ ... طوعاً بتلبيةٍ هاها على عجلِ
فتلكَ آيتُهُ فينا وحجتُهُ ... فهل له في جميعِ الناسِ من مثلِ
أقسمتُ لا أبتغي يوماً به بدلاً ... وهل يكونُ لنور اللهِ مِنْ بدلِ

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٧٣. والمصرع الأخير كذا ورد في المصدر غير صحيح وزنًا وقافية.

حسبي أبو حسنٍ مولى أدينُ بهِ ومن بهِ دانَ رُسْلُ اللهِ في الأُوَلِ[1]

١٩ـ عجيبة مذكرة:

«وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر ابن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجيّة ـ مدرسة بباب أبرز محلة ببغداد ـ وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي عليه السلام وطرّزه بعبارته ونمّقه بألفاظه، ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فنشأت سحابة غطّت الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومأ إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمسُ حتى ينتهي مَدْحِي لآلِ المصطفى ولِنَجْلِهِ
واثني عنانَكِ إنْ أَرَدْتُ ثناءَهُمْ أنسيتِ إذْ كانَ الوقوفُ لأجلِهِ
إنْ كانَ للمولى وقوفُكِ فليكنْ هذا الوقوفُ لخيلِهِ ولِرَجْلِهِ

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت»[2].

وبعد ...

ففي المقام سبح طويل ومسارح للنظر، فالدعاء باسم الله العظيم أو

---

(١) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٢٧٦.
(٢) كشف الرمس عن حديث رد الشمس /٥٠، وقد أوردها عن مصادر عدة، والشعر برواية أخرى.
وجاء في إحقاق الحق ٣٢٢/١٦: فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات، فلا يدرى ذلك اليوم ما رمي عليه من الأموال والثياب.

باسمه الأعظم والمهمهمة وكلام كأنه بالسريانية وشؤون أخرى دلائل على مقامات علي الكبرى وبيّنات على سمو ذاته العليا.

هذا وقال الشيخ ابن شهرآشوب:

«وذكر أن الشمس ردت عليه مراراً: الذي رواه سلمان، ويوم البساط، ويوم الخندق، ويوم حنين، ويوم خيبر، ويوم قرقيسينا، ويوم ببراثا، ويوم الغاضرية، ويوم النهروان، ويوم بيعة الرضوان، ويوم صفين، وفي النجف، وفي بني مازر، وبوادي العقيق، وبعد أحد ... وأما المعروف فمرتان في حياة النبي ﷺ بكراع الغميم وبعد وفاته ببابل»[1].

أقول: ولعلّ بذلك يجمع بين الأخبار الكثيرة المتنوعة في حديث رد الشمس.

أجل ... فعلي شمس الولاية الكبرى المشرقة في عالم التكوين في أرض الله وسمائه، وما أبدع ما قاله الشاعر الفارسي:

سايه پيغمبر ندارد سرآن داني زجيت

آفتابي چون علي درسايه پيغمبر است

وقد عرَّبه:

إنْ قيلَ لم لا ظِلٌ للمختارِ قُلْ شمسٌ كمثلِ المرتضى في ظِلِّهِ

وقال السيّد شريف بن فلاح الكاظمي:

أقولُ وقد دخلتُ مقامَ مولى أنختُ ركابَ آمالي لديهِ

---

(١) بحار الأنوار ١٧٥/٤١.

ألا لا تعجبُـــوا للشـــمسِ رُدَّتْ بـــه دونَ الـــورى جهـــراً عليـــهِ
فوجـــهُ المرتضـــى لا شـــكَّ شمـــسٌ "وشِبْهُ الشـــيءِ منجـــذبٌ إليـــهِ"[1]

(١) رد الشمس /١٠٢.

٢/ خطاب الشمس

وهو آيةٌ عظمى من آياته وبينة كبرى من بيّناته ونمط غريب مثير من إمتيازاته ـصلوات الله وسلامه على شريف ملكاتهـ، فالبشر لم يعهدوا بل ولا يمر بأذهانهم وخيالهم بأن هذا الفلك السابح المتوهج بحرارته والباسط النافذ نوره أن ينطق كما ينطقون بلسان عربي مبين فيخاطب إنساناً يعنيه باسمه ويميزه بدمه ولحمه، فينشر مدحته ويجهر بمقامه ويفصح عن شامخ منزلته، وهو في فلكه العلوي بمنأى عن الاعتراض والمقابلة، وهل يثبت جنان للهول الأعظم المهيمن على العقول والنفوس والأجسام؟!!، وهل يبقى سوى الحيرة والذهول والانبهار؟!!.

أجل ... إن هذا الحدث الأعظم من دلائل علي الأعظم ومقامه الأفخم.

فمتى وقع، وكيف؟ وعمّ أنبأ؟ ومن شهد وأصغى؟

هذا ما يكشف طرفاً من أخباره، ويفتح نافذة أسراره ما نورده من آثاره.

١ ـ "عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عن أبيه عن جده محمد بن علي بن موسى بن جعفر عن آبائه ـصلوات الله عليهمـ عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنها تكلمك، قال علي عليه السلام: السلام عليك أيها العبد المطيع لله، فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يا علي أنت وشيعتك في الجنة، يا علي أول من ينشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يحيا محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت، ثم انكبّ عليٌّ ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع، فانكب عليه النبي ﷺ فقال: يا أخي

وحبيبي ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات»[١].

٢ـ «وحدثني شيرويه الديلمي وعبدوس الهمداني والخطيب الخوارزمي من كتبهم وأجازني جدي الكيا شهرآشوب ومحمد الفتال من كتب أصحابنا نحو ابن قولويه والكشي والعبدكي وعن سلمان وأبي ذر وابن عباس وعلي بن أبي طالب عليه السلام أنه لمّا فتح مكة وانتهيا إلى هوازن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا علي وانظر كرامتك على الله، كلّم الشمس إذا طلعت، فقام علي عليه السلام وقال: السلام عليك أيتها العبد الدائب في طاعة الله ربه، فأجابته الشمس وهي تقول: وعليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه وحجة الله على خلقه، فانكبَّ عليٌّ ساجداً شكراً لله تعالى، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقيمه ويمسح وجهه ويقول: قم حبيبي فقد أبكيت أهل السماء من بكائك، وباهى الله بك حملة عرشه، ثم قال: الحمد لله الذي فضلني على سائر الأنبياء وأيدني بوصيّه سيد الأوصياء، ثم قرأ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً﴾»[٢].

٣ـ «لما فتح الله ـعز وجلـ مكة خرجنا ونحن ثمانية آلاف رجل فلما أمسينا صرنا عشرة آلاف من المسلمين ... ثم انتهينا إلى هوازن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا علي فانظر كرامتك على الله ـعز وجلـ كلّم الشمس إذا طلعت» ـكما جاء في نص آخرـ.

٤ـ قال أبو ذر:«رأيت السيد محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال لأمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة: إذا كان غداً اقصد إلى جبال البقيع وقف على نشز من الأرض، فإذا بزغت الشمس فسلم عليها، فإن الله ـتعالىـ قد أمرها أن تجيبك بما فيك، فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أبو بكر وعمر

---

(١) بحار الأنوار ١٦٩/٤١.

(٢) بحار الأنوار ١٧٦/٤١ عن مناقب آل أبي طالب.

وجماعة من المهاجرين والأنصار حتى وافى البقيع، ووقف على نشز من الأرض، فلما طلعت الشمس قال عليه السلام...إلخ» ـكما في نص رابعـ.

٥ـ «عن جابر بن عبد الله قال: لقيت عماراً في بعض سكك المدينة، فسألته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبر أنه في مسجده في ملأ من قومه، وأنه لما صلى الغداة أقبل علينا فبينا نحن كذلك وقد بزغت الشمس إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل بين عينيه وأجلسه إلى جنبه حتى مست ركبتاه ركبتيه، ثم قال: يا علي قم للشمس فكلمها فإنها تكلمك، فقام أهل المسجد وقالوا: أترى عين الشمس تكلم علياً؟» ـكما في نص خامسـ.

ونستخلص من حديث الشمس دلائل جمة نعرضها فيما يلي:

الأولى: عناية النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتجلية مقام الوصي المرتضى وإظهار أمره كالشمس الضاحية التي يبصرها كل ذي بصر، غير محجوبة بحجاب ولا مجللة بسحاب.

أـ «يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنها تكلمك».

بـ «وقال بعض: لا زال يرفع حسيسة ابن عمه وينوّه باسمه».

الثانية: وماذا كان جواب الشمس؟

«قالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين، يا علي أنت وشيعتك في الجنة، يا علي أول من ينشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يحيا محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت».

وردّت عليه سلامه ـسلام الله عليهـ مرة أخرى قائلة:

«وعليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه، ابشر فإن ربّ العزة يقرؤك السلام ويقول لك: ابشر فإن لك ولحبيك ولشيعتك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وأجابته في مخاطبة ثالثة:

«يا أخا رسول الله يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو لكل شيء عليم، فرجع علي عليه السلام إلى النبي فتبسم النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا علي تخبرني أو أخبرك؟ فقال: منك أحسن يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وآله: أمّا قولها لك: يا أول، فأنت أول من آمن بالله، وقولها: يا آخر فأنت آخر من يعايني على مغسلي، وقولها: يا ظاهر فأنت آخر من يظهر على مخزون سري، وقولها: يا باطن فأنت المستبطن لعلمي، وأما العليم بكل شيء فما أنزل الله ـ تعالى ـ علماً من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، والتنزيل والتأويل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمشكل إلا وأنت به عليم».

الثالثة: الإعلام السماوي المثير:

«فسمعوا دويّاً من السماء وجواب قائل يقول: وعليك السلام».

إنه الإنذار الباعث على ترقّب حدث عظيم، إنه الهيمنة الآخذة بمجامع القلوب، إنه الهزة السارية في كيان السامع المستولية على جوانحه وجوارحه، إنه الصوت الهادر من السماء المزلزل للأرض، إنه الصرير المماثل للصرير يوم ردّت عليه بعد مغيبها.

الرابعة: إن ما قالته الشمس من سمات الوصي وصفاته قد قاله النبي في مواطن عدّة كما هو مثبت في مجاميع الحديث.

الخامسة: لما كان في بعض قولها ما لا تحتمله العقول ولا تقوم به الأحلام كشف صلى الله عليه وآله مدلوله ومغزاه وأبان مراده وجلاه، وألمح إلى بعض ما

هنالك من شامخ مقاماته بقوله ختام تلك الرواية:

«فلولا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالاً لا تمر بملاء إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به».

السادسة: الإيمان والشك:

«فقاموا كلهم وقالوا: لقد أوقعنا محمد ﷺ في طخياء وخرجوا من باب المسجد».

وهكذا يتفاوت البشر ومنهم المنتسب للإسلام، فبعد أن يكل نظرهم من نور الشمس يتعامون فينكرون لا لأنهم لم يسمعوا ولم يروا بل لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا ويسلموا، ولو كانت الحجّة أجلى من الشمس، وهي مضرب المثل في غاية الظهور ونهاية الوضوح.

السابعة: الشكر وخالص العبوديّة:

«ثم انكبَّ علي ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع».

إنه الانقطاع لله ـسبحانهـ وإنه الشكر على نعمته الكبرى على وليّه، وإنه القرب من الرب في أصدق صورة وأروعها، افتراش التراب تذللاً وخضوعاً لرب الأرباب وذرف الدموع واعتصار قلب أذابه الخشوع.

الثامنة: وبماذا كافأ المولى عبده:

«فانكبَّ عليه النبي ﷺ فقال: يا أخي وحبيبي ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات».

«فأخذ رسول الله ﷺ يقيمه ويمسح وجهه ويقول: قم حبيبي فقد

أبكيت أهل السماء من بكائك، وباهى الله بك حملة عرشه".

أجل ... من تواضع لله رفعه ونشر مدحته في سمائه وأرضه في الملأ الأعلى والأدنى، وما أعد له في الآخرة خير وأبقى.

التاسعة: وامتلأ النبي غبطةً وطفق يقول:

"الحمد لله الذي فضّلني على سائر الأنبياء، وأيدني بوصيّه سيّد الأوصياء، ثم قرأ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾".

نعمةٌ ظاهرة تستحقّ شكراً وحمداً، ومحمد صفوة الخلق لا يجارى ولا يبارى، ومن مظاهر إكرام الله لسيّد أنبيائه تأييده بوصيّه سيد أوصيائه ومن أنطق الله بفضله الشمس كما ردّها لأجله.

العاشرة: الشعر وحديث الشمس:

١ ـ أبو محمد العوني:

إمامي كليمُ الشمسِ راجِعُ نورِها فهل لكليمِ الشمسِ في القومِ من مِثْلِ

وله:

كليمُ شمسِ اللهِ الراجعها من بعدما انجابَ ضياها واستترْ

٢ ـ الناشئ:

مكلِّم الشمسِ بما قالَ لها ربُّ السما
وهي لها تعادل تسمعُ منه الكَلِما

٣ ـ الزاهي:

مُكَلِّم الشمسِ ومَنْ رُدَّتْ لـه ببابلٍ والغربُ منها قـد قـبط

٤ ـ ابن حماد:

فـــرُدَّتْ حـــينَ أظلمـــتْ شمـــسُ الضـــحى وســـلَّمَتْ
بكـــل مـــا يجلـــو الغشـــا عليـــــه إذ تكلَّمَـــــتْ

وقال:

مَنْ كلَّمَتْهُ الشمسُ لَمَّا سَلَّمَتْ جهراً عليهِ وكلُّ شيءٍ يسمعُ
يـا أولاً يـا آخـراً يـا ظـاهراً يا باطناً في الحجب سرًّا مودعُ

وبعد ...

فكما ذكر أن الشمس قد تكرر رجوعها بعد غروبها فكذلك ذكر تكرار خطابها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها، ولا بعد في ذلك ولا عجب ـ وإن كان من أعجب العجب ـ.

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عن جابر قال: كلّمتِ الشمس علي بن أبي طالب عليه السلام سبع مرات...إلخ[1].

وكان لها في كل خطاب حديث:

هذهِ مِنْ عُلاهُ إِحْدى المعالي وعلى مِثْلِها فقِسْ ما سواها

---

(١) بحار الأنوار ٤١/١٧٥ـ١٧٦.

٣/ البساط وزيارة أصحاب الكهف

تمهيد:

أصحاب الكهف فتية نشأوا في مجتمع مشرك، وامتازوا بإيمانهم عن قومهم الذين كانوا يقصدونهم بالتضييق والأذى والفتنة والعذاب، فاعتزلوا قومهم ولجأوا إلى الكهف فراراً بدينهم، وكان معهم كلبهم، فضرب الله على آذانهم ﴿ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾، ثم بعثهم الله من رقدتهم الطويلة فبعثوا من يشتري لهم طعاماً من البلد، وقد تغيرت البلاد ومن عليها فانكشف أمرهم ثم بعد أن عاد الفتى المرسل إلى السوق توفّاهم الله واتخذ المؤمنون عليهم مسجداً[1].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۞ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ

---

(١) يقرأ تفصيل شؤون الكهف وأصحابه في (الميزان في تفسير القرآن) ١٣/٢٤٢ـ ٢٩٩.

اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۞ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۞ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۞ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۞[1].

"عن عبد الله بن موسى، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً ونحن في مسجده فقال: من هاهنا؟ فقلت: أنا يا رسول الله وسلمان الفارسي، فقال: يا سلمان اذهب فادع لي مولاك علي بن أبي طالب، قال جابر: فذهب سلمان يبتدر به، حتى

---

(١) سورة الكهف /٩ـ٢٦.

أخرج علياً من منزله، فلما دنا من رسول الله ﷺ قام فخلا به وأطال مناجاته، ورسول الله يقطر عرقاً كهيئة اللؤلؤ ويتهلل حسناً، ثم انصرف رسول الله ﷺ من مناجاته وجلس، فقال له: أسمعت يا علي ووعيت؟ قال: نعم يا رسول الله، قال جابر: ثم التفت إليّ وقال: يا جابر ادع لي أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف الزهري، قال جابر: فذهبت مسرعاً فدعوتهم، فلمّا حضروا قال: يا سلمان اذهب إلى منزل أمك أم سلمة فأتني ببساط الشعر الخيبري، قال جابر: فذهب سلمان فلم يلبث أن جاء بالبساط، فأمر رسول الله ﷺ سلمان فبسطه، ثم قال: لأبي بكر وعمر وعبد الرحمن: اجلسوا على البساط، فجلسوا كما أمرهم، ثم خلا رسول الله سلمان، فلما جاءه أسر إليه شيئاً، ثم قال له: اجلس في الزاوية الرابعة، فجلس سلمان، ثم أمر علياً عليه السلام أن يجلس في وسطه، ثم قال له: قل ما أمرتك فو الذي بعثني بالحق نبيّاً لو شئت قلت على الجبل لسار، فحرك علي عليه السلام شفتيه قال جابر: فاختلج البساط فمر بهم.

قال جابر: فسألت سلمان فقلت: أين مر بكم البساط؟ قال: والله ما شعرنا بشيء حتى انقضّ بنا البساط في ذروة جبل شاهق، وصرنا إلى باب كهف، قال سلمان: فقمت وقلت لأبي بكر: يا أبا بكر أمرني رسول الله ﷺ أن نصرخ في هذا الكهف بالفتية الذين ذكرهم الله في محكم كتابه، فقام أبوبكر فصرخ بهم بأعلى صوته فلم يجبه أحد، ثم قلت لعمر: قم فاصرخ في هذا الكهف كما صرخ أبوبكر، فصرخ عمر فلم يجبه أحد، ثم قلت لعبد الرحمن: قم فاصرخ فيه كما صرخ أبوبكر وعمر، فقام وصرخ فلم يجبه أحد، ثم قمت أنا وصرخت بهم بأعلى صوتي فلم يجبني أحد، ثم قلت لعلي بن أبي طالب عليه السلام: قم يا أبا الحسن واصرخ في هذا الكهف فإنه أمرني رسول الله أن آمرك كما أمرتهم، فقام علي عليه السلام فصاح بهم بصوت خفي، فانفتح باب الكهف، ونظرنا إلى داخله يتوقد نوراً ويأتلق إشراقاً، وسمعنا ضجة ووجبة شديدة، فملئنا رعباً وولّى القوم هاربين، فناداهم: مهلاً يا قوم وارجعوا، فرجعوا وقالوا: ما هذا يا سلمان؟ قلت: هذا الكهف الذي

وصفه الله -عز وجل- في كتابه، والذين نراهم هم الفتية الذين ذكرهم -عز وجل- هم الفتية المؤمنون، وعلي عليه السلام واقف يكلمهم، فعادوا إلى موضعهم، قال سلمان: وأعاد علي عليهم السلام فقالوا كلهم: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وعلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبوة منا السلام، أبلغه منا السلام وقل له: قد شهدوا لك بالنبوة التي أمرنا قبل وقت مبعثك بأعوام كثيرة، ولك يا علي بالوصيّة، فأعاد علي عليه السلام سلامه عليهم فقالوا كلهم: وعليك وعلى محمد منا السلام، نشهد بأنك مولانا ومولى كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله.

قال سلمان: فلما سمع القوم أخذوا بالبكاء وفزعوا واعتذروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقاموا كلهم إليه يقبلون رأسه ويقولون: قد علمنا ما أراد رسول الله ومدوا أيديهم وبايعوه بإمرة المؤمنين، وشهدوا له بالولاية بعد محمد صلى الله عليه وآله، ثم جلس كل واحد مكانه من البساط وجلس علي عليه السلام في وسطه، ثم حرك شفتيه فاختلج البساط فلم ندر كيف مر بنا في البر أم في البحر حتى انقضّ بنا على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كيف رأيتم يا أبا بكر؟ قالوا: نشهد يا رسول الله كما شهد أهل الكهف ونؤمن كما آمنوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر لا تقولوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، ولا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، والله لئن فعلتم لتهتدون ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾، وإن لم تفعلوا تختلفوا، ومن وفى وفى الله له، ومن يكتم ما سمعه فعلى عقبيه ينقلب ولن يضر الله شيئاً، أفبعد الحجة والمعرفة والبينة خلف؟! والذي بعثني بالحق نبياً لقد أُمرت أن آمركم ببيعته وطاعته فبايعوه وأطيعوه بعدي، ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، يعني علي بن أبي طالب، قالوا: يا رسول الله قد بايعناه وشهد علينا أهل الكهف، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن صدقتم فقد أسقيتم ماء غدقاً وأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً وتسلكون طريق بني إسرائيل، فمن تمسك بولاية علي لقيني

يوم القيامة وأنا عنه راض.

قال سلمان: والقوم ينظر بعضهم إلى بعض، فأنزل الله هذه الآية في ذلك اليوم ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، فاصفرَّت وجوههم ينظر كل واحد إلى صاحبه، فأنزل الله هذه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۞ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾، الآية. فكان ذهابهم إلى الكهف ومجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر»[1].

أقول: رويت في هذا الحدث العجيب -وكل شؤون الإمام أبي الحسن عجيبة وغريبة- روايات كثيرة تلتقي ومضمون هذه الرواية المفصلة الطويلة.

فمن تلكم الروايات نقتطف:

الأولى: «عن شريك بن عبدالله -وهو يومئذ قاض- أن النبي ﷺ بعث علياً وأبا بكر وعمر إلى أصحاب الكهف، فقال: ائتوهم فأبلغوهم عني السلام، فلما خرجوا من عنده قال أبو بكر لعلي أتدري أين هم؟ فقال ما كان رسول الله ﷺ بعثنا إلى مكان إلا هدانا الله له، فلما أوقفهم على باب الكهف قال: يا أبا بكر سلم». إلخ[2].

الثانية: «روي أن الصحابة سألوا النبي ﷺ أن يأمر الريح فتحملهم إلى أصحاب الكهف ففعل، فلما نزلوا هناك سلم عليهم أبو بكر وعمر وعثمان فلم يردوا عليهم ثم قام الآخرون كلهم فسلموا فلم يردوا عليهم أيضاً ... فلما أن كان في جوف الليل قال علي عليه السلام: يا ريح ضعينا، ثم قام فركض برجله فإذا نحن بعين ماء فتوضأ، وقال: توضؤوا فإنكم مدركون بعض صلاة الصبح عند رسول الله، ثم قال: يا ريح احملينا، فأدركنا آخر

---

(١) بحار الأنوار ١٣٨/٣٩.

(٢) بحار الأنوار ١٣٦/٣٩-١٣٧.

ركعة مع رسول الله ﷺ، فلما أن قضينا ما سبقنا به التفت إلينا وأمرنا بالإتمام، فلما فرغنا قال: يا أنس وأحدثكم أو تحدثونا؟ قلت: يا رسول الله من فيك أحسن، فحدثنا كأنه معنا، ثم قال: اشهد بهذا لعلي يا أنس، فاستشهدني علي عليه السلام وهو على المنبر فداهنت في الشهادة، قال: إن كنت كتمت الشهادة مداهنة من بعد وصية رسول الله ﷺ فأبرصك الله وأعمى عينيك وأظمأ جوفك، فلم أبرح من مكاني حتى عميت وبرصت، وكان أنس لا يستطيع الصوم في شهر رمضان ولا في غيره من شدة الظمأ، وكان يطعم في شهر رمضان كل يوم مسكينين حتى فارق الدنيا وهو يقول هذا من دعوة علي»[1].

الثالثة: عن أنس بن مالك ... فقعد علي عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد...إلخ[2].

الرابعة: «عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن حذيفة بن اليمان قال: بينما رسول الله ﷺ جالس مع أصحابه إذ أقبلت الدبور (الريح الغربية تقابل الصبا وهي الريح الشرقية) فقال لها النبي ﷺ: أيتها الريح الدبور استودعك إخواننا فرديهم إلينا، قالت قد أمرت بالسمع والطاعة لك، فدعا ببساط كان أهدي إليه فبسطه، ثم دعا بعلي بن أبي طالب فأجلسه عليه ثم دعا بأبي بكر وعمر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر والمقداد الكندي وأبي ذر وسلمان وأجلسهم عليه، ... ثم قام علي بن أبي طالب عليه السلام فأفاض عليه من الماء وصلى ركعتين ثم مشى إلى باب الغار فسلم بأحسن ما يكون من السلام، فانصدع باب الكهف ثم قاموا إليه فصافحوه وقالوا: يا بقية الله في خلقه بعد

---

(١) بحار الأنوار ٣٩/١٣٧ـ١٣٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٩/١٤١ـ١٤٢.

رسول الله، ثم رد الكهف كما كان»[١].

الخامسة: عن جابر وأنس إن جماعة تنقصوا علياً عند عمر فقال سلمان: أوما تذكر يا عمر اليوم الذي كنت فيه وأبو بكر وأنا وأبو ذر عند رسول الله ﷺ وبسط لنا شملة وأجلس كل واحد منا على طرف وأخذ بيد علي عليه السلام وأجلسه في وسطها، ثم قال: قم يا أبا بكر وسلم على علي بالإمامة وخلافة المسلمين، وهكذا كل واحد منا، ثم قال: قم يا علي وسلم على هذا النور يعني الشمس فقال أمير المؤمنين عليه السلام أيتها الآية المشرقة السلام عليك فأجابته القرصة وارتعدت وقالت عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك أعطيت لأخي سليمان صفيك ملكاً وريحاً غدوها شهر ورواحها شهر اللهم أرسل تلك لتحملهم إلى أصحاب الكهف وأمرنا أن نسلم على أصحاب الكهف...إلخ[٢].

وجرياً على سنن ما سبق من تعقيب الحديث ببيان دلائله وبيناته وما يلتقي وإياه من روايات أعرض ما يلي:

أولاً: المشاركون في الرحلة:

فقد وردت أسماء كل من: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأنس، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير، وسعد، وطلحة، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وأبي ذر، وسلمان.

وفي بعض النصوص: «ادع العشرة فدعوهم»، والعشرة المبشرة بالجنة -كما يروون- هم: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، طلحة، الزبير، سعد بن

---

(١) بحار الأنوار ٣٩/١٤٢-١٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٩/١٤٣-١٤٤.

أبي وقاص، سعيد بن زيد، عبدالرحمن بن عوف، أبو عبيدة بن الجراح.

وفي جمع عدة من أصحاب رسول الله ﷺ -ممن له هوى في الإمام عليه السلام ومن لا يهواه- إثبات لأمرعظيم يقف عليه الطرفان ويشهدانه ويشاركان فيه لتكون الحجة أبلغ ويؤوب المنكر لفضل الإمام أبي الحسن ممن عُني بـ (وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ) وتذكيراً لمن يغلبه الهوى فيصده عن الحق ويتناسى الفضل لأهله، وقد أشارت إلى ذلك بعض الروايات وهي رواية عن جابر وأنس أن جماعة تنقصوا علياً عند عمر، فقال سلمان: أوما تذكر يا عمر اليوم الذي كنت فيه وأبو بكر وعمر وأنا وأبو ذر عند رسول الله ﷺ وبسط لنا شملة وأجلس كل واحد منا على طرف وأخذ بيد علي عليه السلام وأجلسه في وسطها...إلخ[1].

ثانياً: كلمة السر:

فقد جاء في الرواية: "فخلا به وأطال مناجاته ورسول الله يقطر عرقاً كهيئة اللؤلؤ ويتهلل حسناً" "فقال له: أسمعت يا علي ووعيت" "ثم قال له: قل ما أمرتك فوالذي بعثني بالحق نبياً لو شئت قلت على الجبل لسار، فحرك علي عليه السلام شفتيه، قال جابر: فاختلج البساط فمر بهم".

ولطول الخلوة ولجمال هيئة المناجي المصطفى إشارات لعالم من الأسرار يحمل هاتيك الآثار.

ثالثاً: رجوع أهل الكهف وعودهم للحياة:

وذلك من مظاهر قدرة الحي القيوم المبدئ المعيد والممكن لوليه طي

---

(١) (والرواية طويلة).

المسافات على بساط مسخر ومخاطبته لأهل الكهف وجوابهم إياه بل وكما في بعض النصوص جواب الكهف معهم، ولا غرو فإن من سخر له الرياح وأجابه البشر أنطق له الحجر "فصاح الكهف وصاح القوم من داخله بالتلبية".

رابعاً: أسلوب الخطاب:

تعاقب القوم على الدنو من الكهف فلم يدروا ما يقولون "فقال أبو بكر: يا علي ما أقول؟ فقال عليه السلام: قل: السلام عليكم أيها الفتية الذين آمنوا بربهم، السلام عليكم يا نجباء الله في أرضه" وقال لعمر: قم يا عمر ثم قل كما قال صاحبك، وهكذا قال بعده لعثمان.

وفي بعض نصوص الحديث أنهم صرخوا بأعلى أصواتهم ولم يجابوا أما علي فقد قام وصاح بهم بصوت خفي فانفتح باب الكهف ثم قاموا إليه فصافحوه، وقالوا: يا بقية الله في خلقه بعد رسول الله، ثم رد الكهف كما كان.

خامساً: غاية السفرة العجيبة:

فلم يكن جمع الرفقة وأصحابهم وإشخاصهم بالنحو المخصوص رحلة لاستكشاف آفاق السماء ولا جباية أطراف الأرض ولا لنزهة وسياحة، وإنما هو الوقوف على عالم عجيب هو إلى عالم الآخرة أقرب منه إلى الحياة الدنيا ويحمل علماً قاطعاً حول ما يقلق جملة من المجموعة الشاخصة، وأولئك الفتية أعني اصحاب الكهف بمنأى عن الابتلاء بصراعات واختلاف نفسيات وتشتت أهواء رجال حول النبي، فهي شهادة من أهل الآخرة تقضي عدلاً وتحكم فصلاً.

"عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخل أبو بكروعمر وعثمان على رسول الله فقالوا: مالك يا رسول الله تفضل علينا علياً في كل حال؟ قال: ما

أنا فضلته بل الله تعالى فضله، فقالوا: وما الدليل؟ فقال: ﷺ: إذا لم تقبلوا مني فليس من الموتى عندكم أصدق من أهل الكهف، وأنا أبعثكم وعلياً فاجعل سلمان شاهداً عليكم إلى أصحاب الكهف حتى تسلموا عليهم فمن أحياهم الله له وأجابوه كان الأفضل، قالوا: رضينا" الخ[1].

لماذا لم يجيبوا؟! وبماذا أجابوا من أجابوا؟

"فقال أبو بكر: سلهم مالهم سلمنا عليهم فلم يجيبوا؟ قال: سلهم أنت فسألهم فلم يكلموه، ثم سألهم عمر فليم يكلموه، فقالا: يا أبا الحسن سلهم أنت، فقال علي عليه السلام: إن صاحبي هذان سألاني أن أسألكم لم رددتم عليَّ ولم تردوا عليهما؟ قالوا: إنا لا نكلم إلا نبياً أو وصي نبي".

"فقالوا كلهم: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وعلى محمد رسول الله ﷺ خاتم النبوة منا السلام، أبلغه منا السلام، وقل له: قد شهدوا لك بالنبوة التي أمرنا قبل وقت مبعثك بأعوام كثيرة، ولك يا علي بالوصية، فأعاد علي عليه السلام سلامه عليهم فقالوا كلهم: وعليك وعلى محمد منا السلام، نشهد بأنك مولانا ومولى كل من آمن بمحمد ﷺ".

"فقام أمير المؤمنين عليه السلام بعدهم فصلى ركعتين ودعا ونادى: يا أصحاب الكهف، فصاح الكهف وصاح القوم من داخله بالتلبية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: السلام عليكم أيها الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى، فقالوا: وعليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه وأمير المؤمنين، لقد أخذ الله علينا العهد بإيماننا بالله وبرسوله محمد ﷺ وبالولاية يا أمير المؤمنين لك إلى يوم القيامة يوم الدين".

وقد ذكرت لهم إجابات أخرى نظير لما ذكر تدور في فلك إثبات

---

(١) م ن ١٤٤ـ١٤٥.

التأهيل الإلهي والاختيار الرباني لعلي الوصي خليفة النبي.

إذن فالإمامة والولاية غاية المقصد ونهاية الغاية وقد سخر لهما التصرف التكويني وجرى على يد رجل الولاية وبطل الإمامة ليقتلع بذلك الوسواس والهواجس ويزيل الرين فتعشو القلوب إلى نور الحق وتهتدي النفوس إلى سواء السبيل، وإلى صراط الله المستقيم.

سادساً: فضل سلمان المحمدي:

وهو من معادن الأسرار ومعاقل الإيمان ومن بلغ في العلم إلى مشاشه وكفاه شأناً أن عاد «سلمان منا أهل البيت» و«سلمان المحمدي».

وله في موضوعنا شأن يذكر.

أ- «ثم خلا رسول الله سلمان، فلما جاءه أسر إليه شيئاً، ثم قال له: اجلس في الزاوية الرابعة».

ب- «قال سلمان: فقمت وقلت لأبي بكر: يا أبكر أمرني رسول الله ﷺ أن نصرخ في هذا الكهف بالفتية اللذين ذكرهم الله في محكم كتابه ... ، ثم قلت لعمر: ...، ثم قلت لعبد الرحمن: ...، ثم قمت وصرخت بهم ...، ثم قلت لعلي بن أبي طالب عليه السلام: قم يا أبا الحسن... فإنه أمرني رسول الله أن آمرك كما أمرتهم».

ج- إن القوم يعرفون لسلمان منزلة حتى أنهم لما رأوا مناجاة الرسول ظنوا أن بمقدوره تسخير البساط فقالوا بعدما سمعوا حديث أهل الكهف: «يا أبا عبدالله ردنا، فقال: وماذاك إليّ».

د- «فقال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان: تقدم أنت وسلم عليهم، فقام وتقدم فقال مثل مقالة الثلاثة، وإذا بقائل يقول من داخل الكهف: أنت عبد امتحن الله قلبك بالإيمان وأنت من خير إلى خير، ولكنا أمرنا أن لا نرد إلا

على الأنبياء والأوصياء فجاء وجلس".

أقول: ولا منافاة بين سماعه لقول القائل من داخل الكهف وبين عدم ردهم عليه لإن الرد المقصود هو رد السلام وإثبات الحق والتمييز بالفضل. وفي ذلك جمع بين إمتياز سلمان المحمدي على القوم وانحيازه عن المقام الشامخ المخصوص بالوصي الولي.

سابعاً: تكرر الحدث العظيم:

فلعل الاختلاف في أعداد وأسماء شهود الحادثة واقتران موافاتهم وإدراكهم صلاة النبي صبحاً أو عصراً دليل على ذلك.

"توضؤا فإنكم مدركون بعض صلاة الصبح عند رسول الله ﷺ".

"وكان ذهابهم إلى الكهف ومجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر".

"قال السيد: يحتمل أن يكون من رواية واحدة فراواها أنس مختصرة وجابر مشروحة، ويحتمل أن يكون حمل البساط لهم دفعتين روى كل واحد ما رآه".

ثامناً: فتية الكهف والإمام المهدي عليه السلام:

"وزاد الثعلبي في هذا الحديث على ابن المغازلي: قال: فصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي عليه السلام فقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله -عز وجل- له، ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة".

تاسعاً: عطاء الله لوليه:

«عن زكريا الزجاجي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إن علياً كان فيما ولي بمنزلة سليمان بن داوود، قال له سبحانه: ﴿هَذا عَطاؤُنا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾»[1].

وبعد

فكم في بواطن روايات الحدث الجليل من أسرار، وكم فيه لولي الله من مقامات تقصر دون إدراكها ثواقب الأفكار، فسبحان الواهب وما أجل الموهوب.

---

(١) بحار الأنوار ١٤٧/٣٩، وقد اعتمدته فيما أوردنه من مقتطفات هذا التعقيب فراجعه ١٣٦ـ١٥٠. من الجزء المذكور.

٤/ الولاية التكوينية

وقبل الولوج في بحثها يحسن جداً التمهيد بما يلي:

من الضروري جداً لاستجلاء الحقيقة من تناول واستعراض كل ما له صلة بشأنها، وإلاّ فالبحث يبقى مبتوراً.

وقد مرّ صدر الكتاب ما أعتده عنصراً في موضوعنا، فسبق خلق أنوار الأولياء الهداة (محمد وآله) واصطفائهم في الذّر، وأخذ الميثاق، ولولاهم لما خلق الله الكون عناصر مقومة لذاتهم، وفاعلة في شامخ مقاماتهم.

إن استقراء المأثور مما نقله الموالي والمعادي عن نبعة الكمال ومصدر الخير رسول الهدى ﷺ وقد أحاط بالجليل والدقيق يكشف عن حقيقة كبرى وأسرار عظمى.

إن دراسة حياة الإمام والتركيز على مواهبه وما أقدره بارئه عليه، ومكّنه منه يلتقي جوهراً لا عرضاً وما نحن في سبيل عرضه.

والنظر في كافة شؤونه تكويناً، وتخليداً في كتاب الله، وعلى لسان الصادق الأمين رسول الله، وما حوى من ملكات، وجمع من كمالات، وأحاط به من أسرار، وكل ما يلتقي بمهامه في الدين والآخرة، النظر في كل هذا ونظائره يوقفنا على أبعاد من شخصيّة الإمام المرتضى.

الولاية لغة:

الوِلاية: الإمارة، والتولية والسلطان، والولي: الوالي، وكل من ولي أمراً فهو وليه، والوالي الذي يدبر الأمر، وكل من ولي عليك فهو مولاك، وأصل الكلمة من الولي وهو القرب، والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما

لم يجتمع فيها ذلك لم يطلق عليها اسم الوالي[١].

الوَلْي: القرب والدنو، الإمارة والسلطان، والمولى المالك[٢].

فالدلالة اللغوية تعني السلطان وتدبير الأمر والنفوذ والهيمنة على ما ولي عليه الولي الوالي، وبالطبع إذا جاءت بصيغة التفضيل (أولى) فالدلالة أقوى حيث أن ما كان للمرء من ولاية له عليه كنفسه وماله فمن أعطي الولاية أولى به من نفسه ومتعلقاته.

أقسامها وأنحاؤها:

وهي واسعة باتساع موضوعاتها كولي الصبي والمجنون والمرأة والدم والميراث مما حفلت بذكره كتب الفقه، مما لا يعنينا بحثه.

والذي يهمنا من أقسامها ثلاثة:

الأول: الولاية التشريعية:

وهي: تولي بيان أمور الدين كافتها وعامتها.

الثاني: الولاية على الناس في جميع شؤونهم وكافة أمورهم النظامية والسياسية والشخصية.

الثالث: الولاية التكوينية:

وهي الحكومة والهيمنة على سائر الموجودات والكائنات الإمكانية.

---

(١) مجمع البحرين ١/٤٥٥ـ٤٦٥.

(٢) القاموس المحيط ٤/٤٠١.

ونظراً لأن الغرض ليس استيعابها بالبحث بعرض أدلتها مفصلة ومناقشة منكريها فذلك ما يستدعي تخصصاً علمياً وتفرغاً يحيط بمسائلها ـ أكتفي بسوق جملة من دلائلها وشواهدها بنحو مجمل يلقي الضوء على أبعادها عامة دونما إفراد وتصنيف، وإن كان هو اللائق بالبحث، وأتعجل قبل ذلك بالتنصيص المؤكد على:

ركيزة البحث:

وهي أن معالجة هذا الموضوع ينطلق من الاعتقاد المحض واليقين الخالص أن (محمداً وآله) عليهم السلام عباد مخلوقون لا تدعى لهم ألوهيّة ولا ربوبيّة وليسوا شركاء للإله الخالق والرب المدبّر ومن بيده الموت والحياة ومنه المبدأ وإليه المعاد، وإنما هم الخيرة من البريّة، والمصطفون من الخلق أفاض عليهم خالقهم بما أقدرهم عليه من قدرات خارقات، وأخضع لهم الممكنات وهم تحت سلطانه وقبضته ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ونؤكّد على هذه الركيزة ونلح على استحضارها فالعقول عند كثير لا تقوى على إدراك هذه المعاني العالية، وبعض القلوب لا تحتمل هذه المقامات السامية، ومن ثَمّ نرى الناس بين إفراط وتفريط، والله العاصم وهو الهادي سواء السبيل، ولا حول ولا قوّة ولا عصمة ولا منعة إلا بالله.

وقبل عرض الأدلّة نقدّم هذا البحث توطئة وتمهيداً:

القرآن يقرر تمكين المولى لأوليائه من الولاية التكوينيّة:

والقرآن العظيم خير سند لإثبات ذلكم المقام الشامخ من الولاية

---

(١) سورة الأنبياء /٢٦ـ٢٧.

لجملة من أولياء الله وأصفيائه.

وإذا ما استعرضنا طرفاً من آياته وبيّناته فإننا نقف على جليل من الشأن حيث كان مجال تلكم الولاية أمر الموت والحياة والتصرف في الذاتيّات وما يرى أنه خارج عن دائرة القدرة البشريّة وما هو مختص بالله.

أجل وإنه لكذلك لولا أن المهيمن على الأمر كله القدير الجبّار مكّن من شاء بما شاء كيف يشاء.

فماذا حكى المولى عن هباته لأوليائه؟ وعلى أي شيء أقدرهم؟

هاهو يحدّثنا عن:

١ ـ إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فأراه ـ عظمت قدرته ـ دلائل إحياء الموتى على يديه بأن أمره بأخذ أصناف أربعة من الطير فقطّعها أجزاء وفرقها أشلاء ثم تولّى دعوتهن فاجتمعت الأجزاء من كل جبل فعدن إلى ما كانت عليه وسعين إليه سعياً.

وكان الله عزيزاً مالكاً أمر الموت والحياة، حكيماً في الخلق والإعادة وتمكين وليّه وخليله بإظهار قدرته على يديه.

٢ ـ عيسى المسيح عليه السلام:

---

(١) سورة البقرة /٢٦٠.

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

والله القادر المطلق الذي خلق الإنسان من طين ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾، ومنه الشفاء والدواء ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، وبيده الموت والحياة وهو علاّم الغيوب قد أظهر قدرته على يد عبد من عباده فأجرى نموذجاً من ذلك على يديه وفمه فشكل من الطين طيراً ونفخ فيه فكان طيراً حلّت فيه الحياة وشؤونها، وأعاد الحياة لفاقدها بعد الموت المحقق ومسح بيده على الأكمه والأبرص وهما داءان عضالان مستعصيان فعادا بريئين فإذا بالعين تنفتح وتبصر وإذا بالخلايا الميتة تحيا ويتبدل اللون إلى وضعه السوي.

وأوسع قلبه فأحاط بما يأكل كل فرد ويتناول ويجمع ويدخر، وما أدق وأجل وأجمل موقع (بإذن الله) وإلاّ فالعبد عاجز عمّا هو دون ذلك لولا المدد والإفاضة الحكيمة كما أوضحته الآية المباركة ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

أجل إن في ذلك لآية عظمى وقدرة لله لا تتناهى وبيّنات للمؤمنين.

---

(١) سورة آل عمران /٤٩.

(٢) سورة المائدة /١١٠.

٣ـ موسى الكليم عليه السلام:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ۞ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[1].

أرأيت الصورة المعبّرة عن واقع الإنسان في ذاته والعصا في طبيعتها ثم ما آلت إليه ثعباناً إذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون تبطل السحر الذي جاؤوا به وهو سحر عظيم.

وتلك اليد التي إذا ضمّها فهي اللحم والعروق والدم والجلد يكسوها وإذا أخرجها تحوّلت نوراً أبيض من غير سوء في تبدّلها وتحوّلها.

وذلكم برهان القدرة وبيان القوّة والحجّة (ولله الحجّة البالغة) عزّاً للأولياء وذلاً للأعداء لا يستطيعون لدفعها حيلة ولا إلى إبطالها وسيلة، فسبحان القادر الواهب والآخذ السالب.

ولتلك العصا فعل عجيب آخر حينما تعلّقت به إرادة من بيده الحَوْل والطول وأجرته على يد كليم الله ـعليه سلام اللهـ فصدر منه بها ما يشبه الأضداد.

أـ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[2].

فضربة واحدة تقهر الأمواج المتلاطمة وينزوي الماء إلى الماء ويتم

---

(١) سورة القصص /٣١ـ٣٢.

(٢) سورة الشعراء /٦٣.

انفصال بعد تمام اتصال، فإذا البحر أرض يابسة سالكة الدرب آمنة من هيجان تلكم الأمواج حتى ينفصل عنها عباد الله أتباع كليمه سالمين غانمين، ثم تتلاطم فتأتي على جنود مدّعي الربوبية فرعون فتغرقهم، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[1].

ب- وتشاء القدرة المطلقة التي لا يعجزها شيء أن تضرب الحجر الصم فيتفجّر عيوناً عذبة سائغة الشراب.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[2].

فسبحانه عظيم القدرة مكّن وليّه فأقدره على العجيب المحيّر بضرب عصا تجعل البحر يبَساً والصخرة تنفجر أمواجها عذبة، تلكم طرق وهذه عيون.

وهكذا رأينا عجيب شؤون تلكم العصا، فهي تبطل السحر وتلقف ما يأفكون، وتفعل في البحر، والصخر، وفيها مآرب أخرى.

٤ـ٥ـ داوود وسليمان عليهما السلام:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ

---

(١) سورة طه /٧٧ـ٧٨.
(٢) سورة البقرة /٦٠.
(٣) سورة الأنبياء /٧٩.

الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۞ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ۞ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[3].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۞ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[4].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ

---

(١) سورة سبأ /١١.
(٢) سورة النمل /١٥ـ١٩.
(٣) سورة ص /٣٥ـ٤٠.
(٤) سورة الأنبياء /٨١ـ٨٢.

وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۞[1].

لقد كرّم الله نبيّيه الجليلين فبسط لهما من قدرته طرفاً فكانا بذلك وفي ذلك مظهراً لسلطان الله ودليلاً على هيمنته.

وألخص ما حفلت به الآيات فيما يلي:

أ ـ مواطن التمكين المحدّدة:

١ ـ تسخير الجبال.
٢ ـ تسخير الطير.
٣ ـ إلانة الحديد.
٤ ـ تسخير الريح.
٥ ـ تسخير الجن.
٦ ـ تسخير الشياطين.
٧ ـ العلم بمنطق الطير.
٨ ـ العلم بمنطق النمل.

ب ـ مواطن التمكين المطلقة:

١ ـ العلم.
٢ ـ التفضيل على كثير من المؤمنين.
٣ ـ الإيتاء من كل شيء.
٤ ـ هبة الملك الواسع.
٥ ـ العطاء العريض يبسط فيه ويقبض كيف يشاء.

أرأيتم آثار قدرة الله ونفوذ أمره حيث ملّك بعض عباده التصرف في الكون والمكونات العاقلة وغيرها، تأتمر عند أمره وتقف دون نهيه نافذ فيها حكمه.

---

(١) سورة سبأ /١٢ـ١٣.

وأما ما أجمل ولم يحدد فهو ذو سعة وانتشار يعم شؤوناً جمة في عالم الخلق الفسيح كما تنصّ عليه ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، ﴿هَـذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٦ـ وصي سليمان:

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

والناظر في مقاطع سورة النمل المباركة في ما يتّصل بهذه القصة العجيبة تستوقفه للتأمّل الدقيق شؤون ثلاثة:

الأول: الهدهد:

فهو من زمرة طيور في مملكة سليمان عليه السلام وتحت قبضته يأتمر بأمره، تفقده وقد طار بعيداً وغاب طويلاً وعاد يحمل نبأ عجيباً غريباً حكاه بمنطقه الذي يعلمه نبي الله المعظّم، وحدّث بتفاصيل دقيقة وأخبار مثيرة، ثم بعثه في مهمّة يحمل رسالة عظيمة، تتعلّق بما رأى وروى.

الثاني: عفريت الجن:

وقد كان في الملأ الذي ضمّه مجلس نبي الله ومن المسخّرين لإنفاذ مهامه فأعلن بكل ثقة النهوض بما يوكل إليه من إحضار عرش ملكة سبأ في فترة لا تتجاوز انفضاض ذلكم الجمع وقيام النبي عليه السلام من مقامه، والذي ربما كان قريباً جدّاً.

---

(١) سورة النمل /٤٠.

الثالث: آصف بن برخيا:

ومن مؤهلاته أن لديه علماً من الكتاب وهو بذلك قادر على إحضار العرش فيما لا يكاد يتصوّر قلة من الزمان (قبل ارتداد الطرف)، ونبي الله قد علم قدرته وصدقه فطفق يثني على الله ويشكره على أفضاله ومننه[1].

وبعد .... فذلك طير، وذاك جني، وهذا إنسي، وكل يملك قدرة عجيبة وإمكانات هائلة، وكافتهم ضمن مملكة نبي الله سليمان عليه السلام وتحت سلطانه ودون رتبته.

كتب (يحيى بن أكثم) قاضي الدولة العباسية أسئلة كثيرة إلى موسى المبرقع وكان من جملتها السؤال: أنبي الله كان محتاجاً إلى علم (آصف)؟ فرفعها موسى إلى أخيه الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام وجاء في جوابها: «سألت عن قول الله -عز وجل- ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان من معرفة ما عرف، لكنه أحبّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهّمه الله ذلك لئلاّ يختلف في إمامته ودلالته كما فهّم سليمان في حياة داوود ليعرض إمامته ونبوّته من بعده لتأكيد الحجّة على الخلق».

والسر في تلكم القدرات الهائلة والصنع العجيب والعمل المثير المحيّر يعود لذي الجلال والحول والطول فهو الذي خلق وسوّى وقدّر وهدى ومكّن أضعف خلقه بما لا يقوى أقواهم على دفعه ومنعه[2]، وذلكم برهان السلطان المطلق والإرادة النافذة القاهرة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ

---

(١) آيات هذه الملحمة: سورة النمل /٢٠-٤٤.

(٢) لا تَحْقرَنَّ صغيراً عند رؤيتهِ إن البعوضةَ أدْمَتْ هامةَ الأسدِ

كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

النص القرآني:

الآية الأولى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

وقد دلّت الآية المباركة على أمور:

١ـ حصر الأولياء:

الله، رسوله، الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

٢ـ ترتيب الأولياء:

فالله ـجلّ وعلاـ الولي المطلق، وهو سبحانه جاعل رسوله وليّاً وجاعل المخصوص من المؤمنين وليّاً.

ومعلوم أن ولاية المولى الأعلى ـجلّ وعلاـ بالأصالة، وولاية رسوله والمخصوص من المؤمنين به بالتبع ومن قِبَلِه.

٣ـ الولاية المطلقة:

إن الولاية مطلقة فلم تحدد بمورد ولم تعلّق بشيء، ولا بد من سنخية

---

(١) سورة يس /٨٢.

(٢) سورة المائدة /٥٥.

تجمع بين ولاية الأولياء، وإن ترتبت الولايات فيها وهو أمر مقطوع به إلا أن الاشتراك في الولاية والحصر بتقديم الخبر «وَلِيُّكُمُ» بصيغة واحدة عن المبتدآت المنعطفات يقرر الإطلاق والسنخيّة.

نعم إن ما اختصّ بعالم الألوهيّة والربوبيّة فلا يشارك مخلوق خالقه، وكذا ما اختصّ بشؤون النبوّة والرسالة فلا يشارك فيه الوصيُّ النبي وذلك معلوم بالضرورة.

فولاية رسول الله ﷺ على كل ما سوى الله ـ جلّ جلاله ـ وولاية المؤمن الخاص على كل ما سوى الله ورسوله.

إن الخطاب في (وَلِيُّكُمُ) وإن كان ظاهره متعلّقاً بالمشافهين إلاّ أن واقعه أعمّ من ذلك وأشمل، إذ ليست دائرته محدودة بهم، بل هي الحقيقة المقررة لذات (الولاية) فكما أن الله ـ جلّ وعلا ـ هو الولي على كافة من خلق وما خلق، فكذلك محمد المصطفى ولي الله المطلق، وكذلك علي المرتضى ولي الله المطلق.

فالولاية في عمق الزمان والمكان وعوالم الإمكان مستطيلة شاملة، وليست وظيفة محدَثة ولا مهمّة مخترَعة في ظرف طارئ متأخّر.

نعم المخاطبون هم متعلق التكليف، والظروف القائمة آنذاك سبب النزول وبواعث التنزيل، لا أنها موجبة للاتصاف والتحلّي بالصفة، فلولاها لم يكن وليّاً ولا مستحقاً للولاية.

وهذا مقتضى انشعاب ولاية النبي والمؤمن المخصوص من ولاية الله العظمى وسلطانه الأكبر.

قال العلاّمة الطباطبائي:

«وإذا فرضت الولاية ـ وهي القرب الخاص ـ في الأمور المعنويّة كان

لازمها أن للولي ممن وليه ما ليس لغيره إلاّ بواسطته، فكل ما كان من التصرّف في شؤون من وليه مما يجوز أن يخلفه فيه غيره فإنما يخلفه الولي لا غيره ...، والله سبحانه ولي عباده يدبر أمرهم في الدنيا والآخرة لا ولي غيره، وهو ولي المؤمنين في تدبير أمر دينهم بالهداية والدعوة والتوفيق والنصرة وغير ذلك، والنبي ولي المؤمنين من حيث أن له أن يحكم فيهم ولهم وعليهم بالتشريع والقضاء، والحاكم ولي الناس بالحكم فيهم على مقدار سعة حكومته ... وقد اشتمل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلخ من السياق على ما يدل على وحدة ما في معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمّن العد في قوله: ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ وأسند الجميع إلى قوله: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ وظاهر كون الولاية في الجميع بمعنى واحد، ويؤيّد ذلك أيضاً قوله في الآية التالية: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ حيث يشعر أو يدل على كون المتولين جميعاً حزباً لله لكونهم تحت ولايته، فولاية الرسول والذين آمنوا إنما هو من سنخ ولاية الله[1].

الآية الثانية:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2].

فكل ما كان للمؤمن من ولاية على نفسه من حرية واختيار وإرادة وتصرّف في كافة شؤونه مما لا يصح ولا يجوز لأحد سواه مشاركته أو مزاحمته فيه فإن لنبي الله ﷺ الولاية والأولويّة في ذلك كلّه، وهي «حاكمة على الولاية الذاتية التي للناس على أموالهم وأنفسهم وسائر ما يتعلّق بهم، بل وعلى العرضية المجعولة لهم بسبب الأبوّة والرقية والزوجيّة ونحوها، فهي دون ولاية الرب لكونها قائمة به ومجعولة بجعله، وفوق ولاية المربوب لكونها

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٦/١٢.

(٢) سورة الأحزاب /٦.

استخلافية من الرب على نحو الأولويّة على غيره»[١].

وإذا ما نظرنا إلى منزلة الإمام الوصي من الرسول النبي وأنه نفسه وأنه أقامه مقامه وأسند إليه أمره وجعله أولى بالناس من أنفسهم ـ كما سيأتي في النصوص ـ فتثبت بذلك ولايته عليه السلام على كافة الأنام، وتكون الأولويّة مشتركة على حذو الاشتراك في آية الولاية السابقة.

ولا يفوتني الالتفات إلى الإطلاق وحذف المتعلّق في الآيتين الكريمتين فالإمام ولي مطلق، والأولى المطلق.

الآية الثالثة:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾[٢].

وقضاء رسول الله صلى الله عليه وآله قضاء الله، وكما أنه نافذ لا مردّ له فكذلك هذا، ولا اختيار لأحد قبال اختياره في أي أمر من الأمور، بل اختيارهم مسلوب باختياره وإرادته غالبة على إرادتهم، والأمر مطلق غير مقيد بشيء ولا معلق على شيء، وإلاّ فهو العصيان والضلال المبين.

وسبب النزول يوضح شأناً ومورداً من موارد الولاية والحاكمية.

ولعل في قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾، الآية. إفادة لذلك حيث تنفي الآية الإيمان عمّن يخالطه نوع من عدم الرضا الباطني والإذعان القلبي بحكومة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) ولاية الأولياء /٤٤ـ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب /٣٦.

النص الروائي:

والنصوص الروائية تؤكّد حقائق القرآن وتشرحها وتفصّل مجملاتها وهي من الوفرة والكثرة بحيث استوعبت جزءاً كبيراً تصدّى بعض الباحثين فجمعها في مجلّد ضخم[1].

ولست بصدد استيعاب ذلك كله وحصره، ولكني ذاكر نماذج تقرر تلكم الحقيقة الكبرى وما اختص به المولى ـجلّ وعلاـ سادات الأولياء غير مراعٍ في ذلك تصنيفاً معيّناً وتبويباً مخصوصاً مركّزاً على الروايات الموسومة بالصحة والحسن والاعتبار:

١ ـ خُزّان الله ولولاهم لما عُبِد الله:

«عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله ـعزّ وجلّـ خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا خُزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عبد الله ـعزّ وجلـ ولولانا ما عُبد الله»[2].

٢ ـ ومن بركاتهم على الوجود:

«عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم ... «وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِه»، «لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِه وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّه وَعَالَمِه»، «يَمُدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ

---

(١) يقرأ السيّد على عاشور في كتابه (آل محمد بين قوسي النزول والصعود) ـالولاية التكوينية والتشريعيةـ.

(٢) الكافي ١/١٩٣ ح٦.

أَسْبَابِه»، «فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِه مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَيَجْتَبِيهِمْ وَيَرْضَى بِهِمْ لِخَلْقِه وَيَرْتَضِيهِمْ»، «إِمَاماً قَيِّماً وحُجَّةً عَالِماً»، «حُجَجُ اللَّهِ ودُعَاتُهُ ورُعَاتُهُ عَلَى خَلْقِه، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلادُ، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلادُ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَيَاةً لِلأَنَامِ،... ودَعَائِمَ لِلإِسْلامِ، جَرَتْ بِذَلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى مَحْتُومِهَا»، «اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِه فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ، وفِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ، ظِلا قَبْلَ خَلْقٍ نَسَمَةً عَنْ يَمِينِ عَرْشِه، مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ،... بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ عليه السلام، وخِيَرَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، ومُصْطَفًى مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وسُلالَةً مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وصَفْوَةً مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»، «وجَاءَتِ الإِرَادَةُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ إِلَى مَحَبَّتِه، وبَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّةِ والِدِه عليه السلام فَمَضَى وصَارَ أَمْرُ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِه، وقَلَّدَهُ دِينَهُ وجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِه، وقَيِّمَهُ فِي بِلادِه، وأَيَّدَهُ بِرُوحِه وآتَاهُ عِلْمَهُ،... واسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ، وانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ،... واسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ»[1].

٣- والحجر الأسود ينطق بحجة الإمام:

«وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل فيما جرى بين محمد بن الحنفيّة والإمام علي بن الحسين عليهما السلام: إن أبي يا عم -صلوات الله عليه- أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إن الله -عزّ وجل- جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك، قال أبو جعفر عليه السلام وكان الكلام بينهما بمكّة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفيّة: ابدأ أنت فابتهل إلى الله -عزّ وجل- وسله أن ينطق لك

---

(١) الكافي ١/٢٠٣ ح٢.

الحجر ثم سل، فابتهل محمدٌ في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه فقال علي بن الحسين عليهما السلام يا عم لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك، قال له محمد: فادع الله أنت يا ابن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين عليهما السلام بما أراد ثم قال: أسالك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟ قال: فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله -عزّ وجل- بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولّى علي بن الحسين عليه السلام»[1].

٤ـ والجنّ خدّامهم:

«عن سدير الصيرفي قال: أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له من المدينة فخرجت فبينما أنا في فج الروحاء على راحلتي إذا إنسان يلوي ثوبه قال: فملت إليه، وظننت أنه عطشان فناولته الأداوة فقال لي: لا حاجة لي بها وناولني كتاباً طينه رطب، قال: فلمّا نظرت إلى الخاتم إذا خاتم أبي جعفر عليه السلام، فقلت: متى عهدك بصاحب الكتاب قال: الساعة، وإذا في الكتاب أشياء يأمرني بها، ثم التفتُّ فإذا ليس عندي أحد، قال: ثم قدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته فقلت: جعلت فداك رجل أتاني بكتابك وطينه رطب فقال: يا سدير إن لنا خدماً من الجنّ فإذا أردنا السرعة بعثناهم»[2].

٥ـ يابس النخل يطعمهم جنياً:

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي عليهما السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا في منهل من تلك

---

(١) الكافي ١/٣٤٨ ح٥.
(٢) الكافي ١/٣٩٥ ح٤.

المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة وفرش للزبيري بحذاه تحت نخلة أخرى، قال: فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن: وإنك لتشتهي الرطب؟ فقال الزبيري: نعم، قال: فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرّت النخلة ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً، فقال الجمّال: الذي اكتروا منه سحرٌ والله، قال: فقال الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مستجابة، قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيه فكفاهم»[1].

٦ـ ويحي الميّت بإذن الله:

وعن عبد الله بن المغيرة قال: مرّ العبد الصالح بامرأة بمنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون وقد ماتت لها بقرة، فدنا منها ثم قال: ما يبكيك يا أمة الله؟ قالت: يا عبد الله إن لنا صبياناً يتامى وكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها وقد ماتت وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة لنا، فقال: يا أمة الله هل لك أن أحييها لك؟ فألهمت أن قالت: نعم يا عبد الله، فتنحّى وصلّى ركعتين ثم رفع يده هنيئة وحرّك شفتيه، ثم قام فصوّت بالبقرة فنخسها نخسة أو ضربها برجله، فاستوت على الأرض قائمة، فلمّا نظرت المرأة إلى البقرة صاحت وقالت: عيسى بن مريم ورب الكعبة، فخالط الناس وصار بينهم ومضى عليه السلام[2].

٧ـ لجلال الإمامة هيمنة ونفوذ:

«في حديث طويل يحكي مقتل الفضل بن سهل ذي الرياستين وقد كان كتب له أخوه الحسن أنه نظر في تحويل السنة في حساب النجوم وما

---

(١) الكافي ١/٤٦٢ ح٤.
(٢) الكافي ١/٤٨٤ ح٦.

يجري عليه من بلاء ورأى له أن يدخل هو والمأمون والإمام الرضا عليه السلام الحمّام ويحتجم ويصبّ على يديه الدم ليزول عنه النحس فكتب الحسن بذلك إلى المأمون وكتب المأمون للإمام فأبى الإمام وعاوده وأبى معتذراً بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: (يا علي لا تدخل الحمّام غداً) وكان الإمام عليه السلام يدعو ويأمر من معه بالدعاء قائلين: (نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذه الليلة) مكثرين من ذلك، فلمّا صلّى الرضا عليه السلام الصبح قال لياسرٍ خادمه: (اصعد السطح فاستمع) فلمّا صعد سمع الضجّة والتحمت وكثرت فإذا بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار الإمام وهو يقول: يا سيّدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل فإنه قد أبى وكان دخل الحمّام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه، واجتمع الجند والقوّاد ومن كان من رجال الفضل على باب المأمون فقالوا: هذا اغتاله وقتله ـيعنون المأمونـ ولنطلبنّ بدمه وجاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب، فقال المأمون لأبي الحسن عليه السلام: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وتفرّقهم قال: فقال ياسر: فركب أبو الحسن وقال لي: اركب فركبت فلمّا خرجنا من باب الدار نظر إلى الناس وقد تزاحموا، فقال لهم بيده تفرّقوا تفرّقوا، قال ياسر: فأقبل الناس واللهِ يقع بعضهم على بعض، وما أشار إلى أحد إلا ركض وفرّ»[1].

٨ـ ويبرأ الأكمه بإذن الله:

«عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قلت فرسول الله وارث الأنبياء علم كل ما علموا؟ فقال لي: نعم، فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم بإذن الله، ثم قال: ادن مني يا

---

(١) الكافي ١/٤٩٠ ح٨.

أقول: اعتمدت اعتبار هذه الروايات على ما ذكره شيخ الإسلام المجلسي ـرضوان الله عليهـ في شرحه: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول.

أبا محمد، فمسح بيده على عيني ووجهي وأبصرت الشمس والماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار، قال: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً، قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال علي (ابن أبي الحكم): فحدّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أن هذا حق كما أنّ النهار حق»[1].

٩ـ ويقدرون على ما قدر عليه الأنبياء:

«عن إبراهيم عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث الأنبياء كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم عليه السلام حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيّاً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحي الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داوود عليه السلام كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داوود عليه السلام قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره فقال: ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين حين فقده فغضب عليه فقال: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وإنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعطَ سليمان، وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطّع به البلدان وتحيى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن كان في

---

(١) بصائر الدرجات /٢٨٩، والكافي ١/٤٧٠ وفيه إفراد دخول أبي بصير على الإمام أبي جعفر عليه السلام، والحديث حسن أو صحيح.

كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاها الله الماضين النبيين والمرسلين إلا وقد جعله الله ذلك كلّه لنا في أم الكتاب، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ثم قال ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فنحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء»[1].

١٠ ـ الاستئثار بالاسم الأعظم:

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية، وجميع ذلك كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحد»[2].

١١ ـ أمان الوجود ومصدر خيره:

«عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: نحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج

---

(١) بصائر الدرجات /١٣٤، الكافي ١/٢٢٦ ح٧.
وفي نسخة الكافي: «وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا»، وتفترق الروايتان سنداً في بعض رجالهما وقد وثّق الشيخ جلال الدين رواية بصائر الدرجات فراجع الولاية التكوينية /١١٧.

(٢) بصائر الدرجات /٢٢٩، وقد أورد في المقام (١٠) روايات وفيها مضافاً إلى ذلك ما صحّ سنده فراجع: الولاية التكوينيّة بين الكتاب والسنة /١٣١.

بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها»[١].

الحقائق والآثار:

ونستخلص من الروايات الآنفة -وهي غيض من فيض- جملة من الحقائق والآثار نركّز منها على ما يلي:

أولاً: امتياز الصفوة في الخلق:

أ- فهم البقيّة، والخيرة، والمصطفون، والسلالة، والصفوة من العترة لسادات الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ب- اصطنعهم على عينه في كافة العوالم: في الذرِّ حين ذرأهم، وبين الملأ حين برأهم، وفي عالم الأضلة قبل الخلق عن يمين العرش «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين».

ثانياً: التأهيل:

أ- خزّان علم الله في أرضه وسمائه.

ب- ألبسهم تاج الوقار وغشّاهم بنور الجبار وجللهم بالمهابة.

ج- يمد بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه مواده.

د- رضى للخلق ومرتضى.

هـ- مزوداً بالعصمة الإلهيّة الكبرى.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة /٢٠٧.

و- محاطاً بالحفظ والكلاءة مرعياً بعين الله مؤيداً بروحه.

ثالثاً: إقامتهم للأهم الأعظم:

أ- فلولاهم لما عُبد الله سواء في العالم الأعلى أو الملأ الأدنى فقد كبّروا وسبّحوا وحمدوا فتعلّمت منهم الملائكة التكبير والتسبيح والتحميد ومنهم تعلم الخلق عبادتهم لربّهم في صلاتهم وأداء مناسكهم ومناجاة خالقهم.

ب- أبواب علم الله ومفاتيح دينه، فلا ينال ما عند الله إلا من وجهتهم ولا يقبل عبادة عابد وإن أكدَّ نفسه وأجهد بدنه إلا بمعرفتهم.

ج- الأئمة القيمون فهم الحجج والدعاة والرعاة في البلاد والعباد.

د- مظاهر جلال الله ودلائل قدرته، فالجماد ينطق بإمامة الله فيهم، والنبات ينبئ عن علو مقامهم، والملائك خدم لهم، والجنّ مسخّر لإرادتهم، والاسم الأعظم الأكمل وقف عليهم إلا ما اختصّ به الأجل الأعلى -تبارك وتعالى-، فلا غرو لو مرّت يدهم على أكمه فأبصر، وجرى لسانهم بدعوة تحيي بها الموتى، ويشفى المريض، وتقضى الحاجة، فأزمة أمر الله في قبضتهم ومشيئته -جل وعلا- وفق مشيئتهم، وطوع رغبتهم يعنو لهم القدر.

رابعاً: الأولويّة:

وهم -صلوات الله على أرواحهم الطيبة- بما خصّوا به من شأن في الخلق وميّزوا بهم من ألطاف، وأنيط بهم من مهام في الكون كله والوجود بأجمعه وبكل مؤهلاتهم العظمى فاقوا سادات الأنبياء وصفوة الرسل.

وبمقتضى التفضيل وتمايز المنزلة وتفاوت الرتب يجري على يدهم أجل وأوفر مما جرى على يد أولئك النخبة البررة، فما ثبت للمفضول فثبوته للأفضل أحرى وأولى.

ومن الخير التركيز على ركيزة واحدة توضّح الحقيقة وتكشفها بجلاء ألا وهي (العلم) ومدى تأثيره وفاعليّته.

علمهم وعلم الأنبياء:

١ـ «عن أبي جعفر عليه السلام ما بعث الله نبياً إلاّ أعطاه من العلم ما خلا النبي صلى الله عليه وآله فإنه أعطاه من العلم كلّه فقال: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال: ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ولم يخبر أن عنده علم الكتاب، والمن لا يقع من الله على الجميع، وقال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فهذا الكل ونحن المصطفون، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ فهذه الزيادة التي عندنا من العلم الذي لم يكن عند أحد من الأوصياء والأنبياء ولا ذرية الأنبياء غيرنا، فهذا العلم علمنا البلايا والمنايا وفصل الخطاب»[1].

٢ـ «قال أبو جعفر عليه السلام يمصون الثماد (الماء الذي لا مادة له) ويدعون النهر العظيم، قيل له: ومن النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيين بأسره وأن رسول الله صلى الله عليه وآله صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له رجل: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فأمير المؤمنين أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام اسمعوا ما يقول، إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثت أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيين وإنه جعل ذلك كله عند أمير المؤمنين وهو يسألني هو أعلم أم بعض النبيين»[2].

٣ـ «قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى عليهم السلام؟ قلت: جعلت فداك ومن أي الحالات تسألني؟ قال

---

(١) تفسير فرات الكوفي /١٤٥، وبحار الأنوار ٢٦/٦٥.

(٢) الكافي ١/٢٢٢.

عليه السلام: أسألك عن العلم، فأمّا الفضل فهم سواء، قال: قلت: جعلت فداك فما عسى أن أقول فيهم؟ فقال عليه السلام: هو والله أعلم منهما، ثم قال: يا عبد الله أليس يقولون: إن لعلي ما للرسول من العلم؟ فقال: قلت: بلى، قال: فخاصمهم فيه، قال: إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال لموسى: ﴿وكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فأعلمنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ لمحمد صلى الله عليه وآله ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾»[1].

٤ ـ «قال أبو جعفر عليه السلام لقد سأل موسى العالِم مسألة لم يكن عنده جوابها، ولو كنت بينهما لأخبرت كل واحد منهما بجواب مسألته، ولسألتهما عن مسألة لا يكون عندهما جوابها»[2].

٥ ـ من حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام جاء فيه:

«يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال: قلت: جعلت فداك قد قرأت، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: فأخبرني أفهم، قال: قدر قطرة الثلج في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا، قال: فقال لي يا سدير ما أكثر هذا لمن ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ـ عزّ وجل ـ ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: قلت: قد قرأته، جعلت فداك، قال: فمن عنده

---

(١) بحار الأنوار ١٧/١٤٥، وروى ذلك وغيره محمد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات /٢٤٧ـ٢٤٩.

(٢) بصائر الدرجات /٢٤٩، وقد أورد عدّة روايات في ذلك.

علم من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب، قال: بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال فأومئ بيده إلى صدره، قال علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا»[١].

٦ـ عن أبان الأحمر قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال: لو شئت لرفعت رجلي هذه وضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره، ولا ينكرون تناول آصف وصي سليمان عرش بلقيس وإتيان سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه، أليس نبينا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان، حكم الله بيننا وبين من جحد حقنا وأنكر فضلنا[٢].

٧ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم وما أوتي من الملك، فقال لي: وما أعطي سليمان بن داوود، إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب، فقلت صدقت والله جعلت فداك[٣].

طريفة:

قال المستنصر العباسي لمحمد الأقساسي ـوهما في طريقهما إلى زيارة سلمان الفارسيـ: إن من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من مجيء علي بن أبي طالب من المدينة إلى المدائن لما توفي سلمان وتغسيله إيّاه ورجوعه في ليلته

---

(١) بصائر الدرجات /٢٥١، والكافي ١/٢٥٧ باختلاف ما.
(٢) الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة /١١٣ واصفاً الرواية بالصحة أو الوثاقة.
(٣) الولاية التكوينيّة /١٠٢.
وقد أورد المؤلفان المحترمان جملة من الروايات المعتبرة فليراجع راغب المزيد في الأول من ص١١٣ إلى ص١٢٣، وفي الثاني من ص١٠٢ إلى ١٠٣.

إلى المدينة، فأجابه ابن الأقساسي على البديهة بقوله:

أنكرتَ ليلةَ إذْ سارَ الوَصِيُّ على ... أَرْضِ المدائِنِ لَمَّا أَنْ لها طَلَبا
وغَسَّلَ الطُّهْرَ سلماناً وعادَ إلى ... عراص يثربَ والإِصْباحُ ما وَجَبا
وقلتَ ذلكَ مِنْ قولِ الغلاةِ فما ... ذَنْبُ الغُلاةِ إذا لَمْ يُورِدُوا كَذِبا
فآصفٌ قبلَ رَدِّ الطَّرْفِ مِنْ سبأٍ ... بِعَرْشِ بلقيسَ وافى يخرقُ الحُجُبا
فأنتَ في آصفٍ لَمْ تَغْلُ فيهِ بلى ... في حيدرٍ أنا غالٍ إنَّ ذا عَجَبا
إنْ كانَ أحمدُ خيرَ المُرْسَلِينَ فذا ... خيرُ الوَصِيِّينَ أَوْ كُلُّ الحديثِ هبا[1]

وبعد ..

فلصفوة الخلق (محمد وآله) المنزلة العظمى والولاية الكبرى، فلذواتهم سر عظيم ينفذ في أعماق الكون ولتصرفاتهم أسرار وأسرار، فمنهم البركات وعلى يدهم تجري الخيرات، وهم أمان البلاد والعباد وقوام الكون وركنه.

ولولاهم لما خلق الوجود، ولولاهم لاختلّ نظام الكون فتقع السماء على الأرض وتسيخ الارض بأهلها، ولا يعرف ما هم إلا من اصطفاهم.

---

(١) بحار الأنوار ٩٩/٢٧٨.

كتاب فضل تورا آب كافي نيست

كه تركنم سر انكشت وصفحه بشمارم

أي أن ماء البحر لا يكفي لكي أبلـل بـه أنـاملي فأعد كتاب فضلك.

منتهى الآمال ١/٢٨٥

والذوات المميزة محبوبة عند الله وعند صفوة خلقه.

والإمام عليه السلام ممن حظي بأعمق المودة والحب لدى بارئه، وحبّبه إلى أفضل بريته فتعلقوا بالشوق إليه والتفاخر بقربه.

والملأ الأعلى والعالم الأسمى معمور بخلق الله البديع من الملائكة المقربين على تفاوت رتبهم ومقاماتهم، يتغلغل في أعماق وجودهم المقدس حب الإمام واللهج بذكره والأنس به.

وعالم الملائكة من صقع الغيب ومكنونه، فهم من مقولة الأنوار، محاطون بستر الأسرار.

ولا سبيل إلى اكتشاف ذلك العالم ونمط علائقه وارتباطه إلا بما يفيضه الراسخون في العلم العالمون بتأويله الواقفون على الحقائق.

فلا محيص عن التماس ذلك من معدنه وأخذه من موطنه، فيمدنا بمصدر تعريف بجنبة من جنبات هذه الشخصية الإلهية تنضم إلى لداتها ونظائرها الكثر مما حفلت به الذات المميزة.

وقد أوردت في صدر الكتاب وثناياه شطراً مما يناسب هذا الباب، وربما اقتضى المقام إعادتها.

ولست في صدد الإحاطة بها واستيعابها فذلك ما لا أقوى على جمع المبثوث في مجاميع الحديث، وهو من الوفرة ما يستوعب كتاباً ضخماً، ولكني مورد بعضه مما يحكي كله.

والطريف في الأمر أن تلكم الروايات ليست مما انفردت بها فئة موالية وأمة مشايعة، بل اجتمع على تدوينها المؤالف والمخالف، كما جرى ذلك في شأن الإمام بأجمعه.

فإلى شذرات من تلكم الروايات وباقات من هاتيك الأحاديث.

الأولى: خلق الملائكة من نور وجهه:

أ- «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله تعالى من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك، يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة»[1].

ب- «عن عثمان بن عفان قال: قال عمر بن الخطاب: إن الله تعالى خلق ملائكة من نور وجه علي بن أبي طالب»[2].

الثانية: أول من آخاهم منهم وأحبه:

«عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرافيل، ثم ميكائيل، ثم جبرئيل، وأول من أحبه من أهل السماء حملة العرش، ثم رضوان خازن الجنان، ثم ملك الموت، وإن ملك الموت ليترحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء عليهم السلام»[3].

الثالثة: برد إيمانه وصل إلى قلب جبرئيل:

«عن أبي عبيد -صاحب سليمان بن عبد الملك- قال: بلغ عمر بن عبد العزيز: أن قوماً تنقصوا علي بن أبي طالب عليه السلام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وذكر علياً وفضله وسابقته، ثم قال: حدثني عراك بن مالك الأنصاري عن أم سلمة قالت: بينا رسول الله ﷺ

---

(١) المناقب للخوارزمي /٧١.
(٢) المناقب للخوارزمي /٣٢٩.
(٣) المناقب للخوارزمي /٧٢.

عندي إذ أتاه جبرئيل فناداه، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، فلما سرى عنه قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أضحكك؟ فقال: أخبرني جبرئيل: أنه مر بعلي عليه السلام وهو يرعى ذوداً[1] له، وهو نائم قد أبدى بعض جسده، قال: فرددت عليه ثوبه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي»[2].

الرابعة: أحق بالنبي من جبرئيل:

أ- «عن عون بن أبي رافع عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: دخلت على نبي الله ﷺ وهو مريض فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق، والنبي ﷺ نائم، فلما دخلت عليه قال الرجل: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق به مني، فدنوت منهما فقام الرجل وجلست مكانه، ووضعت رأس النبي ﷺ في حجري كما كان في حجر الرجل، فمكثت ساعة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، فقال: أين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟ فقلت: لما دخلت عليك دعاني ثم قال: ادن إلى ابن عمك فأنت أحق به مني، ثم قام فجلست مكانه، فقال النبي ﷺ: فهل تدري من الرجل؟ فقلت: لا، بأبي وأمي، فقال النبي ﷺ: ذاك جبرئيل عليه السلام كان يحدثني حتى خف عني ونمت ورأسي في حجره»[3].

ب- «عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في بيته فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام الغداة، وكان يحب أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل وإذا النبي في صحن الدار، وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك، كيف أصبح رسول الله؟ قال: بخير يا أخا رسول الله، قال له علي: جزاك الله عنا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إني أحبك وإن لك عندي مدحة أزفها إليك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغر

---

(١) الذود: ثلاثة أباعر إلى العشرة أو أكثر إلى ثلاثين.

(٢) المناقب للخوارزمي /١٣٠.

(٣) المناقب للخوارزمي /١٣٩.

المحجلين، وسيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان زفاً زفاً، وقد أفلح من تولاك، وخسر من عاداك، بحب محمد أحبوك، ومبغضوك لن تنالهم شفاعة محمد ﷺ. ادن مني صفوة الله. فأخذ رأس النبي فوضعه في حجره، [وذهب فرفع رسول الله رأسه] فقال: ما هذه الهمهمة؟ فأخبره الحديث، فقال: يا علي، لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل، سمّاك باسم سمّاك الله به، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، ورهّبك في صدور الكافرين»[1].

الخامسة: ومكتوب اسمه ونعته على جناح جبرئيل:

«عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه فإذا في أحدهما مكتوب (لا إله إلا الله (محمد النبي)) ومكتوب على الآخر (لا إله إلا الله علي الوصي»[2].

السادسة: الملائكة خدّامه:

أ- من حديث طويل يرويه أنس بن مالك في إطالة رسول الله ﷺ صلاة العصر وإبطائه في الركعة الأولى ثم إقباله بوجهه المشرق ورميه بطرفه متفقداً الصفوف رجلاً رجلاً وسؤاله: ما لي لا أرى ابن عمي علي بن أبي طالب؟ فأجابه علي عليه السلام من آخر الصفوف: لبيك لبيك يا رسول الله، فنادى النبي بأعلى صوته: ادن مني يا علي، فمازال علي يتخطى أعناق المهاجرين والأنصار حتى دنا المرتضى من المصطفى، فسأله عن تخلفه عن الصف الأول فذكر له عذره وما جرى له من نزول سطل من ذهب عليه منديل، إلى أن قال:

---

(١) المناقب للخوارزمي /٣٢٣.

(٢) المناقب للخوارزمي /٢٤٨.

«فتبسم رسول الله ﷺ في وجهه وضمه إلى صدره فقبل ما بين عينيه ثم قال: يا أبا الحسن ألا أبشرك أن السطل من الجنة، والماء والمنديل من الفردوس الأعلى، والذي هيّأك للصلاة جبرئيل، والذي مندلك ميكائيل. والذي نفس محمد بيده مازال إسرافيل قابضاً على ركبتي بيده حتى لحقت معي الصلاة، أفيلومني الناس على حبك؟ والله تعالى وملائكته يحبونك فوق السماء»[1].

ب- وفي رواية ابن المغازلي الشافعي بنحو آخر، وجاء في آخرها:

«فمن مثلك يا علي في ليلته وجبرئيل يخدمه»[2].

السابعة: سلام الملائكة المكرمين عليه ليلة بدر:

أ- «عن الحارث عن علي عليه السلام قال: لما كان ليلة بدر قال رسول الله ﷺ: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس عنه، فقام علي فاعتصم القربة ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصر محمد وحزبه، فنزلوا من السماء لهم لغط يذعر من سمعه، فلما مروا بالبئر سلموا عليه أولهم إلى آخرهم إكراماً وتبجيلاً»[3].

ب- «وفي رواية أخرى:

فقال رسول الله: «أما الريح الأولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك».

---

(١) المناقب للخوارزمي /٣٠٥-٣٠٦.
(٢) غاية المرام ٦/٢٢٩ عن مناقب ابن المغازلي /١٧٩ /ح١٣٩.
(٣) المناقب للخوارزمي /٣٠٨.

وفي رواية: «وما أتوك إلا ليحفظوك». وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث، وكان يقول: لعلي في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب، ثم يروي هذا الخبر»[١].

الثامنة: افتخار الملكين:

«عن ابن ثابت عن أبيه قال: سمعت النبي يقول: إن حافظي علي ليفخران على سائر الحفظة لكينونيتهما مع علي، وذلك أنهما لم يصعدا إلى الله ـعزّ وجلـ بشيء منه يسخطه»[٢].

التاسعة: باهى الله بعبادته ملائكته وحملة عرشه:

«عن علي بن الحسين عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: نزل عليّ جبرئيل عليه السلام صبيحة يوم فرحاً مستبشراً، فقلت: حبيبي ما لي أراك فرحاً مستبشراً؟ فقال: يا محمد، وكيف لا أكون كذلك، وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: وبم أكرم الله أخي وإمام أمتي؟ قال: با هى بعبادته البارحة ملائكته وحملة عرشه وقال: ملائكتي انظروا إلى حجتي في أرضي على عبادي بعد نبيي، فقد عفّر خده في التراب تواضعاً لعظمتي، أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريتي»[٣].

العاشرة: جبرئيل حامل وحي الله بتزويج ولي الله:

أـ «عن أنس بن مالك قال: كنت عند النبي ﷺ فغشيه الوحي، فلما أفاق قال لي: يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟

---

(١) غاية المرام ٦/٣١٨.
(٢) المناقب للخوارزمي /٣١٦.
(٣) المناقب للخوارزمي /٣١٩.

قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: أمرني أن أزوج فاطمة من علي ...»[١].

ب- «عن عبد الله بن مسعود (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: يا فاطمة زوّجتك سيداً في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، لما أراد الله أن أملكك من علي أمر الله جبرئيل عليه السلام فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم، فزوّجك من علي، ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحليّ والحلل، ثم أمرها فنثرت على الملائكة، فمن أخذ منه شيئاً أكثر مما أخذه غيره افتخر به إلى يوم القيامة»[٢].

ج- وفي رواية ثالثة:

«عن علي بن الحسين عن أبيه قال: بينا رسول الله في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً في كل رأس ألف لسان يسبّح الله ويقدّسه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي ﷺ أنه جبرئيل فقال: يا جبرئيل لم تأتني في مثل هذه الصورة قط؟ قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثني الله إليك لتزوّج النور من النور، فقال النبي ﷺ: ممن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب عليه السلام، فزوّج النبي ﷺ فاطمة من علي، بشهادة ميكائيل وجبرئيل وصرصائيل، قال: فنظر النبي فإذا بين كتفي صرصائيل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب مقيم الحجة، فقال النبي ﷺ: يا صرصائيل منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثنتي عشرة ألف سنة»[٣].

د- «عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبي ذات يوم ووجهه مشرق

---

(١) المناقب للخوارزمي /٣٣٦.
(٢) المناقب للخوارزمي /٣٣٧.
(٣) المناقب للخوارزمي /٣٤٠-٣٤١.

كدارة القمر، فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ فقال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، إن الله تعالى زوّج فاطمة من علي، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً (يعني صكاكاً) بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا تلقى محباً لنا أهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار، بأخي وابن عمي وابنتي بهم فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار»[1].

هـ ـ «عن ابن عباس قال: لما أن كانت الليلة التي زفّت فيها فاطمة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله قدّامها، وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر»[2].

د ـ رواية طويلة جداً عن أم سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام[3].

الحادية عشرة: شوق أهل السماء والأنبياء إليه:

«عن ابن عباس عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما مررت بسماء إلا وأهلها يشتاقون إلى علي بن أبي طالب، وما في الجنة نبيّ إلا وهو يشتاق إلى علي بن أبي طالب»[4].

الثانية عشرة: خلق ملك على صورته:

---

(١) المناقب للخوارزمي /٣٤١.
(٢) المناقب للخوارزمي /٣٤٢.
(٣) المناقب للخوارزمي /٣٤٣.
(٤) إحقاق الحق ١٠٨/٦ عن (ذخائر العقبى).

«عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أسري بي إلى السماء الرابعة فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور، والملائكة تحدق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟ قال: ادن منه وسلّم عليه، فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا بأخي علي، فقلت: يا جبرئيل سبقتني علياً إلى السماء الرابعة، فقال لي: يا محمد، لا، ولكن الملائكة شكت حبها لعلي، فخلق الله هذا الملك من نور على صورة علي، فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين مرة، يسبّحون ويقدّسون الله ويهدون ثوابه لمحبي علي»[1].

الثالثة عشرة: معلمو الملائكة:

«عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب -سلام الله عليهم- قال: قال رسول الله ﷺ:

فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله -عزّ وجل- أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه تعالى منزه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وأنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدو كِبَرَ محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر، فلا ينال مخلوق عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّ والقوة قلنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض طاعة الخلق إيانا قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة أن الحمد لله على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة

---

(١) إحقاق الحق ١١٦/٦ عن (أرجح المطالب).

وتوحيد الله وتسبيحه وتهليله وتكبيره وتحميده»[١]. والحديث طويل.

الرابعة عشرة: نزول أفواج الملائكة مسلمة على قبره:

«وبالإسناد عنهم عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله يخلق خلقاً كثيراً من الملائكة، وأنه ينزل من كل سماء في كل يوم سبعين ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر ينصرفون إلى قبر النبي فيسلّمون عليه، ثم يأتون قبر علي فيسلّمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل طلوع الفجر، ثم ينزل عوضهم في النهار، ثم يعرجون قبل مغيب الشمس. إلخ»[٢].

الخامسة عشرة: صلاة الملائكة عليه:

«عبّاد بن عبد الصمد أبو معمر قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلّت الملائكة عليَّ وعلى علي بن أبي طالب سبع سنين وذلك أنه لم ترفع شهادة أن لا إله إلا الله إلى السماء إلا مني ومن علي»[٣].

السادسة عشرة: معرفة أهل السماء به ومناصرتهم له:

«عن ابن عباس أن جبرئيل كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليٌّ فقال جبرئيل: هذا علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أخي جبرئيل هل تعرفه أهل السماء؟ فقال: يا محمد، والذي بعثك بالحق نبياً إن أهل السماوات لأشد معرفة له من أهل الأرض، ما كبّر تكبيرة في غزوة إلا كبّرنا معه، ولا حمل حملة إلا حملنا معه، ولا ضرب ضربة بالسيف إلا وضربنا معه»[٤].

---

(١) إحقاق الحق ٥/٩١ـ٩٢ عن (ينابيع المودة).
(٢) إحقاق الحق ٧/٣٦٢ عن (در بحر المناقب).
(٣) إحقاق الحق ٧/٣٦٤ عن المناقب للخوارزمي.
(٤) إحقاق الحق ٧/٤٠٣ عن (رسالة الاعتقاد) للحافظ أبي بكر الشيرازي.

السابعة عشرة: إعانة الملائكة وخدمتهم بين يديه:

«روى الشيخ أبو جعفر الطوسي في مصباح الأنوار بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: كنت عند رسول الله ﷺ في حفر الخندق وقد حفر الناس وحفر عليٌّ عليه السلام، فقال النبي ﷺ: بأبي من يحفر وجبرئيل يكنس التراب بين يديه، ويعينه ميكائيل، ولم يكن يعين قبله أحداً من الخلق، ثم قال النبي ﷺ لعثمان بن عفان: احفر، فغضب عثمان وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى أمرنا بالكدّ! فأنزل الله على نبيه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية»[1].

وبعد ..

فهذه جملة من الروايات اكتفيت بالنزر منها إذ لم يكن من الغاية استيفاؤها، وهي مبثوثة في مواطن متفرقة ومظان متنوعة تحتاج إلى مزيد من السبر والاستقصاء، ولو استفرغ الوسع لجمع منها سفر واسع وكتاب مبسوط.

الدلائل والبينات:

والدلالة تنبعث من اللفظ الدال وموضوعه وقرائنه ومقارناته. وإذا ما ترادفت حول موضوع واحد نصوص عدة أخذ بعضها بأطراف بعض فتألّف من ذلك حقيقة جلية ومعنى بيّناً ينسجم ومقام موضوعه.

وعلي والملائكة موضوع طرفاه أعظم شخصية في الإسلام وأجل إبداع بشري خلقه الباريء المصوّر بعد نسخة الكمال رسول الله ﷺ. وطرفه الآخر الخلق المميّز في عالم الأنوار، وهم الملائكة المكرمون عليهم السلام الذين

---

(١) بحار الأنوار ٣٩/١١٣ـ١١٤.

أوكل إليهم خالقهم الجليل من أمره، وأسند إليهم ما شاء من تدبير خلقه في عالمي الدنيا والآخرة.

فماذا تعني تلكم النصوص؟! وماذا ترمي إليه من غاية؟! وماذا توقفنا عليه من حقائق؟ هذا وهي من عوالم الغيب المكنون لولا ما يكشف عن ستر من سرّها هاتيك الكواشف، وينم عن شيء من أمرها مستودع خزائن غيب الله والأمين على وحيه.

وأنّى لي ـوعذري القصورـ أن أحاول تحليل مقاصدها، وكشف رموزها، والبلوغ إلى غاياتها، فمطيتي وزادي لا يبلغان بي ذلك المنأى البعيد والمرتقى الصعب الرفيع.

وحسبي أن أحوم في أطرافها، وأتعرف على جنباتها وأكنافها، وأتطلع على مواطنها ومنعطفاتها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

أولاً: نور خلقت منه الأنوار:

فالإمام ـصلوات الله عليه وسلامهـ نور في خلقه الأول، خلقه الله من نوره، ولما كانت الملائكة من ذلكم العالم أكرمهم بارئهم فخلقهم من نور غرة وجهه لتناسب السنخية، فكأنها طينتهم، وبه عليه السلام وجودهم، فما منه الوجود فهو الخالق ـجلّ وعلاـ، وما به الوجود فهو نور علي المخلوق من نور العلي الأعلى.

ولما كان لنوره السبق في الخلق، والكمال في الإشراق فبفضل بركة نوره خلقوا أنواراً، فله الشرف رتبة ومقاماً في منزلتي الوجود والإيجاد.

هذا وقد سبق في صدر الكتاب حديث النور ومبتدى إشراقه.

ثانياً: التسابق إلى مؤاخاته:

والنفوس مجبولة على حب الكمال والانتماء إلى الشرف الأعلى، ومن ثم سبق هؤلاء الصفوة إلى انتخاب من عمت بركته الوجود فاتخذوه خليلاً وتعلّقوا به حبياً.

فإذا بالكرام من الملائكة إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وملك الموت وحملة العرش ورضوان خازن جنان الرحمة يتسابقون إلى قربه وحبه.

وللأخوة والمحبة وظائف وآثار وشواهد ومشاهد تبرهن على مدى عمقها وصدقها، وهذا ما شرحته أحاديث العلاقة والارتباط بين الإمام وهؤلاء الملائكة من مواقف ومواقف في النشأة الأولى والأخرى.

ثالثاً: برد الإيمان على القلوب:

والملك المقدس جبرئيل أمين الله على وحيه وإبلاغه إلى رسله ما إن دنا من علي أخيه وأشرقت عليه أنواره إلا ونفذ برد إيمانه إلى أعماق وجوده وتملكه الانبهار والإعجاب.

وإذا ما علمنا أن خلقة الملك وطبيعته تختلفان عن خلقة البشر وطبيعتهم فلا بد أن يكون لذلكم التأثر القلبي عامل منسجم وباعث ملائم على التفاعل.

رابعاً: حفظ المقامات والرتب:

فلئن كان جبرئيل لمحمد حبيباً فعلي أحب، ولئن كان قريباً فعلي أقرب، فهو به أولى، وعليه أحنى وأحدب، أليس هو نفسه ورُوحه ورَوحه؟!

خامساً: أحرف من نور على نور تشرق بالتوحيد والنبوة والولاية:

فالروح الأمين خلق من نور، وقد كتب على جناحيه حروف من نور، فمن ذا كتب؟! وماذا كتب؟!

إن يد القدرة الإلهية هي التي خطّت الأحرف وسطّرتها، والذي كُتب حقيقة التوحيد والنبوة والولاية، يكرر إعلان التوحيد على كل من الجناحين، ويقرن بواحد منهما إعلان النبوة لمحمد، ويضاف إلى الآخر إعلان الولاية لعلي. وهي مجتمعة دعائم دين الله، يحملها مؤتمن الوحي حقيقة نورية، وركيزة أساسية في كل دين من عند الله، وتبليغ وحي إلى كل رسول من رسله وفي كل شريعة من شرائعه.

وعلى ذلك أقام الله دينه وبعث رسله.

اقرأ تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾.

أبو نعيم المحدث الأصفهاني في (حلية الأولياء): ليلة أسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء، قال: سلهم يا محمد على ماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة ألا إله إلا الله، والإقرار بنبوتك والولاية لعلي.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرائيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرائيل: يا محمد، هذا البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، قم يا محمد، فصلّ إليه، قال النبي ﷺ: وجمع الله النبيين، فصفّهم جبرائيل ورائي صفًّا فصليت بهم، فلما سلمت أتاني آت من عند ربي فقال لي: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ماذا أرسلتم من قبلي، فقلت: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ فقالت الرسل: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب، وهو قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾»[1].

---

(١) غاية المرام ٣/٥٥ـ٥٦ عن (معرفة علوم الحديث) للحاكم النيسابوري، وغيره.

ويلاحظ في النص الأول مطابقته لما كتب على جناح الأمين جبرائيل.

سادساً: الملائكة خدّامه:

فمن يعرف أقدار الرجال ويقدر لذوي الفضل فضلهم وإفضالهم يرى أن من وافر حظّه أن يتشرف بخدمتهم ويرعى لهم حقهم، ومن يكون أعرف بمقام الإمام من جبرئيل ونظرائه من الملائكة الكرام؟!

ولك أن تعلم أن ما يفعله هؤلاء إنما هو امتثال لأوامر إلهية صادرة من المولى الأجل لوليه الجليل. وتأمّل -رعاك الله- في بواعث هذا التكريم وهاتيك الخدمة «والله تعالى وملائكته يحبونك فوق السماء»، «فمن مثلك يا علي في ليلته وجبرئيل يخدمه».

سابعاً: آلاف الملائكة تحفظه وتسلّم عليه:

وذلك ليلة بدر العظيمة، وبطلها الأوحد الفذّ علي، فقد أحجم الجمع عن استقاء الماء إلا هو، فكافأه الله بأصناف التكريم فأهبط قوافل الملائكة تحوطه مسلّمة عليه من الله السلام.

وقد نظم سيد الشعراء المكثر في آل الله، الحميري ذلك فقال رضي الله عنه:

أُقْسِمُ بِاللهِ وآلائِهِ ... والمرءُ عَمَّا قالَ مسؤولُ
أَنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ... على التُّقى والبِرِّ مَجْبُولُ
وأَنهُ كانَ الإمامَ الذي ... له على الأمةِ تَفْضِيلُ
ذاكَ الذي سَلَّمَ في ليلةٍ ... عليهِ ميكالُ وجبريلُ
ميكالُ في ألفٍ وجبريلُ في ... ألفٍ ويتلوهم سرافيلُ
ليلةَ بدرٍ مدداً أُنْزِلُوا ... كأنهم طيرٌ أبابيلُ

فسلّمُوا لَمَّا أتوا حَذْوَهُ وذاكَ إعظامٌ وتبجيلُ[1]

وقال رحمه الله في قصيدة أخرى:

وسلَّمَ جبريلُ وميكالُ ليلةً عليهِ وإسرافيلُ حيَّاهُ مُعْرِبا
أَحاطوا به في روعةٍ جاءَ يَسْتَقِي وكلٌّ على ألفٍ بها قد تَحَزَّبا
ثلاثةُ آلافٍ ملائكُ سلَّمُوا عليهِ فأدناهم وحيَّا ورَحَّبا[2]

ثامناً: صلاتهم عليه وسلامهم على قبره:

والملائكة أكثر خلق الله عدداً، وأفضال الإمام ومناقبه ملؤ الوجود، فلا غرو لو تعاقبت الملائكة غادية رائحة تهبط فوجاً إثر فوج وكوكبة بعد أخرى، زائرة قبره، مسلمة عليه، ودائبة بأجمعها مصلية عليه، ولم لا؟ وهو وحيد دنيا الوجود في توحيد المعبود دون كافة الخلق سوى الموحّد الأول والنبيِّ الأكمل ـصلى الله عليهما وآلهماـ.

تاسعاً: شوقهم إليه وإقرار عينهم بالنظر إلى صورته:

فالانجذاب نحو المحبوب باعث حثيث ودافع ملحٌّ للدنوّ منه والأنس به والتملّي من النظر إليه. وحيث يفوت ذلك لاختلاف العالمين والمقامين فيبقى التطلع إلى ذلك الهاجس الدائم والأمنية القائمة.

وأبدع الله في سمائه ملكاً يحكي شمائل محبوبهم وأقر أعينهم برؤيته كلما هاج بهم الشوق.

وأما أنبياء الله في جنانه فكل منهم يتمنى لقياه وسرور القلب برؤياه.

---

(١) ديوان السيد الحميري /٣٢٢ـ٣٢٣.
(٢) ديوان السيد الحميري /٧٧.

فالصفوة من خلق الله ملائكة وأنبياء استولى على مشاعرهم شخصه وتملّك قلوبهم حبه.

عاشراً: معلم الملائكة:

وهي النعمة الكبرى والإحسان الأكمل حيث ينضم ذلك إلى بركته عليه السلام في نعمة إيجادهم، فله شأن في النعمتين العظيمتين: الخلق والهداية، فبفضل علمه تعلّم أهل السماء التوحيد كما تعلمه منه أهل الأرض.

حادي عشر: واللافت حقاً والمثير عجباً تعلق الملائكة بالمؤازرة والمناصرة والافتخار بخدمته، والمشاركة في شؤونه في كافة العوالم والنشآت، والإشادة والإطراء على مواقفه.

فجبرئيل ورضوان وغيرهما تدوي أصواتهم تملأ السماء كل ينادي: «لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار».

والملائكة شهود اقترانه في السماء بسيدة النساء، والسائرون في موكب زفافه مسبّحين مهلّلين مكبّرين.

وفي حفر الخندق علي يحفر وجبرئيل يكنس التراب بين يديه، وميكائيل يعينه.

وحتى في إعلان شهادته وعروج روحه إلى بارئها الرفيق الأعلى.

ففي حديثه عليه السلام في احتضاره مع ابنته أم كلثوم: يا بنية لا تبكين فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت. قال حبيب: فقلت له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا حبيب، أرى ملائكة السماء والنبيين بعضهم في

إثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني»[١].

ولما ضربه الأشقى ابن ملجم وهو في صلاته نادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل أحد: «تهدّمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى وانفصمت العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل علي المرتضى، قتله أشقى الأشقياء»[٢].

ثاني عشر: النور الجلي والسر الخفي:

وبعد .. فهذه إطلالة على آثار بعض المأثور، وقفنا فيها على التقاء المؤالف والمخالف وإجماعهم على تدوينها وإذاعتها.

ومن جاس خلال الديار انبهر بتلكم الأنوار التي لا تطفى، وأذعن أن من وراء ذلك الأسرار والأسرار.

فالروايات الآنفة ـ ونظائرها الكثر ـ أوردها من كتب العامة لا الخاصة، وقد جاءت بأسانيد عديدة وطرق مختلفة عني بها الحفاظ ومهرة الحديث.

كما لاحظت التوافق والتطابق في النص المنقول من الفريقين وإن اختلفت الأسانيد، وماذاك إلا أنه النور الجلي يكتنفه السر الخفي في شخصية علي الولي والوصي.

---

(١) بحار الأنوار ٤٢/٢٠١ـ٢٠٢ عن أمالي الصدوق.

(٢) منتهى الآمال ١/٣٣٨.

علي والجن

ونلج إلى هذا الموضوع الخفي المكتنف بالغموض لا لنغوص في أبعاده وأعماقه وإنما لنقف على أثارة من ارتباطه بمولى الكونين وإمام الثقلين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وانطلاقاً من ثوابت دين الإسلام وركائزه القويمة نعرض أولاً آيات بيّنات من قرآن الله الكريم تتجلي فيها حقائق عن هذا المخلوق الخفي وتثبت ركيزة في البحث ومنطلقاً.

ثم نثني بعرض مادة ما نعالجه مما ورد في الآثار وحفلت به الأخبار. ثم نثلث بدلائل ذلك ونتائجه. وبالله التوفيق ومنه سبحانه نستمد السداد.

أولاً: الآيات:

الأولى: سبق خلقه على البشر ومِمَّ خلق:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾. (الحجر /٢٧).

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾. (الرحمن /١٥).

الثانية: أنهم مكلفون كتكليف الإنس:

أ- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾. (الأنعام /١٣٠).

إلفات: قال الطبرسي رحمه الله: «قوله (منكم) وإن كان خطاباً لجميعهم والرسل من الإنس خاصة فإنه يحتمل أن يكون لتغليب أحدهما على

الآخر»[1].

ب- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات /٥٦).

الثالثة: صالحون وطالحون:

أ- ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾. (فصلت /٢٥).

ب- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللّهِ شَطَطًا﴾. (الجن /٤).

ج- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾. (الجن /١١).

د- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾. (الجن /١٤).

الرابعة: أنهم محاسبون ومجازون بأعمالهم:

أ- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ﴾. (الرحمن /٣١).

ب- ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾. (الجن /١٤-١٥).

الخامسة: مسخّرون يعملون للإنسان:

أ- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾. (النمل /١٧).

ب- ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي

---

(١) بحار الأنوار ٤٩/٦٠.

مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾. (النمل /٣٨ـ٤٠).

ج- ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾. (سبأ /١٢ـ١٣).

السادسة: تفاعلهم مع الإنس:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾. (الجن /٥ـ٧).

السابعة: إيمان صالحيهم بدين الإسلام واستماعهم قرآنه:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (الأحقاف /٢٩ـ٣٠).

الثامنة: دعاؤهم قومهم للإيمان:

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾. (الأحقاف /٣١ـ٣٢).

ثانياً: طائفة من الروايات:

الأولى: لولا علي لما خلق الله الخلق:

«عن النبي ﷺ أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم أبو[1] البشر ونفخ فيه من روحه التفت يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم لما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة، ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسي، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الإنس، ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي، بهم أنجي من أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كانت لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسل. فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[2].

الثانية: محاربة الإمام للكفار منهم:

أ- «عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ إلى بني المصطلق جنب عن الطريق وأدركه الليل فنزل بقرب وادٍ وعرٍ، فلما كان آخر الليل هبط عليه جبرئيل يخبره أن طائفة من كفّار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده عليه السلام وإيقاع الشر بأصحابه عند سلوكهم إياه. فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اذهب إلى هذا الوادي فسيعرض لك من أعداء الله الجن من يريدك فادفعه بالقوة التي أعطاك الله -عز وجل- إياها، وتحصّن منهم بأسماء الله التي خصّك بعلمها. وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس وقال لهم: كونوا معه وامتثلوا أمره، فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي، فلما قرب شفيره

---

(١) كذا. وفي إحقاق الحق ٩/٢٠٣: أبا.

(٢) غاية المرام وحجة الخصام ١/٢٥-٢٦.

أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم. ثم تقدّم فوقف على شفير الوادي وتعوذ بالله من أعدائه وسمى الله تعالى بأحسن أسمائه، وأومأ إلى القوم الذين اتبعوه أن يقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة، ثم رام الهبوط إلى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد القوم يقعون على وجوههم لشدتها ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول الخصم ومن هول ما لحقهم، فصاح أمير المؤمنين عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وصي رسول الله وابن عمه، اثبتوا إن شئتم. وظهر للقوم أشخاص على صور الزط يخيّل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي، فتوغل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويؤمي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبث الأشخاص حتى صارت كالدخان الأسود، وكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث انهبط، فقام مع الذين اتبعوه حتى أسفر الموضع عما اعتراه.

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك أكثر مما لحقنا، فقال عليه السلام لهم: إنه لما تراءى لي العدو وجهرت فيهم بأسماء الله فتضاءلوا وعلمت ما حل بهم من الجزع، فتوغلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على هيئتهم لأتيت على آخرهم، وقد كفى الله كيدهم وكفى المسلمين شرهم، وسيسبقني بقيتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فيؤمنون به. وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فسري عنه ودعا له بخير، وقال له: قد سبقك يا علي إليّ من أخافه الله بك فأسلم وقبلت إسلامه»[1].

ب- «روى أن جماعة من الجن أرادوا وقوع الضرر بالنبي حين مسيره إلى بني المصطلق فحارب علي عليه السلام معهم وقتل منهم جماعة كثيرة»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/٨٦ـ٨٨ عن (الإرشاد).

(٢) إحقاق الحق ٨/٥٢٣ عن (شرح التجريد) للقوشجي. وروى أيضاً عن

الثالثة: الإمام معلّمهم ووليُّهم:

«عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: بَيْنَما أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الْمِنْبَرِ إِذْ أَقْبَلَ ثُعْبَانٌ مِنْ نَاحِيَةِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَهَمَّ النَّاسُ أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنْ كُفُّوا، فَكَفُّوا. وأَقْبَلَ الثُّعْبَانُ يَنْسَابُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ فَتَطَاوَلَ فَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَشَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَيْهِ أَنْ يَقِفَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ولَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ خَلِيفَتُكَ عَلَى الْجِنِّ، وإِنَّ أَبِي مَاتَ وأَوْصَانِي أَنْ آتِيَكَ فَأَسْتَطْلِعَ رَأْيَكَ، وقَدْ أَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ ومَا تَرَى؟

فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وأَنْ تَنْصَرِفَ وتَقُومَ مَقَامَ أَبِيكَ فِي الْجِنِّ، فَإِنَّكَ خَلِيفَتِي عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَوَدَّعَ عَمْرٌو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وانْصَرَفَ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ عَلَى الْجِنِّ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَيَأْتِيكَ عَمْرٌو وذَاكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ»[1].

الرابعة: الحاكم فيهم وبينهم:

أ- «عن سلمان قال: كان النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقف بحذاء النبي صلى الله عليه وآله ثم برز منها شخص كان فيها، ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إني وافد قومي استجرنا بك فأجرنا وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا فإن بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليَّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أرده إليك سالماً في غداة غد إلاّ أن يحدث عليَّ

(البداية والنهاية) حديثاً مماثلاً.

(١) أصول الكافي ١/٢٩٦.

حادثة من عند الله. فقال له النبي ﷺ: من أنت؟ ومن قومك؟ قال: أنا عرفطة بن شمراخ أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنا نسترق السمع، فلما منعنا من ذلك آمنا، ولما بعثك الله نبياً آمنا بك على ما علمته وقد صدقناك، وقد خالفنا بعض القوم وأقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم أكثر منا عدداً وقوة وقد غلبوا على الماء والمراعي وأضروا بنا وبدوابنا، فابعث معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي ﷺ: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال: فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، وإذا رأسه طويل، طويل العينين عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين وله أسنان كأسنان السباع، ثم إن النبي ﷺ أخذ عليه العهد والميثاق على أن يرد عليه في غد من يبعث معه.

فلما فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال له: صر مع أخينا عرفطة إلى ما هم عليه واحكم بينهم بالحق، فقال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: هم تحت الأرض، فقال أبو بكر: فكيف أطيق النزول تحت الأرض؟ وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم؟ ثم التفت إلى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لأبي بكر فأجاب مثل جواب أبي بكر، ثم أقبل على عثمان وقال له مثل قوله لهما، فأجابه كجوابهما.

ثم استدعى بعلي عليه السلام وقال له: يا علي صر مع أخينا عرفطة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق. فقام أمير المؤمنين عليه السلام مع عرفطة وقد تقلّد سيفه، قال سلمان رضي الله عنه: فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي فلما توسطا نظر إليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع. فوقفت أنظر إليهما فانشقت الأرض ودخلا فيها وعدت إلى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به، كل ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين عليه السلام.

وأصبح النبي ﷺ وصلّى بالناس الغداة، وجاء وجلس على الصفا

وحفّ به أصحابه، وتأخّر أمير المؤمنين عليه السلام وارتفع النهار وأكثر الكلام، إلى أن زالت الشمس، وقالوا: إن الجني احتال على النبي صلى الله عليه وآله وقد أراحنا الله من أبي تراب وذهب عنا افتخاره بابن عمّه علينا، وأكثروا الكلام إلى أن صلى النبي صلى الله عليه وآله صلاة الأولى وعاد إلى مكانه وجلس على الصفا، وما زال مع أصحابه بالحديث إلى أن وجبت صلاة العصر، وأكثروا القوم الكلام وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين عليه السلام.

فصلى النبي صلى الله عليه وآله صلاة العصر وجاء وجلس على الصفا وأظهر الفكر في أمير المؤمنين عليه السلام، وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين عليه السلام وكادت الشمس تغرب فتيقن القوم أنه قد هلك، إذا وقد انشق الصفا وطلع أمير المؤمنين منه وسيفه يقطر دماً ومعه عرفطة.

فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه وجبينيه، وقال له: ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ قال عليه السلام: سرت إلى جنٍّ كثير قد بغوا على عرفطة وقومه من المنافقين، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليَّ، وذلك أني دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار بنبوتك ورسالتك فأبوا، فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا، فسألتهم أن يصالحوا عرفطة وقومه فيكون بعض المرعى لعرفطة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كله، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم ثمانين ألفاً، فلما نظروا إلى ما حل بهم طلبوا الأمان والصلح، ثم آمنوا وصاروا إخواناً وزال الخلاف وما زلت معهم إلى الساعة، فقال عرفطة: يا رسول الله جزاك الله وأمير المؤمنين عليه السلام عنا خيراً»[1].

ب- «روى بالإسناد عن أبي سعيد الخدري شكوى جن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعث إليهم رجلاً يحكم بينهم، فعرضه على أبي بكر فقال: كيف أكلّم فيهم ولا أعرف كلامهم، فعرضه على عمر فقال مثل ذلك، فبعث

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/٩٠-٩٣ عن (عيون المعجزات).

علياً فحاربهم وقتل منهم جماعة كثيرة فغلب عليهم»[١].

الخامسة: عزيمة أمير المؤمنين عليه السلام عليهم:

«زيد الزارد قال: حججنا سنة فلما صرنا في خرابات المدينة بين الحيطان افتقدنا رفيقاً لنا من إخواننا، فطلبناه فلم نجده، فقال لنا الناس بالمدينة: إن صاحبكم اختطفته الجن، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأخبرته بحاله وبقول أهل المدينة، فقال: اخرج إلى المكان الذي اختطف، أو قال: افتقد، فقل بأعلى صوتك: يا صالح بن علي، إن جعفر بن محمد يقول لك: أ هكذا عاهدت وعاقدت الجن علي بن أبي طالب؟ اطلب فلاناً حتى تؤديه إلى رفقائه، ثم قل: يا معشر الجن عزمت عليكم بما عزم عليكم علي بن أبي طالب عليه السلام لما خلّيتم عن صاحبي وأرشدتموه إلى الطريق.

قال: ففعلت ذلك فلم ألبث إذا بصاحبي قد خرج عليَّ من بعض الخرابات فقال: إن شخصاً تراءى لي ما رأيت صورة إلا وهو أحسن منها، فقال: يا فتى أظنك تتولى آل محمد صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم، فقال: إن هاهنا رجل[٢] من آل محمد صلى الله عليه وآله هل لك أن تؤجر وتسلم عليه؟ فقلت: بلى، فأدخلني من هذه الحيطان وهو يمشي أمامي. فلما أن صار غير بعيد نظرت فلم أر شيئاً فغشي عليَّ فبقيت مغشياً عليَّ لا أدري أين أنا من أرض الله حتى كان الآن، فإذا قد أتاني آت وحملني حتى أخرجني إلى الطريق. فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بذلك فقال: ذلك الغوال أو الغول نوع من الجن يغتال الإنسان، فإذا رأيت الشخص فلا تسترشده وإن أرشدكم فخالفوه، وإذا رأيته في خراب وقد خرج إليك أو في فلاة من الأرض فأذّن في وجهه وارفع صوتك وقل: سبحان الذي جعل في السماء نجوماً رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ، عزمت

---

(١) إحقاق الحق ٨/٥٢٣ عن (الأربعين) للحافظ أبي محمد بن أبي الفوارس.
(٢) هكذا.

عليك يا خبيث بعزيمة الله التي عزم بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ورميت بسهم الله المصيب الذي لا يخطئ، وجعلت سمع الله على سمعك وبصرك، وذللتك بعزة الله، وقهرت سلطانك بسلطان الله، يا خبيث لا سبيل لك، فإنك تقهره إن شاء الله وتصرفه عنك. فإذا ضللت الطريق فأذن بأعلى صوتك وقل: يا سيّارة الله دلّونا على الطريق يرحمكم الله، أرشدونا يرشدكم الله. فإن أصبت وإلا فناد: يا عتاة الجن ويا مردة الشيطين أرشدوني ودلوني على الطريق وإلا أشرعت لكم بسهم الله المصيب إياكم عزيمة علي بن أبي طالب، يا مردة الشيطين ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّماواتِ والأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطانٍ﴾ مبين. الله غالبكم بجنده الغالب وقاهركم بسلطانه القاهر، ومذللكم بعزته المتين، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وارفع صوتك بالأذان ترشد وتصيب الطريق إن شاء الله»[1].

الدلائل والنتائج:

ومن خلال ما عرضناه من حديث نستوحي جملة من الدلالات والنتائج والآثار:

١ ـ لولا الأئمة لما خلقوا:

إن بركة الأنوار الإلهية غمرتهم بفيضها وعمّتهم بفضلها فأنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم نعمة الإيجاد والوجود، كما كان لهاتيك الأنوار الشأن في خلقة الملائكة الكرام وسائر ما خلق الله ـ جل جلاله.

٢ ـ الخلق للعبادة والمبلغ عن الله:

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/١٠٩ ـ ١١١ عن (الأصول الستة عشر).

ومن اللطف الواجب إقامة الحجة عليهم بإيقافهم على حدود عبادة الله وتكاليفه، فلا بد من مبلغ عن الله يعلم أحكام الله فيهم ويتوفر على كافة آلات الحكم والإمامة. فمضافاً إلى العلم المحيط بوظائفهم -وربما اختلفت عن أحكام الإنسان- العلم بلغاتهم، فالإمام ترجمان الله ولسانه المعبّر عنه، والسلطان النافذ والقوة القاهرة، والهيمنة الروحية، يقيم المعوج ويصلح الفاسد ويستوفي الحق ويحمل على الهدى ويقيم العدل.

قال ثقة الإسلام المجلسي -رحمة الله عليه-:

«لا خلاف في أن الجن والشياطين مكلّفون، وأن كفّارهم في النار معذّبون، وأما أن مؤمنهم يدخلون الجنة فقد اختلف فيه العامة، ولم أر لأصحابنا فيه تصريحاً». «ولا خلاف في أن نبينا صلى الله عليه وآله مبعوث عليهم، وأما سائر أولي العزم عليهم السلام فلم يتحقق عندي بعثهم عليهم نفياً أو إثباتاً، وإن كان بعض الأخبار يشعر بكونهم مبعوثين عليهم، ولا بد في إثبات الحجة عليهم من بعثة نبي عليهم، أو بعثة الأنبياء من الإنس عليهم أيضاً، وقد مر أنه بعث فيهم نبي يقال له يوسف، وقد مضى كلام الطبرسي رحمه الله والأقوال التي ذكرها في ذلك»[1].

والقرآن الحكيم خير شاهد على ما أعطى الله لنبيّه سليمان عليه السلام من هيبة السلطان ونفوذ القدرة.

وخاتم المرسلين وسيد الأوصياء أولى بذلك وأجدر.

٣- الإمام ولي الله الأعظم:

ومن مظاهر إمامته المطلقة وولايته الإلهية العامة إقامته ولياً من قبله ونصب الحاكم عنه على نسق الولاة والحاكمين من الإنس في بلاد الإسلام

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/٢٩١.

والمسلمين.

٤ـ علي لا سواه إمام الإنس والجِنَّة:

وكما تجلى للإمام المقام المحمود والشأن الأعلى والامتياز الفذ في مواقف انخذل فيها سواه قمة في الفكر وعبية في العلم وبطلاً في الحرب ـ فكذلك تجلى له وبه الاختصاص في عالم الجن الخفي وسره الغامض، فمن زيد هناك ومن عمرو.

وطريف أن تجتمع رواية الفريقين على انتداب أبي بكر وعمر وعثمان للقيام بالمهمة المحرجة المحيرة والورطة الشائكة النادرة فيعترفون بالعجز ـ وحق لهم ذلك ـ فإنهم لا يملكون من مقومات الأمر شيئاً، وإذا كانوا عن معالجة الكثير من قضايا الإسلام عاجزين فهم عن شؤون الجن أوهن وأعجز.

وليس للمشكلات إلا حلاَّلها، ولا للمهمات إلا أبطالها ورجالها.

خلقَ اللهُ للحروبِ رجالاً ورجالاً لقصعةٍ مِنْ ثريدِ

٥ـ قال شيخ الأمة المفيد ـرضوان الله عليهـ معلقاً على الحديث الأول:

"وهذا الحديث روته العامة كما روته الخاصة، ولم يتناكروا شيئاً منه، والمعتزلة لميلها إلى مذهب البراهمة تدفعه، ولبعدها عن معرفة الأخبار تنكره، وهي سالكة في ذلك طريق الزنادقة فيما طعنت به في القرآن وما تضمنه من أخبار الجن وإيمانهم بالله ورسوله وما قصَّ الله تعالى من نبئهم في القرآن في سورة الجن وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً﴾، إلى آخر ما تضمنه الخبر عنهم في هذه السورة.

وإذا بطل اعتراض الزنادقة في ذلك مع إعجاز القرآن والأعجوبة الباهرة فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان المعتزلة في الخبر الذي رويناه لعدم استحالة مضمونه في العقول، وفي مجيئه من طريقين مختلفين وبرواية فريقين متباينين برهان صحته.

ولا زال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر التعجب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجن وكفّه شرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، ويتضاحك لذلك وينسب الرواية إلى الخرافات البطلة، ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام ويقول: إنها من موضوعات الشيعة وتخرص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصب.

وهذا بعينه مقال الزنادقة وكافة أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن وإسلامهم وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً﴾ إلى آخره. وفيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود في قصة الجن ومشاهدته لهم كالزط في غير ذلك من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم يظهرون العجب من جميع ذلك ويتضاحكون عند سماع الخبر به والاحتجاج بصحته، ويستهزئون ويلغطون فيما يسرفون به من سب الإسلام وأهله، ونسبتهم إياهم إلى العجز والجهل ووضع الأباطيل»[1].

٦ـ المهابة الإلهية:

وذلك مما منحه الله ـ جلّ جلاله ـ لوليّه علي عليه السلام، فقذف هيبته في القلوب ورهب به الصدور، يَفرَقُ من اسمه الأبطال، ويتحاشونه في النزال، ويسمّونه بالموت الأحمر وأنه إذا رؤي في الحرب فمعه ملك الموت قابض النفوس والأرواح، وذلك جلال التقوى وقوة الروح وشدة البأس ونفوذ العزيمة.

---

(١) بحار الأنوار ٦٠/٨٨ـ٨٩ عن (الإرشاد) ملخصاً.

ومن مواطن ما مكنه الله من سلطانه وأمده بقدرته التي تَقهر ولا تُقهر هيمنته الروحية وإرعابه لقلوب الجن كما أرعب قلوب الإنس، وأخذ العهد والعزيمة عليهم بأن لا يمسوا أحداً من أوليائه وشيعته بأذى وإلا ليأذنوا بسهم الله المصيب الذي لا يخطيء وعزيمة وليِّه عليٍّ الماضية.

٧ـ مؤمنو الجن أشياع وخدم وأتباع:

وذلك منسجم مع بقاء التكليف وامتداد ولاية أولياء الله وانقياد المؤمنين بهم المسلّمين لأمرهم لاتباعهم والتشرف بما يقوون عليه من نصرتهم وخدمتهم.

وقد كشفت الروايات عن آل محمد عليهم السلام أطرافاً من ذلك، أنهم يغشون أئمة الهدى ـصلوات الله عليهمـ ويسألونهم عن معالم دينهم، ويعلنون نصرتهم، ويُنفذونهم في متعجل حاجاتهم.

وقد عقد شيخ الإسلام المجلسي ـرضوان الله عليهـ فصلاً طويلاً أورد فيه طوائف من الروايات مضافاً إلى ما يذكر هو وغيره من حملة الحديث وحفّاظه في مختلف المواطن ومنها تأريخ الأئمة عليهم السلام. فراجع: بحار الأنوار ٦٠/٤٢ـ١٣٠.

٨ـ وبعد ..

فأكرر مؤكداً ما صدَّرت به البحث من أن الغرض من الخوض في موضوعنا إنما هو التطلّع على علائق الإمام عليه السلام بهذا العالم ومدى ارتباطه به وتأثيره فيه، لا الإحاطة بشؤونه، فهي من متلاطم الأسرار وخفايا القضايا ومكنون المعارف.

علي والكون

إن أول ما عُنيت به القدرة الإلهية، وأبدعته الصنعة الربانية النور الأقدس لمحمد وآله -عليهم سابغ التحية والثناء- خلقهم من نور عظمته وبهاء كبريائه، واشتق لهم خير الأسماء من أسمائه، وجعلهم وسائط فيوضه وبركاته.

فخلق من أنوارهم الملائكة، ولولاهم لما خلق السماوات والأرض وما فيهما وعليهما من كرسي عرشه وجنان خلده، والثقلين من بريته، وزين قوائم عرشه وأبواب جناته وأجنحة من اختص من ملائكته بأسمائهم الحسنى وصفاتهم العليا.

وعرض ولايتهم على كل ما خلق ومن خلق مما يرى وما لا يرى من الملك والإنس والجن والطير والشجر والحجر والماء والهواء.

وعلي والد الأئمة من آل محمد ونفس محمد وروحه وقلبه، إمام الأمة وخير من اصطفاه الله بعد نبيه وارتضاه بعد حبيبه، له في تلك المقامات شامخها، والمنازل أجلها وأولاها. ولسابق علمه -جلّ وعلا- وبالغ حكمته، وجميل تدبيره، وكرامته عليه وحظوته لديه أفاض الوجود على كل موجود ببركة أنواره، وعمّ الكون بفضل خيراته، وخص الكريم عليه كفاء حبه له وقربه منه.

ولئن خَصَصْتُ أحاديث في مظاهر من ولايته ومواطن من مقاماته في الدنيا والآخرة فإني معمِّم البحث هنا في شؤون أخرى لتنضم إلى لداتها ونظائرها مع تفاوت ما بينها من رتب ومقامات لتجتمع بذلك معان ذات مغزى عميق وسر دقيق.

ولا سبيل للتعرف على تلكم الحقائق إلا بالوقوف على آثار خزنة هاتيك الأسرار المكفوف عنها الأبصار المكتنفة بحلل الأنوار.

وسأورد من كل موطن أثراً ومن كل مقام خبراً ومن المولى نستمد

السداد إلى سبيل الرشاد.

١ ـ لولاهم لما خلق الله الخلق:

أ ـ «يا علي إن الله ـ تبارك وتعالى ـ فضَّل أنبياءه المرسلين على جميع ملائكته المقربين، وفضَّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من ولدك من بعدك، فإن الملائكة من خدَّامنا وخدام محبينا، يا علي ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بولايتنا. يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه»[1].

ب ـ «عن النبي ﷺ: لما خلق الله تعالى أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا نور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، إلخ»[2].

ج ـ «من طريق العامة ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق بشيراً ما استقر الكرسي والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرض إلا بأن كتب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين إلخ»[3].

---

(١) إحقاق الحق ٩٢/٥ من حديث طويل ذكره القندوزي في (ينابيع المودة) أوردنا كثيراً منه في فصل آخر.

(٢) إحقاق الحق ٢٠٣/٩ عن (أرجح المطالب) للأمرتسري.

(٣) غاية المرام ١٧٩/٢.

٢ـ عرض الولاية على السماوات والأرض:

أـ "عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لما خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه، فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقبلتاهما، ثم خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحلّلون لحلاله والمحرّمون لحرامه"[1].

ب ـ "عن سلامة عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ قلت ﴿والْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: صدقت يا محمد، من خلّفت في أمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب، قال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين. يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم. يا محمد أ تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلون وهو في وسطهم (يعني المهدي) كأنه

---

(١) إحقاق الحق ٢٥٣/٧ عن (المناقب) للخوارزمي.

كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ. قال: يا محمد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزتي وجلالي إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي»[1].

ج- «عن مقاتل عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ قال: عرض الله أمانتي على السماوات السبع بالثواب والعقاب فقلن: ربنا لا نحملنها بالثواب والعقاب لكن نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإن الله عرض أمانتي وولايتي على الطير فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها من الطير البوم والعنقاء فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير لها، وأما العنقاء فغابت في البحار لا ترى.

وإن الله عرض أمانتي على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتي وأمانتي جعلها الله طيبة مباركة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً عذبا، وجعل ماءها زلالاً، وكل بقعة جحدت أمانتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخة وجعل نباتها مراً علقما وجعل ثمارها العوسج والحنظل وجعل ماءها ملحاً أجاجاً.

ثم قال: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ﴾ يعني أمتك يا محمد، ولاية أمير المؤمنين وإمامته بما فيها من الثواب والعقاب. ﴿إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً﴾ لنفسه ﴿جَهُولاً﴾ لأمر ربه، من لم يؤدها بحقها فهو ظلوم غشوم»[2].

٣- اضطراب العرش وباسمه استقر:

أ- «عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي، نصرته

---

(١) إحقاق الحق ٥/٤٥-٤٦ عن (مقتل الحسين) للخوارزمي.
(٢) غاية المرام ٤/١٨٦.

بعلي»[١].

ب- «لما خلق الله العرش على الماء اضطرب ولم يثبت فكتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، استقر العرش، وفي رواية: كتب تحت هذه الكلمات: أيدته بعلي»[٢].

ج- «عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم فقال: الحمد لله، فأوحى الله إليه حمدني عبدي، وعزتي وجلالي لو لا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: إلهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فإذا هو مكتوب على العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ نبي الرحمة، علي مقيم الحجة، ومن عرف حق علي ذكا وطاب»[٣].

٤- وكتب على كل باب من أبواب الجنة الثمانية، وعلى باب من أبواب جهنم:

أ- «عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: قال لي جبرئيل عليه السلام: فعلى الأول منها مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله».

وعلى الباب الرابع من أبواب جهنم:

أذل الله من أهان الإسلام، أذل الله من أهان أهل البيت، أذل الله من أعان الظالمين[٤].

---

(١) إحقاق الحق ٦/١٤٦.
(٢) إحقاق الحق ٦/١٤٧.
(٣) إحقاق الحق ٤/٢٢١.
(٤) إحقاق الحق ٤/١٢٨-١٣٠.

ب- عن علي عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما أسري بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله»[1].

ج- «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما عرج بي إلى السماء وعرضت عليَّ الجنة وجدت على أوراق شجر الجنة مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب ولي الله، الحسن والحسين صفوة الله»[2].

٥- سجود الملائكة لآدم لكون الأئمة في صلبه:

«وإن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً وإكراماً له، وكان سجودهم لله عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لأمر الله لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون»[3].

٦- وعلى ولايته بعث النبيون والمرسلون:

أ- «عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرائيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر فقال لي جبرائيل: يا محمد هذا البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، قم يا محمد فصل إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله: وجمع الله النبيين فصفهم جبرائيل ورائي صفاً فصليت بهم، فلما سلمت أناني آت من عند ربي فقال لي: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول

---

(١) إحقاق الحق ٤/١٣٠.

(٢) إحقاق الحق ٤/٢٨١ عن (در بحر المناقب).

(٣) إحقاق الحق ٥/٩٢ من حديث طويل اقتطعنا منه مقاطع في مواطنها.

لك: سل الرسل على ماذا أرسلتهم من قبلي، فقلت: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ فقالت الرسل: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب، وهو قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا﴾»[١].

ب- «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث الله نبياً قط إلا بها»[٢].

ج- «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما قبض الله نبياً حتى أمر الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصي فقلت: إلى من يا رب؟ فقال: أوص يا محمد إلى ابن عمك علي بن أبي طالب فإني قد أثبته في الكتب السالفة وكتبت فيها أنه وصيك وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعلي بن أبي طالب عليه السلام بالولاية»[٣].

٧- وبه أعطي المرسلون الفضل والكرامة:

ففي حديث طويل جرى بين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وجملة من أجلاء أصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ختامه:

«فهذا من فضلنا عند الله تعالى، ومن فضل الله تعالى علينا، كان يعطي إبراهيم وموسى وعيسى من الفضل والكرامة ما لم يعطوه إلا بنا»[٤].

والعلامة الصفوري في (المحاسن المجتمعة) قال:

---

(١) غاية المرام ٣/٥٠.
(٢) غاية المرام ٣/٥٨.
(٣) غاية المرام ٣/٥٨.
(٤) إحقاق الحق ٥/٩-١١ عن (در بحر المناقب).

ومن كراماته (أي علي) أنه كان يقاتل فانفك زرد درعه فأخرج حديدة من وسطه ومدها كالعجين وقال: بلغنا أن الحديد لان لداود عليه السلام وما لان إلا بنا فكيف لنا»[1].

٨ـ ولكرامته سمي المؤمن مؤمناً:

«ما رواه الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في المستخرج من تفاسير الاثني عشر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمّي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لعلي بن أبي طالب»[2].

٩ـ أخذ حبه على البشر والشجر:

«عن أنس قال: ألا أحدّثكم حديثاً حدّثنيه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن إن الله تعالى أخذ حبك على البشر والشجر، فمن أجاب إلى حبك عذب وطاب وما لم يجب خبث ومر»[3].

١٠ـ القنابر تلعن مبغضي علي:

«أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى خلق خلقاً ليس من ولد آدم، ولا من ولد إبليس، يلعنون مبغضي علي بن أبي طالب عليه السلام، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم القنابر، ينادون في السحر على رؤوس الشجر: ألا لعنة الله على مبغضي علي بن أبي طالب»[4].

---

(١) إحقاق الحق ١٨/١٩٩.

(٢) غاية المرام ٣/٢٥.

(٣) إحقاق الحق ٧/٢٣١، وقد أورد قبله رواية مماثلة عن أنس عن الإمام علي عليه السلام.

(٤) إحقاق الحق ٧/٢٢١ عن ابن المغازلي في (المناقب).

١١ـ صياح نخلة بنخلة:

أ ـ «عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم نتمشى في طرقات المدينة إذ مررنا بنخل من نخلها فصاحت نخلة بنخلة أخرى: هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى، ثم جزناها فصاحت ثانية بثالثة: هذا موسى وأخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة: هذا نوح وإبراهيم، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة: هذا محمد سيد المرسلين وهذا علي سيد الوصيين، فتبسم النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: يا علي إنما سمّي نخل المدينة صيحانياً لأنه صاح بفضلي وفضلك»[1].

ب ـ «عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت يوماً مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض حيطان المدينة ويد علي عليه السلام في يده، فمررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأوصياء وأبو الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخل فصاح النخل: هذا المهدي وهذا الهادي، ثم مررنا بنخل فصاح النخل: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا علي سيف الله، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى علي ـ صلوات الله عليه وآله ـ فقال: يا علي سمّه الصيحاني، فسمي من ذلك اليوم الصيحاني»[2].

١٢ـ وعلى ألواح الساج من سفينة نبي الله نوح:

«عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لما أراد الله ـ عزّ وجل ـ أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى الله إليه أن شق ألواح الساج فلما شقّها لم يدر ما يصنع فهبط جبرائيل عليه السلام فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيه مائة ألف مسمار فسمّر المسامير كلها في السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في

---

(١) غاية المرام ٢/١٥٣/١٥٤.

(٢) غاية المرام ٢/١٥٩ عن (ينابيع المودة) و(فرائد السمطين).

أفق السماء فتحيّر من ذلك نوح عليه السلام فأنطق الله ذلك المسمار بلسان طلق ذلق فقال: على اسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله، فهبط جبرائيل فقال له: يا جبرائيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ قال: هذا باسم خير الأولين والآخرين، أسمره في أولها على جانب السفينة الأيمن، ثم ضرب بيده على مسمار ثان فأشرق وأنار فقال نوح: وما هذا المسمار؟ قال: مسمار أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فأسمره على جانب السفينة اليسار في أولها، ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار فقال له جبرائيل عليه السلام: هذا مسمار فاطمة، فأسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فأزهر وأنار فقال له: هذا مسمار الحسن عليه السلام، فأسمره إلى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فأشرق وأنار فقال: يا جبرائيل ما هذه النداوة؟ فقال: هذا مسمار الحسين بن علي السيد الجليل الشهيد سيد الشهداء، فأسمره إلى جانب مسمار أخيه. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: الألواح خشب السفينة ونحن الدسر، ولولانا ما سارت السفينة بأهلها»[1].

---

(١) غاية المرام ٣/٢٠. وعقّب الرواية الشريفة بقوله: قال أبو القاسم عقيب هذا الحديث: يقول أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن الطاووس مصنّف هذا الكتاب: وإنما ذكرت هذا الحديث لأنه يرويه محمد بن النجار الذي هو من أعيان أهل الحديث من الأربعة المذاهب وثقاتهم ومن لا يتهم فيما يرويه من فضائل أهل البيت عليهم السلام وعلوّ مقاماتهم، وما رأيت ولا رويته من طريق شيعتهم إلى الآن، فإذا كان نجاة سفينة نوح بأهلها هم، وهم السبب في النجاة، وهم أصل كل من بقي من ولد آدم -صلوات الله عليه- فلا عجب إذا صلى الإنسان عليهم عند ركوب كل سفينة شكراً لعلوّ مقاماتهم، وما ظفرنا به من النجاة ببركاتهم، وإن اختار كل من ركب في سفينته وخاف من أخطارها ومعاطبها أن يكتب على جوانبها في المواضع التي كانت أسماهم في سفينة نوح عليه السلام توسُّلاً وتوصُّلاً في المظفر بما انتهت إليه في النجاة سفينة نوح عليه السلام إليه، ويكتبه في رقاع ويلصقها في جوانب سفينة ركوبه فلا يبعد من فضل الله -جل

١٣ـ إنقاص الفرات لما طغى:

أ ـ "الحسين بن زكوان الفارسي قال: كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد شكى إليه الناس أمر الفرات وأنه زاد الماء ما لا نحتمله ونخاف أن تهلك مزارعنا ونحب أن تسأل الله تعالى أن ينقصه، فقام ودخل بيته والناس مجتمعون ينتظرونه فخرج وقد لبس جبة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمامته ورداه، وفي يده قضيبه، فدعا بفرسه فركبه ومشى علي ومعه أولاده وأنا معهم رجّالة حتى وقف على الفرات فنزل عن فرسه فصلى ركعتين خفيفتين ثم قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر وليس معه غير ولديه الحسن والحسين وأنا فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقص ذراعاً، فقال: أ يكفيكم؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، فقام وأومى بالقضيب وأهوى به في الماء فنقصت الفرات ذراعاً آخر وهكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع، فقالوا: حسبنا يا أمير المؤمنين، فعاد وركب فرسه ورجع إلى منزله"[1].

ب ـ "واستفاض بين الخاص والعام أن أهل الكوفة فزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام من الفرات، فأسبغ الوضوء وصلى منفردا ثم دعا الله، ثم تقدم إلى الفرات متوكئاً على قضيب بيده حتى ضرب به صفحة الماء وقال: انقص بإذن الله ومشيئته، فغاض الماء حتى بدت الحيتان فنطق كثير منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين ولم ينطق منها أصناف من السمك، وهي الجرّي والمارماهي والزمار، فتعجب الناس لذلك وسألوه عن علة ما نطق وصموت ما صمت، فقال: أنطق الله لي ما طهر من السموك، وأصمت عني ما حرّمه ونجّسه وأبعده"[2].

جلاله ـ أن يظفر بمطلوبه وإدراك محبوبه ـ إن شاء الله تعالى.

وقد جاءت الرواية في إحقاق الحق ٩/٢٠٤.

(١) إحقاق الحق ٨/٧١٥ـ٧١٦ عن (مطالب السؤول) لابن طلحة الشافعي.

(٢) بحار الأنوار ٤١/٢٦٨. وروى بنحو آخر في (إحقاق الحق) ٨/٧١٥ عن (مطالب

١٤ـ وبهم ينزّل الله الغيث وينشر الرحمة وتخرج بركات الأرض:

«عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادات المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المسلمين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبنا ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا يُنَزِّلُ الله الْغَيْثَ، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولو لا ما على الأرض منا لساخت بأهلها، ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام من حجة لله فيها إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: قلت للصادق رضي الله عنه: كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب»[1].

١٥ـ شرف العقيق وفضله:

أ ـ «عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعَلِيٍّ عليه السلام: يَا عَلِيُّ تَخَتَّمْ بِالْيَمِينِ تَكُنْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه [وَمَا الْمُقَرَّبُونَ؟ قَالَ: جَبْرَئِيلُ وَمِيكَائِيلُ] قَالَ: فبِمَ أَتَخَتَّمُ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: بِالْعَقِيقِ الأَحْمَرِ فَإِنَّهُ جَبَلٌ أَقَرَّ لِلَّه بِالْوَحْدَانِيَّةِ، ولِي بِالنُّبُوَّةِ، ولَكَ بِالْوَصِيَّةِ، ولِوُلْدِكَ بِالإِمَامَةِ، ولِمُحِبِّيكَ بِالْجَنَّةِ، ولِشِيعَةِ وُلْدِكَ بِالْفِرْدَوْسِ»[2].

ب ـ «عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس للمظالم فلما بصر به قال له: يا سليمان تصدَّر، قال: أنا صدر حيث جلست، ثم قال: حدثني الصادق قال: حدثني الباقر قال: حدثني السجاد قال:

السؤول) لابن طلحة الشافعي.

(١) إحقاق الحق ٩/٣٠٤ـ٣٠٥.

(٢) المناقب للخوارزمي /٣٢٦.

حدثني الشهيد قال: حدثني التقي وهو الوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني عليه السلام قال: أتاني جبرائيل عليه السلام آنفاً فقال: تختَّموا بالعقيق فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولعلي بالوصية ولولده بالإمامة ولشيعته بالجنة.

فاستدار الناس بوجوههم نحوه فقيل: تذكر قوماً فتعلم ما لا نعلم، فقال: الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والباقر محمد بن علي بن الحسين، والسجاد علي بن الحسين، والشهيد الحسين بن علي، والوصي وهو التقي علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

ج- «حدثنا الشيخ الواعظ قال الغزالي: إنه قال: لما انتهى إلى النجاشي ملك الحبشة خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: إني مختبر هذا الرجل بهدايا أنفذ إليه ثم أعد له تحفاً عظيماً وفيها من الفصوص ياقوت وعقيق فقال: إن كان الرجل يطلب الدنيا والملك فهو يختار الياقوت، وإن كان نبياً حقاً فإنه يختار العقيق، قال: فلما وصلت الهدايا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسّمها على أصحابه ولم يأخذ لنفسه سوى فص عقيق أحمر، ثم أعطاه لعلي، وقال: يا علي فاكتب سطراً واحداً، لا إله إلا الله، فمضى علي فقال للنقاش: اكتب عليه ما يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا إله إلا الله، فقال له: اكتب ما أحب أنا، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجد عليه ثلاثة أسطر فقال: يا علي أمرتك أن تكتب عليه سطراً واحداً فكتبت عليه ثلاثة أسطر، فقال: وحقك يا رسول الله ما أمرته أن يكتب عليه إلا ما أحببت: لا إله إلا الله، وما أحببت أنا: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: ربُّ العزَّة يقول: كتبتَ ما تحب: لا إله إلا الله، وعلي كتب ما يحب: محمد رسول الله، وأنا أكتب ما أحب: علي ولي الله»[2].

---

(١) المناقب للخوارزمي /٣٢٦.

(٢) إحقاق الحق ٤/١٤٣-١٤٤ عن الحافظ بن أبي الفوارس في كتابه (الأربعين).

رشحة المكنون وومضة السر:

وبعد ..

فهذه شذرات تقترب من الثلاثين، ونماذج من خزائن فياضة بلداتها، مترعة بأمثالها، حاكية عن معان بعيدة الغور رحبة الآفاق لا يدرك لها مدى ولا يبلغ لها عمق.

وغاية ما نصل إليه من تصور حقائقها رشحةٌ من مكنونها وومضة من سرِّها وإطلالة على أبعادها.

فأولاً: البركة على الوجود وسر حدوثه وبقائه:

وقد قَرَّرَتْهُ مؤكِّداً الرواياتُ المتكاثرة، واستوعبتْ أنحاء الوجود كافة، فما أفاض المولى الأعظم ـتبارك وتعالىـ نعمة الوجود على موجود إلا بهم ولأجلهم، لكرامتهم عليه ومقامهم لديه، سواء السماوات العلى ومن فيها والأرض ومن عليها.

وما خلق جنته وناره إلا وزيَّن الأولى وأوراقها وأطرافها باسم أحبائه وأوليائه، ونقش توعُّده على الثانية لظالميهم ومنتقصي شأنهم ومبغضيهم.

وما استقام عرش جبروته وكرسي ملكه وما ثبت إلا بعد أن ختم عليه بخاتم الولاية وطبع.

ولئن كانوا أصل الخير في نعمة الوجود حدوثاً فهم سره بقاءً، فلولاهم لما سارت سفينة النجاة ولا سلم من ركبها ولغرق كما غرق من تخلف عنها.

وثانياً: ولايتهم العامة المطلقة:

وذلكم هو المعنى المنسجم وسابغ فضلهم في نعمة الإيجاد والبقاء، فقد عرضت ولايتهم العظمى وسلطانهم الأكبر فلم يشذ عنه ملك ولا بشر ولا ذو روح ولا شجر ولا ماء ولا حجر.

فالكافة خلق الله وقد منحهم الولاية على ما خلق.

ثالثاً: الأنبياء والمرسلون مبشِّرون ممهِّدون:

فمحمد ﷺ أول الأنبياء خلقاً من نور وآخرهم مبعثاً، وآله الكرام عليهم السلام شركاؤه في الخلق النوري الأول.

والأنبياء والمرسلون منذ بعثهم برسالات ربهم وقبل ذلك مأخوذ عليهم الميثاق بولاية أولئك الصفوة المنتقاة والبشارة بخاتم المرسلين ورسالته والتمهيد لدولته والإعلان بوصيه وخليفته في أمته.

كل هذا جرى في العالم الأعلى حيث أَمَّ جماعةَ المرسلين إمامُ الخلق أجمعين، فأمره ربه بسؤالهم على ما بعثوا، وعلى ذلك تم أمرهم في أممهم كوكبةٌ إثر كوكبة وقافلةٌ بعد قافلة.

رابعاً: وبفضلهم منح المفضلون وأعطوا المعجز:

وقد نص قرآن الله المبين على ما مكن المولى عباده المخلصين من قدرات خارقة وعجائب أفعال لا يقوى على إنجاحها إلا من خلقها أو من وهبه خالقه ذلك.

فخلق الطير من طين، وإبراء الأكمه والأبرص بمسحة يد، والعصا التي تلقف ما يأفكون وتبطل السحر، وإلانة الحديد عجينة تجول فيها كفه، والإنباء بما يأكلون وما يدَّخرون، وإعادة الحياة، واجتماع متفرِّق الأجزاء، وأنماط كهذه تتجلى فيها القدرة والهيمنة والنفوذ، لا سلطان لمخلوق في شأنها لولا تمكين ذي القدرة المطلقة والمهيمن على الأمر كله.

وآلُ محمد ـ صلوات الله واهبهم على أنوارهم ـ قبلةُ العارفين ووسيلة المكرمين، مفتاح الخير، ومدار الاستجابة.

ولا غرو ممن أسجد الله كرام ملائكته لإشراق أنوارهم في غرَّته أن يمنح خاصة رسله مما يحير الألباب ويدهش العقول، فبهم يستجاب الدعاء، ويستنجح الطلب، ويتحقق المعجز ويتم التمكين، ويقضى الأمر ويبرم.

خامساً: نداء الطير بمظلوميته:

وقد أبدع الله خلقه، وأودع فيه عجائب من أمره، فهذا هدهد نبي الله سليمان ونبأه الغريب وقد علّمه منطقه ومنطق كل طير.

فلا عجب لو نادت القنابر في الأسحار على رؤوس الأشجار بمظلومية ذلكم الموهوب ذي الخيرات والبركات على كافة خلق الله، الجليل قدره، المضطهد حقه والمجهول مقامه والمضيَّع جلال شأنه، فرعت له من الحق ما تنكّر له الجاحدون، وحسده عليه القالون، وأخفاه المبطلون.

سادساً: صياح النخل باسمه وصفاته:

والنخلة شجرة طيبة مباركة، ومن مظاهر الطيب والبركة نداؤها باسم الوصي كما نادت باسم النبي وتعدد مناقبهما وتتغنّى بذكر صفاتهما.

واشتق من ذلكم النداء اسماً واصفاً ونعتاً مميزاً لذلكم النوع المفضل.

سابعاً: وشرف العقيق بالولاية:

وسمة التفاوت بين الأجناس متحققة، وتفاضل الأنواع قائم، ولا بد من ميزة أوجبت تفاوتاً، وأكسبت تفاضلاً.

وإن حجر العقيق سما قدراً، وأحرز فضلاً بيناً فعاد جوهراً. وما ذاك

إلا لسرٍّ بوّأه المقام الشامخ وأحلّه الموطن الرفيع.

أجل .. إنه الاستجابة والطواعية والإقرار لله بالوحدانية ولنبيِّه بالنبوة ولوليِّه بالإمامة والولاية.

ثامناً: الولاية التامة العامة:

ونقف من خلال المأثور مما عرضنا في هذا الفصل وسواه على مدى السعة للولاية وعموم انبسطها لتشمل كافة ما خلق الله مع اختلاف العناصر والطبائع، فالأرض والسماء وما في الملأ الأعلى والعالم الأدنى من ماء وما فيه وحجر وشجر وما فيه وعليه كافتها مختومة بختم الولاية، خاضعة لجلالها، مذعنة لتأثيرها.

تاسعاً: رواية المؤالف والمخالف:

والحق إنه الشيء اللافت، والأمر العجب، فيجمع الفريقان ويروي الطرفان من وعاة الحفاظ ورعاة الآثار غرر الأسرار، فلا تنفرد فئة ولا تختص بما روت وأودعت.

فهاتيك الأحاديث الآنفة واردة من طرق من لا تحوم حول ولائه شبهة ولا يُتهم بتعصب، ولا يُنبز بتشيع.

وهي ذاتها وربما كانت بنص مفرداتها وجملها يرويها أهل الولاء بالطرق نفسها أو غيرها.

وما ذلك إلا أنها حقائق صراح ومناقب فصاح أراد الله نشرها لتكشف عن سر دقيق ومغزى عميق وشأن وأي شأن في ذلكم الرجل الإلهي المميز الذي جهد خصماؤه في محو فضائله ومناقبه وخصائصه فأبى الله إلا إتمام نوره وتسخير أعدائه لنشر مدائحه وإعلان امتيازاته.

ولا حيلة لأحد، فإذا قضى المولى وحكم فلا راد لقضائه ولا معقّب لحكمه.

عاشراً: وبعد:

فهذه قطرة من (بحار الأنوار) ودرة من (درر بحر المناقب) وغيض من فيض، فمآثر الإمام وفضائله أجل من أن تستوفى، وأبعد من أن تستقصى، وأسمى من أن تدرك حقيقتها ويحاط بسرها.

هذهِ مِنْ عُـلاهُ إِحْـدَى المَعَـالي وعلى مِثْلِها فَقِسْ مـا سِـواها

الولاية وأثرها في النشأة

تـوطئة:

ولئن كانت بركات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ابتدأ بهـا الوجـود وعنـها انبثق، وبخيرها عمر، فعلى شأوها يتمايز الموجود، وعلى مدى الانتماء إليـه يتفاضل (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيْدٌ).

وكما ابتدأت في النشأة الأولى فقد امتدت لعالم (البرزخ) فينعم من نال خيرها في قبره بروضة من رياض الجنة ورَوح وريحان. ويحرم من حرم فيضها فيشقى بحفرة من حفر النار ووحشة دائمة.

ويتجلى في النشأة الأخرى سرها يوم تبلى السرائر وتنكشف الحقائق.

ولئن طمست معالم الولاية في الدنيا فأعلامها شامخة في الأخرى. فعلي يوم الحشر الأعظم وفي عرصات القيامة ملك يديه الكوثر، وفي قبضـته لـواء الحمد، وقدماه المباركتان على مراقي منبره، وهو على الأعراف يعـرف كـلاً بسيماهم، وعلى الصراط لا يجوزه أحد إلاّ بجواز منه وبراءة من لديه، فالجنة والنار طوع إشارته ورهن إرادته يقول لتلك: هذا وليي فخذيه، ولهـذه: هـذا عدوي فخذيه، وهما لأمره سمع وطاعة، ومن وكـل بأمرهمـا مـن ملائكـة الله المقربين.

وله المقام المحمود، والشفاعة الكبرى، والمنزلة العظمى، والنبأ العظيم.

وعلى رؤوس الأشهاد تتجلى منزلته، ويعلم قدره، ويؤخذ لـه حقـه، ويستوفي ظلامته، من أمة لم ترع له حرمة ولم تعرف له مقاماً.

وإني مورد بعون المولى وتوفيقه صوراً ومشاهد ومـواطن ومقامـات في النشآت الثلاث:

أـ عند الاحتضار وتوديع الدنيا.

ب- في عالم البرزخ ومساءلة القبر.

جـ- في الدار الآخرة ومواقف القيامة.

أثر الولاية عند الاحتضار:

١ ـ قال الصادق عليه السلام:

«إن ولي علي عليه السلام يراه في ثلاثة مواطن حيث يسرّه: عند الموت وعند الصراط وعند الحوض، وملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة، ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في تلك الحالة العظيمة»[1].

٢ ـ «عن محمد بن علي عليهما السلام قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال: كيف تجدك؟ فقال: لقيت الموت بعدك -يريد ما لقيه من شدة مرضه- فقال: كيف لقيته؟ قال: شديداً أليماً، قال عليه السلام: ما لقيته، إنما لقيت ما يبدوك به ويعرفك بعض حاله، إنما الناس رجلان: مستريح بالموت ومستراح منه به، فجدد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً، ففعل ذلك الرجل، ثم قال: يابن رسول الله هذه ملائكة ربي بالتحيات والتحف يسلمون عليك وهم قيام بين يديك فأذن لهم بالجلوس، فقال الرضا عليه السلام: اجلسوا ملائكة ربي، ثم قال للمريض: سلهم أمروا بالقيام بحضرتي، فقال المريض: سألتهم فزعموا أنه لو حضرك كل من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتى تأذن لهم، هكذا أمرها الله عز وجل. ثم غمض الرجل عينيه وقال: السلام عليك يابن رسول الله هكذا شخصك ماثل لي مع أشخاص

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ٢/١٩٣.

محمد ﷺ ومن بعده من الأئمة عليهم السلام، وقضى الرجل»[١].

٣- ومن حديث رسول الله ﷺ في الحث على الوصية عند الموت:

«وأن الإيمان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القول كما قلت، وأن القرآن كما أنزلت، وأنك أنت الله الحق المبين، وأني أعهد إليك في دار الدنيا أني رضيت بك ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًّا وبعلي وليًّا وبالقرآن كتاباً وأن أهل بيت نبيك عليه وعليهم السلام أئمتي ...»[٢].

٤- وفي رواية الكافي عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا حيل بينه (المحتضر) وبين الكلام أتاه رسول الله ﷺ ومن شاء الله فجلس رسول الله ﷺ عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله ﷺ: أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه»[٣].

٥- وجاء في دعائم الإسلام عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إن المؤمن إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله ﷺ فيجلس عن يمينه، ويأتي علي عليه السلام فيجلس عن يساره»[٤].

٦- «وعن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: يا

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ٢/١٩٤-١٩٥.
(٢) جامع أحاديث الشيعة ٢/٢٠٥-٢٠٦.
(٣) جامع أحاديث الشيعة ٢/٢١٧.
(٤) جامع أحاديث الشيعة ٢/٢١٧-٢١٨.

علي إن فيك مثل[1] من عيسى بن مريم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. يا علي إنه لا يموت رجل يفتري على عيسى حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنك على مثاله لا يموت عدوك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتى يقر بالحق من أمرك ويقول فيك الحق ويقر بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأما وليك فإنه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشراً وقرة عين".

٧ـ "عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال عليه السلام: لا والله، قال: قلت: كيف ذاك؟ قال عليه السلام: إن المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمة عليهم السلام ولكن (التو عن اسم فاطمة (كذا) ويحضره جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ملك الموت عليهم السلام، قال: يا رسول الله إنه كان ممن يحبنا ويتولانا فأحبه، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل إنه كان ممن يحب علياً وذريته فأحبه، قال: فيقول جبرئيل لميكائيل وإسرافيل مثل ذلك، قال: ثم يقول جميعاً لملك الموت: إنه كان يحب محمداً وآله ويتولى علياً وذريته فارفق به، قال: فيقول ملك الموت: والذي اختاركم وكرمكم واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وخصه بالرسالة لأنا أرفق به من والد رفيق وأشفق من أخ شفيق، ثم مال إليه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت رهان أمانك؟ فيقول: نعم، فيقول: فبماذا؟ فيقول: بحبي محمداً وآله وموالاتي علياً وذريته، فيقول: أما ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه، وأما ما ترجو فقد أتاك الله، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك، قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب الجنة فينظر إليها، فيقول له: هذا

---

(١) كذا والصحيح مثلاً.

ما أعد الله لك وهؤلاء رفقاؤك، أ فتحب اللحاق بهم والرجوع[1] إلى دار الدنيا؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أ ما رأيت شخصه ورفعت[2] حاجبيه إلى فوق من قوله لا حاجة لي إلى الدنيا ولا الرجوع إليها، ويناديه مناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالولاية ﴿مَرْضِيَّةً﴾ بالثواب ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ مع محمد وأهل بيته ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ غير مشوبة».

٨ـ «عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال عليه السلام: ما تقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟ قلت: يقولون في حواصل طير خضر، فقال عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم من ذلك على الله، يا يونس إذا كان ذلك أتاه رسول الله ص وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله المقربون فإذا أنطق الله لسانه بالشهادة بالتوحيد وللنبي بالنبوة ولأهل البيت بالولاية شهد على ذلك رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومن حضر معهم من الملائكة فإذا قبضه الله إليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورة التي كانت في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا».

٩ـ «وفي الوافي نقلاً عن الكافي مسنداً إلى عبد الرحيم (القصير الحسني) أنه قال: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مِيثَمٍ عَنْ عَبَايَةَ الأَسَدِيِّ الموثق أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيّاً عليه السلام يَقُولُ: واللَّهِ لا يُبْغِضُنِي عَبْدٌ أَبَداً يَمُوتُ عَلَى بُغْضِي إِلاَّ رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يَكْرَهُ، وَلا يُحِبُّنِي عَبْدٌ أَبَداً فَيَمُوتُ عَلَى حُبِّي إِلاَّ رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَعَمْ وَرَسُولُ اللَّهِ بِالْيَمِينِ».

---

(١) الظاهر: أو الرجوع.

(٢) الظاهر: رفعة.

١٠ ـ «وفيه بإسناده إلى ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ (الثقة الجليل) أنه قَالَ: كَانَ خَطَّابٌ الْجُهَنِيُّ خَلِيطاً وكَانَ شَدِيدَ النَّصْبِ لآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام وكَانَ يَصْحَبُ نَجْدَةَ الْحَرُورِيَّةَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَعُودُهُ لِلْخُلْطَةِ والتُّقِيَّةِ فَإِذَا هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ فِي حَدِّ المرضِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا لِي ولَكَ يَا عَلِيُّ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَآهُ ورَبِّ الْكَعْبَةِ رَآهُ ورَبِّ الْكَعْبَةِ».

١١ ـ ومن حديث الحارث الهمداني:

«وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة ...».

«وقال له أمير المؤمنين عليه السلام وقد دخل عليه: ما جاء بك؟ فقلت: حبي لك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: يا حرث أ تحبني؟ قلت: نعم والله يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا مار على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرأيتني حيث تحب ...».

١٢ ـ «قال محمد بن مسعود عن جعفر بن أيوب عن العمركي عن ابن فضال عن يونس بن يعقوب عن سعيد بن يسار أنه حضر ابني سابور وكان لهما ورع وإخبات فمرض أحدهما (ولا أحسبه إلا زكريا بن سابور ـ الثقة الجليل ـ) قال: فحضرته عند موته، قال: فبسط يده ثم قال: ابيضت يدي يا علي، قال فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن مسلم فلما قمت من عنده ظننت أن محمد بن مسلم أخبره بخبر الرجل فأتبعني برسول فرجعت إليه فقال عليه السلام: أخبرني خبر الرجل الذي حضرته عند الموت أي شيء سمعته يقول؟ قلت: بسط يده فقال: ابيضت يدي يا علي،

فقال أبو عبد الله عليه السلام: رآه والله، رآه والله، رآه والله»[١].

١٣ـ «... قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد علي فيقول: يا علي أنت أخي وصفيي ووصيي ووزيري وأميني، مكانك مني مكان هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، من مات وهو يحبك ختم الله ـعز وجلـ له بالأمن والإيمان، ومن مات وهو يبغضك لم يكن له نصيب من الإسلام»[٢].

١٤ـ «ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من مات ولقي الله وهو جاحد لولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقيه وهو غضبان عليه ساخط لا يقبل الله من أعماله شيئاً ...»[٣].

١٥ـ عن جرير بن عبيد الله البجلي ـفي حديث آثار حب وبغض آل محمدـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا ومن مات على حب آل محمد بشَّره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير[٤].

١٦ـ ملك الموت ومحبو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «وإن ملك الموت ليترحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء عليهم السلام»[٥].

---

(١) والأحاديث السابقة من ٦ إلى ١٢: درر الأخبار فيما يتعلق بحال الاحتضار /٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥ـ٢١٦، ٢١٧.

(٢) إحقاق الحق ٢٣١/٤ عن ينابيع المودة، وقد أورد في الإحقاق عدة روايات في المقام.

(٣) إحقاق الحق ٤٠٩/٦ عن در بحر المناقب.

(٤) إحقاق الحق ٤٨٦/٩ عن تفسير الثعالبي.

(٥) المناقب /٧٢.

تعقيب:

أ- إن الأحاديث الآنفة هي بعض ما ورد من الآثار المعصومية ولم يكن من القصد استقصاؤها[١]، وإنما الغاية إيراد نماذج من ذلك.

ب- إن الحديث في المقام من شؤون الغيب فلا يهتدى لمعرفته إلا من طريق المعصوم نبياً أو إماماً على نسق ما يرد في عالم الآخرة.

ج- إن الصفوة من آل محمد عليهم السلام يمتازون بنمط من الحياة بعد لحوقهم بالرفيق الأعلى فهم الأحياء المرزوقون عند ربهم وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تبارك وتعالى:

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[٢].

وقال عز من قائل:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) قال شيخ الإسلام المجلسي أعلى الله مقامه: اعلم أن حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة -صلوات الله عليهم- عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار ... . بحار الأنوار ٦/٢٠٠.

(٢) سورة البقرة /١٥٤.

(٣) سورة آل عمران /١٦٩-١٧١.

د- إن الأصل الأولي يقضي بحمل القول على معناه الحقيقي ومدلوله المطابقي، ولا يصار إلى خلاف ذلك إلا بدليل يوجب صرفه عن ظاهره من امتناع عقلي أو مخالفة لنص آخر فيلجأ إلى التأويل والحمل على المجاز صوناً للكلام عن الخطأ، ومن ثم فتحمل تلكم الروايات ونظائرها على ما تؤديه ألفاظها وجملها من حضور الإمام بجسمه المثالي ومعاينة من يراه حقاً وصدقاً ومشاهدة وحساً.

هـ- جلال شأن الإمامة والاعتقاد الحق حيث يتجلى للمؤمن والكافر وهو مودع دنياه مستقبل آخرته فيسعد ويشقى وفق اعتقاده الذي يموت عليه.

و- وسبكت قرائح الشعراء هذا المعتقد فصاغته شعراً:

قال السيد الحميري رضي الله عنه نظماً حديث الحارث الهمداني:

قولُ عليٍّ لحارثٍ عجبٌ ... كم ثَمَّ أعجوبة له حملا
يا حارِ همدانَ مَنْ يَمُتْ يَرَني ... مِنْ مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلا
يعرفني طرفُهُ وأعرفُهُ ... بعينِهِ واسمِهِ وما فعلا
وأنتَ عند الصراطِ تعرفُني ... فلا تخفْ عثرةً ولا زللا
أسقيكَ مِنْ باردٍ على ظمأٍ ... تخالُهُ في الحلاوةِ العسلا
أقولُ للنارِ حينَ تُوقَفُ للـ ... ـعرضِ على جسرِها ذَرِي الرجلا
ذَرِيهِ لا تقربيهِ إنَّ لهُ ... حبلاً بحبلِ الوصيِّ متَّصلا
هذا لنا شيعةٌ وشيعتُنا ... أعطاني اللهُ فيهمُ الأملا[1]

قال الحسين بن عون:

---

(١) ديوان السيد الحميري /٣٢٧-٣٢٨.

دخلت على السيد بن محمد الحميري عائداً في علته التي مات فيها، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه بسوادها، فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد أيضاً وتنمي حتى أسفر وجهه وأشرق، وافتر السيد ضاحكاً مستبشراً فقال[1]:

كذبَ الزاعمونَ أن علياً ... لن يُنَجِّي مُحِبَّهُ مِنْ هناتِ
قد وربي دَخلتُ جنةَ عدنٍ ... وعفا لي الإلهُ عن سيئاتي
فابْشِرُوا اليومَ أولياءَ عليٍّ ... وتولوا الوصي حتى الممات
ثم من بعدِهِ تَوَلَّوا بنيهِ ... واحداً بعدَ واحدٍ بالصفاتِ[2]

ثم أتبع قوله هذا: «أشهد أن لا إله إلا الله حقاً حقاً، وأشهد أن محمداً رسول الله حقاً حقاً، وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، أشهد أن لا إله إلا الله». ثم أغمض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة طفيت أو حصاة سقطت[3].

---

(١) درر الأخبار فيما يتعلق بالاحتضار /.

(٢) ديوان السيد الحميري /١٤٠.

(٣) ديوان السيد الحميري /٢٩٦. وجاء في الهامش نقلاً عن الكشي في رجاله /٢٤٣: عن أبي سعيد محمد بن رشيد الهروي: إن السيد اسود وجهه عن الموت فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ فابيض وجهه كأنه القمر ليلة البدر، فأنشأ يقول الأبيات المذكورة.
وجاء في بحار الأنوار ١٩٣/٦ نقلاً عن كشف الغمة: قال علي بن الحسين قال لي أبي الحسين بن عون وكان أذينة حاضراً فقال: الله أكبر ما من شهد كمن لم يشهد. أخبرني -وإلا صُمَّتا- الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وعن جعفر عليهما السلام أنهما قالا: حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة: محمداً

وكان آخر شعر قاله السيد لما أغمي عليه وجرى عليه ما جرى:

أُحِبُّ الذي من ماتَ مِنْ أهلِ وُدِّهِ ... تلقّاهُ بالبشرى لدى الموتِ يَضْحَكُ
ومن ماتَ يهوى غيرَهُ مِنْ عدوِّهِ ... فليس له إلا إلى النارِ مَسْلَكُ
أبا حسنٍ أفديكَ نفسي وأسرتي ... ومالي وما أصبحتُ في الأرضِ أَمْلِكُ
أبا حسنٍ إني بفضلِكَ عارفٌ ... وإني بحبلٍ من هواكَ لَمُمْسِكُ
وأنتَ وصيُّ المصطفى وابنُ عمِّهِ ... وإنا نعادي مبغضيكَ ونَتْرُكُ
ولاحٍ لحاني في عليٍّ وحِزْبِهِ ... فقلتُ لحاكَ اللهُ إنكَ أَعْفَكُ
مُوالِيكَ ناجٍ مؤمنٌ بَيِّنُ الهدى ... وقاليكَ معروفُ الضلالةِ مُشْرِكُ[1]

وقد نظم المبدع العلامة الفرطوسي في (ملحمة أهل البيت) حضور الإمام ساعة احتضار الميت، وقوله عليه السلام للحارث الهمداني، وحديث رؤية الحميري للإمام ساعة احتضاره فقال رضوان الله عليه:

وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقر عينها أو تسخن عينها. فانتشر هذا الحديث في الناس فشهد جنازته والله الموافق والمفارق.

وذكر الشيخ الأميني في الغدير ٢/٢٧٢ ـ وقد أفاض في ترجمته ـ حديث كرامة السيد في موته وأنه أمر غلامه بأن يأتي مجمع البصريين ثم مجمع الكوفيين وينشدهم قصيدته ومن أبياتها:

أهواكمُ وأوالِيكمْ وأَمْدَحُكُمْ ... حتماً عليَّ كمحتومٍ من القَدَرِ
لِحُبِّكُمْ لوصيِّ المصطفى وكفى ... بالمصطفى وبهِ مِنْ سائرِ البشرِ
ولا يُشَيِّعُني النُّصّابُ إنهم ... شرُّ البريةِ مِنْ أنثى ومِنْ ذَكَرِ
عسى الإلهُ يُنَجِّيني ـ برحمتِهِ ... ومَدْحِيَ الغررَ الزاكينَ ـ مِنْ سَقَرِ

(١) ديوان السيد الحميري /٢٩٦ـ٢٩٧.

وحضورُ الوصيِّ حقٌّ لدى المو ... تِ عياناً بشخصِهِ المترائي
هي بُشْرَى لمبغضٍ ومُحِبٍّ ... من عليٍّ بالخوفِ أو بالرجاءِ
فيفوز المحب فيها بنعمى ... ويخيب القالي بها بالشقاء
حارِ همدانَ كُلُّ مَيْتٍ يراني ... في حديثٍ لسيدِ الأتقياءِ
وهو يوصي به حناناً وعطفاً ... ملكَ الموتِ ساعةَ الانتقاءِ
حينَ يمسي من الحنوِّ عليهِ ... خيرَ أُمٍّ تحنو على الأبناءِ
ويُمَنِّيهِ بالبقاءِ فيأبى ... راغباً في ثوابِ يومِ البقاءِ
حين زُفَّتْ إليهِ بُشْرى عليٍّ ... بجنانِ الخلودِ عندَ اللقاءِ
فتُسَلُّ الروحُ الأمينةُ منهُ ... سَلَّ رِفْقٍ لشعرةٍ برخاءِ
وتجلى للحميريِّ دليلٌ ... بحضورِ الوصيِّ قربَ الفَناءِ
حينما وَجْهُهُ استحالَ ابتداءً ... لسوادٍ من نكتةٍ سوداءِ
ظهرتْ فيهِ لانحرافٍ قديمٍ ... كان منهُ عن منهجِ الاهتداءِ
واستقامتْ عقيدةُ الحقِّ منهُ ... حين وافى لجعفرٍ باستواءِ
فتجلى منه المحيّا منيراً ... بعد هذا من نكتةٍ بيضاءِ
طَبَّقَتْ وجهَهُ المبارَكَ حتى ... صارَ كالبدرِ مُشرقاً بالضياءِ
مستفيقاً من سكرةِ الموتِ صحواً ... وهو يشدو بغبطةٍ وهناءِ
كَذِبَ الزاعمونَ أن علياً ... لا يُنَجِّي محبَّهُ من بلاءِ
إي وربي وَرَدْتُ جنةَ عدنٍ ... وعفا لي الإلهُ عن أخطائي
كل هذا المأثور في الدينِ صِدْقٌ ... ويقينٌ حقٌّ بغيرِ افتراءِ[1]

ز ـ كرامة:

---

(١) ملحمة أهل البيت ١/١١٠ـ١١١.

«جرت له كرامة عند موته جديرة بمقامه وتفانيه في خدمة مواليه، فقد حدث غير واحد من فضلائنا الأعلام أنه كان مصطفياً العلامة الشيخ كاظم الحكيم لولائه وإخائه مختصاً به غاية الاختصاص حتى مرض الشيخ محمد مرض الوفاة فلازمه المذكور، ولما احتضر وجَّهَه المذكور نحو القبلة وأجرى سائر السنن الخاصة بهذا الحال -أعاننا الله عليها- إلا أنه كلما مد رجلي المترجم له قبضهما، فعل الشيخ كاظم ذلك مراراً حتى توفي رضي الله عنه وهما مقبوضتان. ولكن الشيخ كان مستغرباً جداً أن يموت صديقه على هذه الحالة، وكتمه في نفسه ولم يطلع أحداً حتى كان اليوم الثاني لفاتحته رأى المترجم له أحد إخوانه في عالم الرؤيا فطلب منه أن يذهب إلى الشيخ كاظم ويعاتبه على إصراره على مدّ رجليه مع مشاهدته امتناعي من مدهما لأن سيد الشهداء روحي فداه حينما جاء مع أمه وأبيه وأخيه -صلوات الله عليهم- كان مجلسه عند رجليّ فلم أستطع مدهما تأدباً واحتراماً، فلما انتبه الرجل جاء إلى الشيخ كاظم فأخبره فالتفت حينئذ إلى السر في ذلك وزال استغرابه.

قلت: وإنما لكرامة دلت عليها الآثار وشواهد الوجدان»[1].

في عالم البرزخ ومساءلة القبر:

وهو المرحلة الثانية في رحلة الموت والواقعة برزخاً بين نشأتي الدنيا والآخرة.

والقبر موطن الوحشة ودار الغربة ومنزل الكربة، يفرد فيه المرء ويرتهن بعمله فلا رجعة إلى الدنيا ولا تدارك للعمل.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٤٧٣/٣ -ترجمة الشيخ محمد بن نصّار- صاحب النصاريات الشهيرة في نظم أحداث كربلاء باللغة الدارجة.

ولقد وقف الإمام الحسن عليه السلام على ميت يراد دفنه فقال:

«إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن أمراً هذا أوله لحقيق بأن يخاف من آخره»[1].

وفي ذلكم المضيق من القبر واللحد يبرز دور الولاء والإيمان وينعم المؤمن بثمرة اعتقاده، ويأمن من ضغطة قبره ويأنس من وحشته.

وقد عرضت النصوص لشؤون المرء في مثواه والمؤمّنات من شدائده ومخاوفه، وفيما يلي جملة من ذلك:

الأول: التلقين في القبر:

أـ «عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

إذا نزلت في قبر فقل: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم تسل الميت سلاً، فإذا وضعته في قبره فحلّ عقدته وقل: اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وصالح شيعته، اللهم واهدنا وإياه إلى صراط مستقيم، اللهم عفوك عفوك. ثم تضع يدك اليسرى على عضده الأيسر وتحركه تحريكاً شديداً ثم تقول: يا فلان بن فلان إذا سئلت فقل الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني والقرآن كتابي وعلي إمامي حتى تستوفي الأئمة عليهم السلام. ثم تعيد عليه القول، ثم تقول: أ فهمت يا فلان؟ وقال صلى الله عليه وآله: فإنه يجيب ويقول: نعم. ثم تقول: ثبتك الله بالقول الثابت، هداك الله إلى صراط مستقيم، عرّف الله بينك وبين أوليائك في مستقر رحمته. ثم تقول: اللهم جاف الأرض عن جنبيه واصعد بروحه إليك ولقنه

---

(١) كلمة الإمام الحسن /٤١.

منك برهاناً ...»[١].

ب- «يحيى بن عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما على أهل الميت منكم أن يدرؤوا عن ميتهم لقاء منكر ونكير، قلت: كيف يصنع؟ قال: إذا أفرد الميت فليتخلف عنده أولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثم ينادي بأعلى صوته: يا فلان بن فلان، أو يا فلانة بنت فلانة، هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله سيد النبيين وأن علياً أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأن ما جاء به محمد حق والموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله تعالى يبعث من في القبور. قال: فيقول منكر لنكير: انصرف بنا عن هذا فقد لقّن حجته»[٢].

الثاني: السؤال في القبر عن الولاية والإمام:

أ- «أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد هذا الأمر لنا بعدك أم لمن؟ قال يا صخر الأمر بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى فأنزل الله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ منهم المصدق بولايته وخلافته ومنهم المكذب ﴿كَلاَّ﴾ رد عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعرفون خلافته بعدك أنها حق يكون ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعرفون خلافته وولايته إذ يسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت يقولان للميت من ربك وما دينك ومن نبيك

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ٢/٥٥٤. وقد أورد في المقام روايات كثيرة في ص٥٥٥ إلى ص٥٦٧.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ٢/٥٧٩. وقد ذكر أيضاً روايات عدة.

ومن إمامك»[١].

ب- «عن سعيد بن المسيب قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليه يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد الرسول ﷺ وحفظ عنه وكتب:

... وكأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى منزل وحيداً فرد إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكاك منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك، ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أرسل إليك وعن دينك الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعد للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار فإن تك مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين موالياً لأولياء الله لقاك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب فبشرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعميت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم»[٢].

الثالث: بركة الولاية:

«عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة أحسنهن وجهاً وأبهاهن هيئة وأطيبهن ريحا وأنظفهن صورة. قال: فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين

---

(١) بحار الأنوار ٢١٦/٦ عن كشف اليقين عن تفسير الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي.

(٢) وقد تقدمت هذه الرواية صدر الكتاب وإنما أعيدت للمناسبة.

يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست قال فتقول أحسنهن صورة ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً فتقول التي عن يمين العبد أنا الصلاة وتقول التي عن يساره أنا الزكاة وتقول التي بين يديه أنا الصيام وتقول التي خلفه أنا الحج والعمرة وتقول التي عند رجليه أنا بر من وصلت من إخوانك ثم يقلن من أنت فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأهانا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

الرابع: تلقين النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد عليها السلام[2]:

«فلما أهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل ابنك ابنك علي بن أبي طالب». فسئل عن سر ما صنع في أمرها فقال: «وأما قولي لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت: الله ربي، وقالا: من نبيك؟ قالت: محمد نبيي، فقالا: من وليك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول ولدي، فقلت لها: قولي ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام فأقر الله بذلك عينها»[3].

الخامس: وحتى سيدة نساء أهل الجنة:

وقد جاء في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله مشتمل على مناقب جمة للسيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أتاني الروح يعني جبرئيل عليه السلام أنها إذا هي قبضت ودفنت يسألها

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٣٤ـ٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٢٣ـ٢٢٤.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢٤١ـ٢٤٢.

الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: الله ربي، فيقولان: فمن نبيك؟ فتقول: أبي، فيقولان: فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

السادس: عقوبة المنكر:

أ- «وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل بين الصفوف حتى مر على كعب بن سورة وكان هذا قاضي البصرة ولاه إياها عمر بن الخطاب فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر وعثمان فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفا وخرج بأهله وولده يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام فقتلوا بأجمعهم فوقف عليه أمير المؤمنين وهو صريع بين القتلى فقال أجلسوا كعب بن سورة فأجلس بين نفسين فقال: يا كعب بن سورة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا كعباً، وسار قليلا فمر بطلحة بن عبد الله صريعاً فقال أجلسوا طلحة فأجلسوه فقال: يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك؟ فقال: يا رجل فو الله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

«روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد ألقوا في القليب: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله صلى الله عليه وآله أخرجتموه من منزله وطردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له عمر: يا رسول الله ما خطابك لهام قد صديت؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/٥٨.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٥٥.

فقال له: مه يا ابن الخطاب فو الله ما أنت بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم»[١].

ب- «الحسن بن علي الوشاء قال: دعاني سيدي الرضا عليه السلام بمرو فقال: يا حسن مات علي بن أبي حمزة البطائني في هذا اليوم وأدخل في قبره الساعة ودخلا عليه ملكا القبر فساءلاه: من ربك؟ فقال الله، ثم قالا: من نبيك؟ فقال: محمد، فقالا: من وليك؟ فقال: علي بن أبي طالب، قالا: ثم من؟ قال: الحسن، قالا: ثم من؟ قال: الحسين، قالا: ثم من؟ قال: علي بن الحسين، قالا: ثم من؟ قال: محمد بن علي، قالا: ثم من؟ قال: جعفر بن محمد، قالا: ثم من؟ قال: موسى بن جعفر، قالا: ثم من؟ فلجلج فزجراه وقالا: ثم من؟ فسكت، فقالا له: أ فموسى بن جعفر أمرك بهذا؟ ثم ضرباه بمقمعة من نار فألهبا عليه قبره إلى يوم القيامة. قال: فخرجت من عند سيدي فورخّت ذلك اليوم فما مضت الأيام حتى وردت كتب الكوفيين بموت البطائني في ذلك اليوم وأنه أدخل قبره في تلك الساعة»[٢].

السابع: وادي السلام مجمع أرواح المؤمنين:

أ- «أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومر حتى أتى الغريين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب، فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين أ لا أبسط ثوبي تحتك؟ قال: لا، هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه؟ قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون، فما مزاحمته في مجلسه؟ فقال: يا ابن نباتة لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقا يتزاورون ويتحدثون، إن في

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٩/٥٨.

هذا الظهر روح كل مؤمن وبوادي برهوت نسمة كل كافر»[١].

ب- «عن حبة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن»[٢].

ج- «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال: ما تبالي حيثما مات، أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة أما إني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون»[٣].

الثامن: محبة السيدة الزهراء عليها السلام:

قال العلامة المقدس المؤتمن الشيخ فرج العمران:

«رأيت ذات ليلة كأني مت ودفنت فبقيت في قبري مرتهناً بعملي نادماً على ما فرطت في حياتي مستوحشاً من سيء أعمالي قائلاً: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، ذاكراً لحديث: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٤٢-٢٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٦٨.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢٦٨.

فبينما أنا في تلك الوحشة العظيمة والدهشة الفخيمة إذ تراآى لي هناك شيء لم أعرف كيفيته ولم أميز صورته إلا أني قطعت بأن فيه النجاة الكبرى والأمان الدائم، فقمت إليه مبادراً كأنما نشطت من عقال، فوضعته أمامي فانقلب الحزن فرحاً وسروراً واتسع ذلك القبر الضيق واستضاء نوراً، فبقيت حامداً لربي شاكراً لنعمته عليَّ قائلاً: سبحان الله كيف بهذا الحال المدهش في هذا القبر الضيق الموحش وأنا عندي هذا العمل الصالح والصاحب المؤنس ثم جعلت أفكر وأقول: ما يكون هذا من الأعمال وأي شيء هو من الأفعال، فألهمت بين النوم واليقظة أنه حب فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها. فقلت هذه الأبيات ارتجالاً:

قالوا: اذَّخَرْتَ لدارِكَ الأُخْرى ... زاداً؟ فقلتُ: ذَخَرْتُ لي ذُخْرا
قالوا: فهل يكفيكَ؟ قلتُ: بلى ... واللهِ، بل يكفي الورى طُرّا
قالوا: فما ذا الزادُ؟ قلتُ لهم: ... إني اذَّخَرْتُ مَحَبَّةَ الزهرا[1]

محصلة العرض:

أولاً: توافر النصوص:

قال شيخ الإسلام المجلسي ـرضوان الله عليهـ:

"اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت إما معذبة إن كان ممن محض الكفر أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان أو يلهى عنه إن كان من المستضعفين ويرد إليه الحياة في القبر إما كاملاً أو إلى بعض بدنه كما مر في بعض الأخبار ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال ويثاب ويعاقب بحسب ذلك وتضغط أجساد بعضهم وإنما السؤال والضغطة في الأجساد الأصلية

---

(١) سفط الغوالي وملتقط اللئالي /٣٧ـ٣٨.

وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقن كما سيأتي أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك مما مر وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب»[1].

ونقل عن الشيخ المفيد ـنوّر الله ضريحهـ:

«جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة فمنها أن ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم وإن ارتج عليه سلموه إلى ملائكة العذاب»[2].

ثانياً: التلقين بالإمامة والإمام في حياة النبي والوصي:

وقد مر في غضون عرض الروايات سؤال أم أمير المؤمنين فاطمة بنت أسد ـسلام الله عليهاـ وكذلك سؤال سيدة نساء الأولين والآخرين فاطمة بنت رسول الله ﷺ في قبرها عن الإمام في زمانها.

وفي ذلك دلالة على جلال الإمامة ومقام الإمام فتسأل عنه حتى الصديقة الكبرى، وهو المنسجم مع ما جاء في الروايات: يسأل من محض الإيمان محضاً.

وقد نقل العلاّمة المجلسي كلاماً في سؤال الأنبياء والأئمة وعمّا يسألون. فراجع في ذلك (بحار الأنوار) ٦/٢٧٥، ٢٧٨ـ٢٧٩.

ثالثاً: نعيم الأرواح في دار السلام:

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٠٠.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٨٠.

وفي ذلك مناسبة الحكم للموضوع، فمن ختم له بالسعادة والموت على الولاية فإنه يرى أثر ذلك مباركاً في نشأته الأخرى في حياة البرزخ فينعم بحبائها وثمرة خيراتها فهي الأنس والأنيس والعطاء النفيس.

رابعاً: مؤانسة الإمام لأوليائه:

فالإمام هو المحور، حبه إيمان، وبغضه كفر، وقد لطفت روحه في تكوينها وخلقها الأول الأمثل، ومن لطفها نفوذها إلى عالم الغيب وعلمها بالأرواح المسنجمة معه بموالاتها، وها هي قد حلت في رحابه وأنست في دياره وتحلقت في ربوع وادي السلام، فها هو يناجي روحها وينعش نفسها بلذيذ مناجاته وخطابه.

خامساً: شأن النبي والوصي:

فكما جرى للحبيب المصطفى مع قتلى بدر الملقين في القليب فكذلك للإمام المرتضى مع العتاة المردة مثيري الفتنة الخارجين على الحق وإمامه.

وكما أثار ذلك اعتراضاً فكذلك أثار هذا استغراباً، والحالتان على نسق واحد، ومحمد النبي وعلي الوصي نفس واحدة فلا غرو لو جرى لأحدهما ما جرى للآخر، فتشابه الحالتين لتماثل النفسين والذاتين.

سادساً: الإمامة كلٌّ واحد:

ولا يلتئم الكل إلا بكافة أجزائه، والاعتقاد كما هو قائم في الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله فمن أنكر واحداً فقد أنكر الجميع، فكذلك هو قائم في الإيمان بكافة الأئمة من قبل الله، فالمنكر للواحد منهم منكر للكافة، فهم حبل الله الممدود الذي أمر أن يوصل.

سابعاً: عقد المأثور نظماً:

فقد صاغه الشعراء وأبدعوا في سبكه. وقد جادت وأجادت قريحة شاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ الفرطوسي -حشره الله مع مواليه- فقال تحت عنوان (حضوره عند السؤال في القبر):

وسؤالُ القبرِ الذي جاءَ حقٌّ ... عند وأدِ الإنسانِ في الحصباءِ
حينَ يأتيهِ منكرٌ ونكيرٌ ... وهو في قبرِهِ رهينُ العَفاءِ
وهما يَسألانِ عن كلِّ شيءٍ ... كان يأتي بهِ من الأشياءِ
وهو يملي كتابَهُ بيديهِ ... حين يملي بدقةِ الإحصاءِ
وإذا بالكلام قَصَّرَ عيًّا ... من عظيمِ الأهوالِ والأرزاءِ
وكُلَ المصطفى وحيدرُ فيهِ ... وكرامُ الأئمةِ الأمناءِ
فهم يظهرونَ ما علموهُ ... من خفايا ضميرِهِ بجلاءِ
وإذا لُقِّنَ المسجَّى هداهُ ... تركاهُ وأصبحا في تنائي
ويقولانِ: ما لنا ولعبدٍ ... لَقَّنُوهُ بالحجةِ البيضاءِ
قد تجلت له الحقيقةُ جهراً ... بعد تلقينِهِ بخيرِ جلاءِ
وهو يملي عند السؤالِ علينا ... كلَّ ما عَلَّمُوهُ دون مراءِ

عالم البرزخ وحمى علي:

عالَمُ البرزخِ الذي هو فصلٌ ... بين دنيا الفنا وأخرى البقاءِ
حين تحيى النفوسُ فيه وتُبلى ... كلُّ نفسٍ بما لها من بلاءِ
فيه تَبلى الأجسامُ والروحُ تبقى ... في نعيمٍ يهنى به أو شقاءِ
حيثُ وادي السلامِ أو حضرموتٌ ... هو مأوى لمؤمنٍ أو مرائي
وإمامُ الهدى تخوَّفَ مما ... فيه يأتي على الورى من بلاءِ

وأتتنـا الأخبـار وهـي صـحاحٌ عنـد نقـلِ المـوتى لخـير وقـاءِ
لـيس يُنجـي سـوى حمـى لعلـيٍّ من عـذابِ القبـورِ عنـد الفَنـاءِ[1]

وقال الشيخ جعفر بن الشيخ علي كاشف الغطاء:

إذا كنـتَ تخشـى منكـراً وحسـابَهُ وتَفْزَعُ مـن بلـوى نكـيرٍ وتَرْهَـبُ
فلُذْ بالذي إنْ أذنبَ النـاسُ كلُّهـم ولاذُوا به لم يَبْقَ في الناسِ مُـذْنِبُ[2]

وقال الآخر:

إذا مِتُّ فـادفُني إلى جنـبِ حيـدرٍ أبي شُـبَّرٍ أكْـرِمْ بـهِ وشـبيرِ
فلستُ أخافُ النـارَ عنـدَ جـوارِهِ ولا أختشـي مـن منكـرٍ ونكـيرِ

المقام الأسمى في النشأة الآخرة:

وهي المرحلة الخاتمة والبداية الطويلة التي لا نهاية لها إلا بالنعيم أو الجحيم: ﴿يَـوْمَ تَشَـقَّقُ الأَرْضُ عَـنْهُمْ سِـرَاعًا﴾ (ق /٤٤). ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ۞ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق /١ـ٥). ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس /٥١ـ٥٣). ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر /٧ـ٨). ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ

---

(١) ملحمة أهل البيت ٢/٢٩ـ٣٠.
(٢) ماضي النجف وحاضرها ٣/١٤٤.

صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف /٤٧ـ٤٩). ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۞ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ۞ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ /٣٨ـ٤٠). ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين /٥ـ٦). ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج /١ـ٢). ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج /٤). ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ (المعارج /٨ـ١٢). ﴿فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (عبس /٣٣ـ٤٢). ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ (المزمل /١٤). ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۞ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (المزمل /١٧ـ١٨). ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۞ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم /٤٨ـ٥٠). ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ﴾ (الحاقة /١٨ـ٣٧). ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۞ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء /٧١ـ٧٢). ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۞ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۞ مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ ۞ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (الصافات /٢٠ـ٢٦). ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين /٣٤ـ٣٦). ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء /٨٨ـ٨٩).

أجل .. إنه اليوم المهول يوم العرض الأكبر على الله، ينصب فيه ميزان العدل والحكمة الكبرى على رؤوس الخلائق فتستوفى فيه الظلامات، ويوضع الصراط، ويقوم الأشهاد، ويستولي الفزع، ويشتد العطش. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود /١٠٣). ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود /١٠٥ـ١٠٨).

في ذلكم الموقف الرهيب عقبات كؤود، وأهوال شداد، ومواقف عظام لا تخطر بالبال ولا تدرك بالخيال.

وكما أقام المولى الأعظم صفوة أوليائه وخالصة أصفيائه واستخلصهم في الدنيا على دينه وعباده وبلاده وأناط بهم سياسة خلقه فكذلك هو مستخلفهم في الآخرة ومقيمهم لمحاسبة عباده ومساءلتهم والشهادة عليهم ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء /٤٢). ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء﴾ (النحل /٨٩). ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ۞ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر /٦٩ـ٧٠).

وكما كان دين الإسلام خير الأديان وقرآنه خير كتب الله المنزلة وهما ناسخان لما قبلهما من أديان وكتب فكذلك نبيُّ هذا الدين والصادع بكتابه المنزل على قلبه خير الأنبياء والمرسلين رتبة وأفضلهم منزلة وأشرفهم مقاماً وأعظمهم حباء ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

ولما كان علي نفس محمد ـصلى الله عليهما وآلهماـ فله المقام الأسمى والشأن الأسنى.

وسيتجلى ذلكم اليوم العظيم مقام ولي الله الأعظم في كافة مواقفه ومواطنه من بدئه إلى منتهاه.

فهو أول من تنشق عنه الأرض، وهو راكب الناقة النوراء، وهو على الأعراف يعرف كلاً بسيماه، وهو على الصراط لا يجتازه أحد إلا ببراءة وجواز منه، وصاحب الكوثر الرقراق، والشاهد للأنبياء والمرسلين، وبيده

مفاتيح الجنة والنار، والآمر على الملائكة، ومرتقي منبر القيامة، والخطيب في المحشر، وله الشفاعة الكبرى والمقام المحمود، والمنادى بخليفة الله والسمات المميزة، وحامل لواء الحمد، وأول داخل للجنة، وبنوره استنارت.

فله جلالٌ ليس فوقَ جلالِهِ إلا جلالُ اللهِ جلَّ جلالُهُ

وبعد ..

فسأعرض غيضاً من فيض حفظته الزبر ودونته الحفاظ على اختلاف رأيهم ومشاربهم فيه وفي موالاته نستشف من خلالها ما أعد الله لوليه من عظيم المقام وشامخ المنزلة وما اذخر للكريم عليه من الشأن الأعظم والشرف الأتم الأكمل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الأول: أول من تنشق عنه الأرض بعد النبي:

أ- "يا علي أول من تنشق عنه الأرض محمد ﷺ ثم أنت، وأول من يحيى محمد ﷺ ثم أنت، قال: ثم انكب ساجداً وعيناه تذرفان بالدموع فانكب عليه النبي ﷺ فقال: يا أخي وحبيبي ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماواته"[1].

ب- "وعن علي عليه السلام: قال لي رسول الله ﷺ: سألت فيك خمساً فمنعني واحدة وأعطاني أربعة، سألته أن تجتمع عليك أمتي فأبى عليَّ، وأعطاني أول من تنشق عنه الأرض ..."[2].

---

(١) إحقاق الحق ١٨/٤ عن المناقب للخوارزمي، و ١١٣ نحوه عن منتخب كنز العمال عن ابن عباس، و ٢٧١ وفيه: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنت معي.

(٢) إحقاق الحق ١٣٩/٤ عن نظم درر السمطين و ١٨٦/١١ عن النقشبندي في

الثاني: أول من يجثو للخصومة:

«قال: قال علي: إني لأول أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى»[١].

«قال علي: أنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة». وعقبه بقوله: لقد صح الحديث بهذه الروايات عن علي كما صح عن أبي ذر الغفاري[٢].

الثالث: رجال الأعراف:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف /٤٦). ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف /٤٨).

الأعراف موضع عال من الصراط:

أ- «روى الحاكم بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند علي رضي الله عنه فأتاه ابن الكواء فسأله عن هذه الآية فقال: ويحك يابن الكواء نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن أحبنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فدخل النار»[٣].

ب- «وروى في المناقب بسنده عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي أكثر من عشر مرات: يا علي إنك

(مناقب العشرة).

(١) إحقاق الحق ١٤/٤٠٨ عن الطبري في (مجمع البيان).

(٢) إحقاق الحق ١٤/٤١٤ عن الحاكم النيسابوري في (المستدرك).

(٣) إحقاق الحق ٣/٥٤٤.

والأوصياء من ولدك أعراف بين الجنة والنار لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»[١].

الرابع: المسؤول عن ولايته:

قال الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (الصافات /٢٤).

أ- «في الصواعق المحرقة لابن حجر: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ عن ولاية علي»[٢].

ب- «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعلي على الصراط بيد كل واحد منا سيف فلا يمر أحد من خلق الله إلا سألناه عن ولاية علي عليه السلام فمن معه شيء منها نجى، وإلا ضربنا عنقه وألقيناه في النار. ثم تلا: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۞ مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ ۞ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾»[٣].

ج- «والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: عن ولاية علي، ثم قال ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيما أمرهم به وما نهاهم عنه، وعن أعمالهم في الدنيا، ثم قال ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال السدي: قال أبو صالح: قال ابن عباس: أمره الله أن يظهر القرآن، وأن يظهر فضائل أهل بيته كما أظهر القرآن»[٤].

د- «قال رسول الله ﷺ -ونحن جلوس ذات يوم-: والذي نفسي بيده

---

(١) إحقاق الحق ٣/٥٤٤. وقد أورد عدة روايات فيه وفي ١٤/٣٩٦-٣٩٨.

(٢) إحقاق الحق ٣/١٠٤. وذكر في الهامش روايات كثيرة، وكذلك ١٤/١٨٢-١٨٥.

(٣) غاية المرام وحجة الخصام ٣/٩٠ عن (مصباح الأنوار) للشيخ الطوسي.

(٤) إحقاق الحق ١٤/٥٦٦.

لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأله الله -تبارك وتعالى- عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت، فقال له عمر: فما آية حبكم من بعدكم؟ قال: فوضع يده على رأس علي -وهو إلى جانبه- وقال: إن حبي من بعدي حب هذا»[1].

الخامس: لواء الحمد الأعظم:

أ- «أ ما عملت يا علي أني أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على إثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنة، ألا وإني أخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثم أنت أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قضيبه فضة بيضاء، زجه درة خضراء، وله ثلاث ذوائب من نور، ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب، والثالثة في وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، الثاني الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، الثالث محمد رسول الله، طول كل سطر مسيرة ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير بلوائي والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني بين إبراهيم في ظل العرش»[2].

ب- وعن ابن عساكر في حديث مماثل جاء فيه:

«فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد، ويستبشر به آدم وجميع من خلق الله -عز وجل- من الأنبياء والمرسلين فيستظلون بظل لوائي، فتسير باللواء

---

(١) مناقب الخوارزمي /٧٧.

(٢) إحقاق الحق ٣/٤٩٥ عن ابن المغازلي ملخصاً.

...»[١].

وعن ابن عساكر أيضاً بطريق آخر: «وأما الرابعة فإن لوائي معه يوم القيامة وتحته آدم وما ولد»[٢].

ج- وفي ثالث مثله عن القندوزي عن أحمد بن حنبل في مسنده[٣].

د- ومن حديث في مقاماته عليه السلام يوم القيامة:

«وبيده لواء الحمد وينادي علي «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فيقول الخلائق: من هذا؟ أ هو ملك مقرب أم نبي مرسل أم حامل عرش رب العالمين؟ فينادي مناد من العرش: هذا علي وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[٤].

هـ- وفي حديث أبي سعيد الخدري:

«وعلي بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، وأولياء علي المفلحون الفائزون بالله»، حتى أصعد أعلى درجة منها، وعلي أسفل مني بدرجة، وبيده لوائي، فلا يبقى يومئذ رسول ونبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا رفعوا أعينهم ينظرون إلينا ويقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله، فينادي المنادي ويسمع نداءه جميع الخلائق: هذا حبيب الله محمد، وهذا ولي الله علي ...»[٥].

---

(١) إحقاق الحق ١٥/٤٨٣.
(٢) إحقاق الحق ١٥/٤١٦.
(٣) إحقاق الحق ١٥/٤٨٤.
(٤) إحقاق الحق ١٥/٣٢٥.
(٥) إحقاق الحق ٤/٤٨٩.

د- ومن حديث طويل:

«يا فاطمة إني آخذ لواء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي ثم أدفعها إلى علي فيكون آدم ومن ولده تحت لوائه»[١].

ز- «وأما الثالثة فسألت الله أن يجعلك حامل لوائي الأكبر، وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون الفائزون بالجنة، فأعطاني»[٢].

وعن جابر بن سمرة قال: «قيل يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب»[٣].

ح- وفي حديث أبي سعيد الخدري: «وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة»[٤].

ط- «وعن ابن عباس أنه سئل عن قوله -عز وجل- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح /٢٩) قال: سأل قوم النبي ﷺ فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبي الله؟ قال: إذا كان يوم القيامة عقد الله لواء من نور أبيض فإذا منادٍ: ليقم سيد المؤمنين ومعه الذين آمنوا بعد بعث محمد ﷺ فيقوم علي بن أبي طالب فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يخالطهم غيرهم حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على

---

(١) إحقاق الحق ٥/٢٠ عن المناقب للخوارزمي.
(٢) إحقاق الحق ٥/٢٠ عن المناقب للخوارزمي.
(٣) المناقب للخوارزمي /٣٥٨.
(٤) إحقاق الحق ٥/٥٨٨ عن أرجح المطالب.

آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنة، إن ربكم يقول: عندي مغفرة وأجر عظيم، يعني الجنة، فيقوم علي والقوم تحت لوائه معهم حتى يدخل بهم الجنة، ثم يرجع إلى منبره، فلا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة، وينزل أقواماً إلى النار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد /١٩) يعني السابقين الأولين من المؤمنين وأهل الولاية له. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحديد /١٩) يعني بالولاية بحق علي وحق علي الواجب على العالمين»[١].

إلى كثير من الروايات بالطرق المختلفة فراجع مظانها في فهرست (إحقاق الحق) ج٢٤/٥٠ـ٥١، ١٨٥ـ١٨٦، ٣٢٦، ٤٧٧، ٥١١.

السادس: منبر النور والكرامة:

أ ـ «قال النبي ﷺ: يا علي بخ بخ من مثلك والملائكة لتشتاق إليك، والجنة لك، إنه إذا كان يوم القيامة ينصب لي منبر من نور ولإبراهيم منبر من نور ولك منبر من نور فيجلس عليها وإذا مناد ينادي: بخ بخ من وصي بين حبيب وخليل ...»[٢].

ب ـ عن أنس بن مالك: قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر يقال لي: ارقَ، فأكون أعلاه، ثم ينادي مناد: أين علي؟ فيكون قبلي دوني بمرقاة، فيعلم جميع الخلائق أن محمداً سيد المرسلين وأن علياً سيد

---

(١) علي إمام البررة ١/٧٧ـ١٧٩ عن عدة مصادر منها: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني.

(٢) إحقاق الحق ٤/١٠١ عن المناقب المرتضوية.

الوصيين ...[١].

ج- وفي حديث الأعرابي الطويل:

«يا أعرابي أ لا أنبئك بالخامسة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: إذا كان يوم القيامة ينصب لي منبر عن يمين العرش، ثم ينصب لإبراهيم منبر بحذاء منبري عن شمال العرش، ثم يؤتى بكرسي الكرامة فينصب بينهما، فأنا على منبري وإبراهيم على منبره وعلي على كرسي الكرامة، فما رأت عيناي أحسن من حبيب بين خليلين»[٢].

السابع: خطيب القيامة:

«قال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله: يا محمد اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي علي بن أبي طالب في أوسطهم منبر من نور فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها»[٣].

الثامن: راكب ناقة الجنة:

من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام على ناقة من نوق الجنة مدبجة

---

(١) إحقاق الحق ٤/١١٦ عن فرائد السمطين.
(٢) إحقاق الحق ٤/١٢٧.
(٣) بحار الأنوار ٤٣/٦٤.

الجنبين، عليه حلتان خضراوان من كسوة الرحمن، على رأسه تاج من نور، لذلك التاج سبعون ألف ركن على كل ركن ياقوتة حمراء تضيء للراكب مسيرة ثلاثة أيام، وبيده لواء الحمد ينادي: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فيقول الخلائق: من هذا؟ ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش؟ فينادي مناد من بطنان العرش: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول رب العالمين وأمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين في جنات النعيم»[1].

التاسع: أسماء ينادى بها يوم القيامة:

أ- «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ينادون علي بن أبي طالب عليه السلام بسبعة أسماء: يا صديق، يا دال، يا عابد، يا هادي، يا مهدي، يا فتى، يا علي، مُرَّ أنت وشيعتك إلى الجنة بغير حساب»[2].

ب- «أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نودي: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود، فيقال: لسنا أردناك وإن كنت خليفة الله في أرضه، فيقوم أمير المؤمنين عليه السلام فيأتي النداء: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم ليستضيء بنوره ويشيعه إلى الجنة»[3].

ج- «عن عبد الله بن عمر [بن الخطاب] قال: قال رسول الله ﷺ (لعلي بن أبي طالب عليه السلام): إذا كان يوم القيامة يؤتى بك على نجيب من نور على رأسك تاج يضيء يكاد نوره يخطف أبصار أهل المحشر فيأتي النداء من عند الله جل جلاله: أين خليفة محمد رسول الله ﷺ؟ فتقول يا علي: ها أنا

---

(١) إحقاق الحق ٤/٥٠٠ وفي المقام روايات كثيرة يراجع لاستيفائها فهرست (إحقاق الحق) ٢٤/٥٦٨.

(٢) إحقاق الحق ٤/٣٠٠ عن المناقب للخوارزمي.

(٣) بحار الأنوار ٣٨/١٥٣ عن مناقب آل أبي طالب.

(فينادي المنادي): من أحبك أدخله الجنة ومن عاداك أدخله النار، فأنت قسيم الجنة والنار (بأمر الملك الجبار)»[١].

وللحديث تتمة: «وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنات، فيقوم الناس الذين تعلقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنة، ثم يأتي النداء من عند الله ـجل جلالهـ: ألا من تعلق بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب. فحينئذ يتبرأ ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾»[٢].

العاشر: ساقي الكوثر والذائد عنه:

أـ «وتقف على عقر حوضي تسقي من عرفت، فكان علي عليه السلام يقول: والذي نفسي بيده لأذودن عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقواماً من المنافقين كما تذاد الإبل عن الحوض ترده»[٣].

بـ وقد أخرج الطبراني أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي معك يوم القيامة عصى من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض»[٤].

جـ ما رواه الحاكم عن علي بن أبي طلحة وصححه: «أن الحسن عليه السلام قال لمعاوية بن خديج: أنت الساب لعلي عليه السلام؟ والله إن لقيته ـوما أحسبك

---

(١) مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده /٥٦.
(٢) غاية المرام وحجة الخصام ٢٧/٧ عن (أمالي الطوسي) و(أمالي المفيد).
(٣) إحقاق الحق ٤٩٦/٤ـ٤٩٧ عن تذكرة سبط بن الجوزي.
(٤) إحقاق الحق ٥٣٣/١٨ عن الإشراف على فضل الأشراف للسمهودي.

تلقاه يوم القيامة- لتجده قائماً على حوض رسول الله ﷺ يذود عنه رايات المنافقين»[١].

د- «وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين، فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: تبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: ارجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإن خير الخلق من يشفع (حقيق أن لا يرد إذا شفع). فيقول: إني أهلك عطشاً، فيقول له: زادك الله ظمأ وزادك الله عطشا»[٢].

الحادي عشر: المنزلة العظمى:

«عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله -تبارك وتعالى- الخلائق كان نوح -صلى الله عليه- أول من يدعا به، فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيخرج نوح -صلى الله عليه- فيتخطى الناس حتى يجيء إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على كثيب المسك ومعه علي عليه السلام، وهو قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد، إن الله -تبارك وتعالى- سألني: هل بلّغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمد، فيقول: يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا له أنه قد بلّغ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلّغوا. فقلت: جعلت

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب من حبه عنوان الصحيفة /٣٥٣-٣٥٤.
(٢) كامل الزيارات /٢٠٥.

فداك فعلي عليه السلام أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك»[١].

الثاني عشر: الصراط والجواز عليه ببراءة منه:

أ- «قال إمام الصادقين -كرم الله وجهه-: أنا الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي الصراط صراطك والموقف موقفك»[٢].

ب- «مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنم لم يجز بها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام»[٣].

ج- عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس، وهو جبل قد علا على الجنة، وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة، وتتفرق في الجنان، وهو جالس على كرسي من نور يجري من بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد على الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار»[٤].

د- «عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا فرغ الله تعالى من الحساب المعاد بأمر الملكين فيقفان على الصراط فلا يجوز أحد إلا ببراءة ولاية من علي، فمن لم يكن معه أكبه الله في النار»[٥].

---

(١) روضة الكافي /٢٦٧.
(٢)إحقاق الحق ١٢٤/٧ عن المناقب المرتضوية.
(٣) إحقاق الحق ١١٥/٧ عن فرائد السمطين.
(٤) المناقب للخوارزمي /٧١.
(٥) إحقاق الحق ١١٧/٧ عن المناقب المرتضوية.

هـ- "عن محمد بن علي أن النبي ﷺ قال: ما ثبت الله حب علي في مؤمن فزلت به قد إلاّ ثبّت الله قدميه يوم القيامة على الصراط"[١].

و- "عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبي ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ فقال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وبنتي، فإن الله زوج علياً من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعاً (يعني صكاكاً) بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا تلقى محباً لنا أهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار، بأخي وابن عمي وابنتي هم فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار"[٢].

ز- "رسول الله ﷺ: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز"[٣].

الثالث عشر: قسيم الجنة والنار وأمرهما بيده عليه السلام:

أ- "عنه ﷺ لعلي عليه السلام: أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك"[٤].

ب- "لما مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فقالوا: يا أبا محمد هذا آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تروي عن علي عليه السلام، وكان السلطان

---

(١) إحقاق الحق ٧/٢٨٠ عن منتخب كنز العمال.
(٢) إحقاق الحق ٤/٤٥٧ عن مقتل الحسين للخوارزمي.
(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ٨/١٥٧ عن الصواعق المحرقة وذخائر العقبى عن أبي بكر.
(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ٨/١٦٥ عن الصواعق المحرقة.

يعترضك عليها وفيها تعيير بني أمية، ولو كنت اقتصرت لكان الرأي، فقال: أ لي تقولون هذا، أسندوني، فسندوه فقال: حدثني المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعلي عليه السلام: أدخلا الجنة من أحبكما، وأدخلا النار من أبغضكما، فيجلس علي عليه السلام على شفير جهنم فيقول: هذا لي وهذا لك»[1].

ج- «جابر رفعه: إذا كان يوم القيامة يأتيني جبرائيل وميكائيل بحزمتين من مفاتيح الجنة وحزمة من مفاتيح النار، وعلى مفاتيح الجنة أسماء المؤمنين من شيعة محمد وعلي، وعلى مفاتيح النار أسماء المبغضين من أعداء الله، فيقولان لي: يا أحمد، هذا مبغضك، وهذا محبك، فأدفعها إلى علي بن أبي طالب فيحكم فيهما بما يريد، فوالذي قسّم الأرزاق لا يدخل مبغضيه الجنة ولا محبيه النار أبداً»[2].

د- روي عن أبي سعيد الخدري -في حديث طويل- قال: قال رسول الله ﷺ:

«وإذا بملكين قد أقبلا إلي أما أحدهما فرضوان خازن الجنان، وأما الآخر فمالك خازن النيران، فيدنو رضوان ويقول: السلام عليك يا رسول الله، أنا خازن الجنان، وهذه مفاتيح الجنة بعث بها ربك فخذها يا أحمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي، فله الحمد على ما فضلني به، ثم أدفعها إلى علي بن أبي طالب، ثم يرفع رضوان، ويدنو مالك النيران فيقول: السلام عليك يا أحمد أنا خازن النيران، فهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربك فخذها يا أحمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي، فله الحمد على ما فضلني، ثم أدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، ثم يرجع مالك النيران، فيقبل علي

---

(١) إحقاق الحق ٦/٢١٠ عن المناقب لابن المغازلي.

(٢) إحقاق الحق ٦/٢١١ عن القندوزي في (ينابيع المودة).

ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقف على عجزة جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتد حرها، وعلي آخذ بزمامها فتقول له جهنم: يا علي قد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها علي: قري يا جهنم خذي هذا واتركي هذا، خذي هذا عدوي واتركي هذا وليي، وإن جهتم يومئذ أشد مطاوعة من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة، ولجهنم يومئذ مطاوعة لعلي في ما يأمرها به في جميع الخلائق»[١].

الرابع عشر: أول داخل للجنة:

أ- «إنك أول داخل يدخل الجنة من أمتي»[٢].

ب- «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكروا أصحاب الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أول أهل الجنة دخولاً إليها علي بن أبي طالب»[٣].

ج- «عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أول من يدخل الجنة من النبيين والصديقين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليه أبو دجانة فقال له: أ لم تخبرنا عن الله تعالى أنه أخبرك أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخل أمتك؟ قال: بلى، ولكن أما علمت أن حامل لواء الحمد أمامهم؟ علي بن أبي طالب عليه السلام حامل لواء الحمد يوم القيامة بين يدي يدخل به الجنة وأنا على أثره، فقام علي عليه السلام وقد أشرق وجهه سروراً وقال: الحمد لله الذي شرفنا بك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٤].

---

(١) إحقاق الحق ٤/٤٨٧ـ٤٨٨ عن الحنفي الموصلي في (در بحر المناقب).
(٢) إحقاق الحق ٤/٢٨٩ عن المناقب للخوارزمي.
(٣) إحقاق الحق ٦/٢٢٣ عن (أرجح المطالب).
(٤) إحقاق الحق ٤/٢٦٨ـ٢٦٩. وروى نحوه في (بحار الأنوار) ٣٦/٦٤.

الخامس عشر: نداء حلقة الجنة باسمه:

«روى من طريق الخطيب في (المناقب) قال النبي ﷺ: إن حلقة باب الجنة من ياقوت حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة طنّت وقالت: يا علي يا علي»[١].

وفي حديث ابن مسعود قال: قال رسول ﷺ: علي بن أبي طالب حلقة معلقة بباب الجنة من تعلق بها دخل الجنة»[٢].

السادس عشر: المؤذن في الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف /٤٤ـ٤٥).

«روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال علي رضي الله عنه: في كتاب الله أسماء لي لا يعرفها الناس منها: (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ) يقول: ألا (لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي»[٣].

أقول: وعقيب الآية المباركة آية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً

---

(١) إحقاق الحق ١٧٦/٧ عن (المناقب المرتضوية).

(٢) المناقب للخوارزمي /٣٢٤.

(٣) إحقاق الحق ٣٩٤/٣. ولاحظ م ن ٣٣٥/١٤ـ٣٣٦.

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف /٤٦ـ٤٩).

وجلي أمر التناسب والانسجام في مقامات ولي الله الأعظم وشؤونه العظام.

السابع عشر: نور الجنة:

"روى بسند يرفعه إلى أنس أن النبي ﷺ قال: إن علي بن أبي طالب يضيء في الجنة لأهل الجنة كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا"[١].

وفي آخر: علي يزهر في الجنة ككواكب الصبح لأهل الدنيا[٢].

وفي ثالث: بسند يرفعه إلى أبي الحمراء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن وجه علي بن أبي طالب يزهر لأهل الجنة كما يزهر وجه الصبح لأهل الدنيا[٣].

الثامن عشر: شوق الأنبياء لعلي في الجنة:

"عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون إلى علي بن أبي طالب، وما في الجنة نبي إلا وهو يشتاق إلى علي بن أبي طالب"[٤].

التاسع عشر: إمام القيامة:

---

(١) إحقاق الحق ٦/١٦٦.
(٢) إحقاق الحق ٦/١٦٧.
(٣) إحقاق الحق ٦/١٦٩.
(٤) إحقاق الحق ٦/١٠٨ عن (ذخائر العقبى).

من حديث في المناقب طويل:

«علي خير البرية، وهو صاحب اللواء، وإمام القيامة، وضرب بيده إلى علي بن أبي طالب -كرم الله تعالى وجهه- فسر بذلك علي وقال: الحمد لله الذي شرفنا بك، فقال -صلى الله عليه وآله وبارك وسلم-: ابشر يا علي فإنه ما من عبد يحبك وينتحل مودتك إلا بعثه الله تعالى يوم القيامة معي في مقعد صدق عند مليك مقتدر، رواه الإمام الصالحاني»[1].

استخلاص المآثر:

وبعد ..

فهذا طرف من أنباء علي في الدار الآخرة، سمعها وحفظها ورواها حملة الحديث من الفريقين، ولم ينفرد بذكرها شيعته القائلون بالنص عليه من الله -جل جلاله.

قال المحدث الخبير والعلاّمة النحرير السيد هاشم البحراني:

نصيحة لطيفة وهداية شريفة نختم بها هذا الكتاب:

وهو أن نقول: إياك أيها الواقف على ما في هذا الكتاب من الأخبار والروايات من طريق العامة أن يدخلك الشك والريب فيما قلناه عنهم في أبواب الكتاب في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأنه الخليفة ووصيه من بعده عليه السلام وغير ذلك من النصوص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله في فضله وفضل أهل البيت عليهم السلام وإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ورواياتهم ذلك في صحاحهم وكتبهم المعتمدة وأخبارهم المسندة عن رجالهم الموثوق بهم كما

---

(١) إحقاق الحق ٢٠/٥٢٢ عن (توضيح الدلائل).

اطلعت عليه، والثناء منهم على مشايخهم في أسانيدهم للأخبار الواردة عنهم في هذا الكتاب، فإني ما ذكرت عنهم في هذا الكتاب إلا ما هو مذكور في كتبهم ومصنفاتهم المعتمدة المنقولة عنهم، والله -جل جلاله- على ذلك من الشاهدين، وكفى بالله شهيداً، والحمد لله رب العالمين»[1].

ثم شرع في المناقشة: كيف يروون ولا يعملون وما علل ذلك وأفاض في ذلك.

وأقول:

وإني مع غاية الوثوق بمصادرنا ونزاهة علمائنا الأبرار أوردت كثيراً من روايات غيرنا، وربما قرنت بها نظيرها من طرق سوانا إقامة للحجة وتأكيداً للبرهان ودفعاً للاتهام والتشكيك، وإلزاماً للراوي بما روى، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة نقلاً عن أبي جعفر الإسكافي:

«فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة، لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة، وشدة العداوة، ولولا أن لله تعالى في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث، ولا عرفت له منقبة، ألا ترى أن رئيس قرية لو

---

(١) غاية المرام وحجة الخصام ٧/ ١٥٠. وهو كتاب نفيس وسفر جليل استوعب كثيراً من الآيات والروايات والنصوص الدالة على الإمامة وجلالة مقام الأئمة الكرام عليهم السلام وما اختصهم الله به من فضل، يعقد فيه فصلاً من طريق المؤالف وآخر نظيره من المخالف، فجزاه الله عن الإسلام ونبيه وآله خير الجزاء.

سخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره، ونسي اسمه، وصار وهو موجود معدوماً، وهو حي ميتاً»[١].

ولئن كانت شهرة تلكم الروايات تحمل سراً لله في شأن هذا الفذ المميز فانطلقت ألسنتهم وامتدت أقلامهم لتسطر وتنشر فضائله وجلائل مناقبه، وفي رواتها أعداؤه ومناصبوه وحساده والساعون لطمس مآثره فإن رواياتهم لمثل هذه الشؤون دلالة جهيرة وفصاحة معبرة وتمثيلاً مجسداً لسرٍّ أعظم وشأو أسمى ومقام أرفع يتبوؤه هذا الرجل الإلهي الفريد ذو الجنبات والأبعاد التي تحار فيها العقول ولا تحيط بها الأفهام.

ومن خلال التطواف السريع في مقامات علي العليا في النشأة الأخرى ومشاهد القيامة ومواقفها نستخلص جملة من الآثار والمآثر:

١ـ الاتحاد مع النبي ـصلى الله عليهما وآلهماـ:

فهما أول من تنشق عنهما الأرض، وهما على الأعراف، وعلى الصراط، والحوض، وكافة مواطن الكرامة يوم القيامة.

ولا غرو، فعلي نفس محمد، خلقا من نور واحد، وتقلبا في الساجدين:

عليٌّ مع الهادي كَشِقَّي يَراعَةٍ ... هما واحدٌ لا ينبغي عَدُّهُ اثنينِ
فإنْ تَرَ مِنْ غَطْشٍ على الخطِّ لائحٍ ... فمن شعراتٍ قد تَوَسَّطْنَ في البينِ[٢]

٢ـ مالك أزمة المحشر:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/٧٣. وقد أورد من قول الإسكافي قبل هذا ما يشاكله.
(٢) شعراء الحلة ٤/٢٨٤. والبيتان للحاج مجيد العطار. وقد تكرر ذكرهما لاقتضاء المناسبة.

فعن ولايته يسأل الخلق يوم الحساب، ومن حوض كوثره يسقى المؤمنون، ويذاد ويمنع الجاحدون، وببراءة منه يجتاز الصراط الموالون، والعادلون عن ولايته فإنهم ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾، وبيده مفاتيح الجنة والنار وهو قسيمهما والحاكم في أمرهما.

٣ـ خطيب المحشر على منبر النور:

ومن كان كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين فمن يكون سواه خطيباً على رؤوس الأشهاد يوم الحشر الأكبر والجمع الأعظم؟! فهو سيد خطباء الدنيا والآخرة.

وكما امتازت خطابته فقد امتاز منبره الأشرف فله من المقام ما يناسبه ويليق بتسنُّمِه.

٤ـ ملاذ الأنبياء وشوق الأصفياء:

فنبي الله الأول آدم عليه السلام وقاطبة الأنبياء والمرسلين يستظلون في لوائه المحمود وظله الممدود.

وهم في الجنة يسوقهم الشوق إليه والأنس بقربه، وغاية نعيمهم لقاؤه، وقرة عيونهم الزلفى بجنبه، وسرور قلوبهم النظر إليه.

٥ـ انبهار الخلائق لجلاله:

إذ يغشى بصرها مكسواً بحلل الأنوار ممتطياً ناقة من نور، فتغفل عن ذاتها وتذهل عما هي فيه من موقف فلا تتمالك متسائلة عن هذا النور الذي خشعت لجماله وجلاله وأي كامل هذا؟!

فإذا بها تسمع جوابها من بطنان العرش أن هذا ليس من عالم الملائكة وحملة عرش الجليل ولا من كوكبة الأنبياء المرسلين بل هو أسمى من ذلك إنه

(علي بن أبي طالب عليه السلام) وصي رسول رب العالمين وأمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم.

فمن كانت تلكم السمات وهاتيك الصفات صفاته ومميّزاته فهو المميز بالنور والبهاء والجلال والجمال.

٦ ـ إشادة الله بوليه بتمييزه عن الصفوة:

نداء يدوي في عرصات القيامة ويملأ جنبات المحشر ويسمعه كافة البشر، فمن المنادي وبماذا ينادي؟!

إن المنادي هو الله الحق ـ جلّت عظمته ـ من بطنان العرش صوتاً من القدرة الإلهية أو على لسان أفضل المبلغين عنه.

ونداؤه: أين خليفة الله؟ فتأخذ داوود عليه السلام نشوة الغبطة والفرح لهذا التكريم وقد كان لله خليفة، أما اليوم فالمعني غيره «لسنا أردناك وإن كنت خليفة الله في أرضه»، فيقوم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

ويتكرر النداء: «أين خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقول علي: ها أنا».

فعلي خليفة الله وخليفة محمد رسوله.

ويعاد النداء ويتعالى بذكر خصائصه ومميزاته: «يا صدّيق، يا دال، يا عابد، يا هادي، يا مهدي، يا فتى، يا علي».

وهي صفاته وأسماؤه الخاصة به والمنفرد بها عن من سواه.

٧ ـ تغني الجنة باسمه:

فما قرعت حلقتها إلا طنت وقالت: يا علي، فهل هي كلمة السر تعرف بأوليائه داخليها ببركة ولائه، وفضل عطائه؟! أم هي نشر مدحته؟!

أو التغني والالتذاذ بذكر اسمه واللهج بحبه؟! أم هو سر مستتر من عالمه المحير؟! لست أدري.

٨ـ هو الجنة وروحها ونورها:

فلو أحبه الخلق كلهم لما خلق الله النار، وما دخل الجنة داخل إلا بموالاته وأمره وضمان من قِبَلِه، ونوره يطفيء أنوار الخلائق ويعشي الناظرين، وأنس الصفوة المقربين فهو رُوحها ورَوحها والنور الزاهر فيها.

٩ـ لسان الله الصادق:

وينعم المؤمنين بجنات النعيم، ويشقى الجاحدون في دركات الجحيم، وينادي أولئك هؤلاء: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فيقولون: ﴿نَعَم﴾ فإذا كلمة الفصل يجلجل بها مؤذن الحق عن الله: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللّه عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

والنزاع والتخاصم بين أهل الحق وأهل الباطل يعنيه ويخصه فهو كما قال عليه السلام: «ألا لعنة الله على الظالمين الذين كذبوا بحقي واستخفوا بولايتي».

١٠ـ إمام الدنيا والآخرة:

فمن كان خير البرية والإمام الأول لخير الأديان فهو إمام القيامة والمخصوص بالزعامة وخليفة الله في النشأتين، وصنو خاتم النبيين والمرسلين.

١١ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

جلال يخشع له الملائكة والمرسلون وعباد الله المكرمون، ونور يغشى الناظرين، وجمال لا يحوم حوله خيال، وعظمة لا تدرك بوصف، ومعان كبار،

وأسرار تنمُّ عن طرف منها الآثار، إنما النعيم المقيم والملك الكبير، والسلطان الحاكم.

١٢ ـ ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

فمن كان لله ـ جلَّ جلاله ـ في كل وجوده، وعلى يديه وبجهاده قامت دعائم خير أديان لديه، وبعلمه وحَّد الله الموحِّدون وعبده العابدون، "وبعد أَنْ مُنِيَ ببُهَمِ الرجال، وذؤبانِ العرب، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأَها الله، أو نَجَمَ قرنٌ للشيطان، أو فغرت فاغرةٌ من المشركين، قَذَفَ أَخاهُ وابنَ عمِّهِ في لَهَواتِها، فلا ينكفئُ حتى يَطَأَ صِمَاخَها بأَخمصِه، ويخمدَ لَهَبَها بسيفه، مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمرِ الله، قريباً من رسولِ الله، سيداً في أولياءِ الله، مشمِّراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائم". "ويْحَهُمْ أَنَّى زَحْزَحُوها عَنْ رَواسِي الرسالة، وقواعِدِ النُّبُوَّةِ والدَّلالة، ومَهْبَطِ الرُّوحِ الأمين، والطِّبينِ بأمورِ الدنيا والدين، ألا ذلكَ هو الخُسرانُ المبين. وَمَا الذي نَقَمُوا منْ أبي الحسن؟! نَقَمُوا ـ والله ـ منْهُ نكيرَ سيفِه، وقلةَ مبالاتِهِ بحتفِه، وشدةَ وطأتِه، ونكالَ وقعتِه وتَنَمُّرَهُ في ذاتِ الله"[1].

ومن كان مع الله في فكره وعقله ونبضات قلبه وخلجات نفسه وغايات ذاته وكافة حركاته وسكناته وقفاً على مرضاته معتزاً بعبوديته مفتخراً بربوبيته ـ كافأه برضاه وحبه وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فأجزل له الجزاء وشكر له السعي عطاء من خزائنه التي لا تنفد.

أجل .. إن من انغمس في العبودية الخالصة الحقة واتحد معها قلباً وقالباً ولا همَّ له إلا فيها ولا غاية يرمي إليها سواها، لا حباً في الجنة ولا خوفاً من النار، بل كما قال عليه السلام:

---

(١) مقطعان من خطبتي السيدة الزهراء عليها السلام.

«الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، فإن الجنة فيها رضا نفسي، والجامع فيها رضا ربي»[١].

فهو المحبو بالمحبة، والمجازى من المولى الكريم بخير حباء، والمفاض عليه سابغ التكريم، ورضوان من الله أكبر.

١٣ ـ الحاكم المطلق وسلطان الله الأعظم:

ومن يكون أسمى منزلة وأعظم مقاماً من الشهادة على تصديق الأنبياء والمرسلين يوم يدعى كل أناس بإمامهم، فلا يدرك شأن حاكميته وبسط نفوذ سلطانه وما مكنه إلا من ارتضاه وأقامه المقام المحمود.

١٤ ـ ويؤخذ له بحقه:

فقد ظلم عدد المدر والحجر، فهو مظلوم الخافقين، ويوم محكمة العدل الكبرى يعرض ظلامته، ويستوفى له حقه ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[٢].

وهو أول من يجثو للخصومة، وخصماؤه كثر، وقد أبعدوه وأزالوه عن مناصبه ومراتبه التي رتبه الله فيه، وتنكروا لجهاده وجهوده وإقامته دعائم الإسلام، وحيلطته لدين الله وأنكروا فضائله ومنعوا نشر مآثره، ولعنوه على منابر الإسلام، واتهموه وشوهوا محاسن أمجاده.

---

(١) بحار الأنوار ٣٦٢/٨٠.

(٢) وقد ورد في تفسير هذه الآيات أنها في علي وخصمائه.

واليوم القصاص، «فَنِعْمَ الحَكَمُ الله، والزعيمُ محمد، والمَوْعِدُ القيامة، وعند الساعة يخسرُ المُبْطِلونَ، ولا ينفعُكم إذْ تندمون، ولكلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ، وسوف تعلمونَ مَنْ يأتيه عذابٌ يُخْزِيه ويَحِلُّ عليه عذابٌ مُقيم». ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1].

١٥ ـ الانسجام بين البدء والختام:

وإذا قرأنا تأريخ علي وسفر حياته في خلقه الأول نوراً، وعرض ولايته في عالم الذر والميثاق، وبركة نوره في خلق الوجود بأسره أرضه وسماواته، وأنبيائه ورسله وملائكته، وجلال قدره قبلة لأوليائه ووسيلة لأصفيائه، وإشراقة كعبة الله الغراء بشريف ولادته، وشد أزر نبي الله الأعظم بجهده وجهاده وحمايته وحيلطته، وبالغ الثناء من ربه في كتابه، وسابغ الإشادة والمنزلة الفضلى من أخيه ووليه ونفسه وروحه ـ تجلّى لنا الانسجام التام بين المبدأ والمنتهى والعمل والمكافأة والمقدمات والنتائج.

فلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلاَّ لَهُ ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلاَّ لَها

فسبحان من ارتضى المصطفى واصطفى المرتضى، وسبحان من منح وألطف وأفاض وأتحف، وما أجل الواهب، وأعظم الهبة، وأكرم الموهوب!!!

---

(١) مقطع من خطبة السيدة الزهراء عليها السلام.

٧ ركيزة: بحث الغلو

الغلوُّ موضوع خطير ابتليت به أمة الإسلام كما ابتليت به الأمم السابقة، ويتراشق الاتهام والنبز به المتخاصمون وإن كانوا من ملة واحدة ومذهب جامع.

ولا بد في معرفة الحق من اعتماد منهاج الصدق لضمان السلامة والاستقامة في التفكير والحكم بلا إفراط أو تفريط.

والباعث لتناول الموضوع ما يلي:

أ- إن شخصية الإمام علي عليه السلام دارت حولها تلكم النسبة.

ب- اتهام أمة كبيرة من القائلين بإمامته وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتصنيفهم من الغلاة.

ج- عدم استيعاب البعض لشامخ مقاماته ومعاجزه الباهرة وكراماته، المحيرة فوصموا المعتقد بها بالغلو.

فأقول ومن الله أستمد السداد والرشاد والاستقامة في الفكر والطرح:

١- الغلو لغة:

«غلى في الدين غلواً من باب قعد: تصلب وتشدد حتى تجاوز الحد والمقدار»[١].

«وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة المقدر في كل شيء ... وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً جاوز حده»[٢].

---

(١) مجمع البحرين ١/٣١٨.

(٢) لسان العرب ١٥/١٣١-١٣٢.

٢ـ وبمقتضى المدلول اللغوي فإن الغلو يطلق على كل تجاوز للحق في كل مجال سواء منه ما كان في العقيدة كما جاء في قوله تعالى ﴿يا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُو في دِيْنِكم ولا تَقُولُوا على اللهِ إلاّ الحَق﴾[1] أو غيره من سائر الأمور.

وهو بمعناه الاصطلاحي لا يختلف عن معناه اللغوي.

٣ـ وليس حديث ذلك وقفاً على معتقدات الإمامية، بل إن الموضوعية تقضي بعرض أفكار ومعتقدات غيرهم من المسلمين ومحاكمتها وفق المقاييس الصحيحة، فليس ما ينسب إلى الإمامية أو ما يغالي فيه المنسوب إليهم المصداق الفريد للمدلول اللغوي، وليست كلمة (الغلاة) موضوعة عليهم وحدهم ولا تنطبق على سواهم.

قال الدكتور السامرائي: "وقد وجد الغلاة في عملية الانتشار على كل الفرق الإسلامية أسلوباً يحقق أهدافهم، ويوضح ابن حزم انتشار هؤلاء الغلاة على كل الفرق الإسلامية وعملهم وراء كل واحدة منها فيقول: وقد تسمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنه ليس مسلماً مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا إن الصلاة ركعة واحدة بالغداة وركعة بالعشي فقط، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة ... وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا بتناسخ الأرواح ... وطوائف من المرجئة قالوا إن إبليس لم يسأل قط النظرة ... وآخرون كانوا من أهل السنة فقالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء والملائكة عليهم السلام وأن من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه الأعمال والشرائع، وقال بعضهم بحلول الباري في أجسام كالحلاج، وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا فقال بعضهم بألوهية علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة

---

(١) سورة النساء /١٧١.

من بعده، ومنهم من قال بنبوته وبتناسخ الأرواح...إلخ»[١].

٤ـ نسبة الغلو إلى الشيعة:

وطالما أغفل كثير من الباحثين الحديث عن الغلو عند سائر الفرق الإسلامية، وذلك خروج عن الموضوعية وعدم إنصاف، ولا يعنيني هنا بحث ذلك وإن سُوِّدت به صفحات[٢]، وكأنما لا تستثار الحمية الدينية وتتأجج الغيرة الإيمانية إلا في نبز (الشيعة الإمامية الاثني عشرية) وهي المعنية بحديثنا، هذا وقد مر آنفاً مقالة أحد أعلامهم في توزع الغلو وانتشاره.

٥ـ وقد بنى المتهمون النابزون بناء أقاموا عليه أحكامهم واتهامهم وخلطوا في ذلك وخبطوا.

فقد أسسوا النبز بِـ (الرافضة) وهي تعني عندهم جميع العقائد الكافرة والآراء الفاسدة والأفكار المستوردة، وجعلوها مرادفة لِـ (التشيع) ومن ثم رتبوا عليها الأحكام.

فإذا بالرافضة هم الذين رفضوا أبا بكر وعمر، ولهم غلو شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح، والروافض كلها تؤمن بالرجعة، وتقول لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وهو محمد بن علي؟! فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وأن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق، فهذا أكثر التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط من أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك.

والشيعي الغالي في زمان السلف من تكلم في عثمان والزبير وطلحة

---

(١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية /٨١ بتلخيص.
(٢) الغدير ٧/٧١ـ٩٤ و(هوية التشيع) /١٦٣ـ١٧٣.

ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً.

وقد فرق العسقلاني في مقدمة فتح الباري بين التشيع والرفض والغلو في الرفض بما حاصله: أن التشيع هو محبة علي عليه السلام وتفضيله على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو رافضي غال في التشيع، ومن لم يقدمه عليهما فهو شيعي، فإذا ذكر الشيعي سبب التقدم على الشيخين أو صرح ببغضهما فهو غال في الرفض، ومن كان يعتقد بالرجعة فأشد غلواً[1].

بل إن محبة أهل البيت عليهم السلام سبب كاف للوصمة بالرفض فقد كان عبد الرحمن بن صالح الأزدي رافضياً وكان يغشى أحمد بن حنبل فيقربه ويدنيه، فقيل له: يا أبا عبد الله: عبد الرحمن رافضي فقال: سبحان الله؟ رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله نقول له: لا تحبهم؟ هو ثقة.

وحتى انتقاد معاوية دليل على الرفض، فقد حدث المقدسي أنه سمع قصاصاً في جامع واسط ببغداد يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله إن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ثم يجلوه على الخلائق كالعروس، فقال المقدسي: بماذا؟ بمحاربته علياً رضي الله عنه؟ كذبت يا ضال، فصاح: خذوا هذا الرافضي، فأقبل الناس عليَّ فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني[2].

واقرأ واعجب لنقد الرافعي لطه حسين ورأيه في أبي سفيان وحفيده يزيد بن معاوية وأنه "صورة صادقة لجده أبي سفيان في السخط على الإسلام وما سنه من سنن" فيعلق الرافعي بقوله: على أن الذي ما يقضي العجب منه أن رأي طه حسين هذا هو بعينه ونصه رأي الرافضة ومذهبهم، فقد

---

(١) النصب والنواصب /٥٤٣ـ٥٤٦ ملخصاً وقد ذكرنا مصادر ذلك.
(٢) النصب والنواصب /٥٤٣ـ٥٤٦ ملخصاً وقد ذكرنا مصادر ذلك.

زعموا أن الصحابة كانوا منافقين في حياة رسول الله ﷺ: أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجلة المهاجرين وخيار الأنصار، فكيف يتفق كل هذا في كتاب الجامعة وهل الذي فيها أستاذ للآداب أم هو أستاذ للفكر والرفض[1].

ومن خلال هذا العرض السريع تقف على تفاوت المقاييس عندهم وهي شتى، فالإيمان بالمهدي والرجعة وتقديم الإمام والمفاضلة بين الصحابة والحديث عن الجمل وصفين ومحبة أهل البيت كل منها ونظائرها كفيل باتصاف القائل بما بالغلو والرفض، وبالتالي فإن الشيعة الإمامية الاثني عشرية قاطبة غلاة.

٦ـ موقف الشيعة الإمامية من الغلو:

فقد حفلت كتبهم في الاعتقاد والحديث والفقه والرجال ببيان ذلك موضوعاً وحكماً:

أـ قال الشيخ المفيد: والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضُلاّل كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة بالإكفار والخروج عن الإسلام[2].

ب ـ قال الشيخ أبو جعفر (الصدوق) رضي الله عنه: اعتقادنا في الغلاة

---

(١) تحت راية القرآن /٢١٨ـ٢١٩، وجاء في نقل أعيان الشيعة ١/٤٦: الكفر بدلاً من الفكر ولعله الموافق لذوق الكاتب.

(٢) تصحيح الاعتقاد /١٣١.

والمفوضة[١] أنهم كُفّار بالله تعالى وأنهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة، وأنه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم شيء[٢].

ج- وروى محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد البرقي عن أبي طالب عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون لذلك علينا قرآناً: ﴿وهُوَ الذِي فِي السَّماءِ إِلَـهٌ وفِي الأَرْضِ إِلَـهٌ﴾ فقال يا سدير: سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم، قال: قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرؤون علينا بذلك قرآناً: ﴿يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالحاً إِنِي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم﴾ فقال: يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم، قال: قلت: فما أنتم؟ قال نحن خُزَّانُ علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض[٣].

ونقف في هذه الرواية على أمرين مهمين:

الأول: خلوص العبودية لله سبحانه، وصدق البراءة من دعوى الغلاة والضالين، وحديث ذلك عن الأئمة عليهم السلام متكاثر مستفيض.

---

(١) التفويض: يطلق على معان عدة، ومنها ما يصح نسبته إلى رسول الله والأئمة عليهم السلام والمسألة متسعة الجوانب وقد فصل القول فيها العلماء فراجع (بحار الأنوار) ٢٥/٣٢٨ـ٣٥٠.

(٢) الاعتقادات /٩٧.

(٣) الكافي ١/٢٦٩ ووصفه المجلسي في شرحه (مرآة العقول) ٣/١٥٩ بأنه حسن.

الثاني: الإفصاح عما حباهم ربهم من جليل الحباء وعظيم الألطاف وشريف المنزلة وعالي المقام.

وإن الغلاة الغواة إن حسبوا أن تلكم المنازل والرتب تصيرهم أرباباً فهم مخطئون، بل إنهم عباد مربوبون مكرمون.

د- قال الشيخ الحلي ﷺ: «والتحقيق أن يقال إذا كان هؤلاء - الغلاة- ممن يعتقدون ربوبية أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام على نحو أنه صانع أو أنه شريك صانع، أو أن الله تعالى حل فيه فاتحد مع الله كما قد يتصور الملائكة بصورة البشر- فهم كفار ولا شبهة في نجاستهم، إما لعدم معرفتهم لله أو لجعل الشريك له، أو لأجل إنكار ما هو ضروري من ضروريات الدين»[1].

هـ- وقال السيد الخوئي ﷺ: الغلاة على طوائف: فمنهم من يعتقد الربوبية لأمير المؤمنين أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام فيعتقد بأنه الرب الجليل وأنه الإله المجسم الذي نزل إلى الأرض وهذه النسبة لو صحت وثبت اعتقادهم بذلك فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم، ومنهم من ينسب إليه الاعتراف بألوهيته سبحانه إلا أنه يعتقد أن الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم عليهم السلام فيرى أنه المحيي والمميت وأنه الخالق والرازق، ومنهم من لا يعتقد بربوبية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بتفويض الأمور إليه وإنما يعتقد أنه عليه السلام وغيره من الأئمة الطاهرين ولاة الأمر وأنهم عاملون لله سبحانه وأنهم أكرم المخلوقين عنده فينسب إليهم الرزق والخلق ونحوهما -لا بمعنى إسنادها إليهم عليهم السلام حقيقة لأنه يعتقد أن العامل فيها حقيقة هو الله- بل كإسناد الموت إلى ملك الموت، والمطر إلى ملك المطر والإحياء إلى عيسى عليه السلام كما ورد في الكتاب العزيز: وأُحْيِي

---

(١) دليل العروة الوثقى ١/٤٦٢.

المَوْتَى بِإِذْنِ الله ـ آل عمران ٣/٤٩ ـ وغيره مما هو من إسناد فعل من أفعال الله سبحانه إلى العاملين بضرب من الإسناد، ومثل هذا الاعتقاد غير مستتبع للكفر ولا هو إنكار للضروري، فعد هذا القسم من أقسام الغلو نظير ما نقل عن الصدوق ﷺ عن شيخه ابن الوليد: إن نفي السهو عن النبي ﷺ أول درجة الغلو.

والغلو ـ بهذا المعنى الأخير ـ مما لا محذور فيه بل لا مناص عن الالتزام به في الجملة[1].

٧ـ بواعث الغلو:

إن قصور بعض العقول عن تحمل ما سمعوا ورأوا من كرائم المعجزات وخوارق العادات وغرائب الشؤون الصادرة عن الأئمة ولا سيما عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ونظائر ذلك مما حفلت به حياته وحياتهم حملها على الاعتقاد والقول بأنها قدرات خارجة عن طوق البشر وصفات المخلوقين فلا محيص عن صدورها عن رب خالق.

ولست بملتمس لهم بما ذكرت عذراً، كيف وقد ارتأوا وباحوا ضلالاً وكفراً، وإنما توفية للبحث وتقديماً لما يتصل بالمقام من مقال.

٨ـ رد عادية الغلو:

ونصنف المتصدين لرد الفكرة والمتسمين بها إلى طوائف:

الأولى: حماة الدين وحصونه المنيعة الهداة من آل محمد عليهم السلام وقد مر حديث من ذلك.

---

(١) التنقيح ٢/٧٣ـ٧٥ ملخصاً.

الثانية: جمهور علماء الشيعة العارفون لحن أقوالهم الواقفون على أسرارهم الخبيرون بما يصح عليهم وما لا يصح عنهم.

الثالثة: فئة من المتكلمين والمحدثين.

وقد حكى عنهم الشيخ المجلسي قائلاً: «ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدثين في الغلو لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السلام وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم فقدحوا في كثير من الرواة الثقاة لنقلهم غرائب المعجزات حتى قال بعضهم: من الغلو نفي السهو عنهم أو القول بأنهم يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك، مع أنه قد ورد في أخبار كثيرة (لا تَقُولُوا فينا رَبَّاً وقُولُوا مَا شِئْتُم ولَنْ تَبْلُغُوا) وورد أن (أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لا يَحْتَمِلُهُ إلاّ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ للإيمان) وورد (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا في قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَه)»[1]. وغير ذلك مما مر وسيأتي.

الرابعة: الكثرة الكاثرة من السنة من فقهاء ومحدثين ومؤرخين وأدباء وكثير غيرهم، والعامل الأساس الباعث لحملتهم الشعواء والتي تأتي على كثير من معتقدات الإمامية وتستهدف الصميم من مرتكزاتها بوصمة الكفر ونسبة آرائها إلى غير الإسلام رغم الاتفاق كبروياً في إدانة الغلو والحكم عليه بما هو أهله ويستحقه، والباعث لهم على ذلك هو عدم الوقوف على حقيقة تلكم المرتكزات وجهل أو تجاهل منطلقات هاتيك الآراء.

وربما كان اختلاف المباني في الإمامة وشؤونها باعثاً مؤثراً، هذا ومساحة الاختلاف شاسعة واسعة، ويسير الطرفان فيها مختلفين.

سارت مشرقةً وسرتُ مغرباً شتانَ بينَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/٣٣٧.

وأدعو مخلصاً رعاة القوم إلى الجدية والموضوعية في دراسة فكر وعقيدة من يرمونهم بكل موبقة وينبزونهم بكل وصمة، وهل بعد التكفير من نبز ولعنة ووصمة.

وما أجمل وأغلى نصيحة الشيخ المجلسي حيث يقول:

«فلا بد للمؤمن المتدين أن لا يبادر برد ما ورد عنهم (الأئمة) من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم إلا إذا ثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمة أو بالأخبار المتواترة كما مر في باب التسليم وغيره»[1].

أجل إنه أدب البحث الموضوعي، وضالة المؤمن، وعقيدة الملتزم المسلم.

٩ـ الجلال والجمال:

وإذا ما صدرت مقولة من مؤمن موحد في عبد من عباد الله موهوب بكمالات، وصحبتها قرينة معبرة فقد سلم القول من الغلو، وبرئ القائل من التهمة، وقبلته الأذواق العالية، وباب المجاز والكناية والاستعارة واسع لا يضيق بتلكم المعاني الراقية المفرغة في قوالب البلاغة والبديع فتلتقي المعاني والألفاظ في جلال وجمال.

وعلى هذه السنن جرى فحول الشعراء وفيهم من لا يتهم بغلو ولا يخفض بارتفاع، والشعر يتسع لما لا يتسع له غيره، وإليك من روائع التصوير وبدائع التعبير نماذج:

قال ابن أبي الحديد:

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٧.

هذا ضميرُ العالَمِ الموجودِ عَنْ ... عَدَمٍ وسرٌّ وجودِهِ المُسْتَوْدَعُ
هذا هو النورُ الذي عَذُباتُهُ ... كانتْ بجبهةِ آدمٍ تَتَطَلَّعُ
وشهابُ موسى حيثُ أَظْلَمَ ليلُهُ ... رفعتْ لهُ لألاؤُهُ تَتَشَعْشَعُ
يا قالعَ البابِ الذي عن هَزِّها ... عَجِزَتْ أَكُفٌّ أربعونَ وأَرْبَعُ
لولا حدوثُكَ قلتُ إنَّكَ جاعِلُ ... الأرواحِ في الأشباحِ والمُسْتَنْزِعُ
لولا مماتُكَ قلتُ إنَّكَ باسِطُ ... الأرزاقِ تقدرُ في العطاءِ وتُوْسِعُ
بل أنتَ في يومِ القيامةِ حاكمٌ ... في العالمينَ وشافعٌ ومُشَفَّعُ[1]

ويقول في أخرى:

يا أَيُّها النارُ التي شَبَّ السَّنا ... منها لموسى والظلامُ مجللُ
يا فُلْكَ نوحٍ حيثُ كُلُّ بسيطةٍ ... بحرٌ يمورُ وكلُّ بحرٍ جدولُ
يا وارِثَ التوراةِ والإنجيلِ ... والفُرْقَانِ والحِكَمِ التي لا تُعْقَلُ
لولاكَ ما خُلِقَ الزمانُ ولا دَجَى ... غَبَّ انبلاجِ الفجرِ ليلٌ أَلْيَلُ[2]

وقال عبد الباقي العمري:

وأنتَ نقطةُ باءٍ مَعْ تَوَحُّدِها ... بها جميعُ الذي في الذِّكْرِ قد جُمِعا
وأَنْتَ أَنْتَ الذي منهُ الوجودُ نضى ... عمودَ صبحٍ ليافوخِ الدُّجى صَدَعا
حَكَّمْتَ في الكفرِ سيفاً لو هويتَ بِهِ ... يوماً على كُتَلِ الأفلاكِ لانْخَلَعا

---

(١) الروضة المختارة /١٣٧.
(٢) الروضة المختارة /١٥٥.

مـــا فَـــرَّقَ اللهُ شـــيئاً في خليقتِـــهِ مِنَ الفضائلِ إلاَّ عنـدَكَ اجتمعـا[١]

ويقول في أخرى:

هـي بـاءٌ مقلوبـةٌ فـوقَ تلـكَ النقطـةِ المسـتحيلةِ التأويـلِ
فَغَشَـاها النـورُ الإلهـيُّ حـتى بخيـالٍ جَلَّـتْ عَـنِ التخييـلِ
نَعْتُـهُ بـالزبورِ جـاءَ وبـالفُرْ قـانِ بـل بـالتوراةِ والإنجيـلِ
الإمـامُ المـبينُ أحصـى بـهِ اللهُ جميـعَ الأشـياءِ والتنزيـلِ
فهو اللوحُ بل وما خطَّ من لو حٍ لديـهِ مقيـدِ التسـجيلِ[٢]

وقال في ثالثة:

يـا أبـا الأوصـياءِ أنـتَ لطـهَ صـهرُهُ وابـنُ عَمِّـهِ وأَخـوهُ
إنَّ للهِ في معانيـكَ سِـرّاً أكثـرُ العـالمينَ مـا عَلِمُـوهُ
أنتَ ثاني الآباءِ في مُنْتَهَى الـدو رِ وآبـاؤُهُ تُعَـدُّ بَنُـوهُ
خَلَـقَ اللهُ آدمـاً مِـنْ تـرابٍ فهـو ابـنٌ لـهُ وأنـتَ أبـوهُ[٣]

ويقول السيد صدر الدين العاملي:

علـيٌّ بشـطرِ صـفاتِ الإلـه حُبِيْتَ وفيـكَ يَـدُورُ الفَلَـكْ

---

(١) الترياق الفاروقي /٩٧-٩٩.
(٢) الترياق الفاروقي /١٠٤.
(٣) الترياق الفاروقي /١٢٦.

ولمـــا أرادَ الإلـــهُ المِثـــالْ ... لِنَفْـــيِ المثيـــلِ لـــهُ مَثَّلَـــكْ
ولـولا الغلـوُّ لكنـتُ أقـولْ ... جميـعُ صـفاتِ المُهَـيْمِنِ لَـكْ
علـــيٌّ فأَمَّـــا الولايـــةُ والـــ ... ـحكومـــةُ في النشـــأتينِ فَلَـــكْ
فمِنْ عالَمِ الذَّرِّ قبـلَ الوجـود ... بقـولِ (بلـى) اللهُ قـد أَهَّلَـكْ
وعَلَّمْتَ جبريـلَ رَدَّ الجـواب ... ولـولاكَ في بحـرِ قهـرٍ هَلَـكْ
وقد كنتَ عِلَّـةَ خلـقِ الـورى ... مِنَ الجنِّ والإنْسِ حتى المَلَـكْ
قليـــلٌ بوَصْـــفِكَ أني أقـــولْ ... لطـوعِ يمينِـكَ دورُ الفَلَـكْ[1]

وقال الشافعي:

قِيْلَ امْتَدحْ لأميرِ النحـلِ قلـتُ لهـم ... مدحي ومدحُ الورى في بعضِ معناهُ
الناسُ قد عَجِزُوا عن وصفِ حيدرةٍ ... والعـــالمونُ بمعـــنى كُنْهِـــهِ تَـــاهُوا
مـــاذا أقـــولُ بِمَـــنْ حَلَّـــتْ لـــهُ قَـــدَمٌ ... في موضـــعٍ وَضَـــعَ الـــرحمنُ يُمْنـــاهُ
إِنْ قلـــتُ ذا بشـــرٌ فالعقـــلُ يمـــنعني ... وأختشـــي اللهَ في قـــولي هـــو اللهُ[2]

ويصف الشعر الحيرة والإكبار والانبهار من شخصية الإمام علي عليه السلام، وما أوقعهم ذلك في مزلة الغلو على أنهم لم يقفوا على حقيقة معرفته فاصغ إلى تشطير الشيخ الجشي، والأصل للشيخ حسين آل نجف[3]:

---

(١) أدب الطف ٣٢/٧ بزيادة بيتين على ما جاء في أدب الطف.
(٢) أدب الطف ٣٢/٧ بزيادة بيتين على ما جاء في أدب الطف.
(٣) ماضي النجف وحاضرها ٤٢٥/٣، وأورد بيتاً آخر لم يشطره الشيخ الجشي وهو:
وكنتَ سفيرَ اللهِ للخلقِ داعياً ... وكلُّ الأنامِ الحقُّ عندَهُمُ مُرُّ

أَيَا عِلَّةَ الإيجادِ حارَ بكَ الفِكْرُ ... وأَنَّى لِمَعْلُولٍ بعِلَّتِهِ خبرُ
تَنَزَّهْتَ عَنْ نَقْصِ الحوادِثِ رُتْبَةً ... وفي كُنْهِ معنى ذاتِكَ الْتَبَسَ الأَمْرُ
لقد قالَ قومٌ فيكَ والسترُ دونَهم ... إلهٌ وخلفَ السترِ لا يُدْرَكُ السِّرُّ
فما أَبْصَرُوا إِلاَّ سَنا السِّتْرِ وادَّعَوا ... بأَنَّكَ رَبٌّ كيفَ لو كُشِفَ السِّتْرُ[1]

أقول: وكل ما مر من مفردات وجمل في هذه المقتطفات لها مبان وأصول ترجع إليها، وقد بنى الشاعر عليها مقولته واعتمدها حجته.

فعلة الإيجاد ما به الوجود وليس ما منه الوجود، ونسبة الأول ممكنة في الممكن، ونسبة الثاني مختصة بالواجب ـ تعالى وتقدس، وكذا «لولاك ما خلق الزمان»، «ولولا مماتك»، «ولولا حدوثك» قرينة على الحدوث، وقس على ذلك «ولولا الغلو لكنت أقول» وهكذا ما يتراءى في هذا النظم ونحوه فله خير المحامل بما يبعده من الشطح والشطط، وإن بعد قبول ذلك ممن لا ينبسط لهذا النحو ولا يهش له ولا يأنس به.

وليس من الغرض الإفاضة في البحث وتتبع مناحيه بالتحليل والتعليل، ففي ذلك سبح طويل أثار في الرغبة في تأليف يعنى بدراسته.

ومن المفيد إيراد هذه الرواية والتي ضمت من المقال ما أثار سامعيها وذهبت بهم الأفكار مذاهب، ولكنهم سرعان ما آبوا إلى الرشد والصواب بعد زوال اللبس بواضح الجواب، وقد قيل: لا إيراد بعد فهم المراد.

«روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة من أصحابه، فقالوا له: حدثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويحكم إن كلامي

---

(١) ديوان العلامة الجشي /٤٠.

صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون، قالوا: لا بد أن تحدثنا، قال: قوموا بنا، فدخل الدار فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أحيي وأميت، أنا الأول والآخر والظاهر والباطن، فغضبوا وقالوا: كفر! وقاموا، فقال علي عليه السلام للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم: إن كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون؟ تعالوا أفسر لكم، أما قولي: أنا الذي علوت فقهرت فأنا علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتى آمنتم بالله ورسوله، وأما قولي: أنا أحيي وأميت فأنا أحيي السنة وأميت البدعة، وأما قولي: أنا الأول فأنا أول من آمن بالله وأسلم، وأما قولي: أنا الآخر فأنا آخر من سجَّى النبي صلى الله عليه وآله ثوبه ودفنه، وأما قولي: أنا الظاهر والباطن فأنا عندي علم الظاهر والباطن، قالوا: فرَّجت عنا فرَّج الله عنك»[1].

١٠ ـ مقارنة اعتبارية:

ونلمح مقارنة بين الغالي والقالي وهما ضدان متقابلان، وكأن ظاهرها ترجيح الأول منهما، وهي بالطبع لا تنبعث من منطلق التأييد للغلو فكلاهما ضلال وانحراف، وربما كانت الوطأة أشد، والحكم أقسى على الرفع من الخفض، ولكنها ترمي فقط إلى أن جنبة الانبهار في شخصية المغالى في شأنه أدعى للقبول من الحط من رفيع مقامه حيث لا باعث ولا مساغ.

قال الشيخ محمد علي الأعسم:

قُلْ في عليٍّ ما تشاءُ بِفَضْلِهِ ... ما لَمْ تنافِ حقيقةَ الإيمانِ
مَوْلَىً تحيرتِ العقولُ بوصفِهِ ... في الكُنْهِ حتى قِيلَ رَبٌّ ثانِ
قد يُعْذَرُ الغالي بما لا يُعْذَرُ ... القالي وإِنْ ضلتْ بهِ الفئتانِ

---

(١) بحار الأنوار ٤٢/١٨٩.

قالُوا محالٌ خلقُ شيءٍ مثلِه ... والعقلُ بَيَّنَ ذاكَ أيَّ بيانِ
حتى إذا خَلَقَ المهيمنُ حيدراً ... قَرُبَ المحالُ بهِ إلى الإمْكَانِ

وقال في هذا المعنى أيضاً:

ضلتْ خلائقُ في عليٍّ مثلما ... ضلتْ بعيسى قبلَ ذاكَ خلائقُ
لا عذرَ للنصَّابِ، والغالي لهُ ... عذرٌ لبعضِ ذوي العقولِ موافِقُ
كفرتْ بِهِ الفئتانِ لكنْ ليستا ... شَرَعاً فإنَّ النُّصْبَ كفرٌ خارقُ
لا يُنْسَبُ الإسلامُ للغالي بهِ ... وإنِ ادَّعَى الإسلامَ فهو منافقُ
وهو الذي نَطَقَ الكتابُ بمدحِهِ ... وبفضلِهِ صَدَعَ النبيُّ الصادقُ[1]

ويقول الشيخ الجشي في مجاراته (كوثرية) السيد الهندي:

إنْ ضَلُّوا فيكَ فلا بِدْعٌ ... قد ضَلُّوا في عيسى أكثرْ
لولا سرٌّ سارٍ منهُ ... فيهِ ما أَبْرَأَ ما أَنْشَرْ
ضَلَّ الغالي مثلَ القالي ... لكنَّ الغالي قد يُعْذَرْ
عذرُ الغالي إلاَّ شُبَهٌ ... ماذا عذرُ القالي الأَبْتَرْ
ولَعَمْرِي أبداً في الأكوا ... نِ عجائبُ ما كانتْ تُحْصَرْ[2]

وبعد فإن الحديث مثير متسع الجوانب، وقد عالج موضوعاته

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ٢/٤١.
(٢) ديوان العلامة الجشي /٦١.

الباحثون، والأصل في قمع ذلكم الزيغ والباطل بعد حديث الله في قرآنه أحاديث النبي وآله الهداة، فقد انبروا قولاً وعملاً لدحض الانحراف ورد عاديته بكل حول وطول، مما يقف عليه الباحث في خطبهم وحديثهم ومناظراتهم، بل أغروا شيعتهم بقتل أصول الغلاة المنحرفين.

وأكتفي هنا بإيراد بعض المأثور عنهم عليهم السلام في هذا المجال:

"قال أبو الحسن عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر، ثم قال: لعن الله الغلاة، ألا كانوا مجوساً، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية، ثم قال عليه السلام: لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرؤوا منهم"[1].

وعن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال: كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صَدَّقَ حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله -عز وجل- وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت[2].

وقد وصف الأئمة عليهم السلام شيعتهم وصفاً دقيقاً، وميزوهم عن سواهم ممن غلا أو قلا.

فمن حديث أمير المؤمنين عليه السلام مع الحارث الهمداني:

"ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي".

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/٢٧٣.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٢٧٣.

ومن حديث الإمام أبي جعفر عليه السلام مع عمرو بن سعيد بن بلال وقد دخل عليه مع جماعة فقال: «كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي»[1].

وبعد... فإن الموضوع حافلٌ بالأفكار والمسائل والأحكام المترتبة، يقف على ذلك من سبر كتب العقائد ومجامع الحديث وكتب الفقه.

اللهُمَّ أَرِنا الحقَّ فنَتَّبِعَه، والباطلَ باطلاً فنَجْتَنِبَه، ولا تَجْعَلْهُ علينا مشتبهاً فنَتَّبِعَ هَوَى أنفسِنا.

---

(١) بحار الأنوار ٦٥/ ١٢٠، ١٧٨.

٩

السياسة العامة

- تمهيد
- دين الإسلام ودولته
- العدالة الإلهية
- ملامح شخصية الإمام السياسية
- سياسة الولاة
- العهد الإلهي
- سياسته في الصدقات والخراج
- اختلاف الرأي في نهج الإمام السياسي
- سياسته قبل توليه الخلافة
- سياسته أيام خلافته

تمهيد:

أ- إن الحديث الذي نلج إليه يعالج طرح الاختيار الإلهي والتعيين الرباني لِـ (إمام) يقوم (بدين الله) ويدير (دولة الله)، وقد أحاط خبراً بدين ربه الذي تقوم عليه دولته التي أرادها لعباده كما أراده لها، غير سالكين وجهة (السقيفة) ولا مصغين للضجيج والخصام وبليغ الإحتدام في ذلكم المعترك، وأن ألجأنا المسرى عرجنا على ما يقتضيه البحث من ذلك.

ب- إن الفصول السابقة عرضت ملامح شخصية (الإمام) من إفاضات الله -جلت حكمته- وهباته لِـ (إمام الدين) في خلقه الأول وعلمه الأكمل، وخلقه الأمثل، ومخايل ذاته، وآفاق روحه، والتي تصطبغ بها (الدولة) فتبنى على رؤاه وتقوم بهداه، ويسوق الخلق على ما جبلت عليه نفسه، فهو صنيعة الله على عينه وهديه لعباده وبلاده.

ج- وإن نظرة كهذه تمتاز جوهراً ومنطلقاً ومقدمات ونتائج عن نظريات البشر وأطروحاتهم لا نفرادها بمقوماتها وهيكلها وأهدافها وغاياتها.

د- أجل... إنها من سنخ رسالات السماء، ومن نمط استخلاف الأنبياء سوى أن تلك رسالة نبوة وهذه إمامة وولاية.

والإمامة هنا امتداد طبيعي لنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، فتتحد معها في فكرها وقوامها وشرائطها مع امتيازٍ للنبوة في خصائصها.

ومن ثم فلاستجلاء الحقيقة لابد من التصدير بحاكمية الله المطلقة واستخلافه لرسوله على شريعته وبريته، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: خالق الطبيعة واضع الشريعة:

وهي حقيقة لا جدل لأحد من المسلمين فيها، فقد ابتدع بديع

السماوات والأرض الخلق ابتداعاً واخترعهم اختراعاً، فوهب لهم الحياة ولطف بهم فشرع لهم الدين لحاجتهم إلى ذلك وهو الغني المطلق الكبير المتعال.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[2].

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3].

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للّه أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[5].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾[6].

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[7].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

---

(١) سورة الذاريات /٥٦ـ٥٨.
(٢) سورة تبارك /٢.
(٣) سورة طه /٥٠.
(٤) سورة يوسف /٤٠.
(٥) سورة الجاثية /١٨.
(٦) سورة الحج /٦٧.
(٧) سورة المائدة /٤٨.

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[1].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3].

فالله ـجل وعلاـ مشرع الدين وواضع النظام ومقنن الأحكام باعث الأنبياء والمرسلين المنزل عليهم كتبه وصحفه لا معبود سواه ولا رب غيره بدأ سبحانه بآدم وواتر المبشرين والمنذرين ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وختم بأشرفهم عنده، وأقربهم إليه محمد بن عبدالله ـصلى الله عليه وآله وعليهم وسلم تسليماـ.

الأمر الثاني: نبي الإسلام الأعظم خليفة الله ومنفذ قانونه:

ولقد امتن الله على العباد، وأهداهم رحمته الواسعة، يحمل همهم ويعز عليه عنتهم ويحرص عليهم ويرحمهم ويرأف بهم.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

---

(١) سورة الشورى /١٣.
(٢) سورة آل عمران /٨٥.
(٣) سورة البقرة /٢٥٧.
(٤) سورة آل عمران /١٦٤.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وأوحى إليه خير كتبه وأنزله على قلبه وأثبته في صدره تبياناً لكل شيء.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾(٣).

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾(٤).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ

---

(١) سورة الجمعة /٢ـ٤.
(٢) سورة التوبة /١٢٨.
(٣) سورة يوسف /٣.
(٤) سورة الأنعام /١٩.
(٥) سورة الأسراء /٩.
(٦) سورة البقرة /٩٧.

عَرَبِيٌّ مُّبِينٍ ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[١].

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۞ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(النحل/٨٩).

وأقامه على الإستقامة فكان كما أُمِر.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[٤].

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[٥].

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦].

---

(١) سورة الشعراء /١٩٣ـ١٩٦.
(٢) سورة العنكبوت /٤٨ـ٤٩.
(٣) سورة الأنعام /٥٩.
(٤) سورة هود /١١٢.
(٥) سورة الشورى /١٥.
(٦) سورة الحج /٦٧.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١).

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

وعصمه من الزلل وآمنه من الخطل في القول والعمل فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته وجعل اتباعه دليل محبته وأمر بالانقياد لأمره والوقوف عند نهيه بنحو مطلق وفي كل شأن من شؤون الدنيا والدين وهو وليهم.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِه مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(٣).

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(٤).

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا

---

(١) سورة يس /٣ـ٤.
(٢) سورة الزخرف /٤٣.
(٣) سورة النجم /١ـ١٨.
(٤) سورة آل عمران /٣١ـ٣٢.

عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[١].

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللّه وَرَسُوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّه وَرَسُوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢].

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾[٣].

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾[٥].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ﴾[٦].

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٧].

---

(١) سورة المائدة /٩٢.
(٢) سورة النور ٤٨/٥٢.
(٣) سورة النساء /٨٠.
(٤) سورة الحشر /٧.
(٥) سورة الأحزاب /٣٦.
(٦) سورة النساء /١٠٥.
(٧) سورة النساء /٦٥.

﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[3].

فمحمد النبي ولي الله على خلقه إنسهم وجنهم وأمينه على شرعه وخليفته في بلاده وعباده يمثل سلطانه في شؤون الدين والدنيا بمقتضى سفارته عند ربه فله ﷺ الحاكمية المطلقة والولاية العامة وهو أولى بهم من أنفسهم.

وقد هدى الخلق إلى الحق فأقام فيهم دين الله عقيدة وشريعة وسلوكاً وساسهم بتدبيراته ونظامه لهم في كافة مرافق حياتهم دونما امتياز بشأن ديني عن شأن دنيوي بل دينه سياسته وسياسته دينه وفق ما أراده المولى لعباده ومن عباده.

فكان ـ صلوات الله عليه وآله ـ هداية الله لخلقه وكما قال: «أنا الرَّحْمَةُ المُهْداة».

الأمر الثالث: الإمام خليفة قائم مقام النبي:

---

(١) سورة المجادلة /٢٢.

(٢) سورة المائدة /٥٥.

(٣) سورة الأحزاب /٦.

وتتعدد في أمر (الإمامة والإمام) الموجبات، وتتكاثر الجهات وتلتحم ضرورة أن بقاء دولة الإسلام التي نهض بأعباء إقامتها وحمل على كاهله ثقلها نبيُّ الله الأعظم يدور مدار من يقوى على الحفاظ عليها ومواصلة منهاجها وتحقيق أهدافها، وإلا كانت تلكم الجهود المضنية وسنوات العناء عبثاً وهباء.

أجل... تلتقي حجة العقل وبينة النقل ومؤهلات الذات وسير التأريخ لتفرض تلكم الضرورة وتقضي بالإناطة.

وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: الإنسان والإمامة:

أ- أن الإنسان وهو موضع عناية خالقه وبارئه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾ قد جمع تركيبه العقل والروح والكيان البدني ولكل وجهته، وقد أودعت الغرائز والرغاب، ولا يمكن أن تترك دونما تقويم، فالعقل لا يدرك كل شيء، والروح يكدر صفاءها شوائب، والغرائز تنفلت وتتصارع فتودي بكيانها المودعة فيه فلابد لها من حاكم يضبطها ويكبح جماحها ويسوقها جهة الخير ويديرها مدارها وهي من السعة في بني الإنسان لا يحيط بأمرها إلا مودعها ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ﴾ ﴿وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾، وإلا من أوقفه الله على ذلك موضوعاً وحكماً وهو المصطفى للهداية، الموكل إليه تقويمها (ضَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيْمٌ يُرْشِدُه).

ب- إن دين الله القويم وإسلامه العظيم أعظم لطف وتحفة أتحف بها الإنسان لتخرجه من الظلمات إلى النور وقد شملت بتشريعها كافة جوانب الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ فعطاء واسع وخير عميم وعناية كبرى إنما شرعت بدقائقها وتفصيلاتها وبما

أبلى في سبيلها رسول الإسلام البلاء الحسن الجميل وتحمل من أجلها من العناء ما لايوصف إنها جاءت لتبقى ديناً وشريعة ودولة تنعم البشرية في ظلها وترتاح إلى خيرها، ومن غير المعقول أن تذهب أدراج الرياح وكأنها مصداق قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ حاشا لحكمة الله وعزائم أمره أن تؤول كذلك فتفقد بشائر الرسل ببعثة النبي المعظم معناها (أنا بشارة إبراهيم) ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1].

ج- إن الإمامة قوامها وغاياتها سنخ النبوة (إلا ما اختصت به) فلابد من تشاكل في مهام النبي والإمام وصفاتهما ليتحقق فيه الامتداد الطبيعي فهو عين الله على بريته يرعاهم برعايته فيحفظ لهم دينه الذي ارتضى ويسوسهم بهداية ربه إلى صراط مستقيم.

د- هذا ما تمليه ضرورة العقل ويحكم به الفكر الرصين، وإلا كان الدين تشريعاً لفترة زمنية محدودة ولأيام معدودة، وغير منسجم لما شرع له وما بذل من أجله، ولعادت البشرية تتخبط في الجاهلية بعد أن أنقذها الله من ظلماتها ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف /١٥٦-١٥٨.

(٢) سورة المائدة /٥٠.

هـ- إن مستجدات الأحداث في حياة الفرد والأمة تدعو إلى من يبصرها ويحل قضاياها ويرفع اختلافها ويقوم فيها بالعلم والحكم حتى يستوفي لكل ذي حق حقه.

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق لما يعلم أنه لا بد لهم منه ولا قوام لهم إلا به فيقاتلون به عدوهم ويقيمون به فيأهم ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم»[1].

و- إن واقع الدين الجديد قد قلب الموازين وأحدث التغيير واستقل بكيان وكان له من مؤسسه وبانيه حيطة وتعهد ورعاية، وقد أنجز مهمته واستوفى مدته ولحق بالرفيق الأعلى، ومن الطبيعي أن يستهدف دينه ويتطلع إليه أشتات ممن يبغي له الغوائل وينتهز الفرصة لتقويضه، أو ممن يرغب في اعتناقه فيتعرف على فكره وشرعه ليهتدي بهداه إلى أصناف أخرى تنطلق من واقع إنتماءاتها ونوازعها ودوافعها، فلابد من مهيمن على الموقف مهيءٍ لكل هاتيك الجهات والاتجاهات، فيرد عادية المعتدي، ويرفع شبهة المعترض، ويرشد الحيران، ويهدي الضال، فيسد الثلمة، ويحمي الحمى، ويمسك بالكيان أن ينهار، ويواصل المسيرة لتبلغ دعوة الله مداها.

ثانياً: النص القرآني:

أ- ركيزة:

إن البديهة تقتضي أن المولى جلّ وعلا إذا قضى حكماً فلا راد لحكمه ولا معقب له، ولا خيرة للإنسان غير ما يختاره له ربه، وبذلك يكون الأمر

---

(١) علل الشرائع /٢٥٣.

محسوماً في الأرض بعد أن حسمه وحي السماء ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾[1].

ب- لست في صدد استقصاء آيات الإمامة واستيفاء شؤونها، ولا استعراض ما نزل من آيات الله في الإمام عليه السلام وتفصيلاتها، بل الغاية -هنا- محدودة تعنى بالتدليل على تعيين الله الإمام لإمامة الأمة، كما تولى سبحانه تعيين النبي للنبوة والرسالة.

ج- الإلفات إلى الانسجام التام في حلقات موضوع (حاكمية الله والرسول والإمام)، وتلك شارة الصدق وعنوان الحق ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾.

الآية الأولى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

فمصدر جعل الإمامة هو الله وحده، والوظيفة والمهمة الهداية بأمر الله، وقوام صفات المجعولة له (الصبر واليقين). ومن الجلي أن من يختاره الله من خلقه لمهمة الهداية لا بد أن يكون هو الأكفأ وأن يمده بكل ما يقوى به على أدائها. وكلما عظم شأنها وجل خطرها اتسعت إفاضات المولى عليه كفاء حجمها.

وقد جمعت كلمتا (الصبر واليقين) فأوعتا. فالصبر على كل أمر يراد منه من ضروب الطاعات وأصناف المجاهدات وكامل الانضباط واعتدال الملكات. وبعبارة موجزة جامعة: (العصمة).

---

(١) سورة الأحزاب /٣٦.

(٢) سورة السجدة /٢٤.

واليقين هو العلم الجازم ومتعلقه وموضوعه (آيات الله) كافة عامة لدلالة الجمع المضاف. وإذا تأملنا في موقع (مِنْهُمْ) ودلالتها على التبعيض لصنف اختص بالعصمة والعلم -وهما جماع الكمال- ودققنا في (وكَانُوا) أي أنهم متصفون بذلك قبل زمان جعلهم أئمة وقفنا على انسجام الاختيار والتعيين والمهام العظام والصفات المميزات، وذلك مقتضى الحكمة، سبحانه من حكيم يضع الأشياء مواضعها.

وللإحاطة بجلال مقام الإمامة والإمام ندرس الآية الأخرى بدقة وعناية ألا وهي قول الحق -تبارك وتعالى- ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

الآية الثانية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وقد جاءت في موطن تقابل الديانتين الناسخة والمنسوخة ويهمنا من موضوعها نقطتان:

الأولى: موقع عترة رسول الله ﷺ في المباهلة.

الثانية: إن علياً عليه السلام وهو سيد العترة نعته الله فيها بـ (نفس رسوله) ومقتضى هذا الاتحاد توافق الذات والملكات بين المعدنين إلا ما خص الرسالة، ويبقى ما عداها من أمور مشتركات[1].

الآية الثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

---

(١) يقرأ بعناية الحق المبين مقدمة في أحوال الدين /١٨٨-١٩٤.

الرسول مأمور بتبليغ تشريع الإمامة:

إلفات:

إن ما نورده من الآيات في هذا الفصل متعلقة بمعارف دقيقة متسعة لشروح مستفيضة لا مجال لعرضها مكررة هنا بعد أن عرضتها في مواطن أخرى على سنن الباحثين، فليراجع راغب الوقوف على تلكم الحقائق مظانها من كتب التفسير وعلم الكلام وفن المناظرة.

إن استنطاق الآية وعبر التركيز على مفرداتها ودراسة نبرة نزولها وما حف بها من آيات ومواقف يفيدنا حديثاً عن أمر خطير وخطاب شديد. فالخطاب بـ (أَيُّها الرَّسُول) يؤذن استهلاله بمهمة رسالية، و(بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْك) تأكيد يجهر بنقل المنزل إليه وتركيز على تولي الله ـ سبحانه ـ لهذا الأمر ولا جعل لجاعل سواه وإن كان خيرته ومصطفاه. وما أجمل موقع (رَبِّكَ) فالقضية من العالم الربوبي الذي يجتمع فيه هنا التكوين والتشريع بتربية الله للإمام وإنباته منبت الكمال وتربيته له بهديه وتعلمه. أما (وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ...) ألا تحاكي: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

آية تنزل حجة الوداع وقد سبقتها سنون وسنون من الصدع بأمر الله في شؤون الدين والحياة، حفلت بآلاف التشريعات مقرونة بالآلاف من الأذى وتجرع الغصص فما الذي يوازن بها ويقارن إياها بل وكأنه لم يصنع شيئاً.

أجل إن مخاطر عصفت فيما مضى وتحملت وقوبلت بالصبر، أما اليوم ـ وقد نعيت للنبي نفسه ـ فينذر الأفق بتمرد هائج تتكشف فيه النوايا فتجهر بالخبايا فيقضى على ما أبرم ويُنقض ما أحكم فالموطن وهو الفرصة النادرة التي يجتمع فيه هذا الخلق العائد من أداء الحج والوقوف في مشاعر الله فلا زمان آخر يتأتى فيه الإبلاغ العام.

والحكم النازل المأمور بتبليغه الرسول الأمين خطير فلابد من ضمان

من يكفل أداءه كما يجب، وعصمة تمنع الذين في قلوبهم مرض وهيمنة على الكافة لتتم الحجة البالغة لله على الناس، بعد أن أُبلغوا وسمعوا ووعوا، ويوفر للأمر بقاءً ممتداً وحقاً صراحاً تخضع له الأجيال ما بقيت حياة يقوم بها دين.

الآية الرابعة: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1].

وهذا النص الكريم كسابقه في الدلالة على ارتباط أمر الإمامة بالله، فالدين دينه ولا شأن لسواه فهو -تبارك وتعالى- الذي يخشى ويرجى، وهو سبحانه بحكمته المكمل لدينه والمتمم لنعمته وهو الذي يرضي ويرضى.

والنص أيضاً نتيجة لسابقه وبيان لموقع الإمامة من دين الله وهيكل بنائه، مرسية قواعدُه على توحيد الله، وشرع ممتدة دعائمُه على رسالة رسوله محفوظاً بقاؤه واستمراره بإمامة من قبله -جلت حكمته وعظمت آلاؤه-.

و(اليوم) استولى على الذين كفروا اليأس، وولت آمالهم وأحلامهم خائبة فقد كانوا ظنوا أن بقاء الدين ببقاء الصادع به فما أن يستوفي مدته ويستريحوا من أمره وثقله على فكرهم وقلوبهم وحياتهم فإنهم يتنفسون الصعداء وتخلو لهم الساحة فيعيدونها جاهلية أولى على سنن ملوك الدنيا وحكامها تتبدل الأوضاع عقيب تبدلهم، وفاتهم أن الله (يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) سورة المائدة /٣.

ومادام الرسول عند الله في عصمة من لدنه وهو ذو السلطان والقدرة فلا يخشى إلا هو، ولا يخشى سواه، وإن انعقدت قلوب الكافرين وانطوت على انتهاز فرصة الانتقام والعيث فساداً.

أجل... إنه يوم واحد وفي الدهر فارد يوم اليأس ويوم النصر بإكمال الدين فلولا حديثه لكانت عرى الدين منفصمة غير وثقى، ولولاه لكان مبتوراً منقطع الآخر ناقص النعمة وذلك مما لايليق بولي النعم، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

واليوم وإن لم يكن هو الزمن الذي أعلنت فيه قضية (الإمامة) بل جهر بها يوم ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. وأعيد فيها المقال في مواطن إلا إنها ولجلالة شأنها وخطورة قدرها ينص عليها (اليوم) في هذا الموقف المميز زماناً ومكاناً وحشداً.

وما أجل عظمة (الإمامة) يفتتح الرسول الأعظم ﷺ دعوته بإعلانها ويختتم رسالته بإعلائها، فهي في اليوم الأول واليوم الآخر، وكلاهما موصولان بإشادة وتصريح وإشارة وتلويح.

ولما كملت بنود الدين وتمت نعمة ربه على العالمين بهذه الإمامة العظمى والولاية الكبرى التي تضمن البقاء والامتداد ورعاية حقوق الله وحدوده عبر الله عن ذلك ببليغ قوله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

الآية الخامسة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

---

(١) سورة النساء /٥٩.

١ـ ومصدر الأمر بالإطاعة هو (الله) الكبير المتعال، وهو ـسبحانهـ المولى المطاع المطلق، وربما كان لرعاية ذلك ونحوه لم يعطف على اسم ذي الجلال من أمر بإطاعتهم.

٢ـ وقد جاءت جملة ﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ معطوفة جامعة حقائق:

أـ إنشعاب الإطاعة الثانية عن الأولى، ﴿مَّنْ يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ والتوصيف بـ (الرسول) يعني حمل وأداء مهمة التبليغ فهو الناطق عن الله والمبلغ أحكامه لعباده.

بـ إن التشريك المفاد بالعطف (بين الرسول وأولي الأمر) يحمل دلالات:

الأولى: إن إطاعة كل منهما واجبة.

الثانية: موقعهما من دين الله فهما الناطقان عن الله.

الثالثة: إن الانسجام يحكم بأن (أولي الأمر) لابد وأن يكونوا من قبل الله ممن عينهم وخصهم وولاهم أمر دينه وعباده كما اختار لذلك (الرسول) وإلا فمن غير اللائق أن يجمع أمر واحد (وأطيعوا) صفوة الخلق (الرسول) وكل من تولى على رقاب الأمة حاكماً جاهلاً لايحفظ آية ولا يدري رواية.

جـ إن الأمر (أطيعوا) يفيد الوجوب المطلق وله مؤديان:

الأول: الشمول لكافة الشؤون على اتساعها وامتداد أبعادها.

الثاني: العصمة وهي جامعة الكمال حيث العلم الإلهي في جميع الأوامر والنواهي، وحيث صدق الأداء وسلامته من النقص والخطأ والنسيان، وعدم المخالفة مطلقاً لمن أرسله وولاه الأمر.

د- إن الآية المباركة تأتي في سياق آيات سابقة وآيات لاحقة تدور في فلك حاكمية الله واختياره لرسله وأوليائه، وتمايز الناس في الإيمان والكفر بهم والحسد لهم والتمرد عليهم، وتفاوت التفاعل والآثار والجزاء في الدنيا والآخرة.

وتحكي تلكم الآيات (النساء/٥٠-٧٠) النهج الإلهي لحاكمية الله ومن يؤهله ويصطفيه لهداية الخلق إلى الحق رسولاً كان أو ولي أمر يقتفي أثره ويمضي على سننه.

الآية السادسة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وقد مضى حديث عنها في مبحث (الولاية).

والذي يلتقي وموضوعنا منها أنه نصت على أولياء ثلاثة:

١- الله -جَلَّ جلالُه.

٢- رسوله ﷺ.

٣- ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

والولي الثالث اكتنفته أوصاف عالية يليق بالقائم بها إرتقاء مقام الولاية فينسجم عطفه على رسول الله فتتفرع ولايتهما عن الله.

وتلكم السمات: الإيمان، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حال ركوع

---

(١) سورة المائدة /٥٥-٥٦.

الصلاة.

حصيلة النص القرآني:

ونستنتج مما ورد من نماذج قرآنيه حول الإمامة والإمام ما يلي:

١ـ الجعل الإلهي للإمامة.

٢ـ توصيف الله للصفوة بأنهم (أئمة).

٣ـ سمو يرتقي بصاحبه بأنه (نفس النبي).

٤ـ إعلان (الإمامة) يعادل إبلاغ الرسالة، وعدم الإعلان يساوي عدم تبليغها.

٥ـ كمال الدين وإتمام النعمة والرضا بالإسلام ديناً يوم الغدير وتنصيب الأمير.

٦ـ إطاعة ولي الأمر إطاعة لرسول الله وكلتاهما إطاعة لله.

٧ـ إنه (الولي) على الأمة، كما كان رسول الله (الولي) وانبعاث ولايتهما من ولاية الله الولي المطلق.

وبعد:

فهذه ركائز في بنية (الإمامة) وثوابت في قاعدتها كما ترى ذلك (الإمامية).

وقوام الركائز وعماد الثوابت أنها: قضية إلهية تولى المولى تأسيسها وجعلها وحدودها ورعاية من أقامه إماماً من عنده وخليفة من لدنه.

ثالثاً: النص النبوي:

والنبي الأعظم ﷺ مصدر فكر الإسلام وتشريعه.

وحديثه الدعامة الثانية بعد قرآن الله العظيم، بل لا يكتفى بكتاب الله عن سنة رسوله ففيها تخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وبيان مجمله، وتأويل متشابهه، وتأسيس أحكام، وتشريع سنن، ومعالجة لشتى القضايا.

ومن استوعب دراسة آيات الأحكام وكليات تشريعاتها وقارن ذلك بعطاء الحديث الزاخر عرف جلالة موقع الهدي النبوي وحديثه الشريف.

ولقد أثرى الحديث النبوي مسألة الحكم والإمامة والإمام ترجمة للآيات وتفسيراً لها وبياناً لأسباب ومواطن نزولها، ونصاً على رجالها وأبطالها إلى معالجة كثير من ملابساتها وشؤونها.

ويعنينا من فيضه ومده ما عنانا في آيات الله من ذي قبل بإيراد غرفة منه تلتقي وموضوعنا.

الحديث الأول: "عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أني سألتك في مسجد رسول الله ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ فقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ فأنزلت قرآناً نطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً

من أهلي علياً اشدد به ظهري، قال أبو ذر: فوالله ما أتمّ رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾».

والحديث يلتقي وحديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) المعروف بحديث المنزلة الذي كرره رسول الله ﷺ في مناسبات عدة ونستنطق من مفرداته وجمله مقامات الإمامة والإمام بالمنظور الإلهي عبر نص القرآن الكريم والنبي العظيم مما تضمن شرح ذلك من آيات وروايات.

أولاً: الوزارة:

وكان الدعاء مشتركاً بين الكليم موسى والمصطفى محمد جاءت مادته في الطلبين (اجعل لي) حيث الشأن الديني الخاص الذي يتولاه (الله) ولقد أنبأ النبي ﷺ عن تحلي الإمام عليه السلام بهذا المقام منذ فجر الإسلام قبل انبثاق نوره حينما يصحب علي محمداً إلى غار (حراء) فيرى نور النبوة ويشم رائحة الوحي ويسمع ما يسمع فعندها قال النبي لعلي: إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ[1].

ثانياً: الأهل والأخوة:

ولابد أن يكون لهما من الأهمية والموقع ما أوجب النص عليهما حيث التخصيص المانع من الشركة، والانسجام مع (علي مني وأنا منه) وما جاء في تبليغ براءة: (لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه).

ولئن كان هارون أخاً نسبياً، فعلي أخ لمحمد روحاً وذاتاً وامتزاجاً والموطن في تمام التناسب مع قوله تعالى في أمر نبي الله موسى وأخيه هارون

---

(١) نهج البلاغة /٣٠١، الخطبة القاصعة.

﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[١]. وهي ميزة أخرى من خصائصه فقد آخى النبي بين المسلمين على قدر منازلهم مرتين ولم يؤاخ بين نفسه ﷺ وبين أحد منهم، وكذلك لم يؤاخ بين علي عليه السلام وبين أحد منهم، وإنما استثنى ذاته لعلي واستثنى علياً لنفسه أخوّة مميزة «يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة» وكانت من مفاخره «أنا عبدالله وأخو رسوله» ومن مصادر احتجاجه «أفيكم من آخى رسول الله بينه وبين نفسه غيري».

ثالثاً: شد الأزر:

وذلك من شؤون الوزارة، وهو معنى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٢].

حيث استجاب الله دعاء نبيه موسى فآزره بأخيه هارون وشد به عضده، وهو المنسجم مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد جاء في تفسير المؤمنين بالإمام علي عليه السلام.

رابعاً: الشركة في الأمر:

فالإمام علي المؤهل للولاية الكبرى جدير بمقام النبوة لولا أنها ختمت بسيد الأنبياء والمرسلين، وفي بعض نصوص حديث (المنزلة): «إلا أنه لا نبي بعدي ولو كان لكنت».

وإذا انتفى من شؤون (المنزلة) أمر النبوة، فالشركة في بقية الشؤون الأخرى قائمة، ومن أهمها وأولاها الدور الفاعل والمشاطرة في العمل.

خامساً: الخلافة:

---

(١) سورة المائدة /٢٥.

(٢) سورة القصص /٣٠.

ويمكن أن تندرج في (الشركة في الأمر) فإن من تحلى بالكمال وامتاز عن الكافة وشارك في إقامة الدين فهو الأولى والمتعين أن يواصل رعايته بعد فقد النبي.

ولكن لأهمية (الخلافة) وللتنصيص الدافع لأي احتمال جاء ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾[1].

صريحاً في استخلاف موسى لهارون عليهما السلام فالاستخلاف يدخل في عمق ما تعنيه (المنزلة) ومن المهام الأصلية الأولية.

سادساً: الولاية:

وبعد التأمل في أطراف الحدث وثنايا الحديث نجد أن من اللافت حقاً أهمية الاختتام العجيب الذي صدَّره (أبو ذر الغفاري رضي الله عنه بالقسم بالله منبئاً عن تعجبه من سرعة إجابة الله -جل جلاله- لرسوله صلى الله عليه وآله "فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ".

فماذا أوحى الله إليه؟ وبماذا استجاب دعوته؟ وماذا يقرأ محمد؟

إقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

فالوحي المنزل، والدعوة المستجابة، والبيان المبلِّغ هو (الولاية).

المساقة في (ولاية الله) و(ولاية الرسول).

الحديث الثاني: "عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد

---

(١) سورة الأعراف /١٤٢.

أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني»[1].

وقد مضى في النص القرآني آيات الإطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر وإنما دعا إلى الإعادة:

أ- التأكيد على توافق النصين -قرآناً وسنة- فيما يعالجان من موضوعنا.

ب- تفسير الرواية وشرحها للآية.

ج- التنصيص على الإسم العلم (أطاع علياً، عصى علياً).

د- الصياغة المميزة المتمثلة في إسلوبين:

الأول: الجمع بين (الطاعة والعصيان)، وعدم الاكتفاء بأمر واحد منهما إفادة للتأكيد والشمول.

الثاني: الشكل المنطقي المركب

من أطاعني ومن عصاني فقد أطاع الله، وقد عصى الله.

ومن أطاع علياً ومن عصى علياً فقد أطاعني وقد عصاني.

إذن من أطاع علياً ومن عصى علياً فقد أطاع الله، وقد عصى الله.

هـ- وقد مضى دلالة مثل ذلك على المقام العلمي والعصمة حيث الإطلاق في مواطن الإطاعة والعصيان، ولا يمكن لمن يرقى لأن يكون مرآة ومظهراً لإرادة الله وأمره ونهيه إلا إذا كان عالماً بحدود الله كاملاً في ملكاته.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٢١/٣، كنز العمال ٦١٤/١١.

و- إن الأحاديث الواردة فيما يخص الإمام عليه السلام من الأمر بإطاعته والنهي عن معصيته على وفرة وكثرة.

ز- الانسجام

وقد أطلقت هذا التعبير قديماً وكثيراً على مدى التوافق والتصادق في قضايا الحق.

ومن شواهد ذلك هنا أنك تقف على نص (الإنذار يوم الدار) فتقرأ قوله صلى الله عليه وآله مخاطباً مشيخة قريش والعشيرة الأقربين «فاسمعوا له وأطيعوا».

والحق أن (الانسجام) برهان الصدق ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[1].

الحديث الثالث: قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«أنت مني وأنا منك»[2].

١- وقد عهد مثل هذا التعبير ممن أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب في حق الأماثل من أهل بيته وأفاضل أسرته وعترته.

«فاطمة بضعة مني»[3].

«الحسن مني وأنا من الحسن»[4]. «حسين مني وأنا من حسين»[5].

---

(١) سورة النساء /٨٢.
(٢) صحيح البخاري٣/١٦٨، ٤/٢٠٧، مسند أحمد ١/٩٨ وغيرهما كثير.
(٣) إحقاق الحق٩/١٩٨، ١٠/١٨٧-٢٢٨، ١٩/٧٥-٩٣.
(٤) إحقاق الحق١١/٦٩، ٦٨، ٦٧، ٢٦٥-٢٧٩، ١٩/٢١٦، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٧-٣٠٨.
(٥)

«اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك... عليٍّ وعليهم»[١].

٢ـ وقد تكرر منه ﷺ الحديث عن علي عليه السلام بهذا النحو، ومن ذلك يوم بعث أبا بكر بسورة براءة ثم بعث خلفه علياً فأخذها وقال: «لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه».

٣ـ ولئن كان بين الحسنين وأمهما ـعليهم السلامـ لحمة النسب بالبنوة والأبوة فعلي ابن عم محمد ويلتقيان في جدهما القريب، ومن ثم فلا يراد به الاتصال النسبي.

٤ـ بل إن المراد مما تنطق به هذه الصياغة، وكما تشرح ذلك روايات كثيرة تكشف عن عميق الارتباط بين النبي والوصي، انبثاق النورين من مطلع واحد، واتحاد الطينتين، وامتزاج الروحين وتمثل النبي بالوصي ـلولا ختمه النبوةـ فهوالامتداد الطبيعي لملكاته وأهدافه ومحقق غاياته في حياته وبعد مماته.

عليٌّ مع الهادي كشِقَّيْ يراعةٍ ... هما واحدٌ لا ينبغي عَدُّهُ اثْنينِ
فإنْ تَرَ مِنْ غَطْشٍ على الخطِّ لائحٍ ... فمِنْ شعراتٍ قد تَوَسَّطْنَ في البَيْنِ

الحديث الرابع: قال ﷺ:

«عليٌّ مع القرآنِ والقرآنُ مع علي، لن يَفْتَرِقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[٢].

---

(١) م ن ١٨/٣٩٤.
(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/١٢٤ وغيره.

وفيه دلائل وبينات أعرض بإيجاز لبعض منها:

أولاً: المعيَّة تعني الارتباط الوثيق بين الطرفين، وقد كان يكفي ذكرها مرة واحدة إلا أنها أكدت ثانية مبدوءة بما ختم به الطرف الأول ومختومة بما بدأ به بياناً لشدة الالتحام وعمق الاتصال فهما متلازمان لا ينفكان بل يكادان أن يكونا واحداً إلا أن أحدهما صامت والآخر ناطق.

ثانياً: إن القرآن الذي هو مع علي وعلي معه هو كتاب الله ووحيه أعظم دستور للدين والحياة الذي تحدثت آياته عنه، وأفاض من نزل على قلبه المقال في جلالة شأنه وسمو محله وجامعيته ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، ﴿يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾، ومعجزة خالدة، مظهراً لعلم الله وحكمته وجميل تدبيره وبديع صنعه إلى غاية ما يحمل من أبعاد مما لايقوى على حصرها والإحاطة بكنهها.

وبكلمة: كل منهما كتاب الله سوى أن أحدهما صامت والآخر ناطق ومبين، والناطق يترجم الصامت وقد روي عن الإمام عليه السلام "أنا كتاب الله الناطق".

ثالثاً: إن التأكيد يكتنف الموضوع لبالغ أهميته واتساع دائرة الالتحام فيه وقد كررت المعية لتفيد أن كلا منهما وجه للآخر معبر عنه ثم عقبت بالنص على المعية الدائمة القائمة إلى قيام الساعة.

ومعنى ذلك أن فكر الإمام حي خالد باقٍ إلى يوم الدين، وليس محدوداً بأيام حياته وحكمه، وأن الأمة ستوقف يوم الحساب فتسأل عن ذلك كما تسأل عن العمل بالقرآن وحكمه.

وهو الفكر الإلهي الممتد في الأئمة من ولده ولك أن تقف على

(الانسجام) في هذا الحديث وحديث (الثقلين).

وبعد:

فمن الخير الوقوف على الدراسة القرآنية المميزة (المنهج القويم لمعرفة الإمامة من الذكر الحكيم) للفقيه آية الله السيد محمد الرجائي ـدام ظلهـ لمعرفة مقامات القرآن أولاً ومقامات الإمامة والأئمة أعدال القرآن وترجمانه ثانياً فإنه دراسة جديرة بالبحث المتأمل.

الحديث الخامس:

"عن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن، قال فتنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نعيت إلى نفسي. قلت: فاستخلف. فال: من؟ قلت: أبو بكر. قال: فسكت، ثم مضى ساعة، ثم تنفس، فقلت: ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: نعيت إلى نفسي يابن مسعود. قال: قلت: فاستخلف. قال: من؟ قلت: عمر، قال: فسكت، ثم مضى ساعة، ثم تنفس، قا ل: قلت: ما شأنك؟ قال: نعيت إلى نفسي يابن مسعود. قال: قلت: فاستخلف، قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب. قال: أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين"[1].

أقول وللنظر في هذا النص وإيحاءاته أعرض بإيجاز لما يلي:

١ ـ قال الشيخ المحمودي ـمعلقاً ـ: الحديث معاضد بشواهد قطعية وقرائن خارجية تقدم بعضها ويجيء قسم أيضاً آخر منها مثل قوله ﷺ:

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق٣/٧٢.

"علي مع الحق والحق مع علي"، وغيره فلا يضر جهالة ميناء"[١].

٢ـ إن ابن عساكر قد أورد قبل هذه الرواية عدة روايات متحدة المضمون تلتقي والحديث في جامع مشترك نلم بعض جهاتها توفية للبحث.

أـ أنموذج منها:

"عن حذيفة قال: ذكرت الإمارة ـأو الخلافةـ عند النبي ﷺ فقال: إن وليتموها أبا بكر وجدتموه ضعيفاً في بدنه قوياً في أمر الله، وإن وليتموها عمر وجدتموه قوياً في أمر الله قوياً في بدنه، وإن وليتموها علياً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم على الصراط المستقيم".

والملاحظ فيها جميعاً التصدير بالشيخين أبي بكر وعمر وتثلث بالإمام علي عليه السلام ولا تذكر أي منها عثمان.

بـ ومن اللافت التخصيص بالشيخين القرينين ومقابلتهما بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الروايات وغيرها وهو كثير يقف عليه المتتبع.

ومن تلك الشنشنة: عن عائشة قالت:

قال رسول الله ﷺ وهو في بيتها لما حضره الموت: ادعوا لي حبيبي. (قالت): فدعوت له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي فدعوا له عمر، فلما نظر إليه وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي. فقلت: ويلكم ادعوا له علي بن أبي طالب فوالله ما يريد غيره!!! (فدعوا علياً فأتاه) فلما رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه[٢].

---

(١) م ن. وميناء هو الراوي عن ابن مسعود.
(٢) م ن /١٥.

وكأنهما العلمان المؤهلان في صحابة الرسول الأعظم ﷺ اللذان يتصدران كل فضيلة ومنقبة متميزين عن كافتهم، هذا وواقع حياتهما وملكاتهما لا تثبت لهما شأناً ذا بال يبؤهما موقع الصدارة التي فرضت حقيقة راهنة وحقاً صراحاً لا تحتمل جدلاً وشكاً!!

ج- ومن الجهل المشين التنكر لمواقف الإمام من بداية الدعوة إلى وفاة رسول الإسلام، والتغافل عن الآيات والروايات وهي مما لا تحصى وفرة وكثرة الكاشفة عن مؤهلات الإمام وتبوئه المقام الأسمى، وتلك ضربة قاصمة للمقدسات الدينية.

د- وهذا ما يؤكد التحريف والتشويه والإعلام المغرض بإقحام أبي بكر وعمر وعثمان أحياناً في كل منقبة يختص بها إمام الإسلام.

ولنا في مثل هذه الزيادة المقحمة الشوهاء دليل على ما قلنا، فقد جاءت الرواية بهذا النص: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، وأضيف إليها: «وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها» مما حدا البعض من أضافة ظريفة أو سخيفة: «ومعاوية...» وكذلك الحديث الآخر: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» فاختلق على نسقها «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة».

وهو ما يؤكد اختلاق ذلكم التصدير.

قال الشيخ المحمودي معلقاً على تلكم الأحاديث: «هذه الأحاديث الخمسة المذكورة ها هنا كلها ضعيفة السند منكرة المتن، اختلقوها في قبالة قوله ﷺ: فإن تولوها علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم على الصرلط المستقيم أو ما في معناه»[1].

---

(١) م ن /٦٨.

هـ- وقد جاء في تلكم الأحاديث مما يتعلق بالإمام هذا النحو الذي مر ذكره قريباً أو "وإن تؤمروا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم" أو "إن تستخلفوا علياً - وما أراكم فاعلين- تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء" أو "وإن وليتموها علياً يقيمكم على صراط مستقيم".

٣- إن أجواء حديث ابن مسعود تفصح عما يملأ جوانح نبي الرحمة من قلق على مصير الأمة فالتنفس المتكرر والسؤال الملح ممن لمح ذلكم القلق والإعراض عن أبي بكر وعمر، وإخباره المتكرر أيضاً بأنه ﷺ قد نعيت إليه نفسه فقد آذن منه اقتراب اللحوق بالرفيق الأعلى وإنباؤه بصمَّام الأمان وضمان السعادة في الدنيا والآخرة "لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين" دلائل وبينات وشواهد صدق وبراهين حق على تعيين الخليفة الذي يحملهم على الجادة والمحجة البيضاء.

٤- وفي الرواية الأخرى ما يكشف بجلاء عن تلكم الحقيقة:

"عن ابن مسعود قال: استتبعني رسول الله ﷺ ليلة الجن فا نطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة فخط علي خطاً وقال: لا تبرح. ثم انصاع في جبال فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه، فاخترطت السيف وقلت: لأضربن حتى استنقذ رسول الله ﷺ ثم ذكرت قوله: لا تبرح حتى آتيك، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر فجاء النبي ﷺ وأنا قائم فقال: إني وعدت أن يؤمن بي الجن والأنس، فأما الأنس فقد آمنت بي، وأما الجن فقد رأيت (كذا) قال: وما أظن أجلي إلا قد اقترب. قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافق. فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافق. فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال: ذاك والذي لا إله غيره

لو بايعتموه وأطعتموه، أدخلكم الجنة أجمعين...»[1].

الحديث السادس: «عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»[2].

والحديث يحكي حقيقة كبرى، ومقاماً أسمى، وغاية عظمى، فلنتأمل في مقدماته ونتائجه وشروطه عبر النقاط التالية:

الأولى: إن رسول الله ﷺ يمثل الإسلام جوهراً وروحاً، ويجسده فكراً وعملاً، ويحياه قلباً وقالباً، ونهجاً مستقيماً، على الهدى الذي أمره الله به وأقامه على طريقة ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، عاش ذلك ومضى عليه، فحياته خير حياة، ومماته خير ممات.

الثانية: إن مآبه خير مآب، حيث جنة الخلد في أعلى عليين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وحيث النعيم المقيم ورضا الرب الكريم.

الثالثة: إن على الأمة الإقتداء بهدي نبيها، والاهتداء بنور قائدها، ولا يتسنى لها شرف الانتماء إلا بأن تحيي حياته وتموت على منهاجه حتى تلحق بركبه، وتحشر في زمرته وتكون حقاً من أمته.

الرابعة: أنه ﷺ المقياس الإلهي الدقيق الذي يدور مداره الإسلام والالتزام، ولا يتحقق إلا بالإئتمار بأمره والوقوف عند نهيه ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

---

(١) م ن /٧٢ـ٧٣ (الحاشية).

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٣٨/٣.

وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

الخامسة: ولئن كان أمد حياته المباركة محدداً فلقد قام بعده من يتولى مهامه ويواصل مسيرته ويحاكيه في جوهر ذاته وشريف ملكاته فاعده مقياساً يضمن اتباعه سكنى جنة الخلد التي وعد بها الرب.

وقد نص ﷺ بالنص، أو خص بالخصائص فقال: «فليتولَّ علي بن أبي طالب».

(فالفاء) الجواب لـ (من أراد).

(يتول) أمر بالموالاة على حد ولايته ﷺ.

وعن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ: «اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى»[1]. فكما كان محمد النبي ولي فعلي الوصي ولي وولاية محمد ولاية الله فولاية علي ولاية الله.

(وعلي ابن أبي طالب) الاسم العلم للمؤهل لذلكم المقام مفرداً من قبل الله ـسبحانهـ وإبلاغ رسوله، لا سواه، فلا زيد هناك ولا عمرو.

ولماذا علي لا سواه؟

«فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة».

فهو ـسلام الله عليهـ يمتاز بعلمه الواسع بشرع الله، وإحاطته التامة بمقاصده ووقوفه على حدوده، وتحليه بالعصمة الكاملة المانعة عن تجاوز الهدى، والهوي في الردى، فهو في منعة من زلل الأهواء، والتخبط إذا كثرت

---

(١) كنز العمال ١١/٦١١.

عليه القضايا، وغُمّت الأحكام، واضطربت الأمور بل على يقين وبيّنة «لو انكشف لي الغطاء لما ازددت يقينا» غير خارج عن الهدى ولا داخل في ضلالة ولا مخرج سواه من الهدي الذي هو عليه، ولا مدخل سواه ضلالة هو غير داخل فيها.

وتلك آيته الكبرى، وقوامه الأكمل حيث العلم والإحاطة بالأسرار، وحيث العصمة ولزوم الحق ومعية القرآن.

وأما من عداه فكما قيل: (العرب بالباب).

وكفى بجعل ولايته ضماناً كاملاً بأنه يحيا أولياؤه حياة رسول الإسلام ويموت ميتته ويفوز بجنة الخلد والرضوان.

محصلة الأحاديث:

ونستخلص من تلكم الأحاديث جوهر ما نصت عليها وشاركها في التنويه به نظائرها من الروايات مما لا يحصى كثرة ووفرة ما يلي:

١ـ وزارة علي للنبي وشد أزره به.
٢ـ شركته إياه في مهامه وقضيته.
٣ـ إيجاب إطاعته، وتحريم معصيته وإنما على حد إطاعة الرسول ومعصيته.
٤ـ أنهما ـسلام الله عليهما وآلهماـ لحمة واحدة وكلٌ منهما من الآخر.
٥ـ إلتحام الإمام بقانون الإسلام ومعجزته الخالدة، فهو والقرآن توأمان متصلان لا يفترقان، وكل منهما معبر عن الآخر.
٦ـ لا تنال الجنة إلا بإطاعته.
٧ـ أنه ولي الله المطلق.
٨ـ أنه ضمان السلامة وصمام الإستقامة.

وبعد:

فإن الانسجام يتجلى في تعريف الله الدقيق وكشف النبي لمقام الإمام ومركزه في بنية الدين العظيم، وقيمومته على حياطته ورعايته وتمكينه من ذلك.

وذلك يعني إيكال أمر الأمة في كافة شؤونها إليه، وأمرها باتباعه واقتفاء أثره وسلوك منهجه.

دين الإسلام ودولته

ركيزة:

أ- قوام الأمر: حاكمية الله -جل جلاله-.

ب- القائم بالأمر: الولي من قبله.

ج- النظام: شرع الله.

وبذلك يمتاز الدين والدولةعن نظرات البشر وأطروحاتهم. منفردين بمقوماتهما وهيكلهما وأهدافهما وغايتهما.

ومن البداهة أن اجتماع العناصر القويمة: المشرع الحق، والتشريع الحق، ومجري القانون والتشريع الصدق هو الضمان لدين قويم ودولة كريمة ينعم فيها الفرد والأمة بالحياة والإستقامة.

ومنطلق حديثنا عن (علي إمام الدين والدولة) هو تلكم المرتكزات.

فالدين هو الإسلام الذي أوحاه الله -سبحانه- إلى خاتم أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه محمد بن عبدالله ﷺ.

والقائم بأمره إماماً وخليفة ووصياً هو أمير المؤمنين -عليه أفضل التحية وأزكى السلام-.

والدولة هي التي بذل النبي المصطفى جهده لإقامتها كما شرَّع الله هي التي يتولى مواصلة التنفيذ لقوانينها وأحكامها وكامل نظامها الإمام المستخلف لذلك.

والدين والدولة وإن تمايز مفهومهما وتشعبت مناحيهما إلا أنهما في جوهرهما حقيقة واحدة ووحدة متصلة متحدان ممتزجان وكل منهما وجه للآخر وعنوان له، والحديث عن أحدهما حديث عن الآخر.

ولئن اقتصرنا في البحث على الدولة فليس إلا لحكايته عن الدين.

فما هي بنود دولة الإسلام، وماهي دعائمها وأركانها؟

وما دام أن محور البحث عن الإمام فلنلتمس التعريف بنظامها وقوامها من فكر الإمام ذاته وهديه.

العدالة الإلهية:

وهي الجوهر والقوام والمنطلق وأساس كل تشريع ونظام وسياسة وتدبير وهي قبلة الإمام في آرائه وثوابت أفكاره، ومحوره في خلجات نفسه وحركات إدارته في كافة شؤونه مع الخلق كلهم القريب والبعيد والولي والعدو.

والانبعاث الحق ما استند إلى قاعدة قويمة لا خلل فيها ولا زلل يعتريها. تأخذ بيد خالص الإيمان حيث يريد الحكم العدل في فعل أو ترك.

فلنقرأ علياً الإمام فيما آمن به من رؤية وفيما مارسه من دور.

أ ـ «وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وحَكَمٌ فَصَلَ»[1].

ب ـ «فَلَمْ يُجزْ فِي عَدْلِه وقِسْطِه يَوْمَئِذ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ ولا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الأَرْضِ إلا بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وعَلائِقِ عُذْرٍ

---

(١) نهج البلاغة / ٣٢٠ خ٢١٤.

مُنْقَطِعَةٌ»[١].

ج- «الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ»[٢].

د- «ولِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ»[٣].

فالله العظيم عدل حكيم، عدل في خلقه وتقديره وتدبيره، وعدله حكمته، فهو المحيط الخبير ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٦]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٧].

وما القيامة إلا محكمة العدل الإلهية الكبرى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٨]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ

---

(١) نهج البلاغة /٣٤٥ خ٢٢٣.
(٢) نهج البلاغة /٢٦٩ خ١٨٥.
(٣) نهج البلاغة /٣٣٣ خ٢١٦.
(٤) سورة الأنعام /٥٩.
(٥) سورة الملك /١٤.
(٦) سورة غافر /١٩.
(٧) سورة ق /١٦.
(٨) سورة آل عمران /٣٠.

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

هـ ـ «وقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِه فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِه وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلا وجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً وآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ»[2].

البيان الرباني على لسان مبلغه:

أ ـ «انتفعوا ببيان الله، واتعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله، فإن الله قد أعذر لكم بالجلية، واتخذ عليكم الحجة، وبين لكم محابَّه من الأعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه».

ب ـ «فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلا وجعل له علماً بادياً، وآية محكمة، تزجر عنه، وتدعو به».

ج ـ «أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية، ودعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة».

د ـ «وعمَّر فيكم نبيه أزماناً حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره».

وتلكم سنة الله في خلقه، ذلكم لطفه بعباده ليخرجهم من الحيرة والضلالة والظلمات إلى الهدى والحق والنور ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ

---

(١) سورة الكهف / ٤٩.

(٢) نهج البلاغة /٢٦٥ـ٢٦٦ خ١٨٣.

رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

القائم مقام النبي:

والأمانة الإلهية عظمى، والمسؤولية ثقيلة، والإمام إمامان إمام يدعو إلى الجنة وإمام يدعو إلى النار.

وقد قال الإمام علي عليه السلام لعثمان:

«فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدي وهدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع الظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يربط في قعرها».

الإمام الحق وملكاته الدقيقة:

أ ـ «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِه قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ».

ب ـ «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلا الْجَاهِلَ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِه وَلا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِه وَلا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ وَلا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلا الْمُعَطِّلَ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ».

فالمسألة إذن بالغة الخطورة عميقة الأبعاد حيث الإمام مقتدى ترمقه الرعية في قوله وفعله، وتنعكس في تصرفاته ملكاته العلمية والعملية وله الحكومة والسلطة والهيمنة والسيطرة في السر والعلن وفيما هو جلي وخفي فلابد له من مقومات ومؤهلات تغنيه علماً وإحاطة وتحليه بشريف الفضائل وسابغ الانضباط فيكون عنوان الحق وميزان العدل وإلا ضل وضُل به وأنى يتأتى له ذلك إلا برعاية الله لوليه وإفاضته مواهبه عليه حتى يكون عينه الناظرة ويده الباسطة ولسانه الناطق وقدرته الجامعة.

ملامح شخصية الإمام السياسية

والإمام عليه السلام من قد أهله الله لما أنيط به من إقامة دينه وسياسة بريته ورعاية خلقه، فهو على بينة من ربه وهدي من نبيه وبصيرة في جميع أمره، ويقين في شأنه، متدرع بحصن حصين وجُنَّة واقية آمن هجوم اللوابس وتشتت الآراء وغلبة الأهواء.

فلنستمع إليه يحدثنا عن مواهبه ومبادئه وأهدافه ونوازعه:

أولاً: الصراط المستقيم:

«أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّة حَيْثُ تَلْتَقُونَ ولا دَلِيلَ وتَحْتَفِرُونَ ولا تُميهُونَ (أي لا تجدون الماء) الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِه بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلالِ الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ والْبَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ».

ثانياً: اقتفاء الرسول الأعظم:

أ- «واللّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إلا وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ».

ب- «واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ وكُفِيتُمْ مَئُونَةَ الاعْتِسَافِ ونَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ».

ج- «لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إلا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ ومَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ».

ثالثاً: وظائف الإمام:

أ- «لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الإِبْلاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ والاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ والإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا وإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا».

ب- «لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ والْمِصْرَ وبَيْتَ الْمَالِ وجِبَايَةَ الأَرْضِ والْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ».

ج- «على الإمام أن يعلّم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان»[1].

د- «وسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ الإِيمَانَ فَقَالَ عليه السلام: إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ فَإِنَّ الْكَلامَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا هَذَا ويُخْطِئُهَا هَذَا»[2].

هـ- «روي أنه عليه السلام كان إذا يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس، والقضاء بينهم»[3].

رابعاً: حق المسلم وحرمته:

«الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ وأَحَلَّ حَلالا غَيْرَ مَدْخُولٍ وفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا وشَدَّ بِالإِخْلاصِ والتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ إِلا بِالْحَقِّ ولا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلا بِمَا يَجِبُ».

خامساً: الراعي والرعية حقوق متكافئة:

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ١٥٩/٤ من غرر الحكم.
(٢) نهج البلاغة /٥٢٢، الحكمة: ٢٦٦.
(٣) بحار الأنوار ١٦/١٠٣.

«ثُمَّ جَعَلَ ـسُبْحَانَهُـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ ـسُبْحَانَهُـ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِصَلاحِ الْوُلاةِ وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ ـسُبْحَانَهُـ عِنْدَ الْعِبَادِ ...، لَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَلا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[1].

والحق أنها وثيقة أجل من أن يقال عنها أنها جليلة، تحكي عمق الرؤية الإلهية للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ومدى التكافؤ بين الراعي والرعية، وأن انسجامهما يعني قيام وبقاء دولة الحق والعدل وعمران البلاد وسعادة العباد.

سادساً: الحق والعدل:

---

(١) نهج البلاغة /٣٣٣ـ٣٣٤ خ٢١٦.

أ- «فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلايَةِ أَمْرِكُمْ ولَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لا يَجْرِي لأَحَدٍ إِلا جَرَى عَلَيْهِ ولا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَ جَرَى لَهُ ولَوْ كَانَ لأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ ولا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ- دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ولِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ولَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلا مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ»[1].

ب- «فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ومَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ».

ج- «الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ والْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ».

د- «أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وايْمُ اللَّهِ لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً».

سابعاً: صور من عدله عليه السلام:

أ- «واللَّهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ ورَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرَعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا ويَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا»[2].

ب- «أَلا وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلا

---

(١) م ن.

(٢) نهج البلاغة /٣٤٦ خ٢٢٤.

وإنَّ إمَامَكُمْ قَد اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ومِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلا وإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ».

ج- «ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ».

د- «واللَّه لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ ولِنَعِيمٍ يَفْنَى ولَذَّةٍ لا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وقُبْحِ الزَّلَلِ وبِهِ نَسْتَعِينُ»[1].

هـ- «واللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ»[2].

ثامناً: الوضوح في السياسة والحكم:

أ- «دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ وإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ولَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»[3].

---

(١) نهج البلاغة /٣٤٧ خ٢٢٤.

(٢) نهج البلاغة /٥١٠، الحكمة: ٢٣٦.

(٣) نهج البلاغة / ١٣٦ خ٩٢.

ب- «لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ»[١].

ج- (وقداجتمع إليه عتاة قريش وكان الوليد بن عقبة متكلمهم):

«ياهذا إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر -وكان أبوه من نور قريش- وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه... فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصابنا وتعفي لنا عما في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا.

فغضب الإمام عليه السلام وقال: أما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله تعالى، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم»[٢].

د- ومع طلحة والزبير:

«لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً وأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً أَلا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ. واللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلافَةِ رَغْبَةٌ ولا فِي الْوِلايَةِ إِرْبَةٌ ولَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ومَا وَضَعَ لَنَا وأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا ولا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ولا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وإِخْوَانِي

---

(١) نهج البلاغة /٥٢٣، الحكمة٢٧٢.

(٢) تأريخ اليعقوبي ١٧٨/٢، وفي بعض المصادر ثور قريش.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهِ عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ»[1].

هـ ـ «وقد قالا له وقت البيعة: نبايعك على أنَّا شركاؤك في هذا الأمر. فقال لهما: لا ولكنكما شريكاي في الفيء لا استأثر عليكما ولا عبد حبشي مجدَّع بدرهم فما دونه، لا أنا ولا ولداي هذان، فإن أبيتما إلا لفظ الشركة فأنتما عونان عند العجز والفاقة، لا عند القوة والاستقامة».

تاسعاً: التقوى والشيطنة:

أ ـ «وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»[2].

ب ـ «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلا أُسْتَغْمَزُ

---

(١) نهج البلاغة /٣٢١ـ٣٢٢ خ٢٠٥.
(٢) نهج البلاغة /٨٣ خ٤١.

بِالشَّدِيدَةِ»[١].

ج- «لولا التُّقَى لَكُنْتُ أَدْهَى العَرَب»[٢].

عاشراً: الإمام والمبادئ:

أ- «وإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ويُقِيمُ أَوَدَكُمْ ولَكِنِّي لا أَرَى إِصْلاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي».

ب- «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ واللَّهِ لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً».

ج- «لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ».

حادي عشر: تواضع الراعي مع الرعية

«وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ واسْتِمَاعَ الثَّنَاء ولَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ والْكِبْرِيَاءِ وربَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاءِ فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ولا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ولا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ

---

(١) نهج البلاغة /٣١٨ خ٢٠٠.
(٢) الكافي ٨/٢٤/٤.

بِحَقٍّ أَوْ مَسُورَةٍ بِعَدْلٍ»[١].

ثاني عشر: سياسته في التريث عن الحرب:

أـ «فَوَاللَّه مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلا وأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا وإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا».

ب ـ ومن سياسته في الحرب:

«ولا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ والإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ»[٢].

جـ ـ «لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّه عَلَى حُجَّةٍ وتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّه فَلا تَقْتُلُوا مُدْبِراً ولا تُصِيبُوا مُعْوِراً ولا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ولا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ»[٣].

د ـ دعاؤه في الحرب:

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ وأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ وجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وتَشَتُّتَ

---

(١) نهج البلاغة /٣٣٥ خ٢١٦.
(٢) نهج البلاغة ٣٧٢/١٢.
(٣) نهج البلاغة ٣٧٢/١٤.

أَهْوَائِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ»[١].

هـ ـ القتال بعد الزوال:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه لا يقاتل حتى تزول الشمس، ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر، هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم»[٢].

وللوقوف على المزيد من سياسته الحربية يراجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ٤/٣١٠ـ٣١٣.

ثالث عشر: بيت القصص:

«من كانت له إليَّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة»[٣].

«أول من اتخذ بيتاً ترمى فيه قصص أهل الظلامات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

«اتخذ علي بيتاً يلقي فيه القصص حتى كتبوا شتمه فألقوه فيه فتركه»[٥].

رابع عشر: السجن المثالي:

---

(١) نهج البلاغة ١٥/٣٧٣.
(٢) الكافي ٥/٢٨.
(٣) العقد الفريد ١/٢٠٣.
(٤) صبح الأعشى ١/٤١٤.
(٥) الأوائل لأبي هلال /١٤٢.

وكان قد أسس سجنين (النافع والمخيس)، وكانت العبادات الشرعية والآداب التهذيبية، والتعاليم القرآنية والقراءة والكتابة مرعية ومحتمة فيهما، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يلحظ بروح الإنصاف أحوال معيشتهم وشؤونهم الأخرى ملاحظة دقيقة ويشملهم برعايته.

وكان يدعو من أراد شهود الجمعة من أهل السجن أن يأتوها ثم يعادون إذا قضيت الصلاة، وكان يعرض السجون -بالكوفة- أي يعرض من فيها من المسجونين يشاهدهم ويفحص أحوالهم[١].

وقال عليه السلام: «يجب على الإمام أن يحبس الفساق من العلماء، والجهّال من الأطباء»[٢].

وكان يأمر بحبس ثلاثة أصناف: الغاصب، آكل مال اليتيم ظلماً، المؤتمن على أمانة فينكرها[٣].

وكان يفتش عن هؤلاء فإن وجد لهم أموالاً باعها وأعطاها لهؤلاء، كما قضى عليه السلام في الدين أنه يحبس صاحبه، فإن تبين إفلاسه والحاجة فيخلّي سبيله حتى يستعيد ماله، كما قضى عليه السلام في الرجل يلتوي على غرمائه أنه يحبس، ثم يأمر بتقسيم أمواله بين غرمائه بالحصص، فإن أبى باعه، فقسمه بينهم[٤].

وجاء في أمره بسجن ابن هرمه عامله على سوق الأهواز: وأخرجه

---

(١) أحكام السجون بين الشريعة والقانون /١٢٣ -ملخصاً-.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣/٢٠.
(٣) وسائل الشيعة ١٨/١٨١.
(٤) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٩/٧٥-٧٦ عن وسائل الشيعة ١٨/١٨٠ والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه.

وقت الصلاة، ولا تحل بينه وبين من يأتيه بمطعم أو مشرب أو ملبس أو مفرش، ولا تدع أحداً يدخل إليه ممن يلقنه اللدد ويرجيه الخلوص، ومر بإخراج أهل السجن في الليل إلى صحن السجن ليتفرجوا[١].

خامس عشر: عاقبة الزيغ عن الحق التيه متاه بني إسرائيل:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ولَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ولَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ولَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وقَطَعْتُمُ الأَدْنَى ووَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ»[٢].

سادس عشر: الصلاة رافد كل خير:

«واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ»[٣].

سابع عشر: مربد الضوال:

عن سعيد بن المسيب: رأيت علياً بنى للضوال مربداً، فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال، فمن أقام عليها بينة أخذه وإلا أقرها على حالها[٤].

ثامن عشر: التوعية الدينية:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ١٥٤/٤ عن دعائم الإسلام ٥٣٢/٢.
(٢) نهج البلاغة /٢٤١ خ١٦٦.
(٣) نهج البلاغة /٣٨٥ ك٢٧.
(٤) بحار الأنوار ١١٨/٤١.

تسمى السيبة فيقف على سوق سوق فينادي يا معشر التجار قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، ولا تقربوا الربا ﴿أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يطوف في جميع أسواق الكوفة فيقول هذا، ثم يقول:

تَفْنَى اللذاذةُ ممنْ نالَ صفوتَها ... من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبتِها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ[1]

تاسع عشر: مجلس العلم والهدى:

روى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقباً إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن.

وكان له وقت يقوم من مجلسه فقام يوماً فمر برجل فرماه بكلمة هجر، قال: ولم يسمه محمد بن علي عليهما السلام فرجع بدئه على عوده حتى صعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ليس أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه، ألا إنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلا عزاً، ألا وإن الذل في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزز في معصيته، ثم قال: أين المتكلم آنفاً؟ فلم يستطع الإنكار، فقال: هاأنذا يا أمير المؤمنين، فقال:

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤/٤١.

أما إني لو أشاء لقلت، فقال: أو تعفو وتصفح فأنت أهل لذلك، فقال: عفوت وصفحت[١].

العشرون: ضبط النفس:

أ- قالت امرأة عبدالله بن خلف الخزاعي بالبصرة لعلي عليه السلام بعد ظفره وقد مر ببابها: يا علي ياقاتل الأحبة لا مرحباً بك! أيتم الله منك ولدك كما ايتمت بني عبدالله بن خلف! فلم يرد عليها وأشار إلى ناحية من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وانصرفت. وكانت قد سترت عندها عبدالله بن الزبيرومروان بن الحكم، فأشار إلى الموضع الذي كانا فيه، أي لو شئت أخرجتهما فلما فهمت انصرفت، وكان علي عليه السلام رحيماً كريماً[٢].

ب- حتى مع عائشة:

قال ابن أبي الحديد: ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به وشقت عصا الأمة عليه ثم ظفر بها لقتلها ومزقها أرباً إرباً ولكن علياً كان حليماً كريماً[٣].

الحادي والعشرون: القسمة بالسوية:

أ- خطب الناس في أيام حكمه الأولى، ومما قال:

"فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب... فإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم...

فلما كان من الغد غدا وغدا الناس فقال لعبيدالله بن أبي رافع (كاتبه)

---

(١) م ن /١٣٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٥/١٠٥، ١٧/٢٥٤.
(٣) م ن.

ابدأ بالمهاجرين فنادهم، واعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثني بالأنصارفافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك، فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم! فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير»[1].

ب- السيدة القرشية والعجوز الفارسية:

وفدت إليه -سلام الله عليه- سيدة تطلب زيادة عطائها وقد التقت بعجوز فارسية كانت مقيمة بالكوفة، وسألتها عن عطائها فإذا به يماثل عطائها، فأمسكت بها إلى الإمام وقالت: هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسية، فرمقها الإمام بطرفه وتناول قبضة من التراب وجعل ينظر إليه ويقبله وهو يقول: لم يكن بعض هذا أفضل من بعض، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

ج- المحاباة والتفضيل:

«أتى أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء الأشراف، وفضلتهم علينا، حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية، والعدل في الرعية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني - ويحكم- أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل

---

(١) م ن ١٠/٣٧، ٤٢.

(٢) حياة الإمام الحسين ١/٤٠٧، وروى نحواً منها ابن أبي الحديد في شرحه ٢/٢٠٠ وقد ذكرنا صوراً أخرى مقاربة في كتابنا (العقائد من نهج البلاغة)، روتها لمعاوية امرأة شاكية، وجاءت في البحار ٤١/١١٩.

الإسلام!! لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم!!»[١].

الثاني عشرون: الحق ثقيل على أهل الدنيا:

وكان قوم من أهل المدينة لحقوا بمعاوية، فقال عنهم عليه السلام:

أ- «قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ ورَأَوْهُ وسَمِعُوهُ ووَعَوْهُ وعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ فَبُعْداً لَهُمْ وسُحْقاً إِنَّهُمْ واللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ ولَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ وإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ ويُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ والسَّلامُ»[٢].

ب- ومن حديثه في ذلك مع مالك الأشتر:

قال عليه السلام: «وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة أللدنيا أرادوا أم لله عملوا»[٣].

الثالث والعشرون: بين خشية الله وخشية الرعية:

أ- «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ولَيْسَ أَمْرِي وأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٤].

ب- «وإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ويُقِيمُ أَوَدَكُمْ ولَكِنِّي لا أَرَى

---

(١) الكافي ٤/٣١/٣.
(٢) نهج البلاغة /٤٦١ ك٧٠.
(٣) العقائد من نهج البلاغة /٣٠٩.
(٤) نهج البلاغة /١٩٤ خ١٣٦.

إِصْلاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي»[١].

ج- «إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا وإِنَّنِي الْيَوْمَ لأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وهُمُ الْقَادَةُ أَوِ الْمَوْزُوعُ وهُمُ الْوَزَعَةُ»[٢].

فتلك سمة الملوك وشيمة الحكام، فمن ملك استبد، وعلى ذلك جري الأمم مع أغلب رعاتها، وهذه أمة الإسلام -والعهد قريب- عاشت عمراً مع حكامها تحكمها بالغشم والإثرة والمفاضلة والحرمان، وراق لعشاق الدنيا حطامها، وتربوا على الخلود إليها، وتمردوا على الحق، واستمرؤا البلطل فلم يعودوا منقادين للعدل وأحكامه والإذعان والخضوع لإمامه.

الرابع والعشرون: الفقر:

أ- «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ»[٣].

ب- «قَالَ عاصم بن زياد: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ! فقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»[٤].

ج- «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ واللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٥].

---

(١) نهج البلاغة /٩٩ خ٧٠.
(٢) نهج البلاغة /٥٢٠/٢٦١.
(٣) نهج البلاغة /٥٠٠/١٦٣.
(٤) نهج البلاغة /٣٢٥ خ٢٠٩.
(٥) نهج البلاغة /٥٣٣/٣٢٨.

سياسة الولاة:

والولاة سفراء الإمام إلى الإمة، والمناط بهم إدارة شؤونهم، بإقامة العدل فيهم، وإحقاق حقوقهم، ونظم أمرهم، فيما تتسع له ملكاتهم، وتقتضيه ولاياتهم في أطراف بلاد الإسلام.

فهم المؤتمنون على دين الله والأموال والدماء والأعراض فيما يتولونه من القضاء وإقامة الحدود وحراسة المال وتوزيعه ومعالجة الحرب وعقد المعاهدات وحفظ الثغور وإقامة الخلق على نهج الحق.

وقد حفلت فترة حكم الإمام -عليه صلوات الله- على قصرها وتفاقم الخطوب وتشعب الأحداث فيها بفكر رصين ورؤى عالية وسياسة حكيمة عالجت شؤون الولاية والوالي وأسس الاستقامة ودعائم الحق وبنود الصلاح والإصلاح.

وتلك ميزة اختص بها بطل الإسلام أمير المؤمنين تتسق ولداتها مما منح بها هذا الإمام الموهوب، فهي من علاه إحدى المعالي.

وقد حفظ الشريف الأجل الرضي رضي الله عنه في (نهج البلاغة) طائفة من الوثائق والعهود تحكي ذلكم الفكر العلوي ونزعته الإصلاحية في عمق النظر وسمو الغاية وبليغ القول.

فلنقرأ علياً في جنبة من سياسته الزاخرة، وبعد من آفاقه الزاهرة مقتطفين من كل عهد حقاً ومن كل وثيقة نوراً ومن كل رسالة درساً ومن كل كلمة حكمة ومن كل جملة علماً نستجلي بذلك روح الدين وجوهره وهديه وعطاءه وشريف أهدافه وكريم غاياته ونبل فضائله وسخاء فواضله.

وإن من الأجدر والأليق إيراد تلكم العهود والمواثيق والبنود كاملة لتملأ فكر قارئها وبصر ناظرها وتعمر قلبه وتحيي وجدانه وتعيش في

جوانحه وتأخذ بجوارحه حيث الهدى والاستقامة، ولكنها لطولها وكونها في متناول عشاق الحق نختار منها نماذج وكلها صفوة مختارة تحكي سنن قائلها وراقمها وما حملته روحه، وتقمصته شخصيته، واتسعت له آفاقه.

١ ـ الله ـجل جلاله ـ منتهى الآمال.

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّه وإِيْثَارِ طَاعَتِه واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِه وسُنَنِه الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا ولا يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا وأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ».

«فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ واللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ وقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وابْتَلاكَ بِهِمْ ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ولا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ».

«ولا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ومَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ».

«وإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ويَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ».

«ولَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ»[1].

فالعبودية أسمى الصفات، وأعلى الدرجات، وأوج الكمالات، وهي لا

---

(١) من عهده إلى مالك، نهج البلاغة /٤٢٦ ك٥٣.

تتمثل خالصة إلا بالتقوى المنبعثة عن المراقبة التامة، والمواظبة الكاملة والرعاية الدائمة لإجلال المولى ـجل وعلاـ والإيمان العميق به والوقوف عند حدوده.

والولاية وإن عظمت منزلتها فالولي عبد مأمور من قبل عبد مأمور فوقه رفع بضبعه إلى تلكم المنزلة وأحله تلك المحلة، والله ـجل شأنهـ فوقه وفوق من ولاه فهو الولي المطلق.

وإلى الله المآب وهو مرجع العباد، فليكن المعاد إليه، والوقوف في محكمة عدله مهيمناً على المشاعر آخذاً بالألباب مستولياً على الفكر مستغرقاً فيه في كل آن فيعيش الاستقامة ويحيا السلامة.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾.

٢ـ مراقبة الولاة والعمال.

فالولي والقاضي ومن يتولى أمراً خطيراً، كل هؤلاء ممثلون عن الإمام فيما يقومون به من أدوار ويديرونه من أعمال، وممارساتهم تحكي مدى لياقتهم وتفاعلهم وهدي الإمام الذي أراد منهم أن يكونوا على شاكلته، ويتحلوا بخلائقه فهم موطن القدوة وحاملوا الرعية على النهج القويم.

ومن هنا كان ـعليه سلام اللهـ يرصد تصرفاتهم فيقوِّم المعوج ويرشد للأصلح والأليق.

أـ مع شريح القاضي:

«فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذه الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَو نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الآخِرَةِ. أَمَا إِنَّكَ

لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ»[1].

ب- مع عثمان بن حنيف:

«فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ وتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ومَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ ومَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ»[2].

وليست القضية مجرد إجابة دعوة المؤمن، ولكنها الخشية من صحبة الأغنياء التي تميت القلب، والخشية من الاستغفال بدفع ضريبة الإطعام والإكرام والتكيف مع هؤلاء الفئة المضطربة الموازين فينعم في عيشهم الإغنياء ويحرم من نوالهم الفقراء بل هم المجفوون المبعدون.

مضافاً إلى ما يتداعى في أذهان الرعية تجاه واليها من الارتياح إلى تلكم الفئة المترفة والاصطباغ بعيشهم، وعدم مواساته للمحرومين المعدمين.

والإمام يطمح ويطمع أن يجعل من شخصية واليه مرآة لشخصيته وصورة تحكي نوازعه فيما يقوى على محاكاته من فكره وخلقه، فهو الإمام المقتدى.

«أَلا وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلا وإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ومِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلا وإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ

---

(١) نهج البلاغة /٣٦٤-٣٦٥ ك٣.

(٢) نهج البلاغة /٤١٦ ك٤٥٨.

عَلَى ذَلِكَ ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ»[١].

«ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هذا الْعَسَلِ ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وأَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ولا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا»[٢].

أرأيت كيف يحمل عليٌ رعاة الأمة على اقتفاء هدي الأئمة ويأخذ بفكرهم وقلوبهم إلى الأمثل الأقوم.

٣ـ العامل مستأمن لا مالك:

فقد كتب إلى عامله على أذربيجان الأشعث بن قيس:

«وإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ولَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ولا تُخَاطِرَ إِلا بِوَثِيقَةٍ وفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ولَعَلِّي أَلا أَكُونَ شَرَّ وُلاتِكَ لَكَ والسَّلامُ»[٣].

---

(١) نهج البلاغة /٤١٧ ك٤٥.

(٢) نهج البلاغة /٤١٧ـ٤١٨ ك٤٥.

(٣) نهج البلاغة /٣٦٦ ك٥.

فالعامل سلطان على ما تحت يديه، والمال في قبضته وتصرفه، ومن شأن القدرة إغراء النفس وإشباع الهوى والاسترسال في إرضائهما.

ومفتاح ذلك الانفلات الغفلة أن من تحت يده المال إنما هو مطوق العنق مغلول اليد بقيود الحق، ومال الله أمانة والعامل مؤتمن مسترعى من قبل الله الأعظم، فلابد له في كل قبض وبسط لخاصة نفسه أو لسواه من حجة قويمة، ومسوغ صحيح، غير مستبد برأي دونما إذن ممن ولاّه ورجوع لمن أقامه ومكنه، فليصن الأمانة وليجانب الخيانة في السر والعلن فإن الله لا يحب الخائنين.

٤ ـ الوصية بالرعية:

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ» من عهده لمحمد ابن أبي بكر[1].

فما ظنك برعاية دقيقة، وأبوة شفيقة، وحنو مستوعب للجناح والجانب والوجه واللحظة والنظرة تستكمل العدالة في وجدان ومشاعر المتغلغة في وجدانه وكيانه ألا يتجسم فيه العدل المنبسط فيؤمن منه الحيف واليأس فلا حيف يرجوه العظماء بالإقبال عليهم، ولا يأس يخشاه الضعفاء بالإعراض عنهم، بل العدل رائد عام، والله ـ جلت عظمته ـ مطلع على القلوب وماتختزنه الضمائر وتكنه الصدور محيط بالخفي والجلي ومسائل عن صغير الأمور وكبيرها، عدل رحيم، فإن عاقب فبعدله، وبظلم من عباده، وإن عفى فبرحمته وكرمه وهو الأمر بالعدل والإحسان.

---

(١) نهج البلاغة /٣٨٣ ك٢٧.

٥ـ عقوبة الخائن:

وفي كتابين لزياد بن أبيه ٣٧٧/٢٠ـ٢١.

أ ـ «وإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّه قَسَماً صَادقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الأَمْرِ والسَّلامُ».

ب ـ «فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً واذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً وأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وتَطْمَعُ وأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ والسَّلامُ».

وفي التصدير بالقسم بالله صادقاً دلالة على خطورة المقسم عليه كيف لا وهو مظنة الوقوع في جرم عظيم وموبقة حالقة، وأي إجرام أفظع من خيانة الله بالعبث في فيء المسلمين عباد الله وفيهم من لا حيلة له من ضعيف وأرملة، فذلك مما لا يغتفر فيه الحقير والخطير.

ولا يكبح جماح النفس، ولا يقبض اليد عن العدوان، إلا بتوفر الدين القويم والخلق الكريم بذكر المعاد والجزاء، والاقتصاد والتواضع لله والإذعان لأوامره وزواجره، والتحلي بما يليق بالعامل المؤتمن.

وما أجمعها من كلمة: «إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ»، فليست الأعمال إلا زاد الآخرة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

٦ـ منى النفس ورضى الرب:

«فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَلا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ»(١).

والنفس مركز الانفلات، فإن لم تعقل أردت وطلبت مالم تجد، وأهلكت ما تجد، فاتباعها مرد، والانقياد لشهواتها خلود إلى الدنيا وهي (رأس كل خطيئة) ونسيان الرب ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، وبئس القرين فلا محيص من المنافحة عن الدين والاستماتة في ذلك، والغفلة ولو للحظة وقوع في هوى النفس وشرك الدنيا والشيطان، (فإنما هو الله أو الشيطان)، (ومن كان مع الله كان الله معه)، ومن صمد إليه أغناه عن كل مخلوق سواه، ومن قصد غيره ضلت حيلته وخاب مسعاه، فالحذر كل الحذر من طاعة المخلوق بمعصية الخالق. وماذا وجد من فقده؟! وماذا فقد من وجده؟!

٧ـ بث العيون وحماية البلاد والعباد:

فمن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس عامله على مكة:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي ـبِالْمَغْرِبِـ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلا عَامِلُهُ وَلا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلا فَاعِلُهُ فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لإِمَامِهِ وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ وَلا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً وَلا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلا

---

(١) نهج البلاغة /٣٨٤ من كتابه لمحمد بن أبي بكر /٢٧.

والسَّلامُ»[١].

فصون البلاد وحفظ العباد من أهم الواجبات وأقدس الفرائض وكما تحمى الثغور بمرابطة من يحرسها فكذلك ترعى قدسية البلاد والنفوس وهنا يتجلى أهمية بث العيون ساهرة ومراقبة ومكتشفة لما يدبره المتربصون ويحوكه مضمرو الشر المفسدون الذين استغل الخبثاء ضعف إيمانهم فاستمالوهم بالأدنى فأجابوا.

وهنا تأتي يقظة الوالي وحزمه وصلابته وعدم تعلله بالأوهام حباً في السلامة ورغبة في العافية ينشط في السراء ويضعف في الضراء، وفي مثل هذا الابتلاء وهذه المحنة تتجلى كفاءته ولياقته.

ولخطورة الأمر ولاسيما في مواطن الفتن وامتلاء الآفاق بالمحن أولى الإمام عليه السلام القضية أهمية بالغة وعناية كاملة درءاً للمفاسد والمخاطر المحدقة فوجه أوامره لولاته بتفقد من دونهم من العمَّال، صيانة للإسلام وحفاظاً على مصالح المسلمين وبلادهم، مؤكداً ذلك كله باللفتات الدقيقة والحيطة الشديدة.

أ- فكتب إلى (مالك بن كعب) عامله على عين التمر وبهبقاذات: «واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد، فتسأل عن عمَّالي، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب. ثم ارجع إلى البهبقاذات فتول معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها. واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً واعلمني الصدق فيما صنعت والسلام»[٢].

---

(١) نهج البلاغة /٤٠٦ ك٣٣.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ١٣٤/٤ عن تأريخ اليعقوبي /٢٠٤ وقد صحح أن العامل هو (مالك بن كعب) وليس (كعب بن مالك).

ب- وفي عهده إلى مالك الأشتر:

«ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً،... ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ والرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ووَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ»[1].

ونستجلي من هذه التوجيهات والتوصيات التركيز على ما يلي:

١ ـ إن المحور الأساس العمل بطاعة الله فيما ولي عليه.
٢ ـ إن العمل محفوظ يكافأ عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
٣ ـ الدقة في المراقبة والتقييم والصدق في رفع التقرير.
٤ ـ الاختيار عن الاختبار.
٥ ـ عدم الاسترسال في الثقة وحسن الظن، بل لا بد من تفقد ممارساتهم.
٦ ـ عدم الاكتفاء بمحاسباتهم بل يبعث العيون الفاحصة والناظرة بصدق وإخلاص الرعية للحق.
٧ ـ دور المراقبة السرية وفاعليتها في نفس العمال بانتهاج الأمانة ورعاية الرعية.
٨ ـ لا هوادة في معاقبة الخونة بل يؤخذ أشد المؤاخذة، ويقام في مواقف الفضيحة عقوبة له على عظيم جرمه وردعاً لمن تسول له نفسه الشريرة ظلم العباد واستغلال الوظيفة بتجاوز الحدود وإغماط الحقوق.

٨ ـ غاية النصفة:

---

(١) نهج البلاغة /٤٣٥ ك٥٣.

فقد كتب إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

«فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِماً وإما مَظْلُوماً وإِمَّا بَاغِياً وإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ وإِنِّي أُذَكِّرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي وإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي»[1].

ألا وأنها الذات الفاضلة، والنفسية الشريفة، فالإنصاف شيمة الأشراف، فالإمام مع يقينه بحقه وبينته في أمره، وعلمه بضلال من خالفه يسن هذا المبدأ السامي ويرفع شعار الخلق العالي المتعالي عن الأنانية والاستبداد إقامة للحجة وترغيباً لطالب الحق بإزاحة العلة وكشف الشبهة وإزالة اللبس بفضل ما يملك من الحق والصدق ووسائل الإقناع.

وإنه المنطق الفيصل، والمقولة الحق، فالقضية منطقية تجمع محتملات الموقف في دائرة لا تخرج أطرافها عن ظالم ومظلوم، وباغ ومبغي عليه، وحسن ومسيء، والمحسن يعان ويؤازر، والمسيء يحاسب ويستعتب، ومن لم يجب دعوة الحق فهو معاند مكابر ضالٌ موغلٌ في التيه. والإمام في خطابه على هدي ربه في كتابه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

فقد أدب ولاته، وحملهم على التحلي بملكاته، فمن بنود عهده لمالك الأشتر: «وإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ واعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»[3].

وكتب إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين:

---

(١) نهج البلاغة /٤٤٨ ك٥٧.

(٢) سورة سبأ /٢٤.

(٣) نهج البلاغة /٤٤٢ ك٥٣.

«وَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا والْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ والظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ ونَبِيَّنَا وَاحِدٌ ودَعْوَتَنَا فِي الإِسْلامِ وَاحِدَةٌ ولا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الإِيمَانِ بِاللَّهِ والتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ ولا يَسْتَزِيدُونَنَا الأَمْرُ وَاحِدٌ إِلا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ونَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ فَقُلْنَا تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وتَسْكِينِ الْعَامَّةِ حَتَّى يَشْتَدَّ الأَمْرُ ويَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وركَدَتْ ووَقَدَتْ نِيرَانُهَا وحَمِشَتْ فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وإِيَّاهُمْ ووَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وفِيهِمْ أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ومَنْ لَجَّ وتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ وصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ»[1].

ويحمل هذا البيان جنبات من رؤى الإمام السياسية والأخلاقية والاجتماعية:

١ ـ التعامل مع البغاة والخارجين معاملة المسلمين.

٢ ـ محنة عثمان.

٣ ـ الدعوة إلى السلم والأمن.

٤ ـ الحرب الطاحنة الضروس تحصد الجيد والرديء.

٥ ـ إقامة الحجة وتصنيفها الناس إلى مقتنع ناجٍ ومتمادٍ هالك.

٦ ـ إعلام الأمة في مختلف أمصارها بالأحداث المهمة، إهتماماً بشأنها،

---

(١) نهج البلاغة /٤٤٨ـ٤٤٩ ك٥٨.

وتحفظاً على الحقيقة بعيدةً عن تشويه المغرضين وإعلامهم الكاذب.

٩ـ الإصحار والإعذار:

«وإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ واعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»[1].

فالعقول متفاوتة، والنفوس مختلفة، وبواعث سوء الظن متكاثرة، ومحامل الخير عند السواد الأعظم مستبعدة، فتكبر الظنون وتذهب بحملتها مذاهب وإهمالها متراكمة يستتبع استرسالها فتذهب بالثقة، وفي ذلك من المساوي ما يفصم عرى الولاء بين الوالي ورعيته.

وهنا تتجلى شجاعة الوالي ولياقته ولباقته، فيجهر لهم بحجته ويكشف ما اعتراهم وخالط نفوسهم ببرهانه وبينته، وفي جهره بعذره تبرز ملكته في ترويضه لنفسه وتملكه من زمامها بما تتسع له من قبول الحق إن أخطأه وقبول النقد مع جليل الفائدة وعظيم العائدة بلطمئنان قلوبهم وسكون نفوسهم وحملهم على جادة الحق.

وما كان علي ـعليه صلوات واهبه الكمالـ ليقول ما لا يفعل فقد كان هذا أدبه، وتلك خلاله وسجيته.

وقد سبق في (ملامح شخصيته السياسية) كتابه من المدينة إلى أهل البصرة ما يكشف عن شريف نفسيته.

وعلى هديه أراد لولاته ما أراد لذاته.

---

(١) نهج البلاغة /٤٤٢ ك٥٣.

١٠ ـ دفع التوهم وجميل التكرم:

أ ـ «فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ وإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ ولا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ ولَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلايَةً»[1].

فإن النفوس لتضعف إذا عرض عليها ما لا تتوقعه ولا تهواه، مع ما يعيشه ـ ولو توهماً ـ من استحياء أمام الملأ العام لما يشيع في نفسه ونفوسهم من عدم لياقته لإدارة ما أسند إليه.

والإمام حاكم حكيم قادر على إشاعة الثقة والاطمئنان في نفوس الوالي والعامة، برضاه عنه وتقديره لأعماله وقبوله إسناد ولاية أخرى إليه والإشادة به أمام الملأ.

ب ـ وإلى عامله على البحرين عمر بن أبي سلمة:

«فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ونَزَعْتُ يَدَكَ بلا ذَمٍّ لَكَ ولا تَثْرِيب عَلَيْكَ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلايَةَ وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ولا مَلُومٍ ولا مُتَّهَمٍ ولا مَأْثُومٍ فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ»[2].

إفصاح عن بالغ التقييم، وسابغ التكرم، وإشادة بعظيم الجهد، وخالص النصيحة، والوفاء بالمهمة خير وفاء، وأجمل أداء.

---

(١) نهج البلاغة /٤٠٧ ك٣٤.

(٢) نهج البلاغة /٤١٤ ك٤٢.

١١ ـ منتدى العلم والخير:

«فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ واجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ وعَلِّمِ الْجَاهِلَ وذَاكِرِ الْعَالِمَ ولا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَ لِسَانُكَ ولا حَاجِبٌ إِلاَ وَجْهُكَ ولا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا»[1].

ندي يرتاد، ومجمع عامر، وحلقة ذكر، يتصدى الوالي فيفرغ له نفسه صباحاً ومساء، غايته التعليم والتهذيب، الوالي والرعية يتسابقون في مضمار الكمال، فلا يأنف الوالي أن يتعلم ما لا يعلم، ولا يبخل بتعليم ما علم، في عموم المعارف.

ولا تأخذ بالوالي عزة في اكتساب الفضل، ولا تعال عن الكافة باحتجاب فلا وسائط ولا حجاب، ولا إهمال ولا إغفال، فالخلق عيال الله وأحبهم إلى الله خيرهم لخلقه.

فإذا ما رأت الرعية من واليها هذا العطف واللطف والانفتاح والانشراح لهمومها وقضاياها رغبت في الخير وازدادت منه قرباً، وحمدت الفعل وأجلّت القائم به وتبوأ من قلوبها مكاناً جميلاً، فخير من الخير فاعله.

١٢ ـ رعاية واحتياط:

بيان للعمّال الذين يطأ الجيش عملهم:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وعُمَّالِ الْبِلَادِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأَذَى وصَرْفِ الشَّذَا وأَنَا

---

(١) نهج البلاغة / ٤٥٢ ك٦٧، من كتابه إلى قثم بن العباس ـ عامله على مكة ـ.

أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِه فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ وكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ والتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ ومَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ومَا لا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلا بِاللَّهِ وبِي فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1].

أفق رحب، ونظر بعيد، وجماع في التوجيه والتقويم، ونبذ للإعتساف، وتعهد بالإنصاف، وروح متعلقة بالله تستمد منه العون والمدد.

فالجيش يضم في جنوده أشتاتاً تتفاوت ملكاتهم، ويختلف انضباطهم، وقد يعروهم الزهو، ويمتلكهم الطيش، فيرون لأنفسهم سلطاناً يقهرون به ويحققون في ظله ما يهوون، فلابد من تذكيرهم بالله وتحذيرهم من الإساءة لعباده والإفساد في بلاده، وأعمالهم طوق في أعناقهم لا يحمل الإمام العدل من تبعاتهم شيئاً، فلم يوصهم إلا بتقوى الله ورعاية خلقه، وعدم تجاوز حدوده إلا فيما سوغ لهم مما لا يجدون منه بداً، ولا إلى صرفه منعاً.

ومهمتهم وإن جلّت وعظمت فهي غير دافعة عنهم المؤاخذة على ظلم ارتكبوه أو جرم اقترفوه.

والعدل رائد عام فالجيش والرعية محكومون بقانون، منبسط عليهم كافةً، ولا يشذ أحد عن وثاقه.

والحاكم الحق والإمام العدل قائم بالأمر يقضي بالحق ويدفع الجور ويعالج الموقف مستعيناً بالله الذي أقامه لرعاية عباده وإشاعة العدل فيهم وإقامته فيهم.

---

(١) نهج البلاغة /٤٤٩ ك٦٠.

العهد الإلهي

وهو أجل من أن يوصف بالذهبي، وأسمى من أن ينعت بما تنعت به أفكار البشر وأعمالهم وإن بلغت قمة الإنجاز والإعجاز فما هو إلا صبغة إلهية، وصياغة ربانية رشحت من فكر إلهي وأملاها قلب رباني، وترجمة صادقة معبرة عن ذات تعلقت بالملأ الأعلى فهي الممسوسة بالله والمغموسة في صفاته والمتضمخة في أخلاقه.

يحكي العهد نظام الإسلام وقانونه، وشرع الدين ودستوره، وبنود الحكم وأركانه وقوامه، ومؤهلات ولاته، ودعائم إصلاح العباد، وإحياء البلاد، وبناء الدولة على أساس من هدي الله وتخطيطه.

تنزل بوحي الإيمان نوراً أشرقت حروفه وجمله في صحائف الإبداع والإعجاز جوهرها الفكر وروحها العدل والرحمة، وغايتها الحكمة والاستقامة.

ولا غرو فهو نسيج ما تنزل به أمين وحي الله جبرئيل على قلب النبي المصطفى ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۞ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، (فالقرآن العظيم) إعجاز الله المبدع الخالق، (ونهج البلاغة)، إعجاز علي المخلوق، وأعظم الكلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق فسبحان الواهب، وما أجل الهبة والموهوب.

وتتسع تلكم الوثيقة العظمى لسبح طويل في آفاقها الواسعة، ورحابها الممتدة حيث لا يبلغ لها مدى، ولايحاط بأبعادها عمقاً وارتفاعاً.

ولكن أنى لمثلي التحليق في أجوائها والإبحار في متلاطم أمواجها.

وحسبي أن أعرض أولاً لطرف من شؤونها، وجمل من مقاصدها،

وأثني بإيرادها كاملة ليتملى الناظر من جواهرها، ويتروى من عذب نميرها، ويستحكم يقينه بأن دين علي سياسته، وسياسته دينه، وقد مثّل السياسة الإلهية.

فكان بحق «قادة الأمم، وأولياء النعم، وساسة العباد، وأركان البلاد)، وبصدق ما وصف بما اتصف به، (كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكم، ورأيكم علم وحلم وحزم، إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[1].

العرض العام:

١ ـ سند العهد الشريف:

قال السيد الخوئي ـ رضوان الله عليه ـ: طريق الشيخ إلى عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر معتبر[2].

مضافاً إلى أن الفكر المودع والروح الناطقة، والأسلوب الرائع، دلائل حق، وبراهين صدق أن الروائع لا تتنزل إلا من مصدرها والجواهر لا تخرج إلا من معدنها (سبوح لها منها عليها شواهد).

٢ ـ بلاد مصر:

«فقد خص الإمام مصر بالذات بهذا العهد العظيم وبإيفاد شخصية كمالك الأشتر إليها، ولعل سبب ذلك هو ما قاله الشيخ محمد مهدي شمس

---

(١) من الزيارة الجامعة.

(٢) مباني تكملة المنهاج ١/٥.

الدين: (إن مصر عريقة في التنظيم المجتمعي والحضارة منذ عشرات القرون، وإن تقاليدها في السياسة والإدارة عريقة في القدم، وإن مجتمعها الأصلي مجتمع مكتمل التكوين في عاداته وتقاليده وفئاته الاجتماعية»[١].

نضيف إلى ذلك وجود من قام على عثمان من مصر ممن لم يرضوا بسياسته وكانوا يريدون عدالة الإسلام فأراد الإمام نشر العدالة هناك وتهدئة الوضع ولتكون نموذجاً للبلاد الأخرى[٢].

٣ـ شخصية مالك والإشادة به:

فقد كان ـرضوان الله عليهـ من الروّاد الأوائل والصفوة القلائل الذين جمعوا شخصية متماسكة، وتوفروا على ملكات نادرة.

وحقه جدير بأن يستوفى بترجمة واسعة فمقامه جليل، ورحابه واسعة، إلا إن في الكلمات والجمل القصارالصادرة عن معلمه وملهمه خير تعريف وجميل توصيف.

أـ قال عليه السلام:

«رحم الله مالكاً، لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

وأعظم بها قولة جامعة تدلل على ما تبوأه البطل العظيم من مقام شامخ.

ب ـ «رحم الله مالكاً، لو كان جبلاً لكان فنداً، ولو كان حجراً لكان صلداً، لله مالك؟ وما مالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك؟ وهل

---

(١) عهد الأشتر /١٣.
(٢) العقائد من نهج البلاغة /٣١٧.
(٣) معجم رجال الحديث ١٤/١٦٥.

موجود كمالك؟ لا أرى مثله أبدا[١].

ج- وكتب عليه السلام إلى أهل مصر، لما ولاه عليهم:

«مِنْ عَبْدِ اللّه عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلّه حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِه وذُهِبَ بِحَقِّه فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ والْفَاجِرِ والْمُقِيمِ والظَّاعِنِ فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْه ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللّه لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ ولا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللّه لا كَلِيلُ الظُّبَةِ ولا نَابِي الضَّرِيبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ ولا يُحْجِمُ ولا يُؤَخِّرُ ولا يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ»[٢].

ويلاحظ أن الأمام عليه السلام قد قدَّم التعريف به قبل ذكر اسمه وبعبارة جامعة (عبد من عباد الله) وأنه (لا يقدم ويؤخر إلا عن أمري) وبكلمة معبرة: (وقد آثرتكم به على نفسي).

وناهيك بصنيعة يرتضيه الإمام الحق للمهام الصعاب والقضايا الكبار ويحمد سيرته وسريرته فيصفه بما وصف[٣]، فاختصهم به سفيراً عنه قائماً مقامه.

---

(١) م ن /١٦٤.

(٢) نهج البلاغة ٤١٠-٤١١/٣٨.

(٣) اقرأ عن تعريف الإمام له في نهج البلاغة ١٣/٣٧٢، ٦٢/٤٥١، ٤٤٣/٥٥٤ من غريب كلامه.

٤ـ العناية بالعهد:

فهو شرعة الناهل، ونبراس الحق يهتدي بسناه من يعشو إلى الحق والهدى فقد أحصى السيد عبد الزهراء الخطيب أكثر من (١٦) شرحاً مستقلاً لهذا العهد.

ونضيف إلى ذلك (دراسات في نهج البلاغة) و(عهد الأشتر) للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، ولعل المتتبع يقف على أكثر من ذلك.

وقالوا عن العهد الشريف:

١ـ السيد الشريف الرضي:

"وهو أطول عهد كتبه، وأجمعه للمحاسن"[١].

٢ـ الشيخ آغا بزرك الطهراني:

"وهو أول كتاب قانوني إسلامي قويم، كما أنه أطول عهوده عليه السلام وأجمع كتبه لوجوه السياسة الدينية، والمحاسن والقيادة والتدبير وقد وقف عنده المتشرعون ورجال القانون في الشرق والغرب منذ العهود السالفة حتى يوم الناس هذا موقف الإكبار والإعجاب والتعظيم، وقد درست على ضوئه بعض القوانين والنظم الأوروبية الحديثة وقورنت به فظهرت ميزته وأفضليته، ولم يوجد له نظير أو شبيه بل إن معظم دساتير الدول وقوانين الممالك مأخوذة منه ناسجة على منواله"[٢].

٣ـ وقال ابن أبي الحديد:

---

(١) نهج البلاغة ٤٢٦/٥٣.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٤٢٥/٣ نقلاً عن مصادرها: الذريعة ٣٧٣/١٣، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ج١، شرح نهج البلاغة ٧٣/٦.

«الأليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتي به ويقضي بقضاياه وأحكامه هو عهد علي عليه السلام إلى الأشتر، فإنه نسيج وحده ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام السياسية، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سمَّ الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر»[1].

٤ـ جورج جرداق:

«إلا أنه يصعب على المرء أن يجد اختلافاً بين العهد العلوي والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان إلاّ نجد له مثيلاً في دستور ابن أبي طالب، هذا إلى إطار من الحنان الإنساني العميق يحيط به الإمام دستوره في المجتمع ولا تحيط به الأمم المتحدة وثيقتها بمثله»[2].

بنود العهد وأغراضه:

وقد حفل بدقائق الأفكار، وعميق الأسرار، وشرائف المقاصد، وركائز الاستقامة وبناء الفرد والأمة.

وتستبطن كل كلمة معارف جمة، وهدياً مستوعباً، ومناهج للرشاد، تكمن في أعماقها روح إلهية، ويبثها نفس رحماني، تبدأ بالله وإليه تعود، وفيما بين المبدأ والمعاد، مذكرة ومحذرة ومنذرة ومبشرة لتضمن للعقل السلامة وللنفس الاستقامة.

وسأعرض تلكم المقاصد والأهداف بنحو الفهرست ليستدل من

---

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٤٢٥/٣ نقلاً عن مصادرها: الذريعة ٣٧٣/١٣، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ج١، شرح نهج البلاغة ٧٣/٦.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٤٢٥/٣ نقلاً عن مصادرها: الذريعة ٣٧٣/١٣، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ج١، شرح نهج البلاغة ٧٣/٦.

عناوينها على مضامينها، ومن كلماتها وموجزاتها على جملها ومفصلاتها:

فأولاً: الركائز الأربع:

أ- المال والإقتصاد، ب- الجهاد والقوة، ج- إصلاح الأمة، د- إعمار البلاد.

ثانياً: المبدأ الأعلى:

(الله) -جلَّ جلاله- فهو المقنن المشرع، والإيمان حقاً يتمثل في (التقوى) ولا تنال إلا بالطاعة المطلقة فيما أمر ونهى، قلباً ويداً ولساناً وبالطاعة تتحقق السعادة، ومن كان مع الله كان الله معه.

والإمام عليه السلام يغدو ويروح مركزاً على هذا المبدأ معمقاً جلالة أمره وعظيم خطره في الانضباط والاستقامة.

ثالثاً: بناء الذات:

فهي المركز لكثير من القوى ومحور تدور عليه الرحى فلابد من أسرها وكبح جماحها لئلا تتفلت، ولا سيما من وال يملك السلطان ويملكه الزهو فلولا عاصم من الله لهلك وأهلك وطغى وتجبَّر.

رابعاً: الميزان الحق:

والناقد ناظر بعينين إذا ما راقب تصرفات غيره، ومطبق الجفنين في ما يعود لذاته ولسلوكه، والناقد محكوماً يرصد كل بادرة، ويعنى بكل شاردة وواردة ويعيش التوجس من كافة ما يمارسه الحاكم سراً أو جهراً ولا يقبل ولا يحتمل في حقه محملاً أو عذراً، والحاكم غافل عن كل ما يجيش في نفس المحكوم، سائر وبلا مبالاة في إنفاذ ما يروم غير ملتفت لآهة محروم ولا آبه بتوجع مظلوم، يرى تحقيق ما يشتهي وإنفاذ ما يريد.

والإمام الحق والحاكم العدل ينصب ميزان الصدق أمام واليه. «ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وجَوْرٍ وأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ ويَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ».

خامساً: الرحمة وتحمل الرعية:

ومن طباع النفوس التعالي إذا ما قدرت، وإنفاذ القدرة فيما قويت، والأثرة والاستبداد على من هيمنت «فَمَنْ مَلَكَ اسْتَبَدَّ».

وتأبى قوانين العدل ذلك، وتنافيه حكمة إقامة السلطان، فإنه جعل لبسط العدل وتوفية الحقوق.

والقلب مركز العواطف، ومنطلق كثير من الانفعالات، ومنبعث التعامل مع المحكومين على اختلاف قربهم وبعدهم نسباً وسبباً.

ولا استقامة لهذا المركز والمحور إلا باستشعاره (الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ) فيحيا الحاكم في دخيلته الإنسانية التي ميزه خالقه بشرفها، ولا تغلب عليه طباع أخرى تتصف بها السباع والوحوش الكواسر. والرعية مهما تعددت، وتشتت مذاهبها فهي لا تعدو دائرتين: (الأخوة الدينية) و(النظارة في الخلق) وواجب الحاكم رعاية حقهما بما سنه المشرع من ذلك.

والقلب ذو الرحمة والمحبة واللطف يتسع فيغضي عن الهنات ويتجاوز عن الزلات ويترفع عن السقطات، ولا يضيق ببوادر تبتلى بها العامة من الرعية.

وإن اعتماد العفو والصفح ممن له القدرة والسلطان لمن أنجع أساليب التربية والتهذيب بفضل ما يستدعي من حياء المقصر ممن له الهيمنة وقوة

الانتقام.

ويعيد الإمام ـعليه سلام ربهـ التذكير بمقياس الحق وميزان العدل قائلاً: «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وصَفْحِهِ» بل يقيم في قلبه خشية الله وشديد قدرته وقوة هيمنته لئلا تأخذ به الإمرة والسلطان إلى الهلاك والعطب حيث يظن أن لا قوة فوقه قاهرة: «فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ واللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ». وهنا تتجلى مخايل نفس ابن أبي طالب فهو الواعظ المتعظ وهو راع في تأديبه لواليه تأديب الله له وفيه.

ويوغل الإمام في بيان ثقل المسؤولية وبالغ عبء التكليف، فالولاية منصب خطير، وابتلاء صعب، وامتحان عسير، والخروج عن الدائرة المرسومة إقامة النفس حرباً لله، ولا طاقة للضعيف بنقمة الله شديد الحساب والعقاب، ولا غنى له عن عفوه ورحمته.

فليكن شعار الوالي الرحمة فإنها من نفحات الرحمن الرحيم، والعفو أقرب للتقوى، فليجنح إليه مهما وجد إليه سبيلاً، ولا يأسفن على فعله فعاقبته محمودة، خلافاً لما تزهو به النفس فتفرح لإنزال العقوبة انطلاقاً من قدرة السلطان، فلا محيص عن الأناة وعدم المسارعة فمآلها الندامة.

ويحصن الإمام واليه بجنة واقية وعصمة مانعة وقوة توازن تقي المتحليَ بكمالها مزالقَ الاقتدار ألا وهي: قدرة الله الجبار والعلي المهيمن واهب القوة وسالبها وجاعل الملك سوقة ورعية.

وكلما نظر الحاكم إلى أعلى وأغمض عمن هو أدنى كان ذلك صمام أمانه وضابط تصرفاته وكابح جماح نفسه وغلبة لعقله على هواه، وإيقاظاً لعبوديته التي إن رعاها رفعته، وإن أغفلها وضعته.

سادساً: الإنصاف دأب الأشراف:

والإنسان بطبعه مَيَّال لقومه محب لعشيرته مؤثر لمن يهوى من أحبته وذلك مدعاة للميل والحيف وغمط الحقوق والتمييز بتفضيل من يهوى على من يجانب ويقلى.

ولاقتلاع جذور ذلك كله لابد من تعميق خُلُقِ (الإنصاف) وامتلاكه أفق النفس وهيمنته على كل تصرف.

وأقوى رادع وأعظم وازع إيقاف الوالي أمام عظمة المولى الأعظم ـ جلَّ وعلا ـ وتحمل مساءلته، والمسؤولية في جوهرها إلهية ومقام رباني ومن ثم اعتدها الإمام عليه السلام المحور في سياسة الحكم ونظم شؤون الرعية فلا يبدأ فصلاً في التقويم والتهذيب ولا يختمه إلا بالتركيز على مفتاح الأمر وجوهر عنصره فينطلق من إجلال الله سبحانه والتذكير به ثم يأخذ في غرضه.

«أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ».

وذلكم هو الدقيق في المراقبة والمحاسبة، واعطف هذا على ما سبق منه ـ سلام الله عليه ـ من حصر الرعية في دائرتين فسواء كانوا إخوة في الدين أو نظراء في الخلق فلهم حقوق يجب أن ترعى، وإلا فهو الظلم الذي يتولى الله ـ جلَّ وعلا ـ المطالبة به والمعاقبة عليه.

سابعاً: الوسطية والاعتدال:

وذلك مبدأ يجمع (الحق والعدل) فلا إفراط ولا تفريط فإذا كان أحب الأمور إلى الوالي أوسطها فذلك رائد عام يبسط العدل في عامة الرعية

ويجمعها على الرضا دونما حيف على علية القوم وذوي المكانة منهم.

ثامناً: الجمهور والسواد الأعظم:

وتختلف طبقات الرعية وتتفاوت مقاماتهم، وتتمايز توجهاتهم، والخاصة منهم فئات محدودة، وفي مقابلهم الأمة العامة وسوادها الأعظم فما موقف الوالي إزاء خاصة إن رضيت فقد رضيت وحدها وغضب لذلك الكافة وفي ذلك فتق لايرتق وشرخ لا يلتئم، وإن رضيت العامة وغضبت لذلك الخاصة استهلك سخطها واضمحل في رضا الكثرة الكاثرة؟

الإمام يرشد إلى احتواء الخلاف بترجيح المصلحة العامة وما فيه نفع الأمة -وبديهي انسجام ذلك والضوابط- فالغالبية هم العمد والقوام ومن ستكفى بهم المهام وتعمر بجهدهم البلاد أو يحمى بهم الثغر، أما الخاصة فهم أميل إلى الدعة والأكثر طلباً والأقل شكراً، قليلو الغنا عند الشدة والضراء.

تاسعاً: أصناف الرعية واختلاف خلائقهم:

فالناس معادن، منهم من يلصق نفسه بالحاكم، ومنهم ذو الريبة ممن يتودد إرضاء لمطامع ذاته فيجعل من نفسه عيناً ترصد كل بادرة معنياً بإظهار المعايب مولعاً بكشف المستور، وفيهم جميل السريرة حسن الطوية سليم النية ماحض النصح محب الخير عون الحق.

ويختط الإمام نهجاً لواليه في التعامل مع هاتيك الأصناف وتلكم الأشتات فيثير فيه الوعي لمن حوله ممن يتخذه وليجة وبطانة فيحسن الانتقاء بتقريب المحق وإبعاد المبطل المغرض، ويوقفه على تفاوت الصفات ومخايل الذوات فيبصر منافذ السوء ونوازع الخير.

١ ـ عيون المعايب:

وتلك شريحة يمتلكها الفضول، ولا مهمة لها إلا تفتيش عن العيوب،

وإذاعة المستور، وإبلاغها الوالي، وكأنما تحسب أن ذلك النصح والإخلاص والنقاء والطهارة وهي بريئة مما وصمت به غيرها والحال أنها بؤرة المعايب ومجمع الرذائل ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

هذا وفي الناس كثير ممن يقترف الجرم ويتستر بالمعصية ولكن ليس السبيل إلى إصلاح هؤلاء الإصغاء إلى فضول أولئك فعلى الوالي إبعاد هذه الفئة وقطع ألسنتهم بزجرهم عن اللهج بفضح السر وكشف المستور والبحث عن العثرات وإبلاغ السيئات فإنما من أقبح السوءات.

وبليغ في الأمر جداً أن يربط الإمام واجب ستر الوالي بعدم الإصغاء إلى القالة بستر الله عليه من رعيته مما لا يحب إطلاعهم عليه.

ويعقب الإمام ـسلام الله عليهـ بأن مغبة الإصاخة إلى نقلة السوء وخيمة فهي من بواعث حقد الرعية على الوالي فلابد من التغابي عنها وعدم المسارعة إلى التصديق «فإنَّ السَّاعِي غَاشٌّ وإنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحِين».

٢ـ الثلاثة المشؤومة:

البخل، الجبن، الحرص.

وهي أخلاق سوء، وصفات مذمومة، وسمات الانحدار، وبواعث الدمار فإذا ما اتخذ الوالي بخيلاً بطانة ومستشاراً فإنه يفرغ له طباعه، وطبعه دنيء، فيقصر به عن المعالي، ويقعد به عن السمو، فلا يرتقي مراقي الفضل والإحسان، ويخيل له الإنفاق في مواطنه تكلفاً، والإمساك ذخراً ووفراً، فتحرم الرعية نعمة البذل، وتعم البلية فتشقى بواليها الشحيح بكرامتها وإسعادها، وذلك لؤم وخيانة.

وإذا ما ركن الوالي إلى الجبان فقد وهى عزمه ووهنت قوته فيعيش الإحجام ويخشى الاقتحام ويميل إلى الهوان وتموت روحه وتمتلكه الهيبة

والرهبة بمعالجة أمر ذي خطر، فيدب في كيان الرعية الدعة إلى الاستسلام والوهن عن مقاومة الأعداء، والاستهانة بواليها والتمرد والانتقام لخوره وضعف عزيمته.

وإذا ما أصغى للحريص فإنه يدعوه للأثرة ـ ومن طبع النفس الميل إلى ذلك ـ والاستبداد، يعنيه شأن ذاته وإن طغى وتجبر وملك واستأثر، وتموت فيه نزعة سامية من نزعات الإنسانية، وخلة جميلة من خلال الذوات الشريفة.

وتنتظم حلقات هذا الثلاثي الوبيء، في جامع شائن ألا وهو سوء الظن بمن بيده الموت والحياة والخير والحول والطول، وينعكس ذلك سلباً على عباد الله جراء بلاء مبرم يعبث بفكر الأمة ويقلقل نفسيتها ويهدم بناء معاشها.

٣ـ الوزراء الأشرار والأخيار:

وهم فئة وثيقة الصلة بمن استوزرهم، ظهير له يحملون عبأه ويشركون في أمره بالرأي والعمل، ومرآة تتجلى فيها ومن خلالها سياسات الوالي واهتماماته.

وقد أوغل الإمام عليه السلام وأبعد في النظر لاستجلاء معادن الذوات ومكامن النفوس ميزاً للخبيث من الطيب والصحيح من المبهرج.

فوزراء السوء من تلوث تاريخه بوزارة للأشرار فاسودّ، وعمل لملوك الدنيا فاكتسب الدنايا فلا ضمير له طاهر ولا نفس شريفة يجنح للخطايا، يُعنى بخاصة نفسه فيمقت العباد غلبة لأهوائه وهيمنة لشهواته على عقله وما يناط به.

هذا والناس منه على إحاطة بسوابقه فهم على خشية من لواحقه

والأمة لم تعدم الأخيار المؤهلين للقيام بوظائف الوزارة المبرئين من نقائص أولئك وهناتهم، فهم مالكون لمقومات الوزارة من سلامة الرأي وحسن الإدارة ناقدون سلبيات الأشرار، فنعم العون هم على إقامة الحق وبسط العدل وتسيير الأمور بالحسنى، ومثلهم من يُتخذ بطانة ويُشرك في الحكم.

وهنا يمعن الإمام في انتقاء الصفوة واصطفاء الأخلاء، فلا يكتفي بحسن الاختيار ابتداء، ولا يعول على حسن الظن والاسترسال في الثقة بل لا بد للوالي من مراقبة من انتقى فربما كافأ المختارُ من استوزره بالمحاباة وغض طرفه عن المؤاخذات بالمجاملة، ولو اقتنع بذلك لما كان للانتقاء معنى ولكنها الملاحظة الدقيقة استدامة وبذلكم المقياس القويم «ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ».

٤ ـ الحاشية القرناء:

وهم شريحة قريبون من الوالي وهو قريب منهم، ودواعي القرب من الطرفين عديدة، وربما كان فيهم من لا شأن له بالحكم وعمل الحاكم. وللحاكم ندماؤه وخلطاؤه اللصيقون ممن ينبسط إليهم ويجمعهم وإياه هوى. أما والي الإسلام فليكن مستراحه وأنسه بمن تحلى بهاتين الفضيلتين الجامعتين (الورع، والصدق) حيث التقوى في الأفعال والأقوال فهم معادن خير لا يعملون إلا حقاً ولا يقولون إلا صدقاً.

ويا لسمو فكر الإمام وشرف هديه حيث يهيب بواليه أن يتعالى في كماله بما يليق بمقامه فيعمق في نفوس بطانته الأقربين خلة تحتاج النفوس بحق إلى التروض بها واستقرارها ملكة راسخة تنبعث منها دقة التقييم وعدم الإطراء في غير موطنه.

وأعظم بذلك مزلقاً خطراً للقائل والمقول فيه. فهو دليل عدم سداد

المادح المبالغ الكاشف عن عدم تحليه بشرف الفضيلتين وهو داء للممدوح يميل إلى نفسه فيهوى من يزكيها، ويألف من يطريها فيحدث له الزهو، وتأخذه العزة والكبر ويجران إليه وإلى من تولى عليه كل بلاء وعناء.

٥ـ العدل في المحسن والمسيء:

والحاكم الحق والوالي الناجح من اتسمت سياسته برعاية المبادىء وتصنيف الناس وفق القيام بشؤونها فيقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت ويكافىء كلاً منهما بما يستحق لا تأخذه في ذلك هوادة ولا يقعد به ضعف وإلا انقلبت الموازين بهوان الحق وترعرع الباطل.

ركيزة:

أـ ولإنجاح الوالي سياسة حكمه لابد له أن يملك قلوبهم بهديه فيحسن ظنهم فيه، وسبيل ذلك إحسانه إليهم فلا يستشعرون بثقل كاهله عليهم، وإكراههم بإثقاله عليهم مالا يجب له قبلهم، بل يجر إليه مودتهم فيرون في أنفسهم أنهم أتباعه وأحباؤه، ويحيا بينهم حسن ظن متبادل وفي ذلك خير ينال وشر يذهب وعناء لا يقع. ومن مواطن حسن ظن الوالي برعيته من كانوا مواضع إحسانه وجميل صنعه ومن مواطن سوء ظنهم مواضع المؤاخذة فأولئك من يرجى وهؤلاء من يخشى.

ب ـ ومن بواعث استقرار الحكم وانتظام شؤون الرعية الحفاظ على السنن الصالحة القائمة في المجتمع ومحل رضا الأمة، فمن الحكمة الإبقاء عليها لتوفر عناصر النفع فيها وإلفة العامة بها، ولما يحدثه التبديل من نزعة في نفس الحاكم إلى تغيير ما سنه من سبقه وإن كان حقاً، ولما يثير ذلك من تذمر في نفوس من ألفها وارتاح إليها.

ويبالغ الإمام عليه السلام في توجيهه الحكيم للحاكم بعدم السعي إلى إحداث ما يتنافى وتلكم السنن ما دامت حقاً فذلك من الابتداع المذموم

ويحظى المؤسس بوافر الأجر ويبوء المبدل بما يستحق من الوزر.

والحق أنها حكمة بالغة تنشد الحق ضالة وإن صدر ممن لا يرتضى.

٦ـ الحكيم المرشد:

والبلاد على اتساع شؤونها والعباد على اختلاف منازع استقامتها وتمردها لا بد لهما من عوامل توفر الصلاح والانضباط، ولا يتم الوقوف على ذلك إلا باستطلاع آراء العلماء واستجلاء حكمة الحكماء فهم العارفون الخبراء وذوو التجربة والدراية الذين لا يستغنى عن علمهم وفكرهم في إعمار البلاد وإصلاح العباد.

والقضية حيوية، والحاجة فيها ملحة قائمة لإكثار المدارسة وإدامة المناقشة والاستنارة من وعاة العلم ورعاة الحكمة.

٧ـ الطبقات الاجتماعية وتلاحم شؤونها:

أـ جنود الله.

بـ كُتَّاب العامة والخاصة.

تـ قضاة العدل.

ثـ عُمَّال الإنصاف والرفق.

جـ أهل الجزية والخراج.

حـ التجار وأهل الصناعات.

خـ الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة.

ويشرح الإمام عليه السلام مدى تلاحم هذه الفئات وشدة الترابط والاتصال فيما بينها ببيانه العميق الفياض الحاكي لأبعاده الفكرية والسياسية والاجتماعية ونظراته الإدارية، والمجسد لذاته المملوءة خشية لله وعلماً بحدوده وأحكامه ورحمة وإنسانية بخَلقه وعباده. انعقد على ذلك جنانه ولهج به بيانه وبنانه، يفتتح به كلمه وبه يختم وفيما بينهما يثني، وما ذاك إلا أنه المراقب لربه والراعي لحقوق عباده.

«وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم».

«وفِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ولِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ولَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالاهْتِمَامِ والاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ».

أجل .. إنها امتيازات أمير المؤمنين مفرداً، وإنها مختصاته وميراثه منفرداً، وحق له وحده أن يقول في ثنايا ذلك الكلم: «عَهْداً مِنْهُ (النبي الأعظم) عِنْدَنَا مَحْفُوظاً».

«واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ».

الطبقة الأولى: الجيش:

«فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وزَيْنُ الْوُلاةِ وعِزُّ الدِّينِ وسُبُلُ الأَمْنِ ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ويَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ والْعُمَّالِ والْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ ويَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ويُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وعَوَامِّهَا ولا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً

إلاَّ بِالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ويُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ويَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ ومَعُونَتُهُمْ وفِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ».

الجيش وموقعه:

١ـ حصون الرعية.

٢ـ زين الولاة.

٣ـ عز الدين.

٤ـ سبل الأمن.

٥ـ لا تقوم الرعية إلا بهم.

سمات قادته:

١ـ الأنصح لله ولرسوله ولإمامه.

٢ـ نقي الجيب طاهر الضمير والمخلص النزيه.

٣ـ عظيم الحلم بطيء الغضب سريع قبول العذر.

٤ـ رحمة على الضعفاء ونقمة على الأقوياء.

٥ـ عظيم التحمل حكيم (بَلِيْنُ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ويَقْوَى مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ).

مواطن الكفاءات ومظان المؤهلات:

١ـ ذو المروءات والأحساب.

٢ـ أهل البيوت الصالحة.

٣ـ أهل السوابق الحسنة.

٤ـ أهل النجدة والشجاعة.

٥ـ أهل السخاء والسماحة.

فهؤلاء أمثل الأفراد الذين يشكلون جيش الإسلام وقيادته لما يحملون من الفضائل ومعالي الصفات وجمال السيرة وحسن السريرة والهمة العالية وكرم النفس متحلين بالكمالات الأخلاقية فهم أولو القوة والإنسانية.

الرعاية البالغة وجميل أثرها:

وينطلق الإمام عليه السلام في رعاية الوالي للجيش وقيادته من منطلق الرحمة وكم هي مقولة معبرة رائعة: «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا». وتنبسط هذه الرعاية فتشمل كافة شؤون القائد والجندي لطيفها وجسيمها مادية ومعنوية.

وستأخذ اللفتات الكريمة من قلوب ذوي المروءات والبيوتات الطيبة أثرها العميق ما دامت تستشعر وتعيش قولاً وعملاً أبوةً حانية وعطفاً متوالياً وتفقداً ممتداً فتقابل ذلكم الإحسان بما يليق به من بر يتجلى في بذل النصيحة للوالي وحسن الظن به وهما مفتاح الانقياد له والاستجابة لندائه والإخلاص والتفاني في إنجاح مقاصده.

ويسمو الإمام عليه السلام بالفكر التربوي والإداري فيعتد عناية الوالي بقادة جيشه وأمرائه وظيفة مؤكدة يتفاضل في الإشادة والمكافأة الأمثل فالأمثل ممن أترع عطفاً ولطفاً بمن تحت إمرته وقيادته في تفقد كافة شؤونهم وذويهم من

يخلفون من أهلهم.

ولعمر الحق إنها روح الرحمة ونسيم البركة وزرع الإحسان في النفوس لتنظر من دونها رتبة وحياة فتعيش همه وتسد خلته وتكفيه ما أهمه ويلمس بيديه أنه معنيٌّ بشأنه وشأن من يعنيه أمره.

ومن شأن الخير أن يثمر خيراً، والمعروف يصنع معروفاً.

وعائد الرعاية والعناية عظيم ونفعها عميم فتجتمع قلوبهم على البلاء الحسن الجميل استماتة في جهاد العدو، وتراحم متبادل ومودة خالصة وسلامة في الصدور وصدق في النصيحة.

وتلكم سمة النجاح في مهمة الولاية وتحقيق الغايات المنشودة من استقامة العدل في البلاد وصفاء قلوب العباد وبذلك تقر العين ويثلج الفؤاد فلا خشية من التمرد ولا اضطراب ولا فوضى ولا استثقال ما دام الوالي وسراة جيشه يملكون هذه الروح ويتقمصون هذه الفضائل.

حسن الإشادة وجميل التكريم:

ويكرر الإمام ـصلوات الله على روحه الطيبةـ ويقرر ويؤكد وصيته لواليه فيوجه إلى دقيق اللفتات من صور الإطراء والثناء وتقدير المواقف والإشادة بجلالها.

«وَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاء عَلَيْهِمْ وتَعْدِيد مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاء مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ولا تَضُمَّنَّ بَلاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ ولا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ ولا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِّمَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً ولا ضَعَةَ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً».

أرأيتم خلائق الإمام تتمثل فيها الرحمة الإلهية وتتجسد فيبثها لتنفذ إلى قلوب ونفوس ولاته لتسري في شعور كل ذي وجدان.

استلهام الحق من الحق ـ جلا وعلا ـ:

فإذا ما غم أمر والتبس فإزاحة العلة فيه وكشف الريبة عنه بالرجوع إلى المولى العليم الحكيم والمشرع الخبير ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فلا عجلة ولا أهواء ولا تخبط بل التماس الهدى من الهادي إلى سواء السبيل، وإلى رسوله الكريم ﷺ المبعوث متمماً لمكارم الأخلاق ومن صدع بشرعة الله بيضاء ملؤها الصفاء وكلها نقاء.

«وارْدُدْ إِلَى اللَّه ورَسُوله مَا يُضْلعُكَ منَ الْخُطُوب ويَشْتَبهُ عَلَيْكَ منَ الأُمُور فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لقَوْم أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ منْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه والرَّسُولِ فَالرَّدُّ إِلَى اللَّه الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ والرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ».

وإنها الحكمة الجامعة والهدي المنبسط في كافة الجنبات والجهات والركيزة والقوام والأمانة والضمان عن الزيغ والتخبط في العثرات والزلات عصمنا الله بعصمته وأخذ بقلوبنا وجوارحنا حيث يحب ويرضى.

الطبقة الثانية: القضاة:

والقضاء منصب خطير، ومسؤولية حساسة، وسلطة نافذة الحكم في النفوس والدماء والأعراض والأموال وتلكم شؤون جسام.

وإن سلطاناً نسلم أزمته لمن يبسط يده ليقيم الحدود ويرعى الحقوق ـ وشأنها الخطر والدقة ـ لثقيل المؤونة، جم الشروط، وعلى عظمة المهمات تدق المؤهلات.

وقد استوعبت مجاميع الحديث وموسوعات الفقه الإسلامي جلالة مقام القضاء والحكم وصفات القائم بأعبائه.

ويعالج الإمام عليه السلام طرفاً من شؤون الحاكم بين الناس نلخصها في جنبات ثلاث:

الأولى: المؤهلات والكفاءات:

ويجمع الإمام أنحاءها في إيجاز بليغ: «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ». وجلال العلم وشرف التقوى أسمى سمات الفضل والتفضيل.

ثم يبسط الإمام المقال مركزاً ومعدداً ـ كما عوَّدنا وعهدنا منه ـ الجنبات الواجبة الرعاية تحلياً أو تخلياً، والمستتبعة للمُشاكِل من آثارها.

وقضايا أمة الناس جمة قائمة باقية ما دامت حياتهم تجتمع على وفرتها وتنوعها، واختلاف خلائق المتخاصمين وطباع المتنازعين تنفذ إلى سمع القاضي وتملأ قلبه وتشغل لبه وهو الموظف حاكماً فلا محيص من امتلاكه رحابة الصدر تتسع للسيل الوارد من القضايا دونما ضيق أو تبرم بمرافعة ومراجعة ودونما ابتلاء بمجادلة الخصوم فيؤول من حاكم إلى مخاصم.

يسبر أبعاد القضايا حتى تتجلى موضوعاتها، فيعمد إلى الحكم فإن وضح له الحق مضى وأمضى صارماً وإن غم عليه الأمر توقف وتثبت.

وربما زل لسانه وأخطأ علمه فله من عقله وإيمانه رقيب حسيب لا يتمادى في الزلة وسرعان ما يفيء إلى الحق إذا عرفه.

قد ملكت نفسه رشدها فلا تشرف على طمع ولا يزدهيها إطراء ولا يستميلها إغراء ولا تستمال بمال.

ولَعَمْرُ الحق وشرف العدل وقدسية الحكم إنها الكمالات المنبثقة عن التربية والترويض والمراقبة والمحاسبة والفوز بالمراقي العالية في مراتب الفضائل العلمية والعملية.

وصدق ـسلام الله عليهـ حيث يختتم المقام بقوله: «وأولئِكَ قَلِيل».

الثانية: رعاية الوالي للقاضي:

وتتمثل فيما يلي:

أـ الإكثار من تعاهد قضائه:

وهو التحسس المحمود والتفقد الممدوح، فقد تصدر من القاضي الغلطة وتعرض له الغفلة، ويجنح للقريب فيحابي، ويحسن الظن في غير موطنه، وتزدحم عليه الأمور فلا يهتدي للصواب فيها.

فإذا الوالي عين ناظرة وعقل واع وقلب راع يقيه من الزلات ويجنبه العثرات ويأخذ به وجهة الحق والرشاد.

ويمثل هذا صوناً للحكم ورعاية لحدود الله وحماية لحقه ولخلقه. والسلطة القضائية وإن امتازت بالاستقلال فهي في دائرة حكم الحق وضمن ضوابطه مأسورة مأمورة.

بـ الرعاية المادية والمعنوية:

وتلك سمة من سمات الدين الواقعية، فالشرع الذي يربأ بالقاضي أن يقبل الهدية من الخصوم أو يستضيف منهم أحداً هو الذي يوفر للقائم بهذا المنصب الخطير حياة الكرامة وعيش الكفاية والغنى عما في أيدي الناس في غير سرف ولا تقتير (وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَوامًا).

ورعاية للحق والعدل في الحكم يرعى القاضي بإعزاز جانبه وحياطته من لدن الوالي حياطة لا يبلغها الخاصة من البطانة فهو الأثير عليهم لجلالة مقامه وما يتطلبه من بالغ العناية، ولقطع ألسنة ذوي الفضول ممن شأنهم الوقيعة والزراية فيحجمهم قرب الوالي من القاضي عن الجهر بما يخفونه.

ويا لعمق التعبير وبلاغته: «لِيَأْمَنَ بذلكَ اغْتِيالَ الرِّجالِ عِنْدَكَ» «فانْظُرْ في ذلكَ نَظَراً بَلِيْغاً».

الثالثة: آهة على القضاء وتأريخه:

فلو استعرضنا سجل القضاة وتأريخ القضاء سواء من الحكام السابقين أنفسهم أو من تولوا القضاء من قبلهم لوقفنا على عمق الآهة وحرارة الحسرة وفداحة الخطب وشدة المحنة والبلاء الممتد إلى أيام حكمه وخلافته عليه السلام حيث يأمل أن تستقر الأوضاع فيغير المداحض[1] ويحيي

---

(١) ومن كلماته القصار قوله عليه السلام:
«لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمايَ على هذهِ المَداحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْياء».
وقال ـ سلام الله عليه ـ في صفة من يتصدى للحكم وليس لذلك بأهل: «إنَّ أَبْغَضَ الْخَلائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلان رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِه فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلامِ بِدْعَةٍ ودُعَاءِ ضَلالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلٌ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.
الصنف الثاني
ورَجُلٌ قَمَشَ جَهْلا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً ولَيْسَ بِهِ بَكْرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ واكْتَثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ

سنن الحق.

وما أدق وصفاً وأبلغ تعبيراً ما حكاه الإمام عليه السلام عن تلكم الحقبة المظلمة والزمرة الظالمة حيث آلت الأمور إلى:

«فإنَّ هذا الدينَ!! قد كانَ أَسِيراً في أَيْدِي الأشرارِ يُعْمَلُ فيهِ بالهَوَى وتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيا».

فدين الله الغالب عاد مغلوباً مقهوراً مأسوراً، وبدلاً أن يتولى أمره الأخيار صار لعبة بين الأشرار، واستبدل الهوى بالهدى، وإذا كان طريقاً إلى الله والآخرة عاد مطية للشيطان ومصيدة للدنيا.

فلا بد من إصلاح هذا الجهاز الحساس وتوفير ما يضمن سلامته ويحقق استقامته ويكفل صلاحه ونجاحه في كافة جنباته وجهاته.

الطبقة الثالثة: العمال الإداريون:

ومؤسسات الدولة قائمة على الموظفين الناهضين بأعبائها. ويضع الإمام الحكيم دستوره العظيم لضمان إنجاز المهام في إطارها السليم ويعالج

أَخْطَأَ وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ لا مَلِيٌّ واللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ولا أَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ لا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ولا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ وتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً ويَمُوتُونَ ضُلالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ ولا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً ولا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ولا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ولا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ». نهج البلاغة ١٧/٥٩ـ٦٠.

ذلك في جهات:

الأولى: حسن الانتقاء:

فالاختيار بالاختبار، ولا محاباة ولا أثرة، فذلك عنوان الوهن والتضعضع في ملكات الوالي المختار، والمحاباة وأختها تجران كل بلاء وعناء حيث تجمعان الظلم والخيانة والاستئثار.

الثانية: مواصفات:

فالخبرة الإدارية والتجربة وتوفر عنصر الحياء، والناشئون في المنابت الطيبة ممن رسخت أقدامهم وترعرعت أفكارهم ونفسياتهم في أحضان الإيمان والمعرفة كل هذه وأولئك يرتجى الخير منهم فيرعون الحقوق ويقومون بوظائفهم خير قيام ولا يخشى منهم التقصير والطمع بل إن خيرهم مأمول وشرهم مأمون.

الثالثة: النظر إليهم ومراقبة أعمالهم:

تأمين حياتهم بتوفير معاشهم فتطمئن نفوسهم، ولا تدعوهم حاجة إلى تناول ما في قبضتهم متذرعين بعدم الكفاية.

ولا يتكل الوالي وهو المسؤول الأول على حسن الظن ولا يسترسل في الثقة بل عليه التفتيش وحسن المراقبة لضمان سلامة الأداء فيتفقد أعمالهم بنفسه ويبث صفوة من أهل الصدق والوفاء للوقوف والاطمئنان على تسييرهم لمهامهم. فإذا علم الموظف أنه مراقب سراً من واليه حداه ذلك على الإتقان والإحسان والأمانة، فالمسؤولية جسيمة حيث حقوق الرعية وإقامة أمرها.

ويستتبع البحث والتفتيش التقييم والمجازاة كفاء ما عمل. فمن وفى

كوفي ومن خان عوقب وعزل وشهر به جرّاء ما اجترم وعبرة لمن تسوّل له نفسه خيانة الأمة والاستهتار بحقها.

الطبقة الرابعة: أهل الخراج ودافعو الضرائب:

والخرائج والضرائب من أهم مصادر أموال الدولة الإسلامية وعصب الحياة وقوام الأمة.

وشأن بهذا الموقع تلح الضرورة بنظامه وتنظيمه، ومن ثم عالجه الإمام عليه السلام وساس أمره بحكمته ونهج له منهاجاً بتقرير أسسه وسن طرق إصلاحه فأملى على واليه ما يلي:

١ـ إن ترابطاً وثيقاً بين أرض الخراج وعُمَّارها وكافة الأمة ولا انتفاع للكافة إلا بصلاح الأرض وأهلها.

٢ـ بذل الجهد البالغ بإعمار الأرض أهم وأولى من الإلحاح في تحصيل الخراج، فالإصلاح يثمر الإنتاج، وبدونه يعجل الخراب ويهلك العباد ويعقب الأمر إلى الفساد.

٣ـ تخفيف المؤونة وقبول الميسور إذا ما اقتضت شؤون الإصلاح ذلك، وعوائد ذلك جمة على الأرض والناس في عاجل الأيام وآجلها. يتمكن حب الوالي في قلوبهم لما يحيونه في ظل ولايته من حبه لهم وتوفيره لما تحت يدهم وبسط العدل فيهم فيجمل موقعه فيرون أنفسهم أسرى إحسانه ويتوقون لمكافأة جميله فقد أعقب فيهم ذخراً وأحسن صنعاً.

واقرأ في قبال ذلك ما يلي:

كتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله على مصر أسامة بن زيد التنوخي: "احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم". وقدم عليه أسامة بما جباه من الخراج وقال له: إني ما جئتك حتى هكت الرعية

وجهدت، فإن رأيت أن ترفق بها وترفه عليها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها فافعل فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل، فصاح به سليمان: «هبلتك أمك احلب الدر فإذا انقطع فاحلب الدم»[١].

وليس ثمة أسمى من مودة متبادلة بين الوالي والرعية مصدرها العدل والإرفاق وشكرها الامتنان وعرفان الجميل وترجمته إلى إنفاذ أوامر الوالي وتحقيق أهدافه إذا ما دعاهم إلى ذلك.

٤ ـ العدل والأمل وبعد النظر والتأمل في العواقب علائم سلامة الوالي واستقامته وينبعث منها آثار الخير في البلاد والصلاح في العباد.

ولعمر الحق إنها نظرات الكمال طرحها فكر الإمام الأقوم في شعبة من شعب الحكم والسياسة والاقتصاد كما أتحف بلداتها في مواطن سواها[٢].

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام ٢/٤٢ عن الجهشياري /٣٢.

(٢) وله ـ سلام الله على مواهبه ـ بيان جامع بعث به إلى عماله على الخراج، فلنتأمل جواهر تلكم الأفكار التي يعرضها ابن أبي طالب في روائعه، وسيأتي إيراد ذلك عقب هذا الفصل:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا واعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ وأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ والْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ واصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ووُكَلاءُ الأُمَّةِ وسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ ولا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ ولا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ولا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ ولا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ولا عَبْداً ولا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ولا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ إِلا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلامِ

الطبقة الخامسة: الوزراء والكتاب:

وهم الهيئة القريبة من الوالي الحاكم، والجهاز المنفذ للأحكام في الرعية، والوجه في تركيبة الدولة.

وإن منصباً جليلاً يتبوؤه هؤلاء لجدير بالكفاءة العالية والمؤهلات الفذة، وامتلاك كل مواصفات النجاح في أداء المهام على أكمل وجه.

وقد أحاط الإمام عليه السلام في هديه بمقومات الشخصية موغلاً في بيان دقائق الركائز نافذاً إلى أعماق الخصائص الإنسانية لافتاً إلى مواطن وبواعث الحقيقة والتمظهر كاشفاً الزيف والتصنع.

ونستعرض تلكم التوجيهات وذلكم التنبيه ضمن البيان التالي:

١ ـ الاختيار لخير الرجال:

«فَوَلِّ على أُمُورِكَ خَيْرَهُم». وتلك سياسة حكيمة جامعة للكفاءات الإيمانية والإدارية بما تتسع له من سمات وقدرات عقلية ونفسية وأخلاقية.

٢ ـ انتقاء الأكفأ للمهام الكبار:

فثمت شؤون وأسرار لا تباح إلا لأهلها، وهو الجامع لوجوه صالح الأخلاق.

وأهلها من تخلق بهذه الفضائل:

فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ ولا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ولا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ولا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ولا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً وأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ». نهج البلاغة ٥١/٤٢٥ـ٤٢٦.

أ- رجولة في المباديء فلا يستمال بإغراء سخي فيضعف ويميل، ويصغي فيتنكر لواليه عمالأة لقوم آخرين، أو يغريه الإكرام ويستخفه الإعظام فيزهو فيتعالى على من أنعم عليه وأكرمه.

ب- يقظة في معالجة ما يصدر ويرد بحكمة وسداد حلاً وعقداً.

ج- عقل يدرك به قدراته ومعرفة واقعية بملكاته فلا يتجاوز حده حتى لا يتجاوز قدر غيره وحدود سواه.

٣- حذار من الاستغفال:

فليس الاسترسال في الثقة والسكون إلى حسن الظاهر هنا من مواطن حسن الظن، وليست الفراسة مقياساً دقيقاً لمعرفة الرجال، فإن منهم من يرتدي بالرياء ويعشعش في كيانه الخبث ويتصنع المودة ويبالغ في خدمة الوالي استمالة لقلبه وأسراً للبه وإنه من الصدق والإخلاص لبعيد.

إذن، فما هو سبيل تمييز المخلص من المرائي والصادق من الكاذب؟

الميزان الحق:

يعمد الإمام عليه السلام إلى الأسلوب الأمثل في استكشاف دخايل الرجال باستقراء تأريخ أعمالهم وأدائهم لوظائفهم حينما اختارهم الولاة الصالحون فيجتمع في ذلك تزكية الصالحين لهم وحسن قيامهم بأدوارهم التي أبقت لهم خير الأثر وجميل الأحدوثة في الملأ لما وعوه من وجوه الأمانة ورعوه من حقها.

أجل إنها المقاييس الدقيقة والمسؤولية الكبرى المنوطة بالبرهنة على محض النصيحة لله ولولي الأمر.

٤- التنظيم والتقسيم:

فلا تقوى يد الوالي مهما أوتي من قوة بحمل كافة الأعباء على سعتها وثقلها، فلا بد لنظم الأمور واستقامتها من تصنيف الأعمال وتوزيعها وتخصيص كل شعبة منها بفئة، وكل فئة برأس يديرها ويدبرها ويجمع شتاتها ويلم متفرقها.

٥ـ التفتيش:

فكل مسؤول عن عمله، فالوزير عن وزارته، والموظف عن وظيفته، والمسؤولية العظمى على الوالي على هؤلاء جميعهم فهو رأس السلطة، فكما كان عليه عبء الاختيار والاختبار فعليه مؤونة المتابعة والتعقيب وحسن النظر فيصلح الفاسد ويقيم المعوج وإلا أخذ بجرم الإهمال والإغفال وطوِّقَ بذلك عنقه.

الطبقة السادسة: التجار وذوو الصناعة:

وهم فئة لها دورها الفاعل في تأمين حياة الناس ومعاشهم، والمؤثر في حركة تداول المال والاقتصاد، يكدحون مقيمين وضاعنين في البر والبحر لجلب مواد منافع البلاد والعباد. فلهم بذلك الجهد المحمود والبلاء الحسن الجميل.

ويرعى الإمام عليه السلام هذه الفئة بالإشادة بموقعها والثناء على أعمالها والوصاية بها خيراً والتوجيه لاستقامة عملها وتفادي وعلاج الفساد الذي يعرض فيها.

ورائع حقاً هذا السمو في فكر الإمام ونظراته العالية فيوعز إلى واليه بتفقد شؤون هذه الطبقة في حاضر البلاد وأطرافها.

وهم صنف الرعية همها الأكبر وشغلها الشاغل تجارتها وصناعتها دأبها ذلك غير فارغة لمعترك السياسة والنزاع والتخاصم فهم في هذا مميزون عما

يخوض فيه سواهم ممن همه الشغب والإثارة وتحريك الرأي المعارض.

«فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وصُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ».

التسامح والاحتكار:

وليست تلكم الإشادة تزكية مطلقة وثناء عريضاً لا يقف عند حد وإنما هو نعت لسمة بارزة وصفة قائمة في التجار وأرباب الصناعات آنذاك. فإن ذلك لا يعني إغفال تقويم المعوج من سلوكهم وممارساتهم. وهذا ما عناه الإمام ـ صلوات الله عليه ـ مجملاً في قوله: «وتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفِي حَوَاشِي بِلادِكَ» ومفصلاً فيما يعرض لكثير ممن يشتغل بالمال فيمتلكه حب المال فيستولي عليه الضيق الفاحش والشح القبيح فيحتكر المنافع ويتحكم باستغلال ما تحت يديه مما الناس إليه محتاجون وفي ذلك إجحاف للعامة وشين على الولاة المنصوبين لتأمين الكرامة والإرفاق.

وهنا يأتي دور الوالي للتدخل ضمن الضوابط الشرعية فيقيم العدل بين البايع والمبتاع ويعطي النصفة للفريقين ويؤاخذ على المخالفة بما يردع ويُرجع إلى جادة الحق والعدل.

وهنا تتجلى ضرورة إحاطة الوالي ووقوفه على أحكام التجارة والمعاملات في كافة مجالاتهما.

الطبقة السابعة: من لا حيلة لهم:

وهم أصناف شتى وفئة كبرى في المجتمع أقعد بهم الضعف لعوامل عدة عن الاكتساب، وربما ملّهم وأهملهم ذووهم، فمن المسؤول عن القيام بحقهم ورعاية شأنهم؟

وهنا تتجلى حكمة الإمام عليه السلام وسياسته ورعايته ورحمته لكفاية هذه

الشريحة وتوفير الكرامة لها بإزاحة العلة وتخفيف العبء وصون ماء الوجه عن ذل السؤال واعتداد ذلك من مسؤوليات الدولة البالغة الأهمية.

أرأيت روعة التصدير وبلاغة الاستهلال المثير وجلال موقع التحذير: «ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَى والزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً».

ويفيض عليه السلام في علاجه لحل مشكلة الحاجة المتنوعة العلل فيردف في التذكير ويشفع في التوجيه ويكرر في الإلزام ويعم ويخص في مقياس الاهتمام.

١ ـ أمانة إلهية يرعى حقها:

فالإهمال تقصير، وعدم الرعاية خيانة وأعظم بمسؤولية الحفاظُ على حقوق ذويها حفاظٌ لله وحقوقه.

٢ ـ الإفادة من عدة مصادر مالية:

فكما أن لهؤلاء نصيباً في زكاة الأموال والأبدان فليكن لهم سهم آخر من بيت المال والعوائد الأخرى.

٣ ـ القريب والبعيد:

فالحاجة تجمعهم ولا امتياز لأحد منهم على آخرٍ كما يتفاضل الفارس والراجل في الحرب أو في تقسيم الغنائم: «فَكُلٌّ قد اسْتُرْعِيْتَ حَقَّه».

«مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى

إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال»[1].

٤ـ تركيز وتشديد:

فمادام حقهم مسترعى فلابد أن يوفى، فلا عذر في تضييع حقهم لشاغل من متع الدنيا، ولا استهانة بشأنهم ولو في الحقير منه مكتفياً بتوفية الخطير من أمرهم فهم الشغل الذي لا ينسى ولا يزوى عنه الوجه ولا يترفع عليه كأنه مهين أو ذو ضعة مشين.

ولئن كان في ذوي المحنة والبلاء من يمد يداً أو لساناً بالسؤال أو يتعرض للطلب بلسان حاله، ففيهم المتعفف ومن يهون على الناس مرآه، تقتحمه العيون وتحقره الرجال فليس لمثل هذا حيلة أو وسيلة، فما هي مسؤولية الوالي تجاهه؟

وتأبى الروائع إلا انبعاثاً من فكر الإمام وروحه فإنها خلائقه وشمائله فيبعد في الغاية وينفذ إلى عمق المسؤولية بوضع المنهج الدقيق الموصل إلى مكمن البلاء الخفي وعلاج الداء الدوي.

«فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ».

فالمواطن الدقيقة يعالجها الحذّاق ذو الأناة، ولكل مجال أربابه، والأمر هنا إنما يتولاّه ثقاة متفرغون تمتلكهم الخشية من الله المراقب المحاسب ويلفهم التواضع لتفقد مواطن البلاء عند الممتحنين بذلك، فمثل هؤلاء ممن اكتملت ملكاتهم الدينية والإنسانية هم الجديرون بالبحث عن أولئك المبتلين المغمورين ممن لا يعرفون أو يحتقرون.

---

(١) تهذيب الأحكام ٦/٢٩٣.

ثم ماذا بعد الوقوف على أحوال هذه الفئة؟

«ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللَّه يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ».

فلا خروج من عهدة التكليف إلا بقبول الله ورضاه بالعمل، وكلما كان الواجب أهم فالمؤاخذة عليه أشد، وإن كانا مشتركين في المساءلة والمحاسبة.

٥ـ الأيتام والمسنون:

تخصيص بعد تعميم وإفراد بعد تشريك، فاليتيم يمنعه صغره ووضعه، والكبير يقعده ضعفه، وكلاهما لا حيلة له فليُرعيا وليُكفيا.

٦ـ العمل الصعب وركن السلامة:

وكما بدأ الإمام عليه السلام الفصل بالحث والتأكيد وثنى بذلك وركز فقد ختمه أيضاً بتصنيف هذه المهام في خانة الثقيل من الأعباء الملقاة على الولاة فيما يعالجون من قضايا الحكم.

نعم .. إن من عمل للحياة الباقية وتحلى بالصبر على شدائد الدنيا الفانية وامتلأ إيماناً وتصديقاً بما وعد الله المخلصين الصابرين هان عليه تحمل الأعباء وإن أثقلت الكاهل.

مجلس المظالم:

والحاكم هو المسؤول الأول عن رعاية الأمة في كافة شؤونها وإيفاء حقوقها. ولئن كان نظم الأمور منوطاً بمسؤولين آخرين فيما عهد إليهم فلا يغني ذلك الوالي ولا يعفيه عن النظر المباشر والتفقد الدائم لأدائهم والوقوف على فعلية إبلاغ ذي الحاجة حاجته وشكواه. فلا محيص من دور

فاعل مباشر يستطلع الوالي من خلاله على مجريات الأحداث وفي الدقيق منها.

وللقيام بهذه المهمة الكفيلة بالتعرف على معالجة المسؤولين لقضايا كافة المتظلمين يختط الإمام عليه السلام نهجاً تبلغ به الغاية وتنكشف منه الحقيقة فيرسم لواليه هذه السياسة الحكيمة:

أ- مباشرة الوالي بشخصه دونما استعانة بسواه.

ب- عقد مجلس عام يقصده كل ذي ظلامة وشكوى.

ج- تحلي الوالي بالخلق الرفيع وعدم التعالي على الوضيع فإن في ذلك تواضعاً لله الذي خلق ومكّن من تبوء هذا المقام، فلا تكبّر ولا استكبار.

د- إزاحة العلة عن المتظلم حتى يجهر بكل لسانه ويفصح عن شكواه ويعرض ظلامته ولا يخشى رهبة السلطان وشرطه وحراسه.

هـ- إن ذلك عنوان استقامة الحكم ونظام الأمة فلا يزهو فيها القوي ويضوى الضعيف بل «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». وذلك شعار رفع بنده نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

و- تحمل الجهرِ بالسوء من المتظلم، وعَيِّهِ لحراجة الموقف وهيبة السلطان.

ز- المعالجة الجميلة، فليس كل متظلم محقاً ولا كل شاك مصيباً. وللمحق ما يستحق موفوراً، ولغيره المنع في لطف وبيان يرفع العلة ويوضح المنع.

ح- إن موطن الرحمة ومحل رعاية الله ونيل مرضاته كفاء العناية بذوي الحاجات وإسعافهم والإعذار إليهم.

وظائف الوالي الخاصة:

وينطلق الإمام عليه السلام بعد توجيهه بتشكيل (مجلس المظالم) إلى جملة من الوصايا الإدارية التي ينبغي أن يعنى الوالي بشأنها:

١ ـ المبادرة إلى النظر فيما يرفعه إليه وزراؤه من قضايا لم يهتدوا إلى الرأي فيها سبيلاً، أو تراكمت عليهم فلم يفرغوا للنظر فيها أو ضاقوا بها ذرعاً فمطلوا في إنجازها.

٢ ـ لا تأخير في عمل اليوم لغد، فشؤون الحكم والرعية جمة، وفي تأخير الإنجاز آفات حيث تتراكم وتشغل البال وتختلط فيها موازين الأهمية والأولوية فيدعو ذلك إلى إهمال الكثير وتضييع الحقوق وفوات الفرص.

٣ ـ حق الحق وحق الخلق:

فالوالي مأخوذ بوظائف تجاه ربه فلا بد من القيام بها وليكن باختيار أفضل أوقاتها وأنسب آدابها.

كما أنه مطالب بحقوق تعود للخلق وهي شعبة من حق الله عليه.

ويسمو الإمام عليه السلام في هديه ونهجه كما سما في روحه وفكره فيبث نوراً في قلب واليه يهتدي بسناه إلى عمق العبودية واتحاد مختلف مظاهرها ومتنوع صورها لو أحسن الاهتداء. فالصلاة وهي قربان كل تقي مظهر العبودية، وإغاثة اللهفان وقضاء حاجة المؤمن والإحسان وكف الأذى مظاهر للعبودية أيضاً «وإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ».

توجيهات عبادية وإدارية وأخلاقية:

ويعمق الإمام روح الإيمان في قلب الوالي ويملأ جوانحه من خشية ربه

ومولاه فتنبعث جوارحه كادحة في نيل مرضاته والإذعان الصادق لعبوديته.

ويواتر في توجيهه لإدارة الحكم وتنبيهه لمواطن الغفلة حتى يقوم مخلصاً مجتهداً بالوفاء بما أوكل إليه من رعاية حقوق عباد الله ونظم أمرهم وإصلاح شأنهم.

ونلحظ هذه التوجيهات متنوعة مبثوثة مكررة في ثنايا (العهد الشريف) تذكيراً بعد تذكير وإلفاتاً بعد إلفات ابتداء وانتهاء وفيما بينهما ليستقر ذلكم الهدي في القلب ويتجسد في الممارسة الدائمة فيعود جبلّة وطبعاً. فالمسؤولية خطيرة جسيمة والنفس تلتوي وتمل وتتغافل فتفرط.

١ ـ إخلاص العبادة لله وإقامتها على أكمل الوجوه والدأب على أدائها فتلك سمة عباد الله الصالحين المخلصين.

٢ ـ الرفق بالمؤمنين وترغيبهم في عبادة الله. ومن مظاهرها الصلاة «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهِمْ وكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» بمراعاة ظروفهم لحملهم باعتدال وإجمال على أداء الواجب بما يطيقونه.

ولافت حقاً تفاوت التوصية فيما يعود إلى الوالي في خاصة نفسه «فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ ونَهَارِكَ ووَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ ولا مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ» وبين حمله من حوله على: «وإِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ولَهُ الْحَاجَةُ».

٣ ـ لقاء الرعية وعدم إطالة الاحتجاب عنها:

ومن شأن الحكم والحاكم وفرة أعماله وتعدد مهامه وهي مدعاة للتفرغ إليها والانشغال بشؤونها. ولكن السياسة الحكيمة تقضي أن يعتد الوالي من أعماله توفير فرص للقاء الرعية سواء في (مجلس المظالم) أو سواه.

وتلك من سمات اتساع الأفق والبعد عن الهواجس والظنون، فالمواجهة تبدد الأوهام ويستجلى فيها وبها الواقع والحقائق وتستوفى الحقوق.

وربما راب الأمة موقف وذهبت بها الظنون مذاهب، واستغل ذلك من لا حريجة له فأشاع وأذاع فتتزعزع الثقة. فلا بد لرأب ذلكم الصدع النفسي والاجتماعي من الإفصاح بالعذر والجهر بإيضاح الموقف. وفي ذلك سلامة الوالي وصلاح الرعية واستقامة الأمور.

٤ـ الموقف من الخاصة والبطانة:

وكما أن (المال مادة الشهوات) والغنى يدعو بطبعه إلى الزهو، فكذلك القرب من السلطان باعث على التطاول والاستئثار وقلة الإنصاف فهو ممن يخشى ويتحامى لا لشيء سوى أنه من الوالي قريب ولديه أثير.

وهنا يطفح إيمان الوالي وعدله وشرف إنسانيته بـ «فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ».

ومن صور القطع الحاسم:

أـ لا إيثار لهؤلاء الحاشية بإقطاعهم ما يمتازون به عن غيرهم وبه يفخرون ويتعالون.

ب ـ ويوغل الإمام عليه السلام إلى الأعمق، فلا يُمَكِّنُ أحد من هؤلاء من أمر يستتبع أحياناً مصلحة تضر بسواه.

وعاقبة المحاباة وخيمة: «فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ».

ج ـ العدالة فوق الجميع، ولا هوادة في إقامة الحق على من يستحق،

وتكمن قيمة الحكم في تطبيقه العدل بين الرعية فلم ينصب ميزانه لمجازاة الضعفاء ومحاباة الأقوياء.

وهنا مظهر قوة الحاكم الإيمانية والذاتية وموطن امتحانه، فلا استثناء لديه لبطانة أو قريب أو قوي، فليتدرع بمخافة الله وليصبر وليتحمل في سبيل ذلك ما يرد، فالصبر محمودة عواقبه.

٥ـ الصلح وقوامه:

فالحرب غير مطلوبة لذاتها، وربما كان منها البلاء والعناء. والهدنة ربما كانت خيانة وهواناً. أما إذا جنح العدو إلى الصلح "وللهِ فِيْهِ رِضَى" فالصلح خير.

هذا هو المقياس الدقيق للقبول والرد مضافاً إلى ما يجب أن يكون عليه الوالي من بعد النظر ودقة الفراسة وعدم الاسترسال في الثقة وحسن الظن فربما تجلبب العدو بالتملق احتيالاً وربما تخاذل مكراً وربما تحبب مبغضاً.

٦ـ الوفاء بالعهد:

ويجب قبل عقده النظر في باعثه ومقتضيه وأن فيه صلاح الأمة ثم إبرامه بنحو جلي لا لبس فيه يؤدي إلى الاختلاف في الوفاء ببنوده لإبهام جملة أو اشتراك كلمة أو تسامح في استعمال أو اعتماد على خفي من القرينة وغير ذلك مما يحتمل التأويل ويتعدد فيه التفسير.

فإذا أبرم بشروطه وحدوده فهو أمان الله ـجل جلالهـ وحريمه، واجب الوفاء لا يصار إلى نسخه من غير حق وإن ضاقت به النفس وعيل به الصبر فإنه أمانة الله ترعى ولا يغدر بها وإلا أذهبت بدنيا الغادر وآخرته.

٧ـ الدماء الدماء:

فإنها محرمة محترمة إلا بجناية تذهبها. وعواقب سفك الدم الحرام وخيمة في العاجل والآجل. ففي الدنيا تزول بها النعم ويضعف بها السلطان بل ينتقل، وفي الآخرة أول ما يقضي به الجبّار في محكمة عدله الكبرى.

فلا عجلة في إنفاذ حكم بذلك بل التروي والأناة ودرء الحدود بالشبهات وإلاّ فالعمد لا عذر فيه بل عليه المؤاخذة، ولا حصانة للحاكم إذا تعمد إنفاذ ذلك بل يؤاخذ بدم القتيل المظلوم ويقتص منه. وإن زاد أو عزَّر خطأ فعليه تبعة ذلك ولا حماية للحاكم عن المحاسبة والمقاصة.

«عن الإمام الباقر عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر قنبر أن يضرب رجلاً حداً فغلط قنبر فزاده ثلاثة أسواط فأقاده علي عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط»(١).

وهنا موطن الانقياد إلى شرع الله وحكمه والإذعان للحق وإن كلّف تلف النفس أو بذل المال أو ذلة وهواناً.

«فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ».

ونلحظ استهلال الإمام عليه السلام هذا المقطع وما يليه بـ «إِيَّاكَ» لما تحمل من شدة التحذير عن التسامح والغفلة في مواطن تجر إلى البلاء بنفوذ مخالب الشيطان وهيمنته على عقل الإنسان ودينه.

٨ـ العُجْب وحب الإطراء:

---

(١) الكافي ٧/٢٦٠.

فحسن الظن بالنفس مهلكة تغشى القلب فتصم السمع والبصر لتَفَقُّد المعائب والنقص واستماع النصح، ولا سيما ممن بيده أدوات الحكم والسلطان فيستولي عليه العجب والاسترسال في الثقة والركون إلى كل ما يفعل وإن كان منبعثاً من الهوى وموطن القدرة.

وكما يصم العُجْب عن الحق ويردي فكذلك الانبساط إلى الثناء والإصغاء إلى الإطراء، وربما كان من أهله ومحله، وربما كان من متزلّف متملّق، وكلاهما فتنة وابتلاء ومرتع وبيء للشيطان وهو العدو اللدود والماكر الخبيث ناصب الشباك وماد الشراك ليصطاد. وماذا هو صانع بفريسته الرهينة في حبائله سوى اتخاذه مطية يلعب بعقلها ويعبث بدينها ويسيرها حيث شاء.

٩ ـ المنُّ والتزيُّد والخلف:

والحاكم مبتلى ببواعث هذه الخلائق فعلى يديه تجري أمور الرعية ينزع به نازع بإظهار إفضاله والتعيير بأفضاله، وربما بلغ به الزهو فبالغ فيما أعطى وقدّم، وربما أُحرج فوعد تخلصاً وتملصاً فأخلف.

وكلها موبقات ماحقات «فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ والْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ والنَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ».

١٠ ـ العجلة والأناة:

فبين يدي الوالي أمور الرعية وشؤونها وهي المتفاوتة في طبائعها وأنحاء حلها وعلاجها فلا بد من وضع كل منها في نصابه.

فلا عجلة حين لا يؤمن مغبتها وفي التأني السلامة، ولا تأخير وتأجيل لما وضح وجهه، ولا لجاجة وعناد فيما التبس أمره وخفي فيه الحق.

ولعمر الحق إنه الهدي السليم والصراط المستقيم وصمام السلامة في ضبط عوارض النفس البشرية وانفعالاتها وتبدل أحوالها وتقلب أهوائها.

١١ـ الأنانية والاستئثار:

ولئن قال قائل: «إنما العاجز من لا يستبد» فتلك فلتة جاهلية. فمن كان في موضع القدرة والاقتدار كان أولى بالنصفة والإنصاف وأبعد عن التعالي والاعتساف والامتياز والاستبداد.

كما لا يليق به التعامي والتغابي عمّا يفعله المجرمون الظالمون، فيكون بذلك قد نزّه نفسه وصان كرامته وحفظ لذوي الحقوق حقهم واستوفى لهم ظلامتهم «فالظُّلْمُ مَرْتَعٌ مُبْتَغِيْهِ وخِيْمٌ» «فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ».

١٢ـ المعاد أعظم مؤثر في عواطف الحاكم:

فالبطل من غلب هواه، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، فكثيراً يصرع الأقوى خصمه القوي ولكنه يضعف ويهن أمام رغابه فيبقى أسير الهوى. والإمرة والحكم والسلطان وما تستتبعه هذه بطبعها من إحداث العزة والزهو وبسط النفوذ وإعمال القدرة والتعالي والشموخ بواعث للعجلة وسرعة المبادرة دونما تأمل وتفكير في معالجة الموقف بما يليق.

وربما تجاسر على مقام الحاكم بعض رعيته فأثار حفيظته وجرح مشاعره وانتقص منه أمام الملأ فحط من قدره وكسر من ناموسه وعليائه.

وحقاً إن ذلكم لبلاء عسير وامتحان صعب تتمخض من الخروج من ورطته ملكات الحاكم وقدراته العقلية والإيمانية وخلائقه الذاتية، فربما تمثل

إنساناً أو سبعاً، مؤمن الرضا والغضب أو مؤمن الرضى كافر الغضب[1].

ويركز الإمام عليه السلام على ركيزتين قويمتين:

الأولى: الهيمنة على النفس والجوارح:

«امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ».

الثانية: الاستحضار الدائم لموقف العرض على الله سبحانه:

«ولَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ».

وإن الموقف المهول يوم محكمة العدل الكبرى وعلى رؤوس الأشهاد من الخلائق فيتمايزون في الثواب والعقاب والتشريف والعتاب تمايز

---

(١) وحكي من حسن خلق مالك رضي الله عنه: أنه كان مجتازاً بسوق وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزرى بزيّه فرماه ببندقة تماوناً، فمضى ولم يلتفت، فقيل له: ويلك أ تعرف لمن رميت! فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر إليه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلي، فلما انفتل انكب الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما هذا الأمر؟ فقال: أعتذر إليك مما صنعت، فقال: لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن لك.
وعقب على ذلك الشيخ القمي رحمه الله بقوله: قد ظهر من هذا الخبر أن الأشتر رضي الله عنه كان من يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِيْنَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾. سفينة البحار ٣٨٢/٤ـ٣٨٣.

أخلاقهم في الدنيا.

وتتجسد مواطن الحسرة والندامة والغبطة والكرامة وفضل العفو والإحسان وعاقبة الظلم والعدوان.

١٣ـ مصادر الحكم ومراجع السياسة:

وبعد استيفاء الإمام عليه السلام في عهده جوامع الحكم وركائز السياسة والإدارة وغرر الوصايا ودرر التوجيه أرشد واليه إلى دعائم الحكم وأسسه ومناهجه التي يجب اعتمادها والسلوك في فلكها وتجنب ما سواها مما لا يعتد دليلاً موصلاً إلى حكم الله وشرعه من رأي شخصي أو قياس واستحسان وما إليها.

فقال عليه السلام:

١ـ اقتفاء أثر الحكومة الإلهية العادلة كما كان في عهد رسول الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله وحكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ السنن الفاضلة والمأثور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قولاً وعملاً وتقريراً.

٣ـ هدي القرآن الكريم.

٤ـ التطبيق الكامل الدقيق للعهد الإلهي العلوي.

٥ـ فهو الوثيقة والحجة بينة المحجة يضمن اتباعها الهدى ويحول دون مسارعة النفس إلى الهوى.

١٤ـ خير مختتم:

ابتهال إلى الله وتوسل بسعة رحمته وهو أرحم الراحمين الذي وسعت

رحمته كل شيء وبعظيم قدرته على تحقيق كل رغبة وإعطاء كل أمنية وهو المهيمن على الأمر كله ـ أن يشملنا توفيقه فيحقق لنا هذه المقاصد:

◈ نيل رضاه ـورضوان الله أكبرـ والإعذار إليه سبحانه بأداء حقه وإرشاد خلقه.

◈ أن يقع عملنا موقع الخير وموطن النفع للعباد فتلهج ألسنتهم بالثناء والدعاء أن يجمل أثرنا في البلاد بفضل التوصية بإصلاحها وإعمارها وصلاح مستعمريها من العباد.

◈ أن تفيض علينا وأنت الكريم الجواد تمام نعمك ومضاعف كرامتك أن تختم لنا بخير خاتمة (السعادة والشهادة)، والسعادة شهادة والشهادة سعادة.

أجل .. (إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون)، والكل إلى الله راجع ولكن ليس كل رجوع سعادة وشهادة.

وقد حقق الله لوليه الأعظم ووالليه المعظم ذلكم الرجاء، فقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام شهيداً في محراب مسجد الكوفة صائماً مصلياً على يد أشقى الأولين والآخرين (ابن ملجم)، قائلاً: "فُزْتُ ورَبِّ الكَعْبَة"، وقتل واليه مسموماً بسمٍ في عسل بدسيسة من (ابن هند) معاوية بن أبي سفيان الغادر الفاجر القائل: إن لله جنوداً منها العسل.

والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، والسلام.

نص العهد الشريف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الاشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلادِهَا أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا وَلا يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ اللَّهُ ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الانْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلاكَ بِهِمْ وَلا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَلا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً وَلا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ

ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فيه هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّه كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِه ومَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وكَانَ لِلَّه حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّه وتَعْجِيلِ نِقْمَتِه مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ ولْيَكُنْ أَحَبَّ الامُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ وأَكْرَهَ لِلانْصَافِ وأَسْأَلَ بِالالْحَافِ وأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الاعْطَاءِ وأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وإِنَّمَا عَمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ والْعُدَّةُ لِلاعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الامَّةِ فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعَهُمْ ولْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ واللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لا يَضِحُ لَكَ ولا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ ولا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ويَعِدُكَ الْفَقْرَ ولا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الامُورِ ولا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ والْجُبْنَ والْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلاشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ومَنْ شَرِكَهُمْ فِي الاثَامِ فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الاثَمَةِ وإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ ونَفَاذِهِمْ ولَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وأَوْزَارِهِمْ وآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِه ولا آثِماً عَلَى إِثْمِه أُولَئِكَ أَخِفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وحَفَلاتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً

فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِه وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ والْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَ يُطْرُوكَ ولا يُبْجِحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الاطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ ولا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ والْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الاحْسَانِ فِي الاحْسَانِ وتَدْرِيباً لأَهْلِ الاسَاءَةِ عَلَى الاسَاءَةِ وأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِه مِنْ إِحْسَانِه إِلَيْهِمْ وتَخْفِيفِه الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وتَرْكِ اسْتِكْرَاهِه إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِه حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِه لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِه لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِه الامَّةِ واجْتَمَعَتْ بِهَا الالْفَةُ وصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ولا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الاجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا والْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْه أَمْرُ بِلادِكَ وإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِه النَّاسُ قَبْلَكَ واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّه ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الانْصَافِ والرِّفْقِ ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ ومِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ عَلَى حَدِّه فَرِيضَةً فِي كِتَابِه أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّه ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّه حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وزَيْنُ الْوُلاةِ وعِزُّ الدِّينِ وسُبُلُ الامْنِ ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِهِمْ ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِه عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْه فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ويَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ والْعُمَّالِ والْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ ويَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ويُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الامُورِ وعَوَامِّهَا ولا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً

إلا بالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَات فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْه مِنْ مَرَافِقِهِمْ ويُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ويَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَة والْمَسْكَنَة الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ ومَعُونَتُهُمْ وفِي اللَّه لِكُلٍّ سَعَةٌ ولِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ولَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلا بِالاهْتِمَامِ والاسْتِعَانَةِ بِاللَّه وتَوْطِينِ نَفْسِه عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيْه فِيمَا خَفَّ عَلَيْه أَوْ ثَقُلَ فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّه ولِرَسُولِه ولإِمَامِكَ وأَنْقَاهُمْ جَيْباً وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ويَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ ويَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ ويَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ ومِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ ولا يَقْعُدُ بِه الضَّعْفُ ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ والأَحْسَابِ وأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ والسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ والسَّخَاءِ والسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ولا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِه ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِه وإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ ولا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِه ولِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ ولْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِه وأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِه بِمَا يَسَعُهُمْ ويَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلادِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ ولا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ وقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ وتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ووَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ولا تَضُمَّنَّ بَلاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِه ولا تُقَصِّرَنَّ بِه دُونَ غَايَةِ بَلائِه ولا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلائِه مَا كَانَ صَغِيراً ولا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ

تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِه مَا كَانَ عَظِيماً وارْدُدْ إِلَى اللّه ورَسُولِه مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ويَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الامُورِ فَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الامْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ والرَّسُولِ فَالرَّدُّ إِلَى اللّه الاخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِه والرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الاخْذُ بِسُنَّتِه الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِه الامُورُ ولا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ولا يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ ولا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ولا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ولا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الامُورِ وأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لا يَزْدَهِيه إِطْرَاءٌ ولا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وأُولَئِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِه وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وأَعْطِه مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيه غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الاشْرَارِ يُعْمَلُ فِيه بِالْهَوَى وتُطْلَبُ بِه الدُّنْيَا ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ والْخِيَانَةِ وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ والْقِدَمِ فِي الاسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً وأَصَحُّ أَعْرَاضاً وأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الامُورِ نَظَراً ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الارْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ وغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لامُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الامَانَةِ والرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وتَحَفَّظْ مِنَ الاعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْه عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْه الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِه وأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِه ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ ووَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ

أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلاحِه وصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ولا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلا بِهِمْ لانَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِه ولْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الارْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ لانَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بِالْعِمَارَةِ ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ وأَهْلَكَ الْعِبَادَ ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلا قَلِيلًا فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ ولا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَئُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ وتَزْيِينِ ولايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ورِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الامُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الارْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لاِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاةِ عَلَى الْجَمْعِ وسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ واخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الاخْلاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلا ولا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ ويُعْطِي مِنْكَ ولا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ ولا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ولا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِه فِي الامُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِه يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ واسْتِنَامَتِكَ وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ولَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ والامَانَةِ شَيْءٌ ولَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لاحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وأَعْرَفِهِمْ بِالامَانَةِ وَجْهاً فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ولِمَنْ وَلِّيتَ أَمْرَهُ واجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ولا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا

ومَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ وأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ والْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ والْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وجُلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ والْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ وحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ولا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وصُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ وتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفِي حَوَاشِي بِلادِكَ واعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وشُحّاً قَبِيحاً واحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وعَيْبٌ عَلَى الْوُلاةِ فَامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ ولْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ والْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَى والزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً واحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وقِسْماً مِنْ غَلاتِ صَوَافِي الاسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى وكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ولا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لاحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لاولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالاعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الانْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ ولا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وذَلِكَ عَلَى الْوُلاةِ ثَقِيلٌ والْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ووَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ

مُتَتَعْتِع فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً فَأَعْطِ اللّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلا مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلا مُضَيِّعاً فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً. وَأَمَّا بَعْدُ فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ وَلا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلا

يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْناً لِبِلَادِكَ وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ وَلَا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ

وينقلُهُ ولا عُذرَ لَكَ عندَ اللّه ولا عندي في قَتْلِ العَمْد لانَّ فيه قَودَ البَدَن وإن ابْتُليتَ بخطإٍ وأفرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بالعُقوبَة فَإنَّ في الوَكْزَة فَمَا فَوقَهَا مَقْتَلَةً فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إلى أَوْلِيَاء الْمَقْتُول حَقَّهُمْ وإيَّاكَ والاعْجَابَ بِنَفْسِكَ والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وحُبَّ الاطْرَاء فَإنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ في نَفْسِه لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وإيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الاحْسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ والْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللّه والنَّاسِ قَالَ اللّهُ تَعَالَى كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّه أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ وإيَّاكَ والْعَجَلَةَ بِالامُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ وإيَّاكَ والاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ والتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الامُورِ ويُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ ولَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إلى رَبِّكَ والْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللّه فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا واسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلى هَوَاهَا وأَنَا أَسْأَلُ اللّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وإيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الاقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إلَيْهِ وإلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وجَمِيلِ الاثَرِ فِي الْبِلادِ وتَمَامِ النِّعْمَةِ وتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وأَنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بِالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ إنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ والسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً والسَّلامُ.

سياسته في الصدقات والخراج:

وهي نافذة أخرى نطل من خلالها على ما أودع في فكر الإمام العظيم وخصائصه الذاتية ونفسيته الشريفة وحبه للحق ورحمته بالخلق، وبكلمة: تجسيده الدقيق نظرية وتطبيقاً لهدي الله وقوانين دينه ونظم أمره في بلاده وعباده.

وإذاما تناولنا نصاً من نصوص سياسة الإمام المالية بالدرس والتحليل فإننا نقف على المعجز المحير من آفاق هذا العظيم وأبعاده الفكرية والإيمانية والتهيذيبية والسياسة الحكيمة.

وسألخص نماذج من ذلكم العطاء الزاخر أولاً ثم أورد ثلاثة نصوص كاملة ليتوفر القاريء على دراسة بنودها والوقوف على مقاصدها وأبعادها وما تجسده من رؤى رشحت من فيض قلب ملهم وقلم إمام أعظم.

فأولاً: تقوى الله والخشية منه:

«انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»[1].

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِه حَيْثُ لا شَهِيدَ غَيْرُهُ ولا وَكِيلَ دُونَهُ وأَمَرَهُ أَلاَّ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ ومَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلانِيَتُهُ وفِعْلُهُ ومَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ وأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ»[2].

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا

---

(١) نهج البلاغة /٣٨٠.

(٢) نهج البلاغة /٣٨٢.

يُحْرِزُهَا»[١].

وثانياً: احترام المؤمن وحسن الأدب معه:

فلا يُروَّع ولا يقتحم عليه بل يقصد بالسكينة والوقار والتحية الوافرة والسلام، ثم إبلاغه رسالة الحاكم بأدب ورفق دونما ترفع وتعالٍ تفضلاً بالإمارة عليهم فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق[٢].

ثالثاً: ولكل ذي حق حقه:

«فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ واصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ووُكَلاءُ الأُمَّةِ وسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ ولا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ ولا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ولا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ ولا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ولا عَبْداً ولا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ولا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ إِلاَّ...إلخ»[٣].

حدث بعض عماله: «اسْتَعْمَلَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَى بَانِقْيَا وسَوَادٍ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ فَقَالَ لِي والنَّاسُ حُضُورٌ انْظُرْ خَرَّاجَكَ فَجِدَّ فِيهِ ولا تَتْرُكْ مِنْهُ دِرْهَماً فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَى عَمَلِكَ فَمُرَّ بِي، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: إِنَّ الَّذِي سَمِعْتَ مِنِّي خُدْعَةٌ إِيَّاكَ أَنْ تَضْرِبَ مُسْلِماً أَوْ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فِي دِرْهَمِ خَرَاجٍ أَوْ تَبِيعَ دَابَّةَ عَمَلٍ فِي دِرْهَمٍ فَإِنَّمَا أُمِرْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ»[٤].

رابعاً: حماية الحيوان والرحمة به:

---

(١) نهج البلاغة /٤٢٥.
(٢) نهج البلاغة /٣٨٠، ٣٨٢.
(٣) نهج البلاغة /٤٢٥.
(٤) الكافي ٣/ ٥٤٠.

«ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولا تُفْزِعَنَّهَا ولا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا»[١].

«فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وبَيْنَ فَصِيلِهَا ولا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا ولا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً ولْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وبَيْنَهَا ولْيُرِفَّهْ عَلَى اللاغِبِ ولْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ والظَّالِعِ ولْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ ولا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ ولْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ ولْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ والأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ ولا مَجْهُودَاتٍ»[٢].

خامساً: استئمان الموثوق:

«ولا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ولا تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً وأَمِيناً حَفِيظاً غَيْرَ مُعْنِفٍ ولا مُجْحِفٍ ولا مُلْغِبٍ ولا مُتْعِبٍ»[٣].

سادساً: عدالة وإنصاف:

«واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ»[٤].

«ولا تَأْخُذَنَّ عَوْداً ولا هَرِمَةً ولا مَكْسُورَةً ولا مَهْلُوسَةً ولا ذَاتَ

---

(١) نهج البلاغة /٦٨١.
(٢) نهج البلاغة /٣٨١ـ٣٨٢.
(٣) نهج البلاغة /٣٨١.

عَوَارٍ»[١].

سابعاً: رعاية حقوق عمال الزكاة والفقراء:

«وإِنَّ لَكَ فِي هَذه الصَّدَقَة نَصيباً مَفْرُوضاً وحَقّاً مَعْلُوماً وشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ»[٢].

ثامناً: تحذير من أفظع عواقب الخيانة:

«وإِلاَّ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَة وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّه الْفُقَرَاءُ والْمَسَاكِينُ والسَّائِلُونَ والْمَدْفُوعُونَ والْغَارِمُونَ وابْنُ السَّبِيلِ ومَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَة ورَتَعَ فِي الْخِيَانَة ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسه الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَى وإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ وأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ»[٣].

أـ «ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات:

قال الشريف وإنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل، في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها .

انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ولا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً ولا تَجْتَازَنَّ عَلَيْه كَارِهاً ولا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّه فِي مَالِه فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ولا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّة لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وخَلِيفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ

---

(١) نهج البلاغة /٣٨١.

(٢) نهج البلاغة /٣٨٢.

(٣) نهج البلاغة /٣٨٣.

فَهَلْ لَلَّه فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّه فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لا فَلا تُرَاجِعْهُ وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلا تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِه فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ولا عَنِيفٍ بِهِ ولا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولا تُفْزِعَنَّهَا ولا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ فَإِذَا اخْتَارَ فَلا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيه وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّه فِي مَالِه فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّه مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقَلْهُ ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّه فِي مَالِه ولا تَأْخُذَنَّ عَوْداً ولا هَرِمَةً ولا مَكْسُورَةً ولا مَهْلُوسَةً ولا ذَاتَ عَوَارٍ ولا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلا مَنْ تَثِقُ بِدِينِه رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ولا تُوَكِّلْ بِهَا إِلا نَاصِحاً شَفِيقاً وأَمِيناً حَفِيظاً غَيْرَ مُعْنِفٍ ولا مُجْحِفٍ ولا مُلْغِبٍ ولا مُتْعِبٍ ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِه فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْه أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وبَيْنَ فَصِيلِهَا ولا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا ولا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً ولْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وبَيْنَهَا ولْيُرَفِّهْ عَلَى اللاغِبِ ولْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ والظَّالِعِ ولْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِه مِنَ الْغُدُرِ ولا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ ولْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ ولْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ والأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّه بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ ولا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه ﷺ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1].

ب- «ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة:

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ حَيْثُ لا شَهِيدَ غَيْرُهُ

(١) نهج البلاغة / ٣٨٠-٣٨٢.

ولا وكيلَ دُونَهُ وأَمَرَهُ أَلاَّ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فيمَا أَسَرَّ ومَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلاَنِيَتُهُ وفِعْلُهُ ومَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ وأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وأَمَرَهُ أَلاَّ يَجْبَهَهُمْ ولا يَعْضَهَهُمْ ولا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ والأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ وإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وحَقّاً مَعْلُوماً وشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ وإِلاَّ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وبُؤْسَى لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ والْمَسَاكِينُ والسَّائِلُونَ والْمَدْفُوعُونَ والْغَارِمُونَ وابْنُ السَّبِيلِ ومَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَى وإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ وأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ»[1].

ج- «ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا واعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ يَسِيرٌ وأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ والْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ واصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ووُكَلاَءُ الأُمَّةِ وسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ ولا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ ولا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ولا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ ولا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ولا عَبْداً ولا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ولا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولا مُعَاهَدٍ إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ ولا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ولا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ولا

---

(١) نهج البلاغة /٣٨٢_٣٨٣.

الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ولا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً وأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[1].

اختلاف الرأي في نهج الإمام السياسي:

توطئة:

فقد عاشت أمة الإسلام عقوداً وشهدت فيها عهوداً تلونت خلالها الأحكام وتنوعت مذاهب الحكم والسياسة، واختلفت في ذلك عما كان عليه نهج نبي الإسلام ﷺ.

ولم يقف ذلكم التلون والتنوع في دائرة بل اتسع الخرق فشمل شؤوناً ذات شجون فعصف بالأحكام، وعبث بالقضاء، وعاث في الأموال وحابى رجالاً دون رجال.

وتربت الأمة واصطبغت حياتها الفكرية والعملية على ما ابتدعه ولاتها ورعاتها، والناس على أديان ملوكهم.

وورث الإمام تركة ثقيلة تنوء بالمعضلات وترفل بالمشاكل المتشعبات، ورأى -وهو إمام الأمة وحاكم الرعية وسائس البلاد والعباد- مجانبة ذلك للحق والعدل ومخالفته للدين الذي جاء به نبي الله من عند الله.

فماذا هو صانع والحق مر تأباه الطباع والأوضاع؟!

هل يترك الأمة سدى تتخبط في ضلالها، تحيى المعوج من ممارساتها؟! أم يصدع فيها بالحق ويقيمها على العدل ويحملها على جادة الهدى كما شرع

---

(١) نهج البلاغة /٤٢٥-٤٢٦.

الله لها وأراده منها؟!

وماذا ستكون ردة الفعل تجاه التغيير والتبديل ممن تأصل فيهم الفكر الموروث فنعموا في دنياهم بالمقام المرموق والثراء الفاحش؟!

وحصيلة امتداد الفاصل التأريخي بين ارتحال رسول الإسلام ﷺ إلى الرفيق الأعلى وفيء الحق إلى الإمام عليه السلام ـ سجلٌ حافلٌ بالمخالفات لو رصدنا مفرداتها لما استوعبتها موسوعة كبرى، وليس من غرضنا تعدادها وبيان العوار فيها وإنما الغاية الوقوف على سياسة الإمام عليه السلام إزاءها بإجمال يكشف عن رأيه تجاهها كاملة. فلنعرض نماذج من أنماط الخطأ والتصحيح المتمثل في التصريح تارة والتلويح أخرى والمجابهة ثالثة والنقد دونها أخرى مستهدفاً مواطن محددة ومفهوماً أوسع.

ـ سياسته قبل توليه الخلافة:

١ ـ الموقف من الحاكمين:

وقد أوضح بجلاء رأيه الصريح في تبوئهم مقعد الخلافة والحكم وعدم صلاحيتهم لعدم جدارتهم وفقدهم الملكات والآلات، ونصَّ على إفرازات ذلك بقوله في خطبته الجامعة الذائعة الشقشقية المعروفة:

«أَمَا واللّه لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وإنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّه.

ترجيح الصبر:

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ. ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ»[1].

ففيها الجهر بمركزه وبيان عذره في عدم القيام والأخذ بحقه، «وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ»، وكشف عن عواقب الانحراف عن جادة الحق: «وْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ»، «فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا ... وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا ... فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ ... إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ

---

(١) نهج البلاغة /٤٨ خ ٣.

بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ»[١].

وقد عمَّهم هنا ثلاثتهم مجتمعين بنقده وشرَّك بينهم، وأفرد كلاً منهم في مواطن أخرى بالإعتراض والتخطئة.

ونلحظ من خلال سجل النقد تفاوت الظروف شدة وضعفاً، ففي عهد الشيخين لم يتأت للإمام عليه السلام مجال واسع لمواجهتهما بمخالفاتهما، أما في عهد عثمان فانزاحت العلة فجاهر الإمام عليه السلام بالتقريع المباشر والتوبيخ الدائم والنقد اللاذع.

قال ابن أبي الحديد: «سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد رحمه الله فقلت له إني لأعجب من علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظي الأكباد عليه! فقال: لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب ووضع خده في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أخمل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن وخرج عن ذلك الزي الأول وذلك الشعار ونسي السيف وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض أو راهباً في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر وصار أذل لهم من الحذاء تركوه وسكتوا عنه ولم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطأة من متولي الأمر وبطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه ولو لا ذلك لقتل ثم أجل بعد معقل حصين»[٢].

وفيما يلي عرض موجز لجملة من الموارد المتفاوتة:

مع عمر:

---

(١) اقرأ في تفصيل ذلك: كتابنا (العقائد من نهج البلاغة) /٢٦٥ـ٢٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٠١/١٣.

أ- فمن حقائق التأريخ المسلمة وفرة التشريعات العمرية وتعجله في الأحكام واختلاف رأيه في القضايا، وكما وصفه الإمام عليه السلام «يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا والاعْتِذَارُ مِنْهَا» فنجد عمر إذا لزّته المواقف وأحرجته المعضلة فزع إلى الإمام عليه السلام ففرّج كربته فيطفق قائلاً: «لولا علي لافتضحنا» و«لولا علي لهلك عمر» ونحو ذلك مما هو شائع عنه معروف به.

ونجده في مواطن أخرى يبتدع البدعة ويلزم بها الأمة ويؤاخذ على مخالفتها لا يلوي على شيء تاركاً وراء ظهره ما يعلمه من سر نجاته وما لولاه لهلك.

ب- بدعة التراويح:

«أخرج البخاري في كتاب التراويح أيضاً من الصحيح عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، إلى أن قال: فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد كان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب (قال): ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعمت البدعة هذه. قال العلامة القسطلاني في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه إلى قول عمر في هذا الحديث: نعمت البدعة هذه، ما هذا لفظه: سماها بدعة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم الاجتماع لها، ولا كان في زمن الصديق رضي الله عنه، ولا أول الليل ولا هذا العدد[1].

وقال محمد بن سعد -حيث ترجم عمر في الجزء الثالث من الطبقات-: وهو أول من سنَّ قيام شهر مضان -بالتراويح- وجمع الناس على ذلك وكتب له إلى البلدان.

---

(١) النص والاجتهاد /٢٣١-٢٣٢.

وتربى عليه العباد في كافة البلاد، ولما تولى أمير المؤمنين عليه السلام الأمر منع منها.

ولا تزال بدعة قائمة في المسلمين أولياء من ابتدعها يحرصون عليها أشد الحرص في بلادهم وغيرها.

ج- التمييز في العطاء:

«ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وفضل مضر على ربيعة، ففرض لمضر في ثلاثمائة ولربيعة في مائتين، وفضل الأوس على الخزرج»[1].

وأعطى عائشة بنت أبي بكر ١٢٠٠٠ وحرم أم سلمة من عطائها سنة كاملة.

وكان هذا المبدأ باعثاً لنقمة الطامعين ومعارضة المنتفعين وقيامهم في وجه الإمام عليه السلام حينما حملهم على العدل والحق الذي شرعه الله ونفذه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا طلحة الزبير ينقمان على الإمام عليه السلام العدل والأسوة فيجيبهما بقوله:

«وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ولا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ وأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ

---

(١) ثورة الحسين /١٧ عن شرح نهج البلاغة ١١١/٨، وتأريخ اليعقوبي ١٠٦/٢، وفتوح البلدان /٤٣٧.

فَلَيْسَ لَكُمَا واللّه عنْدي ولا لغَيْرِكُمَا في هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللّهُ بِقُلُوبِنَا وقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللّهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ»[1].

وقد ذكر التأريخ اعتراض فئات أخرى وتعجب آخرين من سياسة الإمام المالية كالسيدة القرشية والعجوز الفارسية، والسيد المولى ومعتقه.

ومع عثمان:

واختلف الوضع في عهده فقد واجهه الإمام عليه السلام باللاذع من الاعتراض والخشن في المواجهة والرسائل ولا سيما بعد أن آيس الإمام عليه السلام من استقامة عثمان وعدوله إلى الحق.

وأعرض صوراً متنوعة معبرة عما شجر.

أ- الصلاة أربعاً في منى:

«أخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته رضي الله عنه، ثم إن عثمان صلى بعد أربعاً، فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعاً وإذا صلى وحده صلى ركعتين»[2].

وروى ابن حزم في المحلى ٤/٢٧٠ من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل عثمان وهو بمنى فأتى علي فقيل له: صل

---

(١) نهج البلاغة /٣٢٢ خ ٢٠٥.

(٢) الغدير ٨/٩٨ عن صحيح البخاري ٢/١٥٤. صحيح مسلم ٢/٢٦٠. مسند أحمد ٢/١٤٨. سنن البيهقي ٣/١٢٦.

بالناس، فقال: إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله ﷺ -يعني ركعتين- قالوا: لا إلا صلاة أمير المؤمنين -يعنون عثمان- أربعاً، فأبى[١].

(مسند) الإمام أحمد بن حنبل ج٥ ص١٦٥ (وروى بسنده) عن القاسم بن عوف الشيباني عن رجل قال: كنا قد حملنا لأبي ذر شيئاً نريد أن نعطيه إياه فأتينا الربذة فسألنا عنه فلم نجده قيل استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهي منى فبينا نحن عنده إذ قيل له: إن عثمان صلى أربعاً، فاشتد ذلك على أبي ذر وقال قولاً شديداً وقال: صليت مع رسول الله ﷺ فصلى ركعتين وصليت مع أبي بكر وعمر (إلى أن قال) أبو ذر: أمرنا رسول الله ﷺ أن لا يغلبونا على ثلاث، أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونعلم الناس السنن[٢].

(ما رواه البيهقي) في سننه ج٣ ص١٤٠ بسنده عن صفوان بن محرز قال: سألت ابن عمر عن صلاة السفر قال: ركعتان، من خالف السنة كفر[٣].

"وإن مما رواه حفظة الآثار في هذا الموضوع من أهل السنن والأخبار ما رواه الإمام أحمد بن حنبل من حديث معاوية في مسنده ص٩٤ من جزئه الرابع بالإسناد إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة (قال): فصلى بنا الظهر ركعتين (قال): وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة مسافراً صلى بنا الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً، وإذا أتى منى أتم الصلاة (فيها وفي عرفات) قال: فلما صلى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن

---

(١) الغدير ٨/١٠٠.
(٢) السبعة من السلف /١١٧.
(٣) السبعة من السلف /١٢٠.

عثمان فقالا له: ألا تعلم أنه أتم الصلاة (وإذ ذاك في سفر) قال: فقال لهما: ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ وقد صليتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر قصراً، قالا: ولكن ابن عمك قد كان أتمها وإن خلافك إياه لعيب له، قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاها أربعاً، وكان قد صلى الظهر قصراً»[1].

«عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَقَامَ بِمِنًى ثَلاثاً يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَنَعَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَصَنَعَ ذَلِكَ عُمَرُ ثُمَّ صَنَعَ ذَلِكَ عُثْمَانُ سِتَّ سِنِينَ ثُمَّ أَكْمَلَهَا عُثْمَانُ أَرْبَعاً فَصَلَّى الظُّهْرَ أَرْبَعاً ثُمَّ تَمَارَضَ لِيَشُدَّ بِذَلِكَ بِدْعَتَهُ فَقَالَ لِلْمُؤَذِّنِ اذْهَبْ إِلَى عَلِيٍّ فَقُلْ لَهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ الْعَصْرَ فَأَتَى الْمُؤَذِّنُ عَلِيّاً عليه السلام فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ الْعَصْرَ فَقَالَ إِذَنْ لا أُصَلِّي إِلاَّ رَكْعَتَيْنِ كَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَ الْمُؤَذِّنُ فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ بِمَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ اذْهَبْ فَصَلِّ كَمَا تُؤْمَرُ، قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لا واللَّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعاً فَلَمَّا كَانَ فِي خِلافَةِ مُعَاوِيَةَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَجَّ مُعَاوِيَةُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ الظُّهْرَ ثُمَّ سَلَّمَ فَنَظَرَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَثَقِيفٌ وَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ ثُمَّ قَالُوا قَدْ قَضَى عَلَى صَاحِبِكُمْ وَخَالَفَ وَأَشْمَتَ بِهِ عَدُوَّهُ فَقَامُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: أَ تَدْرِي مَا صَنَعْتَ مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ قَضَيْتَ عَلَى صَاحِبِنَا وَأَشْمَتَّ بِهِ عَدُوَّهُ وَرَغِبْتَ عَنْ صَنِيعِهِ وَسُنَّتِهِ، فَقَالَ وَيْلَكُمْ: أَ مَا تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي هَذَا الْمَكَانِ رَكْعَتَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَصَلَّى صَاحِبُكُمْ سِتَّ سِنِينَ كَذَلِكَ فَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثَ، فَقَالُوا: لا واللَّهِ مَا نَرْضَى عَنْكَ إِلاَّ بِذَلِكَ، قَالَ: فَأَقِيلُوا فَإِنِّي مُشَفِّعُكُمْ وَرَاجِعٌ إِلَى سُنَّةِ

---

(١) النص والاجتهاد /٣١٣ـ٣١٤.

صَاحِبِكُمْ فَصَلَّى الْعَصْرَ أَرْبَعاً فَلَمْ يَزَلِ الْخُلَفَاءُ والأُمَرَاءُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ»[1].

ولاستيفاء البحث والوقوف على كثير من ملابساته يراجع: الغدير ٨/٩٨ـ١١٦، والسبعة من السلف /١١٥ـ١٢٠.

وستقف على جملة من المعترضين ابتداء الذاعنين انتهاء، واستمانة المتأخرين من علماء القوم في تصحيح ما ابتدعه الأولون غافلين أو متغافلين عن اختصاص التشريع بالله وحده لا شريك له، وامتياز مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الاعتراض والامتناع، وكذا من شايعه ممن هم خلص أوليائه.

ب- إقامة الحد على الوليد رغماً على عثمان:

وقد كان الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة من قبل عثمان وهو رجل الجرائم والموبقات.

ومن مروقه واستهتاره أنه ثمل وصلى إماماً صلاة الصبح أربعاً ويردد في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني، ثم قاء في المحراب وسلم، وقال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: لا زادك الله خيراً، ولا من بعثك إلينا، وأخذ فردة نعله وضرب به رجل الوليد وحصبه الناس.

ورفع أمره إلى الحاكم عثمان فشهد الشهود بجرمه فزجرهم، فانطلقوا إلى أمير المؤمنين فأقبل عليه السلام إلى عثمان وقال له: «دفعت الشهود وأبطلت الحدود؟» «ما ترى؟» «أرى أن تبعث إلى صاحبك فإن أقاما الشهادة في وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد».

وأحضره عثمان مكرهاً ولم يدفع عن نفسه، وامتنع حضار المجلس من

---

(١) الكافي ٤/٥١٨ـ٥١٩.

القيام بحده لقرابته من عثمان، فانبرى أمير المؤمنين فأخذ السوط ودنا منه فسبه الوليد وجعل يروغ من الإمام فاجتذبه وضرب به الأرض وعلاه بالسوط فثار عثمان وقد علاه الغضب وقال للإمام: «ليس لك أن تفعل به هذا» فقال عليه السلام: بلى وشر من هذا إذا فسق ومنع حق الله أن يؤخذ منه»[١].

ج- توعده عبيد الله بن عمر بالقتل قصاصاً:

ثار لمقتل أبيه فقتل بغير حق الهرمزان وجفينة وبنت أبي لؤلؤة، وأراد قتل كل سبي بالمدينة، وعرض عثمان على المسلمين قصته: «وقد كان من قضاء الله أن عبيد الله بن عمر أصاب الهرمزان، وكان الهرمزان من المسلمين، ولا وراث له إلا المسلمون عامة، وأنا إمامكم وقد عفوت، أفتعفون».

فانبرى جمع فأعلنوا الرضى سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد أنكر على عثمان وقال له: «أقد الفاسق فإنه أتى عظيماً، قتل مسلماً بلا ذنب ...».

وصاح الإمام بعبيد الله: «يا فاسق ... لئن ظفرت بك لأقتلنك بالهرمزان»[٢].

د- ومع عثمان أيام الهياج والفتنة:

وقد اشتد الخطب وكثرت الخطب، وسأورد من ذلك نصين وأشير إلى مصدر البقية.

الأول: «لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم فدخل عليه فقال».

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي ١/٢٦٠-٢٦٢ (ملخصاً) عن جملة من المصادر.
وقد استوفى المؤلف ترجمته وعدد موبقاته وناقش المدافعين عنه.
(٢) حياة الإمام الحسن بن علي ١/٢٢٦-٢٧٢ (ملخصاً) عن تفصيل.

«إنَّ النَّاسَ وَرَائِي وقَد استَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ ... وإنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وإنَّ أَعْلامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ أَفضَلَ عِبَادِ اللّه عِنْدَ اللّه إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً ... وإنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللّه إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِه فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً وإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ ولَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ولا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا وإِنِّي أَنْشُدُكَ اللّهَ أَلاَّ تَكُونَ إِمَامَ هَذِه الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِه الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ والْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ويَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ويَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً ويَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جِلالِ السِّنِّ وتَقَضِّي الْعُمُرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلا أَجَلَ فِيهِ ومَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ»[1].

الثاني: خرج مروان إلى الوفد المحيط بقصر عثمان فشتمهم ونال منهم قائلاً: ما شأنكم؟ كأنكم قد جئتم لنهب؟ شاهت الوجوه تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا.

واستنجد عثمان بالإمام فدخل عليه وقال له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت

---

(١) نهج البلاغة /٢٣٤ خ ١٦٤. وبقية النصوص في نهج البلاغة كالتالي: ٧٣ خ ٣٠، ١٠٢-١٠٣ خ ٧٤ و ٧٥، ١٩٣ خ ١٣٥، ٢٤٣ خ ١٦٨، ٣٥٨ خ ٢٤٠، ٣٨٨ الكتاب ٢٨.

شرفك وغلبت على أمرك»[1].

وبعد .. فإن دارس النصوص بما تستحق يقف على اللباقة النادرة التي خرج بها الإمام من ذلكم المعترك الشائك والهيجان العارم السابق واللاحق لمقتل عثمان، فكانت معالجةً لفوضى سياسة مدمرة اتسمت بالحكمة والأناة وجمعت بين الشدة واللين، حتى أن خصومه يعتقدون أنه أبرأ الناس وأبعدهم عن محنة عثمان وفتنته، وإن اتخذوا الاتهام ذريعة للمعارضة وسبيلاً للتمرد والعصيان.

٤ـ سياسته عليه السلام أيام خلافته:

واستقبل الإمام ـسلام الله عليهـ الحكم بسياسة واضحة وهدي بيِّن ونهج أمثل لا التواء فيه ولا اعوجاج، بل هي الصراحة والأهداف المعلنة والشعار المرفوع بحملهم على الحق وإقامة العدل وحمل الأمة على المحجة والصراط المستقيم.

وهو يعلم أن ذاك لا يروق لكثير منهم ممن أترعوا طمعاً ورغبة وميلاً إلى الدنيا والدنايا حتى عادت جزء من تركيبتهم.

فأعلن بعد محاورات وإصرار الاستجابة لطلب الأمة وتسلم أزمة الحكم ومقاليد الأمور، ثم رفع شعاره في الحكم ومبدأه في السياسة فقال في أول خطاب تأريخي:

«فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي ١/٣٠٠ـ٣٠١ (ملخصاً) عن: الفتوح ٢/٢١٧ـ٢١٨.

المزالق الخطيرة والعقبات الكؤود النافذة المتغلغلة في دين الأمة ومقدراتها.

استعصاء الإصلاح:

وهي المحنة الكبرى والبلاء المبرم للإمام والأمة، فهو -سلام الله عليه- يسعى جاهداً لحمل الأمة على الحق والهدى، وهي تأبى عليه ذلك حيث تربت وشبت على البدع المتغلغل المنتشر في كثير من شؤون الدين والدنيا.

وقد شرح الإمام عليه السلام في خطابه أسباب ذلك البلاء وعلله وإباءه على السلامة والاستقامة.

وهذه مقتطفات تصور تلكم المصائب المؤلمة التي ألمت بالأمة:

«وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجال رجالاً، إلا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يخفَ على ذي حجى، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معاً».

«إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري عليها الناس ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيّرت السنة، وقد أتى الناس منكراً ثم تشتد البلية وتسبي الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب ... ويتفقهوه لغير الله».

ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال:

«قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي».

«أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله».

«ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام».

«وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم».

«ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد».

«ورددت قضايا من الجور قضي بها».

«ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام».

«وحرمت المسح على الخف».

«وحددت على النبيذ».

«وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات».

«وأخرجت من أدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه».

«وحملت الناس على حكم القرآن، وعلى الطلاق على السنة، ورددت الغسل والوضوء والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها».

«والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً».

«ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار».

«ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقينا بعد نبينا ﷺ، والله المستغاث على من ظلمنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

لا محاباة في الحق:

وهي ميزة امتاز بها إمام الأئمة وقائد الأمة، فَـ «عَلِيٌّ مَعَ الحَقِّ والحَقُّ مَعَ عَلِي». فلا قوي يكرم ولا ضعيف يهتضم ولا دنيء ولا شريف ولا ذو رحم ماسة ولا بعيد ولا ولي ولا عدو، فالجميع أمام قانون العدل سواء، فالعدل شعار الإمام ودثاره، والحق فكره ومنهجه وحياته.

هذا النجاشي شاعر أهل العراق الشهير: «خرج في أول يوم من شهر رمضان فمر بأبي سمّال الأسدي وهو قاعد بفناء داره فقال له: أين تريد؟ قال: أردت الكناسة، فقال: هل لك في رؤوس وأليات قد وضعت في التنور من أول الليل فأصبحت قد أينعت وقد تمرأت؟ قال: ويحك في أول يوم من رمضان، قال: دعنا مما لا نعرف، قال: ثم مه، قال: أسقيك من شراب كالورس، يطيب النفس، ويجري في العرق، ويزيد في الطرق، ويهضم الطعام، ويسهل للفدم الكلام، فنزل وتغذيا، ثم أتاه بنبيذ فشرباه، فلما كان آخر النهار علت أصواتهما، ولهما جار من شيعة علي عليه السلام فأتاه فأخبره بقصتهما، فأرسل إليهما قوماً فأحاطوا بالدار، فأما أبو سمّال فوثب إلى دور بني أسد فأفلت، وأخذ النجاشي فأتي عليه السلام به، فلما أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين، ثم زاده عشرين سوطاً، فقال: يا أمير المؤمنين أما الحد فقد عرفته فما هذه العلاوة؟ قال: لجرأتك على الله وإفطارك في شهر رمضان، ثم

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتأريخ ٤/١٢٢-١٢٥ ملخصاً عن جملة من المصادر.

أقامه في سراويله للناس، فجعل الصبيان يصيحون به: خزي النجاشي، خزي النجاشي، وجعل يقول: كلا إنها يمانية وكاؤها شعر.

ومر به هند بن عاصم السلولي فطرح عليه مطرفاً، فجعل الناس يمرون به ويطرحون عليه المطارف حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة، فمدح بني سلول فقال:

إذا الله حيّا صالحاً من عباده ... نقياً فحيّا الله هند بن عاصم
وكل سلولي إذا ما دعوته ... سريع إلى داعي العلا والمكارم
هم البيض أقداماً وديباج أوجهٍ ... جلوها إذا اسودت وجوه الملائم
ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ... ولا يبتغي المخ الذي في الجماجم

ثم لحق بمعاوية وهجا علياً عليه السلام فقال:

ألا مبلغ عني علياً ... بأني قد أمنت فلا أخافُ
عمدت لمستقر الحق لما ... رأيت أموركم فيها اختلافُ

ولما حد النجاشي غضبت اليمانية لذلك، وكان أخصهم به طارق بن عبد الله بن كعب النهدي، فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنا نرى أن أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتى رأينا ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا، وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار.

فقال علي عليه السلام: ﴿إِنَّها لَكَبِيْرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِيْنَ﴾. يا أخا هند، وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حداً كان كفارته، إن الله تعالى يقول: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

فخرج طارق من عنده فلقيه الأشتر فقال: يا طارق أنت القائل لأمير

المؤمنين: أوغرت صدورنا وشتت أمورنا؟ قال طارق: نعم أنا قائلها، قال: والله ما ذاك كما قلت، إن صدورنا له لسامعة، وإن أمورنا له لجامعة، فغضب طارق وقال: ستعلم يا أشتر أنه غير ما قلت، فلمّا جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية»[1].

وتحمل هذه الحكاية عن القضية صورة من عدل الإمام عليه السلام ومنطقه الرباني، وتعبيراً دقيقاً عن تفاعل شرائح من الأمة إزاء الحق وإقامة العدل. فموقف مالك الأشتر المشرف، وتعاطف أمة مع منتهك حرمات الله نماذج لافتة عن مدى الالتزام وعمق الإيمان من فئة، والميل إلى العبث والأهواء من أخرى.

ولطارق حديث مثير مع معاوية لما لحق به قال عنه الإمام عليه السلام لما بلغه: لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيداً.

الناس عبيد الدنيا:

وكتب الإمام علي عليه السلام إلى واليه على المدينة سهل بن حنيف وقد بلغه أن جمعاً منها لحقوا بمعاوية:

«فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/٨٨ـ٩٢ ملخصاً عن الخبر في الشعر والشعراء والخزانة والغارات.

فَبُعْداً لَهُمْ وسُحْقاً إِنَّهُمْ واللّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ ولَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ»[١].

وله في انتهاج العدل بين الرعية والقسمة بالسوية حديث طويل وبيان عريض بثّه في قوله وكَلِمِه وطبّقه على الكافة.

وإزاء هذه السياسة آيس عبيد الدنيا فضاقوا بالعدل ذرعاً ولم يطيقوا على مر الحق صبراً ففروا حيث يهوون، والناس إلى أشكالهم أميل.

وقد عزّ على الإمام عليه السلام انحدار الأمة وترديها وتهالكها على الحطام وركونها إلى الدنيا فشكى إلى الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر:

«يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة ورأي الناس واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقل العدد، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به واغتموا من العدل إذ صاروا فيه ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغَناء والشرف فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا وقل من ليس للدنيا بصاحب وأكثرهم يجتوي الحق ويشتري الباطل ويؤثر الدنيا فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال وتصف نصيحتهم لك وتستخلص ودهم صنع الله لك يا أمير المؤمنين وكبت أعداءك وفض جمعهم وأوهن كيدهم وشتت أمورهم إنه بما يعملون خبير.

فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله عز وجل يقول ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِه ومَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف.

---

(١) نهج البلاغة /٤٦١ الكتاب ٧٠.

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور ولا لجئوا إذ فارقونا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها وليسألن يوم القيامة أ للدنيا أرادوا أم لله عملوا.

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرأ من الفيء أكثر من حقه وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وقد بعث الله محمدا ﷺ وحده فكثره بعد القلة وأعز فئته بعد الذلة وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله عز وجل رضا وأنت من آمن الناس عندي وأنصحهم لي وأوثقهم في نفسي إن شاء الله»[1].

وابتدرت طائفة من أصحابه عليه السلام لتعرض عليه فيما ترى حلاً لجمع المتفرق ومنع المتفلت فقالوا:

«يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره».

فقال لهم:

«أ تأمرونني أن أطلب النصر بالجور؟ لا والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم. والله لو كان المال لي لواسيت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم. ثم سكت طويلاً واجماً ثم قال: الأمر أسرع من ذلك. قالها ثلاثاً»[2].

إزالة اللبس ورفع التوهم:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/١٩٨.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢/٢٠٣.

وتلكم أريحية تحلى بها كمال خلق الإمام عليه السلام وقد كان يحياها ويربي ولاته عليها، وقد أسلفت شطراً من هديه في هذا المضمار ونبذاً في هذا المجال.

وقد ورد في هذا الصدد حديث معبر ومثير يكشف عن مدى واقعية الإمام عليه السلام واتساع أفقه ورحابة صدره مما لم يعهد من سواه.

"و قد روي أنه (مالك الأشتر) قال ـ لما ولى علي عليه السلام بني العباس على الحجاز واليمن والعراق ـ: فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس، وإن علياً عليه السلام لما بلغته هذه الكلمة أحضره ولاطفه واعتذر إليه وقال له: فهل وليت حسناً أو حسيناً أو أحداً من ولد جعفر أخي أو عقيلاً أو واحداً من ولده وإنما وليت ولد عمي العباس لأني سمعت العباس يطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله الإمارة مراراً فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عم إن الإمارة إن طلبتها وكلت إليها وإن طلبتك أعنت عليها. ورأيت بنيه في أيام عمر وعثمان يجدون في أنفسهم إذ ولى غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يول أحداً منهم فأحببت أن أصل رحمهم وأزيل ما كان في أنفسهم. وبعد فإن علمت أحداً من أبناء الطلقاء هو خير منهم فأتني به. فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه"[1].

ويتداعى من هذه الرواية صراحة الأشتر وجهره بما ولج في باله وهو العارف الخبير بفكر الإمام وسياسته وهديه، وهو الأثير لديه والقريب منه. كما يتجلى منها واقعية الإمام عليه السلام واستماع المعترض ورده بالجميل وتعامله بالحسنى. وما كان الحاكمون المستبدون يلينون يوماً لنقد أو يفرغون لاعتراض بل شأنهم الغشم والتعالي، ولم يكن في خلائق الإمام عليه السلام شيء من ذلك.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٥/٩٨ـ٩٩.

وبعد

فقد أفدنا من تطوافنا حول فكر الإمام عليه السلام ونهجه في الحكم وسياسة الرعية نمطاً مميزاً وأسلوباً فريداً وسبيلاً واحداً باين فيه طريقة الحاكمين قبله فأصلح الفاسد وأقام المعوج ووعد بالتغيير إذا تمكن واستوت قدماه، وأوضح للناقمين والناقدين حجته وبرهانه.

ولئن ابتلي أمير المؤمنين عليه السلام قديماً بأولئك المعترضين فقد ابتلي حديثاً بورّاث أولئك وحملة أفكارهم.

فهذا عصر النور والتحرر والديمقراطية كما يسمون ويزعمون يطالعنا بالعجيب الغريب، وما عشت أراك الدهر عجباً:

الفكر المنحرف والرأي الشاذ:

«وهذا ما يجعلنا نقول بأن علياً كان عليه أن يفعل كل ما يستطيع أن يفعله للاحتفاظ بالسلطة خاصة وأن الظروف التي أحاطت به كانت غاية في الصعوبة ... يشتري الناس؟ نعم ... يقدم الرشاوي والمكاسب والمغانم والمناصب؟ نعم ... يغتال خصومه؟ نعم ... وما الضرر في أن يفعل كل ذلك ... إن السؤال الذي يلح بشدة على المرء ... هو لماذا لم يتعظ علي من تصرفات الرسول وعمر؟»[1].

ولا أدري على أي مقياس بنى هذا الدكتور!! رأيه في تقييم سياسة الإمام عليه السلام؟ هل هو دين الله ومباديء الإسلام وهدي نبيه؟! أم المكر والخديعة والهيمنة والغلبة بأي وسيلة تحقق ذلك؟! وهل يحقق ذلك نجاحاً في السياسة والإدارة أم هو الإخفاق المؤكد بالمخالفة الصريحة لشرع الله وقواعد

---

(١) علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة /٨٣.

الإسلام، وانبعاث الفتنة والعهد بأيام عثمان وآثار سياسته وممارساته قريبة؟!

وما هذا التجني على ساحة قدس نبي الرحمة وهادي الأمة وحاملهم على المحجة البيضاء بالجرأة والاتهام لذاته الشريفة في انتهاج ما لا يليق، والإساءة إليه في مقتفي آثاره ومحيي سنته أمير المؤمنين علي عليه السلام؟!

وما هذه المفارقة في المقارنة بين نبي الله ورسوله المعصوم من الزلل والخطل في القول والعمل وبين عمر الذي حفلت أيامه بالمتناقضات والمخالفات في الأحكام والإدارة.

أجل إنها الآراء الشاذة المنبعثة من عقول وذوات بعدت عن الحق فضلت عن سواء الصراط وتخبطت فتاهت في الحيرة.

وفات أولئك وهؤلاء أن الحق مر، والاستقامة لا يقوى على التقمص بجلالها وكمالها وجمالها إلا الأفذاذ ممن اصطفاهم الله لإحياء دينه وإقامة حكمه وبسط عدله في بلاده وعباده.

وهذا ما كان عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذاته ووجدانه ومشاعره وكل جوانب حياته، وقد بثّه قولاً ومارسه عملاً ونهجاً.

وهو ـ سلام الله على ملكاته ـ أوضح ذلك جلياً في خطبه وعهوده ورسائله إلى ولاته، وأجاب فيه على نقد الناقدين وتذمر المعترضين.

وعلم بذلك دارسو حياة الإمام عليه السلام من أوليائه وأعدائه على حد سواء.

ومن الخير أن نختم هذا الفصل بمأثور من الحديث النبوي الشريف والقول العلوي، وانطباعات آخرين من معاصري الإمام عليه السلام وغيرهم من الباحثين.

أولاً: النبي ﷺ يقول:

١ـ قال في مفتتح دعوته وفي مؤتمر الإنذار يوم الدار:

«إن هذا ـيعني عليـاًـ أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[١].

٢ـ «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة»[٢].

٣ـ «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»[٣].

٤ـ أخذ بيد علي وقال: «إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة بين الحق والبطل»[٤].

٥ـ «أنا وعلي حجة الله على عباده»[٥].

٦ـ «أنا المنذر، وعلي الهادي، وبك يهتدي المهتدون»[٦].

٧ـ وقال عليه السلام وهو على فراش مرضه الأخير وخاطب أصحابه: «هذا

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١٦٧/١ عن عدة مصادر، والحديث من المتواترات.
(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١٧٢/١.
(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١٧٥/١.
(٤) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ٥٣/١.
(٥) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ٥٩/١.
(٦) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ٥٦/١.

علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

٨ـ «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٢].

٩ـ «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا من فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[٣].

إلى فيض من أحاديث نبي الإسلام ﷺ على امتداد أيامه المباركة وما حفلت به من تأريخ في الدعوة والهجرة والجهاد وكافة المشاهد. فهي من حيث ابتدأت حتى انتهت حافلة بالإشادة والإطراء والتنويه والإجلال والإعظام والوصية والتوصية باقتفاء الإمام عليه السلام والاهتداء بهديه ومسالمة من سالمه ومحاربة من حاربه لأنه مع الحق والحق معه يدور حيثما دار.

ثانياً: الإمام يتحدث:

أ ـ «وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ ولاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ولا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ولا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ ولاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ ويَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ ولا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ»[٤].

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١/١٨٧.
(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١/١٩٠.
(٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي ١/١٩١ـ١٩٢.
(٤) نهج البلاغة /١٨٨ـ١٨٩ خ ١٣١.

ب- «واللّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاّ! وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ»(١).

ج- «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ولَيْسَ أَمْرِي وأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ للّه وأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ. وأَيْمُ اللّه لأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً»(٢).

د- «وإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ويُقِيمُ أَوَدَكُمْ ولَكِنِّي لا أَرَى إِصْلاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللّهُ خُدُودَكُمْ وأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ لا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ولا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ»(٣).

هـ- «مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ. إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا وإِنِّي الْيَوْمَ لأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وهُمُ الْقَادَةُ أَوِ الْمَوْزُوعُ وهُمُ الْوَزَعَةُ»(٤).

وقال عليه السلام رأيه صريحاً في شخصيات أنبأ عن بعضهم وكنّى عن آخرين:

أ- «كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلي الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء. ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان وفلان، ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان فقلت وا ذفراه، ثم لم يرض الدهر لي بذلك حتى أرذلني فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة لقد استنت

---

(١) نهج البلاغة /١٢٢ خ ٨٩.
(٢) نهج البلاغة /١٩٤ خ ١٣٦.
(٣) نهج البلاغة /٩٩ خ ٦٩.
(٤) نهج البلاغة /٥٢٠ حديث ٢٦١.

الفصال حتى القرعى»[١].

ب- «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ولا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ. ومَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. ولَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ ودُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ونَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ويَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»[٢].

ج- «واللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْلا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، ولَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»[٣].

ثالثاً: عمر يقيّم أعضاء الشورى:

فبعد أن استعرض من استعرض كاشفاً عما يراه فيه من خلال وخصال قال عن الإمام عليه السلام:

«لله أنت لولا دعابة فيك! أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء»[٤].

وفي رواية ابن قتيبة:

«وما يمنعني منك يا علي إلا حرصك عليها، وإنك أحرى القوم إن

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣٢٦/٢٠ الكلمة ٧٣٣.
(٢) نهج البلاغة /١٨٣ خ ٤١.
(٣) نهج البلاغة /٣١٨ خ ٢٠٠.
(٤) شرح نهج البلاغة ١٨٦/١ ونحو ذلك ١٥٩/١٢ من الشرح.

وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم»[1].

وعجيب حقاً هذا الاعتذار البارد من أبي حفص والاتهام المشين. فما هي الدعابة المانعة؟! أهي أريحية الإمام عليه السلام وطيب خلائقه المختلفة مع جبلة ابن الخطاب ووعورة طبعه وغلظة طينته؟!

وما هو الحرص في صاحب الحق ومن لا قيمة للحكم والدنيا بأسرها لديه إلا بما هو أهون من عفطة عنز؟! وأين هذا من الاستماتة في طلب الإمرة والتفاني في نيلها حتى لو نتجت من (فلتة وقى الله من شرها ومن عاد لمثلها فاقتلوه)، وحتى لو مهدت إلى كسب الحكم والسلطان كما نجم عن السقيفة ونص الأول على الثاني والشورى دونما مراعاة مقاييس؟!

ومادمت يا عمر تعلن صريحاً وتقول واثقاً بأن ابن أبي طالب حامل الأمة على الحق الواضح المبين والمحجة البيضاء والصراط المستقيم فهل فيما ذكرت مناف لأهلية الخلافة؟! ولكنها الأقدار التي جعلت من عمر حاكماً متأمراً حياً وميتاً.

رابعاً: بين المغيرة وابن عباس:

وقد ضم المجلس حبر الأمة ومعاوية والمغيرة بن شعبة، فقال المغيرة:

«أما والله لقد أشرت على علي بالنصيحة فآثر رأيه ومضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا له وإني لأحسب أن خلقه يقتدون بمنهجه. فقال ابن عباس كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي ومعاقد الحزم وتصريف الأمور من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه وعنف عليه، قال سبحانه: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ

---

(١) الإمامة والسياسة ١/٢٩.

ورَسُولَهُ﴾ ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة قوله تعالى: ﴿وما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثوق به في نفسه هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية ولات حين تقية مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الأنصار يمضي كالسيف المصلت في أمر الله مؤثراً لطاعة ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا»[1].

خامساً: سياسة علي وجريها على سياسة الرسول ﷺ:

وهذا عنوان لبحث موسع عرض فيه ابن أبي الحديد الخلاف في تقييم سياسة الإمام عليه السلام وأورد فيه أيضاً رأي السيد النقيب أبي جعفر الحسني.

وأقتطع من ذلك جملاً مرتبطة بموضوعنا.

قال ابن أبي الحديد:

«واعلم أن قوماً ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام زعموا أن عمر كان أسوس منه وإن كان هو أعلم من عمر».

«ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تدبيراً».

«اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره وتوطيد قاعدته سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها ومتى لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله».

«وأمير المؤمنين كان مقيداً بقيود الشريعة مدفوعاً إلى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/٣٠١.

فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك».

«ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب ولا ناسبين إليه ما هو منزه عنه ولكنه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص ويكيد خصمه ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه إليه نظره».

«ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعداها إلى الاجتهاد والأقيسة ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين ويسوق الكل مساقاً واحداً ولا يضيع[1] ولا يرفع إلا بالكتاب والنص فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة»[2].

«وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت خلافة ذاك قوة وخلافة هذا ليناً».

وقال أبو جعفر:

«إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسياسة أصحابه

---

(١) هكذا، ولعلها: يضع.

(٢) وقال ابن أبي الحديد أيضاً وقد عرض لنبذة من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام:
وإنما ذكرنا هذه الأخبار والروايات وإن كانت خارجة عن مقصد الفصل لأن الحال اقتضى ذكرها من حيث أردنا أن نبين أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصانعون بالأموال ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ أنفسهم، وأنه لم يكن من أهل الدنيا وإنما كان رجلاً متألهاً صاحب حق لا يريد بالله ورسوله بدلاً. شرح نهج البلاغة ٢/٢٠٢ـ٢٠٣.

أيام حياته وبين سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسياسة أصحابه أيام حياته».

«انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، وهذا فصيح وهذا فصيح، وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة وهذا مثله».

«فامتزج الخلقان وتماثلت السجيتان، وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل فواجب أن تكون أخلاق محمد صلى الله عليه وآله كأخلاق أبي طالب وتكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه ومحمد عليه السلام مربيه، وأن يكون الكل شيمة واحدة وسوساً واحداً وطينة مشتركة ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل لو لا أن الله تعالى اختص محمداً صلى الله عليه وآله برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك ومن أن اللطف به أكمل والنفع بمكانه أتم وأعم فامتاز رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك عمن سواه وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقوله: أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع، وقال له أيضا: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأبان نفسه منه بالنبوة وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما»[1].

أقول:

ثم عقب ابن أبي الحديد الموضوع بحديثين مختصر ومطول محورهما: تعبد الإمام بدين الله، أورد في الأول منهما مقالاً للجاحظ حول المقارنة بين

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/٢١٢-٢٢٢.

سياسة الإمام وبين سياسة معاوية ج١٠/٢٢٧ـ٢٣١.

وفي الثاني مقالاً مفصلاً عرض فيه لشؤون عديدة حول السقيفة والشورى وتولية معاوية وسواها مما حفلت به حياة الإمام عليه السلام (ج١٠/٢٣٢ـ٢٦٠).

والخلاصة:

إن منتقدي سياسة الإمام عليه السلام ومقارنيه في ذلك بسواه أخطأوا النهج وضلوا الطريق فلم يعرفوا من هو الإمام، وما هي مواهبه الإلهية، ومهامه الربانية، وظنوا واعتقدوا غلطاً أن النجاح يقاس بالغلبة والهيمنة واستقامة الأمور وإن اصطبغت بخلائق الكفر واتسمت بالباطل فهم يفرغون عن نفسياقم وأهوائهم لا عن الدين والقيم.

وحاشا لقدس علي وجلاله أن يتبدل عن شاكلته وإلا لما كان علي علياً.

وقد كشف الإمام عليه السلام عن كل هاتيك الشؤون وأبان عليه السلام أنه على بينة من ربه وبصيرة في دينه وعلم بواقع الأمور وميول العامة وثقل الحق عليهم وسبيل حملهم على جادته، وما كان غافلاً عن شيء أدركوه أو غير عالم بأمر عرفوه، ولكنه دين الله وشرعه وأمانته والعدل والحق والمصير إما إلى الجنة أو النار.

أجل ...

هذه صورة مشرقة من سياسته ونهجه في الحكم والدولة وفكره وحياته أعظم إشراقاً وأوسع رحباً.

ولو أن الأمة أسلمت إليه قيادها لحملها على الجادة الواضحة والمحجة

اللائحة.

ولو قَلَّدُوا الموصى إليهِ أمورهـا لَزُمَّـتْ بمـأمونٍ مِـنَ العشـراتِ

ولكن ...

وبعد

فهذه ملامحُ وشذراتٌ من حياةِ رجلِ الإسلامِ وبطلِهِ الفذِّ الذي امتازتْ شؤونُهُ بأنها إلهيةٌ مُكْتَنَفَةٌ بالرعايةِ الربانية.

فقد تَوَلَّتْهُ عنايةُ الله ـ جلَّ جلالُه ـ فاصْطَنَعَتْهُ كما تشاءُ فأَسْبَغَتْ عليهِ الألطافَ وأفاضَتِ الأتحاف.

وأقامَتْهُ طريقاً إلى الحقِّ وعنوانَ الهدى وسفينةً للنجاةِ وبركةً للوجودِ وسرًّا في الكون.

ولَمْ يُحِطْ أَحَدٌ مِنْ خلقِ اللهِ بِكُنْهِ عليٍّ وليِّ اللهِ إلاَّ رسولُ اللهِ ـ صلى اللهُ عليهما وآلهما ـ

وقد تولّى النبيُّ الأعظمُ الإشادةَ والتعريفَ بجلائلِ مقاماتِ الإمامِ ودورِهِ ورفيعِ شأنِهِ في الوجودِ والدينِ والآخرة.

أفاضَ عليه السلام في ذلك مقالاً، ومارَسَهُ عملاً، علانيةً وسرًّا.

هذا عليٌّ يحدِّثُنا عن عمقِ المعرفةِ وجميلِ التعريف.

قال عليه السلام: «ولأقولَنَّ ما لَمْ أَقُلْهُ لأحدٍ قبلَ هذا اليوم، سَأَلْتُهُ مَرَّةً أَنْ يَدْعُوَ لي بالمغفرةِ فقال: أَفْعَلُ، ثُمَّ قامَ فصلّى، فلمّا رفعَ يدَهُ للدعاءِ استمعتُ عليه، فإذا هو قائلٌ: اللهمَّ بحقِّ عليٍّ عندَكَ اغْفِرْ لعلي، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما هذا؟ فقال: أَوَ أَحَدٌ أَكْرَمُ منكَ عليهِ فأَسْتَشْفِعُ إليه!»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/٣١٦.

أسألُ اللهَ بمقامِ وليِّـهِ أَنْ يتقبّـلَ بقبولِـهِ الحسـنِ الجميـلِ هـذا العمـلَ ويَدَّخِرَهُ ذخرًا في الآخرة.

ويلذُّ لي أَنْ أَختمَ حديثي بما خَتَمَ بـهِ حَبْـرُ الأمـة ابـنُ عبـاس رضي الله عنه حياتَهُ بقولِه: «اللهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بولايةِ الشيخِ عليٍّ بنِ أبي طالب»[1].

(١) الكنى والألقاب.

المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

١ـ أبو طالب حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري.

٢ـ أبو طالب مؤمن قريش، الشيخ عبد الله الخنيزي.

٣ـ إحقاق الحق، للسيد القاضي التستري وتعاليق السيد المرعشي.

٤ـ أحكام السجون بين الشريعة والقانون، الخطيب الشيخ أحمد الوائلي.

٥ـ أدب الطف، جواد شبر.

٦ـ الأربعون حديثاً، الشيخ سليمان الماحوزي.

٧ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد.

٨ـ الإرشاد، الشيخ المفيد.

٩ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير.

١٠ـ الإشارات والتنبيهات ـ النمط العاشر، ابن سينا.

١١ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني.

١٢ـ الاعتقادات، الشيخ الصدوق.

١٣ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين.

١٤ـ الإقبال، ابن طاووس.

١٥ـ إكسير العبادات في أسرار الشهادات، الفاضل الدربندي.

١٦ـ آل محمد بين قوسي النزول والصعود، السيد علي عاشور.

١٧ـ ألف بيت في وليد البيت، عادل الكاظمي.

١٨ـ الألفين، العلامة الحلي.

١٩ـ أمالي الشيخ الطوسي، الشيخ الطوسي.

٢٠ـ أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق.

٢١ـ الإمام علي بن أبي طالب من حبه عنوان الصحيفة، الشيخ أحمد الرحماني الهمداني.
٢٢ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق.
٢٣ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة.
٢٤ـ الأنوار النعمانية، السيد نعمة الله الجزائري.
٢٥ـ آيات المتوسمين، السيد مهدي القزويني.
٢٦ـ بحار الأنوار، الشيخ المجلسي.
٢٧ـ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني.
٢٨ـ بصائر الدرجات [الكبرى]، محمد بن الحسن بن فروخ.
٢٩ـ تأريخ الطبري، الطبري.
٣٠ـ تأريخ اليعقوبي، اليعقوبي.
٣١ـ تحت راية الحق، الشيخ عبد الله السبيتي.
٣٢ـ تحت راية الحق، علي محمد علي دخيل.
٣٣ـ تحت راية القرآن، مصطفى الرافعي.
٣٤ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق الشيخ باقر المحمودي.
٣٥ـ الترياق الفاروقي، عبد الباقي العمري.
٣٦ـ تفسير فرات الكوفي، فرات الكوفي.
٣٧ـ التكامل في الإسلام، الشيخ الدكتور أحمد أمين.
٣٨ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى، الميرزا علي الغروي، تقريرات بحث السيد الخوئي.
٣٩ـ تهذيب الأحكام، شيخ الطائفة الطوسي.
٤٠ـ الثاقب في المناقب، محمد بن علي الطوسي ابن حمزة، تحقيق الشيخ نبيل رضا علوان.
٤١ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي.
٤٢ـ ثورة الحسين، الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
٤٣ـ جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي.

٤٤ـ الجمل، الشيخ المفيد.
٤٥ـ جنة المأوى، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.
٤٦ـ الحج معالمه ومعارفه، الشيخ محسن المعلم.
٤٧ـ حديث الثقلين، الشيخ قوام الدين الوشنوي.
٤٨ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني.
٤٩ـ حياة الإمام الحسن بن علي، الشيخ باقر شريف القرشي.
٥٠ـ حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي.
٥١ـ حياة الإمام محمد الباقر، الشيخ باقر شريف القرشي.
٥٢ـ حياة أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر.
٥٣ـ خصائص أمير المؤمنين، الشريف الرضي.
٥٤ـ درر الأخبار فيما يتعلق بالاحتضار، الشيخ محمد رضا الطبسي.
٥٥ـ دلائل الصدق، الشيخ محمد حسن المظفر.
٥٦ـ دليل العروة الوثقى، الشيخ حسن سعيد، تقريرات بحث الشيخ حسين الحلي.
٥٧ـ ديوان السيد الحميري، تحقيق شاكر شكر.
٥٨ـ ديوان العلامة الجشي، الشيخ علي الجشي.
٥٩ـ ديوان عبد الباقي العمري
٦٠ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري.
٦١ـ ربع قرن مع العلاّمة الأميني، حسين الشاكري.
٦٢ـ رد الشمس، محمد سعيد الطريحي.
٦٣ـ روضة الكافي، ثقة الإسلام الكليني.
٦٤ـ روضة المؤمنين في إفحام المخالفين، محمد رضي الرضوي.
٦٥ـ الروضة المختارة والسبع العلويات، الكميت.
٦٦ـ زين الفتى، الحافظ أحمد بن محمد بن علي بن أحمد العاصمي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.
٦٧ـ السبعة من السلف، السيد مرتضى الفيروزآبادي.

٦٨ـ سفط الغوالي وملتقط اللئالي، الشيخ فرج العمران.
٦٩ـ سفينة البحار، الشيخ عباس القمي.
٧٠ـ سلوني قبل أن تفقدوني، الشيخ محمد رضا الحكيمي.
٧١ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
٧٢ـ شرح نهج البلاغة، الشيخ ميثم البحراني.
٧٣ـ شرح نهج البلاغة، الشيخ ميثم البحراني.
٧٤ـ شعراء الحلة، الشيخ محمد علي اليعقوبي.
٧٥ـ صحيح البخاري، البخاري.
٧٦ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، السيد جعفر مرتضى العاملي.
٧٧ـ صفّين، لأبي نصر مزاحم.
٧٨ـ عبقات الأنوار (الخلاصة)، السيد علي الميلاني.
٧٩ـ عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر.
٨٠ـ عقائد الصدوق، الشيخ الصدوق.
٨١ـ العقائد من نهج البلاغة، محسن المعلم.
٨٢ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي.
٨٣ـ علم الإمام، الشيخ محمد حسين المظفر.
٨٤ـ علم الغيب عند الإمام، الشيخ محسن المعلم.
٨٥ـ علي إمام البررة، تأليف السيد أبو القاسم الخوئي وشرح السيد محمد مهدي الخرسان.
٨٦ـ علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، عبد الكريم الخطيب.
٨٧ـ علي بن أبي طالب سلطة الحق، عزيز جاسم.
٨٨ـ علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، مجموعة من الدكاترة والباحثين.
٨٩ـ علي في الكتاب والسنة، حسين الشاكري.
٩٠ـ علي والوصية، نجم الدين العسكري.
٩١ـ علي وليد الكعبة، الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي.

٩٢ـ عيد الغدير، بولس سلامة.
٩٣ـ غاية المرام وحجة الخصام، السيد هاشم البحراني.
٩٤ـ الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني.
٩٥ـ غزوات أمير المؤمنين، جعفر النقدي.
٩٦ـ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، عبد الله سلوم السامرائي.
٩٧ـ فاطمة بنت أسد، علي محمد دخيل.
٩٨ـ فاطمة صوت الحق الإلهي، محسن المعلم.
١٠٠ـ فدك في التأريخ، السيد محمد باقر الصدر.
١٠١ـ الفصول المهمة، ابن صباغ المالكي.
١٠٢ـ فضائل الإمام علي، الشيخ محمد جواد مغنية.
١٠٣ـ في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية.
١٠٤ـ القاموس المحيط، الفيروزآبادي.
١٠٥ـ قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، محمد تقي التستري.
١٠٦ـ الكافي، ثقة الإسلام الكليني.
١٠٧ـ كامل الزيارات، ابن قولويه.
١٠٨ـ الكامل، ابن الأثير.
١٠٩ـ الكرام البررة، الشيخ آغابزرگ الطهراني.
١١٠ـ كشف الرمس عن حديث ردّ الشمس، محمد باقر المحمودي.
١١١ـ كشف الغمة، أبو الحسن الأربلي.
١١٢ـ كلمة الإمام الحسن، السيد حسن الشيرازي.
١١٣ـ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق.
١١٤ـ كنز العمال، المتقي الهندي.
١١٥ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي.
١١٦ـ لسان العرب، ابن منظور.
١١٧ـ مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين، الشيخ أبو الحسن بن شاذان القمي، تحقيق

الشيخ نبيل رضا علوان.
١١٨ ـ ماضي النجف وحاضرها، جعفر باقي آل محبوبة.
١١٩ ـ مباني تكملة المنهاج، السيد أبو القاسم الخوئي.
١٢٠ ـ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي.
١٢١ ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمد باقر المجلسي.
١٢٢ ـ المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين.
١٢٣ ـ مرجع الخلاف إلى الخلافة، الشيخ محسن المعلم.
١٢٤ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري.
١٢٥ ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل.
١٢٦ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني.
١٢٧ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني.
١٢٨ ـ مصباح الهداية، السيد علي البهبهاني.
١٢٩ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، كمال الدين الشافعي.
١٣٠ ـ معاهد التنصيص، عبد الرحيم أحمد العباسي.
١٣١ ـ معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي.
١٣٢ ـ معرفة الإمام، محمد حسين الحسيني الطهراني.
١٣٣ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.
١٣٤ ـ مقدمة في أصول الدين، الشيخ الوحيد الخراساني.
١٣٥ ـ ملحمة الإمام علي، عبد المسيح الأنطاكي.
١٣٦ ـ ملحمة أهل البيت، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.
١٣٧ ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق.
١٣٨ ـ منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثني عشر، الشيخ علي عبد الله البحراني الستري.
١٣٩ ـ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب.
١٤٠ ـ المناقب للخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي.

١٤١ـ منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي.
١٤٢ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الخوئي.
١٤٣ـ منية الراغب في إيمان أبي طالب، الشيخ محمد رضا الطبسي.
١٤٤ـ مواهب الرحمن، السيد عبد الأعلى السبزواري.
١٤٥ـ موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الشيخ باقر شريف القرشي.
١٤٦ـ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، محمد الريشهري.
١٤٧ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي.
١٤٨ـ النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الإنسانية، مجموعة بحوث ومقالات.
١٤٩ـ النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين.
١٥٠ـ النصب والنواصب، محسن المعلم.
١٥١ـ نفحات القرآن، مجموعة من المؤلفين بإشراف ناصر مكارم.
١٥٢ـ هوية التشيع، الخطيب الشيخ أحمد الوائلي.
١٥٣ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي.
١٥٤ـ ولاية الأولياء، محمد تقي المجلسي.
١٥٥ـ الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة، السيد علي عاشور.
١٥٥ـ الولاية التكوينية، جلال الدين الصغير.
١٥٧ـ ينابيع المودة، سليمان القندوزي.
١٥٨ـ يوم الدار، السيد طالب الحسيني الرفاعي.

الفهرس

تقديم: ---------- ٩
الفصل الأول: عالم الأنوار والأشباح والميثاق ---------- ٢٧
حديث النور ---------- ٢٩
الذر ---------- ٣٧
الميثاق ---------- ٤٠
الفصل الثاني: سلسلة المجد وعمود الشرف ---------- ٤٥
مقدمة: ---------- ٤٧
شيخ الأباطح أبو طالب عليه السلام ---------- ٥٥
ملحق ---------- ٦٦
السيدة فاطمة بنت أسد ---------- ٦٩
البشارة العظمى ودلالتها الكبرى: ---------- ٧٨
الفصل الثالث: إطلالة الإشراقة ---------- ٨١
الجنبة الأولى: الإثبات التأريخي: ---------- ٨٣
الجنبة الثانية: حديث الولادة: ---------- ٨٤
الجنبة الثالثة: دلائل وإرهاصات: ---------- ٨٦
فأولاً: أقوال العلماء: ---------- ٨٦
وثانياً: في أجواء الشعر: ---------- ٨٩
الفرحة الكبرى والبشارة العظمى: ---------- ٩٨
الأسماء تنزل من السماء: ---------- ١٠٠
الفصل الرابع: التربية الإلهية ---------- ١٠٣
الفصل الخامس: السجل الحافل والتأريخ المشرق ---------- ١١١
الموقف الأول: مفتتح الدعوة وحديث الإنذار: ---------- ١١٤
الموقف الثاني: ابتداء المناصرة والمؤازرة: ---------- ١٣٠
الموقف الثالث: ليالي الشعب الرهيبة: ---------- ١٣١
الموقف الرابع: ليلة المبيت العصيبة: ---------- ١٣٤
في رحاب الشعر: ---------- ١٥٣
الموقف الخامس: علي يخلف محمداً في مكة: ---------- ١٥٨

معطيات: ---------- ١٦٢
الموقف السادس: الهجرة والتحدي: ---------- ١٦٢
الدلالة والمغزى: ---------- ١٦٦
الفصل السادس: الكمال مجسداً ---------- ١٧١
توطئة ---------- ١٧٣
الأمر الأول: كشف الآثار عن دقيق الأسرار: ---------- ١٧٣
الدلائل: ---------- ١٧٧
الخلاصة: ---------- ١٨٣
الأمر الثاني: غاية الكمالات وكمال الملكات: ---------- ١٨٤
١/ العلم ---------- ١٨٥
علي والعلم الإلهي: ---------- ١٨٥
١ ـ مصادر العلم الإلهي: ---------- ١٨٥
٢ ـ الاقتران بين القرآن الكريم والإمام العظيم في بيان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ---------- ١٩٦
المورد الأول: ما جهر به الإمام وتحدى: ---------- ٢٠٥
المورد الثاني: الخضوع والإذعان: ---------- ٢١٠
بيان وتعقيب: ---------- ٢٢٢
المورد الثالث: نماذج ودلائل: ---------- ٢٢٦
عليٌ وعلمُ الغيب: ---------- ٢٣٦
أولاً: أدلة النافين: ---------- ٢٣٩
ثانياً: حجة المثبتين: ---------- ٢٤٠
النقطة الأولى: آيات الإثبات: ---------- ٢٤٠
النقطة الثانية: روايات الإثبات: ---------- ٢٤٣
النقطة الثالثة: الواجب والممكن، والعلم الذاتي والمفاض: ---------- ٢٤٨
تتميم نفعه عميم: ---------- ٢٥٠
وقفة واستخلاص نتائج: ---------- ٢٥٧
السجل الحافل: ---------- ٢٦٤
٢/ الإيمان ---------- ٢٨١
فأولاً: وحي الله: ---------- ٢٨١
وثانياً: حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ---------- ٢٨٢
وثالثاً: حكاية علي عن نفسه: ---------- ٢٨٥
٣/ الشجاعة ---------- ٢٩٣
علي الشجاعة والأيد ---------- ٣٠٣

المواقف والمشاهد: ---------- ٣٠٣
بدر: ---------- ٣٠٣
أحد: ---------- ٣٠٥
الأحزاب: ---------- ٣٠٧
خيبر: ---------- ٣٠٩
عمرو بن معدي كرب صاحب الصمصامة: ---------- ٣١١
حنين: ---------- ٣١٢
الجمل: ---------- ٣١٣
صفين: ---------- ٣١٤
ليلة الهرير: ---------- ٣١٥
الأوسمة الإلهية: ---------- ٣١٦
علي يتحدث عن شجاعته: ---------- ٣١٩
شجاعة الإمام على لسان أوليائه وأعدائه: ---------- ٣٢٣
و دخل الشعر ميدان شجاعة الإمام: ---------- ٣٢٨
٤/ الإنسان الكامل ---------- ٣٤٩
فأولاً: من آيات الله البينات: ---------- ٣٥٠
ثانياً: حديث رسول الله: ---------- ٣٦٣
ثالثاً: علي في ذاته: ---------- ٣٧٣
ملحق: الصفات المنيفة في الزيارات الشريفة ---------- ٤٠٣
توطئة: ---------- ٤٠٣
الفصل السابع: المقامات العالية ---------- ٤٢٣
١/ رد الشمس ---------- ٤٢٥
٢/ خطاب الشمس ---------- ٤٤٣
٣/ البساط وزيارة أصحاب الكهف ---------- ٤٥١
تمهيد: ---------- ٤٥١
٤/ الولاية التكوينية ---------- ٤٦٥
ركيزة البحث: ---------- ٤٦٧
النص القرآني: ---------- ٤٧٦
النص الروائي: ---------- ٤٨٠
الحقائق والآثار: ---------- ٤٨٧
علي والملائكة ---------- ٤٩٣
الدلائل والبينات: ---------- ٥٠٥
علي والجن ---------- ٥١٣

فأولاً: الآيات: ٥١٥
وثانياً: طائفة من الروايات: ٥١٧
الدلائل والنتائج: ٥٢٤
علي والكون ٥٢٩
رشحة المكنون وومضة السر: ٥٤٤
الولاية وأثرها في النشآت ٥٤٩
توطئة: ٥٥١
أثر الولاية عند الاحتضار: ٥٥٢
تعقيب: ٥٥٨
في عالم البرزخ ومساءلة القبر: ٥٦٣
محصلة العرض: ٥٧١
المقام الأسمى في النشأة الآخرة: ٥٧٥
استخلاص المآثر: ٥٩٦
الفصل الثامن: ركيزة: بحث الغلو ٦٠٥
الفصل التاسع: السياسة الإلهية ٦٢٥
تمهيد: ٦٢٧
أولاً: الإنسان والإمامة: ٦٣٥
ثانياً: النص القرآني: ٦٣٧
ثالثاً: النص النبوي: ٦٤٦
دين الإسلام ودولته ٦٦٢
ركيزة: ٦٦٢
العدالة الإلهية: ٦٦٣
ملامح شخصية الإمام السياسية ٦٦٨
سياسة الولاة: ٦٨٥
العهد الإلهي ٧٠١
العرض العام: ٧٠٢
بنود العهد وأغراضه: ٧٠٦
سياسته في الصدقات والخراج: ٧٥٧
اختلاف الرأي في نهج الإمام السياسي: ٧٦٣
١ ـ سياسته قبل توليه الخلافة: ٧٦٤
٢ ـ سياسته عليه السلام أيام خلافته: ٧٧٥

وبعد ---------- ٧٩٨
المصادر ---------- ٨٠١
الفهرس ---------- ٨٠٩

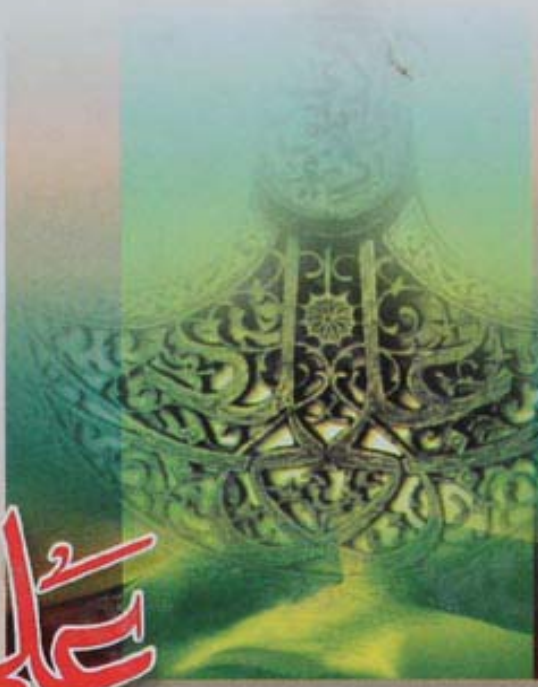

علي عليه السلام

إمام الدين والدولة

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩/ ٠١

ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: http://www.daralhadi.com